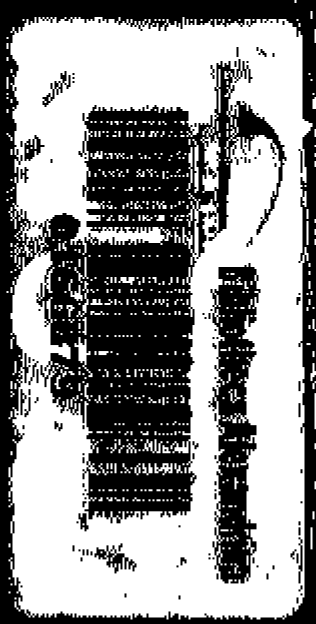
(٢)

الفتح

الصحافة الإسلامية

أنور الجندي



دار الأنصار

أنور الجندي



تاريخ الصحافة الإسلامية

الفتح ـ محب الدين الخطيب

١٩٢٦ - ١٩٤٨

توزيع
دار الأنصار.
٨١ شارع البستان ناصية شارع الجريدة
عابدين ت ٩٣٦٠٨١٥ ـ ٦

الفهرس

صفحة

صفحـــة

الباب الأول

مجلة الفتح : السيد محب الدين الخطيب

الفصـــــل الأول : مجلة الفتح (عرض عام لخطة الفتح واهدافها)

الفصـــل الثانى : الدعوة الاسلامية منهج الفتح وايدلوجيته

مجـــلة الفتـــح

أصدرها السيد محب الدين الخطيب فى ذى القعدة ١٣٤٤ (يونيــة ١٩٢٦) واستمرت حتى عام ١٣٦٦ (١٩٤٧) فى مدى اثنين وعشرين عاما وقد صدرت فى خلال هذه الفترة شهرية ثم اسبوعية ثم شهرية فى الفترة الأخيرة وتولى رئاسة تحريرها فى العامين الأولين الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب حتى توقفت وقد شــهدت خلال هذه الفترة الطويلة الطويلة عديدا من أحداث العالم الاسلامى والبــلاد العربية فشاركت فيها مشاركة فعلية وأولت اهتمامها الى قضايا الأقطــار الاسلامية فقدمت الى قرائها فصولا ضافية عن المسلمين فى الصين والهند وجاوة (أندونيسيا) وحاورت أهل هذه الأقطار فى قضاياهم ومشـــاكلهم ومتاعبهم والتحديات التى يواجهونها من الاســـتعمار والنفوذ الأجنبى ، كذلك فقد أولت اهتماما واســــعا للبلاد العربية وخاصة المغرب العربى (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) وشاركت فى قضاياها وتحدياتها ونشرت العديد من كتابات أهل تلك الأقطار عن موقف الاستعمار الفرنسى ومحاولاته الخطيرة فى تونس بتجنيس المسلمين أو فى مراكش باصدار الظهير البربرى الذى يفصل البربر من العرب فى مدارس ومحاكم خاصة وذلك للقضاء على الوحدة الاسلامية الفكرية القائمة بين المسلمين فى هذه البلاد وقد حاربت الفتح فى هذا المجال واحتملت المصادرة والمنع وعملت على ايصال رسالتها تحت عناوين أخرى غير الفتح ، وكانت هذه الصحف تنقل فى باطن الأحمال التى تحملها الجمال التى تقطع الطريق الصـــحراوى بين مصر والمغرب واعان على ذلك وجود عدد من المجاهدين المغاربة فى مصر امثال الحبيب ابو رقيبة وعلال الفاسى والفضيل الورتلانى و ..... وكان الشيخ الخضر حسين مكافحا هاما فى معركة الفتح مع النفوذ الأجنبى فى شمال افريقيا .

ثم كانت قضية فلسطين كبرى القضايا التى واجهت الفتح سنوات طويلة وفتحت آفاقا جديدة فى ابحاثها منذ عام ١٩٣٥ (الثورة الفلسطينية) وما اتصل بهـــا من كشف مخططات الصهيونية ومن الدعوة الى الوحـــدة

العربية فى مواجهة الزحف الصهيونى على فلسطين فقد كانت بحق أعظم ما جرت له السيد محب الدين الخطيب قلمه ومعه عديد من قادة الفكر والسياسة فى هذه المرحلة الخطيرة .

والى جانب هذا الدور الهام الخطير قامت الفتح بمقاومة التغريب والغزو الفكرى والثقافى وأعمال دعاة الالحاد والتحرر الفكرى أمثال سلامة موسى وطه حسين وعلى عبد الرازق وغيرهم فى قوة عزم ومضاء كما فتحت الطريق أمام عشرات من شباب المثقفين المسلمين على طول العالم العربى وعرضه فقدمت أسماء كثيرة لمعت من بعد وأصبحت فى مكان الصدارة من أمثال « مصطفى السباعى » ومحمود بشر » ومحمد بهاء الاميرى وأحمد بلافريج « المغرب » ومحمد تقى الدين الهلالى » وعلى احمد باكثير » والدكتور زكى على « حيفا » وبهجة الاثرى .

كما فضحت عديدا من المخططات الاستعمارية السياسية والثقافية » وكان للفتح ولصاحبها الدور الاكبر فى انشاء جمعية الشبان المسلمين فى مواجهة جمعية الشبان المسيحيين وفى مواجهة الأخطار التى تعرضت لها مصر من جراء جماعة التبشير الخطيرة التى قادتها الجامعة الامريكية وجمعية الشبان المسيحية والتى كانت سببا أساسيا فى انشاء الفتح » وفى حشد هذا العدد الضخم من أعلام الفكر الاسلامى فى صعيد واحد لهذا الغرض » ثم كانت جمعية الشبان المسلمين نواة لجمعيات اسلامية كثيرة فى مقدمتها جمعية الاخوان المسلمين التى ظهرت فى العام التالى لانشاء الشبان فى مدينة الاسماعيلية » ولا ريب كان لسقوط الخلافة الاسلامية أثرها البعيد الذى فى انشاء الفتح وفى الارهاصات التى أحدثت آثارها البعيدة فى نشأة الجماعات الاسلامية والصحف الاسلامية فسرعان ما ظهرت الشبان والاخوان » وصدرت مجلة الأزهر « نور الاسلام » ثم صدرت صحف الاخوان : النذير والتعارف والاخوان الاسبوعية فاليومية ، وصدرت مجلات أخرى عديدة .

الفصل الأول

مجلة الفتح : السيد محب الدين الخطيب

عرض تحليلي عام لأدوار المجلة من سقوط الخلافة

الى سقوط فلسطين (١٣٤٤ — ١٣٦٧) هـ — (١٩٢٦ — ١٩٤٧) م

المجلد الأول ١٣٤٤ (١٩٢٦)

كشفت مجلة الفتح في عامها الأول عن أخطار الحركات الهدامة :

١ — حركة المبشرين وحركة الملحدين :

« الأولى تتجه نحو تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية والثانية ترمى الى تجريدهم من الدين ، يقوم بالأولى جمعيات منظمة ويقوم بالثانية رجال تعلموا في الغرب وحكموا طرق الدعاية وتمرنوا على أساليب التمويه ومن ورائهم قوم أولوا نفوذ يحمون ظهورهم ويدفعون عنهم ما يصيبهم ويرفعون من شأنهم ولا غرض لهم من وراء ذلك الا أن يفسحوا المجال لدعاة الالحاد كيما يباشرون مهمتهم » .

واشارت الى حملة التبشير الموجهة الى بلاد العرب والتى أعلن عنها في الصحف الغربية في منشور وجهه مستر استنذر (الجمعية العالمية الصليبية للتنصير في العالم وبلاد العرب) تهدف الى نشر التبشير في بلاد العرب التى لم يدخلها التنصير بعد وسكانها من ٤ الى ١٢ مليونا لم تبلغهم دعوة الانجيل والحاجة الشديدة الى مائة مبشر يذهبون الى مجاهل بلاد العرب المهملة التىلم تبلغها الدعوة بعد » .

أما في مصر فقد كانت هناك عشرات القضايا :

١ — كتاب الشعر الجاهلى وتصريحات طه حسين بانكار وجود الله ونبوة الأنبياء وان العلم لا يتفق مع الدين .

٢ — قضية البغاء الرسمى ومهاجمة الشيخ محمود ابو العيون لدفاعه عن الأعراض .

٣ — قضايا القبعة ، والأغانى العصرية واصلاح المحاكم الشرعية

ودعاة الالحاد فى الجامعة المصرية وجريدة السياسة وموقفها من الاسلام والكماليون وموقفهم من الاسلام .

هذا هو « الجو » الذى واجهته « الفتح » فى عامها الأول : وقد حشدت عددا كبيرا من كتاب الاسلام الذين كتبوا فى كل هذه الموضوعات وناقشوها مناقشة واسعة ، فى مقدمتهم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم ، ومحمد حامد الفقى ، ويوسف الدجوى ، وأحمد خيرى سعيد ، ومحجوب ثابت وحسنى على الحسينى .

كما تابعت قضية طه حسين امام النيابة وفى مجلس النواب وعرض الكتاب لموقفه من ابن خلدون ، ومن ديكارت ، كما عرضت لمواقف سلامة موسى وعنان محمود عزمى ، وهيكل ، وزكى مبارك ومنصور فهمى .

ومن ناحية اخرى كشفت عن فساد المدنية الحاضرة وعجزها عن اسعاد البشر لانها لم تهتم بمكارم الأخلاق ولم تعمل على احترام الدين .

واولت اهتمامها بالتاريخ الهجرى ، وضرورة العمل به ، فقالت ان التاريخ الهجرى هو تاريخ اعلان الدعوة الاسلامية واستعلائها فجدير بكل مسلم ان يضع أمام عينيه فى كل وقت هذه الحادثة المباركة التى فرق الله بها بين الحق والباطل وأن يعمل على احياء هذا التاريخ واذاعته والعمل به .

واشار الى محاذير الكتابة غير المسئولة عن الصحابة واوردت قول الامام ابو زرعة العراقى وهو من أجل شيوخ مسلم قوله « اذا رايت الرجل ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، ذلك ان القرآن حق ، وما جاء به حق ، وما ادى الينا ذلك الا الصحابة فمن جرحهم فانما اراد ابطال الكتاب والسنه فيكون الجرح به اليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق » وعارضت الفتح مقولة على عبد الرازق بأن الاسلام دين روحانى وقالت أنه دين ومنهج حياة .

وعرضت لمؤتمر منع المسكرات المعقود فى الغرب ، واشارت الى موقف الكتاب الغربيين المنصفين من موقعة بلاط الشهداء وهزيمة المسلمين

فيها وكيف أخرت الحضارة ســبعة قرون على حــد قول (كلود فارير) وهاجمت موقف تركيا من احلال القانون المدنى الغربى بديلا عن الشريعة الإسلامية ، وابطال حكم الله فى الميراث والزواج وكان أبرز الاهتمامات قضية التبشير وقضية الغاء البغاء ».

المجلد الثانى ١٣٤٦ (١٩٢٧ م)

كان أبرز أعمال الفتح فى عامها الثانى : دراسة قضايا الأقطـــار الإسلامية ».

فقالت أنه مما يؤسف له أن أكثر ما ينشر عن العالم الاسلامى مكتوب بأقلام غير المسلمين والمسلم له وجهة نظر خاصة ربما كان لها دخـــل كبير فى تكييف تلك الحقائق وأولت اهتمامها بكشف النقاب عن أحوال اخواننـــا مسلمى الكاب والناتال والترنسفال . وأخذت فى انتقاء شذرات من الأخبار اليومية عن أحوال المسلمين ».

وكان أكبر أحداث العالم ظهور جمعية الشبان المسلمين التى تشكل مجلس ادارتها من : عبد الحميد سعيد ، عبد العزيز جاويش ، أحمد تيمور باشا ، محب الدين الخطيب ، محمد الخضر حسن ، أحمد ابراهيم ، محمد الغمراوى ، الدكتور أحمد الدرديرى ، على مظهر ، محمود على فضلى ، محمد الهبياوى ، على شوقى .

وكان أبرز القضايا التى عالجتها قضية التبشير وأعمال جمعيـــة الشبان المسيحية ، وتابعت حملة جريدة السياسة على الاســـلام وكتابات طه حسين وصحف الهلال وعلى عبد الرازق فى الرابطة الشرقية ، كمـــا تابعت تطورات الموقف فى تركيا وأعمال أتاتورك فى نزع الصبغة الاسلامية من تركيا وتغريبها وقد برز فيها عدد كبير من أعلام الدعوة الإســـلامية ، أمثال شكيب أرسلان ، ومولاى محمد على ، ومحمـــد أحمـــد الغمراوى ، عبد الوهاب عزام ، وعلى الجندى ».

وعالجت قضايا المسلمين فى البوســـنة والهرســـك ، والمســـلمين فى جنوب أفريقيا وأحوال الأفغان وقضايا الجزائر وفرنسا ، وجزيرة البحرين»

وقد واجهت الفتح حملة التغريب فى قوة (وكانوا يطلقون عليهـــا عبارة حزب الملاحدة) .

وواجهت سياسة التعليم فى مصر وهاجمت طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى ومصطفى كمال أتاتورك ومحمد عبد الله عنان .

وقد اشار صاحب الفتح الى ان الغرض من نشر الفتح ليس تجاريا ولو كان الغرض تجاريا لالتمســـناه فى ضرب آخر من ضروب الصحافة وهو الضرب الذى يوافق التيـــار الحاضر ويجـــد من الوف المتصـــلين ببرامج الاستعمار اقبالا لا تطمع صحيفتنا الاسلامية الا بجزء يسير منه ومع ذلك فان خطتنا أن يكون أسلوب الفتح مما تأنس به طبقات الأمة كلها .

المجلد الثالث (١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م)

اتســــع نطاق الفكرة التى حملتها الفتح وتركزت قواعدها وظهرت اقلام جديدة فى مقدمتها حسن البنا ، الذى بدأ يتحدث عن الدعوة الاسلامية وعلى من تجب : الحكومة ، النيابة ، الأغنياء والسراه ، العلماء ، كمـــا تحدث عن الجهاد فى سبيل الله ، والسبيل الى اصلاح الشرق ،

واصلت الفتح اهتمامها بتطور الأمور فى تركيا الكمالية وموقف مصطفى كمال من الاســـلام ، الحروف الجديدة فى تركيا (مصطفى صبرى) الآثار العربية فى قصر طوب قبو ، اقوال سكير (أتاتورك) .

بدأت الفتح تنشر كتابات الغربيين عن الاسلام : كتاب درمنجم عن الرسول ، كتابات عبد الله كوليام حديث عن وصف قرن من الاســـــلام فى انجلترا وكتابات ولز عن الاسلام .

وقدمت الفتح محمد على غريب ، عبد الفتاح كيرشاه ، محمد الخضر حسين ، محمد بخيت المطيعى ، مصطفى الحمامى ، عبد المنعم خلاف ، ومن الشعراء :

صادق عرنوس ، محمد عبد المطلب ، محمود رمزى نظيم .

أناشيد جديدة لجمعية الشبان المسلمين : نشيد (ربنا اياك ندعو) للرافعى ، نشيد حافظ واحمد محرم ومحمد عبد المطلب وشوقى ،

ووجهت الفتح نقداتها الى سلامة موسى وعلى عبد الباقى ، وطـــه حسين ، ومحمود عزمى .

ظهرت كتابات محمد أحمد الغمراوى (النقد التحليلى) فى الرد على الأدب الجاهلى واتسع الحديث عن الصهيونية فى فلسطين والبرنامج الصهيونى وحوادث البراق وتحدث عن انتشـــــار الالحاد فى المدارس والجامعـــات والتبشير فى التعليم وتحول وزارة المعارف الى جمعية تبشيرية مسيحية ،

وتحدثت الفتح عن البهائية ، وعن مجلة الرابطة الشرقية واتجاهها التغريبى .

وفى مجال العالم الاسلامى تحدثت عن الأفغان ، والجزائر .

وعن التبشير ودور الشـــبان المسيحيين ، ومدارس الفرير وحوادث السودان والجامعة الأمريكية .

وفى افتتاحية المجلد الثـــالث قال السيد محب الدين الخطيب : نحن فى هجرة ضرب لنا هادينا الأعظم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الاقدام عليها استعدادا ليوم الفتح الاكبر وحسبى اغتباطا وفخرا أن يكون الفتح دليل طريق الهجرة نحو المطمح الأسمى وأن يكون يوم صدرت منذ سنتين فقد وجدت فى مكانها فراغا مملا ويأسا مميتا فصارعه وصرعه وقوى متفيرة فدعت الى توحيدها وما هى الا سنة واحدة حتى كثر عدد المهاجرين الى الله ورسوله فاشتد بهم ساعد الحق وقويت بهم قلوب أهل القافلة فسارت فى طريق الهجرة واسعة الخطا ثابتة الاقدام عظيمة الرجاء بالله عز وجل أن يجعل سنيها خالصة لوجهه الكريم. وقال ان الاقلام احتكرتها انامل لا وفاء لأصحابها للاسلام ولا حرمة فى قلوبهم لتاريخ وادوات النشر الكثيرة المنوعة تسمى الاسلام رجعية بلا حيطة ولا مبالاة ولا حياء وهى لا تفتأ تتخذ من ضعف أهله حجة عليه والوسائل المختلفة التى تعمـــل على تكوين الراى العام فى مصر والتاثير الدائم عليه متفقة كلها بلســــان الحال ان لم يكن اتفاقها بلسان المقال على خطة معينة من شانها الابتعاد بالمســـلمين عن الاسلام بشتى الأساليب .

وقال : نحن نجاهر بأن لمصر صـــورة أخرى غير هذه التى يراها الناس منعكسة فى مرآة صحافتها وباديه فى انديتها ومدارسها وجامعاتها ومعنى هذا ان الامة فى نظرنا لا تزال الى خير ولكنها محتاجة الى قيادة ».

وقال : أمامنا طريقان لا ثالث لهما : فاما أن نضـــع أيدينا فى ايدى بعض ونعاهد الله على ان تكون هجرتنا خالصـــة له ولهداية رســـوله ولتشريف ملته والاشـــادة بذكرها واعزاز اهلها وايقاظ مشـــاعرهم وتنبيه قواهم وتوحيدها وتوجيهها نحو المطمح الاقصى فيكتب الله لنا النصر الذى وعدنا على لسان نبيه واما أن ننصرف من اللباب الى القشور وعن المعانى الى الالفاظ وعن المقاصد الى السفاسف فنزعم الغيره على الاسلام ونطلب من وراء ذلك .. ان الطريق طريق هجرة ولكن الأولى هجرة فى سبيل الله والحق والاصلاح أما الهجره الثانية فهى هجرة الى الشهرة والكبرياء » ».

ولا ريب أن هذه المعانى تعطى مفهوما واضحا أن السيد محب الدين الخطيب فى مقـــدمة مفـــكرى الاســـلام الذين تنبهـــوا الى أن التكاليف الاجتماعية التى جاء بها الدين لا تقل أهمية عن التقاليد الفردية فالتكاليف الموجهة الى الأمة بمجموعها هى التى تكفلت للاسلام عزه لأوطانه أمنهـــا ولسلطانه استقراره بل كانت حامية للتكاليف الفردية وقائمة على خلاصها وفى مجموعها تتألف الأنظمة الاسلامية ».

المجلد الرابع (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

فى هذا المجلد اتسع نطاق الصهيونية فى فلسطين وتابع الفتح هـــذه القضية متابعة سياسيه واسلاميه جامعـــة ، فقد تحدث عن يوم المســـجد الاقصى ودماء فى فلسطين واغتيال المسجد الأقصى ومسألة البراق وبيـــان امين الحسينى ومذابح فلسطين. كذلك فقد بدات الفتح فى نشر كتاب اليهودى الدولى لهنرى فورد ترجمه على مظهر ، وأحاديث عن الصهيونية ».

كما تحدثت من أحوال تركيا ومواقفها من التغريب ، والجزائر وقضية التبشير البروتستانتى ، والاسلام فى مراكش ، والمســـلمين فى الفلبين ، وروسيا ومحاربة الأوثان ».

ووقفت الفتح فى وجه الالحاد والتبشير ، فى مناقشـــات واســـعة ،

وأحاديث عن الجامعة الأمريكية ، وعدوان المبشرين ، وتحدث الأمير شكيب ارسلان عن ان التعليم هو الأزمة الحقيقية فى الاسلام ، وعن ضرورة تعليم الدين فى المدارس ، وتحدث الأستاذ البنا عن : هل تسير مدارسنا وراء مدارس الغرب ، وتحدث محمد فتح الله درويش عن المسلمين فى المدارس المسيحية والتبشير فى الأمة اليتيمة ، وانتهز السيد محب الدين هذه الفرصة فأعاد نشر كتاب الغارة على العالم الاسلامى ».

وبرز كتاب جدد فى الفتح : مصطفى احمد الرفاعى الذى كتب بعد ذلك بتوسع وامتداد طويل ، وأحمد عبد السلام بلافريج ،. والقى عبدالرشيد ابراهيم محاضرته عن جمال الدين ، وتحدث الفتح عن ما اسماه كارثة اكثر من ضياع الاندلس وهى تسهيل شيخ الاسلام لمهمة الكاثوليكية فى تونس ، وتحدث أحمد زكى باشا عن مائة سنة على استعمار الجزائر .

هذا مع احاديث عن الهجرة ومكتبة الاسكندرية (عبد الوهاب النجار).

ويقول السيد محب الدين الخطيب فى افتتاحية المجلد الرابع : ان هذه خطوة رابعة اخطوها انا وهذا الجيش البدرى من اخوان الفتح المنتشرين فى اقطار الارض من جزائر جاوة واقصى الهند الى سيف البحر من بلاد المغرب الاقصى نقف معا نجدد العهد على نصرة الحق ثم نترك ما وراء ذلك لصاحب هذا الكون الفعال لما يريد الى توحيد الجبهة المرصوصة من اهل القبلة ادمو نفسى واخوان الفتح » .

وجاءت افتتاحية الفتح على هذا النحو :

اللهم كما شرفتنا بالانتماء الى رسالة أحمل المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم التى عمل سلفنا بنظامها وقاموا باعبائها وتواصوا بأماناتها وسلكوا سفنها فتمت على ايديهم المعجزات وكافأتهم بجملتهم خلفاؤك فى الارض وكما خصصتنا بلغة العروبة سيدة اللغات التى وسعت كتاب الله وحفلت بجوامع الكلم وتبنت منذ أقدم عصورها أدق خطرات النفوس والطف مدارك العقول وأسمى سوانح الأفكار فكانت أسبق لغات البشر تسمية لها وتعبيرا عنها وتفننا فى جمال بيانها فلم يعرف الناس لكمال هذه اللغة طفولة ولا شيخوخة .

وكما بوأتنا أقدس بقـــاع الأرض وأكملها وأجملها وأكثرها اعتدالا وأغناها بالمجد وخصب التربة وكرم المعدن وغزارة الفيض ».

واللهم وكما جبرت خواطرنا بتقليص ظل الاســـتعمار الأجنبى من أوطاننا ، (الفرنســيين من دمشـــق ، والانجليز من ثكنات قصر النيـــل ، والهولنديين من أكثر جزائر أندونيسيا) وأتممت للاســـلام هذه الحـكومة الاسلامية الوليدة فى باكستان ،

اللهم فزدنا على هذه الآلاء السابغة نعمة واحدة أخرى لا أطمع لأمتى بخير منها وهى أن تؤهلنا لما انعمت به علينا فلا نكون غرباء عن الإســلام ونحن ورثته ولا اعداء للغة القرآن ونحن الناطقون بها ، بلغ بنا فســـاد الأخـــلاق والعقول الى ان يقف شـــيخ الطريقة التيجانية فى عين ماضى بالجزائر فيشكر الفرنسيين على انهم حملوا من مســـلمى المغرب أعباء السيادة والى أن يقول عدو الله غلام احمد القاديانى : ان بريطانيـــا هى حكومة مسلمى الهند الشرعية فلا جهاد على المســـلمين بعد اليوم وانما الجهاد بالدعوة وحدها لقد ضن الله تبارك وتعالى بأمة نبيه محمد صـــلى الله عليه وسلم أن يسحق كابوس الاستعمار صدورها ويوردها مورد الهلكة فنشب بين دول الاستعمار هاتين الحربين العالميتين الأخيرتين وضـــعف بعدهما أعداؤنا ، اذا تولينا صنع بنادقنا ومدافعنا وطائراتنا فى مصـــانع ننشئها لأنفسنا مبتدئين بالأمور من بداياتها ومستعدين لها بما يتوقف عليه من معارف وعلوم وممارسة مع الانابة الى أخلاق الاسلام واعداد القـــوة التى أمر بها الاسلام وان نرضى سنن الله التى سنها لكائناته وسنن الاسلام التى سنها الاسلام لأهله ».

المجلد الخامس (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م)

أوغل الفتح فى الاهتمام بقضايا العالم الاســـلامى فأولاها اهتماما وافرا وخاصة قضايا المغرب :

ففى تونس المؤتمر الافخارســـتى الذى أطلق عليه « الحملة الصليبية التاسعة » وفى المغرب (مراكش) الظهير البربرى وبيان للأمير شكيب أرسلان وأحاديث متعددة عن العنصر البربرى ، وابطـــال العمـــل بعقود البيـــع

الشرعية ، وعدد خاص بذكرى الظهير البربرى ودراسات عن الاسلام فى تركيا والاسلام فى اندونيسيا ، واعتقال الزعيم عمر المختار فى طرابلس الغرب ، وأحاديث عن مسلمو الهند ، ومسلمو يوغسلافيا وعن افغانستان وامان الله خان وعن مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر .

أما فى مصر فأحاديث عديدة عن التغريب والغزو الثقافى ، وأحاديث عن التبشير بين البعثات الكاثوليكية ، والجامعة الأمريكية ، وأحاديث عن العروبة والفرعونية ،

ويواصل الفتح نشر كتاب الغارة على الاسلام وأحاديث للأمير شكيب ارسلان عن اخراج البربر من الاسلام وزيارته للمغرب ، وعن الحملة اللاتينية الحاضرة على الاسلام وعن الدسيسة الأجنبية على الجامعة الاسلامية باسم الوطنية المجردة وأحاديث عن سلامة موسى وزكى مبارك ومنصور فهمى ومحمود عزمى وموقفه من الاسلام الذى اثاره فى محاضرة له فى باريس ، وأحاديث لعبد الرشيد ابراهيم وخالد شلدريك عن هذه الحرب الصليبية الجديدة ، وتفاصيل عن الفوارق بين الجامعة القومية والجامعة الاسلامية وحديث للأستاذ حسن البنا عن كيفية المحافظة على القرآن الكريم وأحاديث عن الاستشراق وعن سنوك هورجزونجه المشرف على أعمال الغزو الفكرى فى جزر الملايو (جاوه وغيرها) كذلك فقد وجه الأستاذ حسن البنا خطابا الى النواب عباس العقاد وزكريا مهنا حول موقفهم من كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين ، وفيه بيان عن اقتراح الشيخ محمد قرنى عن الحد من تبرج المرأة المسلمة .

كذلك فقد أولت الفتح اهتمامها بقضية فلسطين وأحاديث عن لجنة البراق الدولية فى القدس وكيف قضى على آمال اليهود فى البراق . ودفاع محمد على باشا وأحاديث ثقافية عن دسائس اليسوعيين فى اللغة (قاموس المنجد) واحتفال الشبان المسلمين بتأبين احمد تيمور باشا ومحمد على الزعيم الهندى وكلمات عبد الحميد سعيد وقصيدة مصطفى صادق الرافعى وفى هذا اليوم صدرت مجلة نور الاسلام من الأزهر الشريف .

ويقول السيد محب الدين الخطيب فى افتتاحية المجلد الخامس من الفتح :

لما توكلت على الله ووطدت النفس على نشر هذه الصحيفة قبل خمسة أعوام ، كنت أعلم أن عبئها أثقل مما يراه أهل هذه الصناعة اذا عزم الواحد منهم على أن يزيد عدد الصحف العربية صحيفة جديدة ، ولو كنت ارى رأيهم لكنت فى غنى من اصدار الفتح ، لأن الصحف كثيرة وتكاد تكون سواسية فى مجاراة التيار الذى يجرى فى طريقه كل ما ».

كانت الصحافة فى أصل وضعها مقصودا بها الارشاد وكان أول شرطها أن يستمد كتابها وأحكامهم ودعاياتهم من روح الحق ومقتضيات المصلح وان يعملوا على رفع الجمهور الى الذروة التى أرشد اليها وحى الأنبياء وهُدى الحكماء وتعليم المصلحين ، ولكنا ما لبثنا أن صرنا الى زمان انحصرت فيه وظيفة الصحفى بارضاء شهوات القراء والاستمداد من طبيعة الهوى والانحدار من المرتقى الصعب الى القرارة التى لا نحن نعلم ولا هم يعلمون أين تكون غايتها ».

ما هذا الانقلاب الثائر الهادم العاصف الا أثرا من آثار العمل التدريجى البطىء الذى قامت به صحافة تعمل على علم وتقصد لازالة شىء كان موجودا واحلال شىء محل شىء آخر فى محله لم يكن موجودا وبعبارة أصرح ان هناك مؤامرة معنوية تفاهم أصحابها فيما بينهم بلسان الحال لا بلسان المقال على تقليص ظل الاسلام من الوجود وهم يهاجمونه بأسلحة كثيرة طلى بعضها بطلاء الأزياء والجمال والذوق ، وبعضها بطلاء روح العصر الذى قال فيها احد المحسوبين علينا أنها « نفحة الهية » هذه بعض آثار الصحافة فينا وفى تكوين عقائدنا وانما جاءت الفتح قبل خمس سنوات لتحتل مساحة صغيرة من ذلك الموضع الحالى فتطل على العالم الاسلامى منادية بروح الاسلام وداعية الى الخير والنهضة والتجديد والقوة من الوجهة الاسلامية .

كان على هذه الصحيفة الاسبوعية ان تقف فى وجه تيار عظيم يدفعه

موجة من خلفه موج ومن بعده موج ، ظلمات بعضها فى اثر بعض وان من يتقدم لهذه المهمة الشائقة لابد أن يكون موطنا نفســـه ولم يكن يخطر على بالى قط قبل خمس سنوات أن اكون انا الذى يصدر هذه الصحيفة .

قلت لأحمد باشا تيمور : توكلت على الله وذهبت الى أحياء القلعة ابحث عن منزل المرحوم الشيخ عبد الباقى سرور نعيم لأدعوه الى التعاون معى فى هذا الأمر وأعاننا تيمور باشا على اخذ امتياز الفتح ، ثم هى اليوم تطاردها ثلاث حكومات فى شـــمال افريقيا وتطاردها اعظم الحكومات فى جنوب المملكة المصرية ، وتراقبها مكاتب اســـتخبارات فى جميـــع دول الاستعمار .

المجلد السادس (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

اتسعت دائرة الجهاد فى قضايا العالم الاسلامى والاستعمار ، وقد وصلت الى الذروة :

أولا : الظهير البربرى فى مراكش ، والوحشية فى طرابلس الغرب ، وأحاديث عن صاحب السجادة الكبرى فى الجزائر ، والوقائع الدموية بين المسلمين والهنادك فى الهند ، وأحوال المسلمين فى سوربابا (جزائر الهنـــد الشرقية) ومدغشقر وتونس واضطهاد الاسلام تحت حكم هولندا وكان من أبرز أحداث اليوم المؤتمر الاسلامى فى القدس .

ثانيا : قضية التبشير التى اتســـع نطاقها فى مصر والبلاد العربية ، وأحاديث من مؤامرات الكاثوليك ، وأعمـــــال المبشرين وأخطار المنجـــد ودســـــائس الشـــيوعيين فى اللغة وتحذير من جمعية الالحاد فى مصر والمدارس ، وأحاديث عن الجامعة الأمريكية فى القاهرة (وطسون) .

ثالثا : بروز دعايات مبطلة للقاديانيـــــة ومؤامرات للمبشرين ودعاة التغريب .

رابعا : مؤامرات التغريب عن طريق أعوانه وأحاديث عن واجـــب العالم الاسلامى ازاء ما نزل به للأســــتاذ البنا ، وأحاديث عن المؤامرة الكمالية فى تركيا .

خامسا : بروز الجمعيات الاسلامية : جمعية نشر الفضائل الاسلامية

وجمعية الهداية وجمعية مكارم الأخلاق وجمعية الأخوان المسلمين .

وهنا تتبارى تلك الاقلام الاسلامية المؤمنة وفى مقدمتها الأمير شكيب أرسلان الذى يواصل كتاباته من لوزان عن قضايا الغارة اللاتينية ، والسيد الخضر حسين ، والحسن بو عباد ومحمد تقى الدين الهلالى وأحمد مظهر العظمه ، ومصطفى الرفاعى اللبان ، ومحمد حسن التميمى ، وحسن البنا ، ومحمد عبد العليم الصديقى ، وعبد الرشيد ابراهيم ، وأحمد توفيق المدنى وعلى احمد باكثير . وابو النصر مبشر الطرازى ، وسليمان الندوى ،

ولقد كان كثيرا من هذه الرسائل صادرة من عواصم اســـــلامية ، فالطرازى يكتب من كابل عاصمة افغانستان والهلالى من الهند ، ووصول شيخ الاسلام مصطفى صبرى الى مصر واحاديث عن طه حسين (طريد الجامعة) فى مجلس النواب ، وأحاديث عن ترجمة القرآن ، وعن تمصير القانون المصرى ، وعن التربية الاسلامية فى معاهد التعليم ، وعن موقف الصحافة المصرية من الاسلام .

كما برزت اسماء جديدة من شباب الفكر الاســـــلامى خريجو دار العلوم ، عمر الدسوقى وعبد السلام هارون وعبد المنعم خلاف ومحمـــود محمد شاكر .

وقد نشرت الفتح صورة لجامع كنشاوه الذى تحول الى كنيسة وقد رفع الصليب على مأذنته وسمى الآن كاتدرائية (م ٦) .

كتب السيد محب الدين الخطيب افتتاحية المجلد الســـــادس للفتح فقال :

لو كانت يدى أطول مما كان لكان أول ما أحرص على اصدار (الفتح) مرتين أو ثلاثا فى الأسبوع ان لم أتمكن من جعله صـــحيفة يومية ، والفتح مرزوق ولله الحمد بمعونة فحول الكتاب وأبرع المراسلين فيما يعالجونه من بحوث وموضوعات ولو تمكنا من اصداره مرتين فى الأسبوع أو اكثر لصار فى صفحاته متسع لنفائس كثيرة فضلا عما فى ذلك من تحقيق لأمنية الكثير من قرائه فى اقطار متعددة بل لأمنيتى أنا وقد رتبته ست سنوات بلا انقطاع وغذيته بعصارة نفسى متوخيا له أسباب النمو ما لم تتعارض هذه الأسباب مع مبادئه التي التزمناها ولله الحمد بكل دقة وعناية .

وقال : تراكم في ذمم هؤلاء الافاضل من قيمة الاشـــــتراك (بعد تخفيضه) ما جعل السفينة تنوء باثقالها . لا يمر علينا أسبوع واحد تبلغ ما يرد علينا فيه من قيمة الاشتراكات مقدار ما ننفقه في ذلك الاسبوع على الفتح من ورق وطبع وطوابع بريد وسائر النفقات .

أما العقبة الثانية : يقظة الحكومات الاســــتعمارية لهذه الصحيفة وتطمها عنا موارد الحياة ، اقطار متعددة منع الفتح من دخولها ولا يزال ممنوعا .

حكومة هولندا منعت دخول الفتح الى جميع اقطار أندونيسيا ولا نجد بلدا في أندونيسيا الا وللفتح فيه مشتركون . ان الجرائد الأخرى تعيش من الاعلانات أو من اعانة الدعايات ، أما الاعلانات التى تكفى لحياة صحيفة فهى اعلانات بضائع الافرنج وفى مقـــدمتها الخمور والمراهنات والكماليات التى تحث الناس من الاســــتغناء عنها أما اعانة الدعايات فالشيء الذى اخترنا الدعاية له يمين الله عليه بثواب الاخـــرة ولا يمين الناس عليه بثواب الدنيا فلم يبق أمامنا الا الاشتراكات .

وعلق كاتب (محمد الطيب) على هذا فقال : من بواعث الاســف ودواعى الحزن والالم أن مجـلات الخلاعة والمجون والاســتهتار بالآداب ومحاربة العفة والكرامات تجد اقبالا وتشجيعا من كافة الطبقات وتحصل على الأرباح الطائلة من أموال الأمة وكان عليها أن تعنى بالشئون الدينية والخلقية والعمرانية بدلا من عنايتها بالهزليات التى تنحط نسبتها الى أسفل الدركات وتهوى الى أحط الدركات بينما نجد الصـــحف الجدية الناصعة محرومة من معونة هؤلاء جميعا .

مبـــادىء الفتـــح

- الفتح لأهل القبلة جميعا ، العالم الاسلامى وطن واحد .
- المسلمون الى خير ولكن الضعف فى القيادة .
- أنت على ثغرة من ثغور الاسلام فلا تؤتين من قبلك .
- اعمل ليراك الله وحده وتوار عن أنظار الناس .
- الفتح رسالة الأقطار الاسلامية بعضها الى بعض .
- الفتح رابطة روحية بين قرائه .

المجلد السابع (١٣٥١ — ١٩٣٣)

أولا : تابعت الفتح قضايا العالم الاسلامى مع الاستعمار وحظيت شمال أفريقيا (تونس والجزائر ومراكش) بالقدر الاكبر من الأهمية : الظهير البربرى والحملة الصليبية على شمال أفريقيا وحوادث التجنيس فى تونس .

ثانيا : التبشير والتعلم الاسلامى وأحاديث عن دنلوب ومنهجه فى المدرسة المصرية وما يتصل بالجامعة الأمريكية والطلاب المسلمون ، وكتب جديدة عن التبشير وأصول التعلم الاسلامى والقرآن ومسألة ترجمة القرآن وأحاديث عن جامعة المسجد الأقصى .

ثالثا : أحاديث عن العالم الاسلامى وتأخره ، والأمة العربية ورسالتها وأحوال المسلمين فى الصين والأفغان والهند وبلغاريا ولندن والبوشناق وموقف الأتراك من الاسلام ، وأحاديث عن السنوسية وزعيمها الاكبر والدعوة الى الاسلام فى الغرب والاسلام فى الصحف الأجنبية .

رابعا : قضايا التغريب والغزو الثقافى فى مصر وأحاديث عن البغاء الرسمى وتحريم الزنا فى القانون المصرى ، وأحاديث عن القاديانيين والأحمدية وشبهاتهم ، وأحاديث عن افلاس الشيوعية .

خامسا : قدمت الفتح أبحاثا مستفيضة بأقلام شكيب ارسلان والدكتور عبد الكريم جرمانوس وشوقى وأمين الشنقيطى وخالد شلدريك وبرناردشو وتصريحاته عن الاسلام ومساجلة بين فريد وجدى ومصطفى صبرى .

ومن كتابها وشعرائها : عبد المنعم خلاف ، ومحمد حسن التميمى ، ومحمد صادق عرنوس ومصطفى الرفاعى البنان ومحمد الهراوى وعلى الجندى ومحمد تقى الدين الهدلى . وفى هذا العام صدرت جريدة الاخوان المسلمين (أسبوعية) عن المطبعة السلفية (طنطاوى جوهرى ومحب الدين الخطيب وحسن البنا) ورأس فريد وجدى رئاسة تحرير مجلة الأزهر (نور الاسلام) .

(٢ — تاريخ الصحافة الاسلامية)

المجلد الثامن (١٣٥٢ — ١٩٣٤)

واصلت الفتح معالجة قضايا العالم الاسلامى وقضايا التغريب والغزو الثقافى وقد اتسع أمامها المجال وظلت القضايا الكبرى كما هى :

أولا : قضايا التبشير والتعليم الغربى فى مصر والعالم العربى والتعلم فى الأزهر ومناقشة هادئة من المبشرين ، موقف المسلمين من كتب اليهود والنصارى ، والبشائر النبوية فى الكتب المقدسة وبراهين جديدة على تحريف التوراة والانجيل .

ثانيا : قضية فلسطين فى الأهمية الكبرى ومحاولة تهويد فلسطين .

ثالثا : موقف تركيا من الاسلام .

رابعا : مؤامرة القاديانية والبهائية .

خامسا : موقف الصحافة المصرية من الاسلام .

سادسا : قضايا المغرب (تونس والجزائر ومراكش) .

سابعا : قضية ترجمة القرآن .

ثامنا : المصرية الفرعونية والحديث عن مكانة مصر العربية وعروبتها .

تاسعا : الدعوة الاسلامية ، وانتشار الاسلام فى اليابان وأوربا والمؤتمر الاسلامى الأوربى والمؤتمر الاسلامى فى القدس .

عاشرا : الجماعات الاسلامية ، فى اندونيسيا ، ودور الجمعية الخيرية الاسلامية .

حادى عشر : قضايا التغريب ، والحديث عن التجديد ، والمحاكم المختلطة .

ثانى عشر : أحوال المسلمين فى شرق أفريقيا وتركستان العربية ومسلمو الهند والمجر وأحوال مسلمو يوغسلافيا والمدارس التبشيرية فى ايران .

ثالث عشر : الحضارة الاسلامية ، اللغة العربية الأدب العربى .

رابع عشر : الشريعة الاسلامية وتوحيد القضاء المصرى ، والمحاكم المختلطة .

وصدرت في هذا العام مؤلفات اسلامية هامة : حاضر العالم الاسلامي (ترجمة عجاج نويهض) والوحي المحمدي (رشيد رضا) نقض مطاعن في القرآن : الرد على طه حسين (محمد عرفة) الانجيل والصليب ، الحكم على البهائية ، موقف الاسلام من كتب اليهود والنصارى (مصطفى الرفاعي) .

وكتب في هذا المجلد : محمد تقي الدين الهلالي ، شكيب أرسلان ، خالد شلدريك ، محمود شويل ، مصطفى الحمامي ، عبد الكريم جرمانوس ، علي أحمد باكثير ، مناقشة من تركيا بين شكيب أرسلان وفريد وجدي ، مصطفى الرفاعي اللبان .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب في افتتاحية هذا المجلد يقول :

ظهرت هذه الصفحة الى عالم الوجود يوم لم يكن للدعوة الاسلامية صحيفة من نوعها تجمع حولها الأفئدة وتنعش العزائم .

نزلت الفتح الى الميدان لغرض سامي هو عندها أوج الأمر ومداره وركنه وعماده الا وهو الدعوة الى اتباع الرسالة التي جاء المرشد الاعظم محمد صلوات الله عليه وسلامه ليحمل عليها البشر تحقيقا لسعادتهم في الدارين فهي في كل ما تستحسنه وتستنكره انما تصدر عن مبدأ واحد وترمي الى غاية واحدة هما موالاة كل من يوالي صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ومعاداة من يتطاول على هدايته بسوء ، قريبا كان أو بعيدا قويا كان أم ضعيفا مستعينين في ذلك بالله عز وجل أولا ثم بالأوفياء لهداية الاسلام من أهل القبلة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم لا ننظر في ذلك الا الى الأمر الجامع بين المسلمين ولا يختلفون على معنى من معانيه وهو ما يكون به المسلم مسلما وان زمانا هوجم فيه هذا الأمر الجامع لخليق بمن اشتركوا في أصل الاسلام أن لا تفرقهم الفروع في ميدان الدفاع .

مهمة الفتح هي التعارف والتاليف :

انشئت الفتح لتنبه بصائر أهل البصائر من قرائها الى الأغراض السامية البعيدة المدى التي ترمي للملأ رسالة سيد الخلق أكرم رسل الله

على الله صلى الله عليـــه وسلم وأنشئت لتحرك فى قلوب أصحاب القلوب الحية من تراثها بواعث الهمة للعمل فى معسكر هذه الرسالة .

وقد كان من ثمارها تأسيس جمعية الشبان المسلمين التى ما لبثت أن صارت جمعية عالمية ذات فروع وشعب ، وتكاد تكون ترجمان المسلمين فى كثير من آمالهم والامهم واعترف لها الغرب بالمكانة والاهمية وسداد الخطا كما سجل ذلك الدكتور كيمفاير من كبار مستشرقى المانيا .

كما تأسست جمعية الهداية الاسلامية واخواتها فى الشام والعراق ، واذا بموجة ثالثة من موجات اليقظـــة الاسلامية يدفعهـــا ايمان الاخوان المسلمين فى كثير من أنحاء القطر فيتالف منهم صف آخر من صفوف الجهاد .

هذا واليقظة لا تزال فى بدايتها .

المجـــلد التاســـع (١٣٥٣ — ١٩٣٥)

ان مأساة فلسطين هى أعظم موضوعات هـــذا المجلد فقد تناولت الأبحاث : فلسطين والانتداب ، بيع الأرض لليهـــود ، الصهيونية ، عرب فلسطين والخطر اليهودى ، وعد بلفور ، هجرة اليهود ، وجاءت بعد مأساة فلسطين قضية مسلمى الهند وخلافهم مع الهندوس ، والأخطار التى تحيط بمسلمى الهند وتوالت بعد ذلك الأبحاث : المسلمون فى الحبشة والمسلمون فى الصين واندونيسيا والأفغان ، وشمال أفريقيـــا ، ومسلمو يوغسلافيا والمسلمون والبلاشفة ومحاولة البلاشفة والعنصريون الروس خنق العناصر الاسلامية ، وموقف اليهود فى الجزائر وابن جلول الجزائرى ، وفى مجال الغزو الفكرى والتغريب توالت الأبحاث عن التبشير والأزهر .

وأفردت الفتـــح فصولا مطولة عن البهائية والتيجانيـــة والقاديانية والاحمـــدية .

وعن الجماعات الاسلامية تحدثت الفتح عن جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية وجمعية التعارف الاسلامى والجمعية المحمدية فى اندونيسيا .

وعن قضايا الفكر الاســـلامى تحدثت الفتح عن الدعوة الاسلامية للوقوف فى وجه البغاء والربا وتحريم الربا وعن التعليم ووزارة المعـــارف

والتعليم الاسلامى والمدارس الأجنبية وعن الجامعـــة الأزهرية واللغـــات الأجنبية ، والمرأة وقاسم أمين ، وكتابة التاريخ الاسلامى ، وعن حضارة الاسلام والتقيح الجدرى الذى اخذه الاوربيين من المسلمين .

وتحدثت المنـــار عن الصحافة المصرية وموقفها من الاســـلام .

وكتب كثير من أعلام الفكر الاسلامى من أمثال محمود محمد شاكر ، محمد حسن النجمى ، عبد المنعم خلاف ، مسعود عالم الندوي ، أبو الحسن الندوى، مصطفى السباعى، عبدالله الزنجانى وشكيب ارسلان، ومحمد على علوبة عن مشاهداته فى الهند .

وعرض لكتاب هيكل (حياة محمد) وما ورد فيـــه من ملاحظات .

وأوردت الفتح راى برناردشو فى الاســـلام ، والسيد أكبر حسين الاله ابادى ، ومقالة أبو الريحان البيرونى ، ورد على طه حسن والعقاد .

برنامج اسلامى لسبع سنوات :

١ — التشريع الاسلامى أرحم وأعدل من كل تشريع تقدمه أو جاء بعده فيجب على كل مسلم مقتنع بهذه الحقيقة أن يقنع المسلم الذى لا يزال يجهـــل .

٢ — للحضـارة الاسلامية القائمة على اســـاس من أنظمته وتعاليمه مزايا لا توجد فى حضـارة الغرب المحكوم علينا الآن بأن ننضوى تحت ظلها . ومن المزايا ذات صلة عظيمة بســـعادة الانسانية . فعلى من يثق بهـــذه القضية ويعلم أنها حق اقناع البشر بها ولاسيما المسلمين توطئة للنهوض بالحضـارة الاسلامية وبعثها من جديد .

٣ — لا يستطيع شباب المسلمين ان يحملوا « أمانة الميراث الاسلامي» عن الأجيال الماضية الى الأجيـــال الآتية الا اذا تثقفوا ثقافة ذات صبغة اسلامية من جميع النواحى العملية والفكرية والعلمية ، فيجب اقناع المسلمين بهذه الحقيقة وحملهم على العمل بها .

٤ — المسلمون أمة واحدة والعـــالم الاسلامى وطن واحـــد واهل كل قطر اسلامى هم جند الله فى ذلك القطر فعليهم ان يتحروا الخير ويدرأوا

منه الشرور ولهم مقابل ذلك حق التصرف بمرافقه لانهم اولى بهـــا واعرف بطرق استصلاحها فالوطن حق .

وهى لا تنافى اخوة الاسلام لانها لبنة فى جدارها وحلقة من سلسلتها

٥ — عبء الاســلام ينوء به اهل الرأى واصـحاب الغـيرة اذا لم يشاركهم أهل الثروة واصحاب الوجاهة فيجب على المجاهدين أن يجدوا الطريق الى قلوب الأغنياء والوجهاء ليجعلوا لهم نصيبا فى مفخرة العمـل لنهوض الاسلام .

٦ — ان الفتح انشئت لمماشاة الحركة الفكرية الاسلامية تسجيل أطوارها وكان انشاء هذه الصحيفة وليد الحاجة الى حاد يترنم بحقائق الاســلام ولسان ينطق بآمال المسلمين وفى الأعوام الثانية تم تاسيس جبهة اسلامية لا بأس بها وانطلق لسان الاسلام ببيان امانى اهله فبدانا نشـعر اليوم بالحاجة الى الانتقال من طور القول الى طور العمل .

٧ — اقترح على اخـوان الجهـــاد من رجـــال الجمعيـــات الاســـلامية وجنـود الدعـوة الى الحـق المنتشرين من آفاق الصـين الى الســـاحل الغـربى فى بلاد المغـرب الاقصى أن يدون كل منهـم فى مذكرته مطلبــا نعمـل كلنـا على تنفيذه ، يجب أن يقتنع كل مســلم بأن هذه الخطوط التى تفصـل اقطار العالم الاسلامى بعضـها عن بعض على الخريطة ليس معناها فى لغـة الاســلام أن المسلمين امم مختلفة ، فالمسلمون امة واحدة لأن نفوسهم تتصل بأسرة واحدة وعقولهم تشترك فى عقيدة واحدة وقلوبهم تتحرك بأمنية واحدة .

فأهل كل قطر اســلامى هم جنود الملة كلها يرابطون بالنيابة عنهـا فى القطر الذى هم فيـه ليقوموا بما على المسلمين من خلق الاحتفــاظ به والعمل على انهاضه واسعاده .

٨ — علينا حمل الأمانة التاريخية عن الأجيال الاسلامية التى تقدمتنا الى الأجيال الاسلامية التى ستاتى بعدنا .

٩ — رياح النصر فى الجهـــاد لا تهب الا على رجـــال يريدون وجـه الله وحـده فى كل ما يعملون ، عرف لهـم النـــاس ذلك أو جهلوه وآفة جهـادنا التى تحبط كل عمـل وينقلب الخـير الى شر اعجـــاب

المرء بنفسه وانتباه شهوة الظهور فى بعض أهل الفضل ، وبذلك تخمد جذوة الجهاد فالحكيم من يجاهد فى نفسه شهوة الظهور قبل أن يتصدى لأبواب الجهاد الأخرى والتنزه عن شهوات النفس واتهام النفس بالتقصير .

ومن عادة الدنيا أن تفر ممن يطلبها وأن تطلب من يفر فيها فاطلب وجه الله وحده .

المجلد العاشر (١٣٥٤ — ١٩٣٥)

كانت قضايا العالم الاسلامى هى المنطلق الأساسى للفتح حيث ما تزال المعركة مع الاستعمار محتدمة ، واكبرها قضية فلسطين والوطن القوبى اليهودى ووعد بلفور .

وتناولت أمر الهندوك والمسلمين وقضية المنبوذين وتلك مقدمات انفصال المسلمين ودعوتهم الى انشاء باكستان ، وقضايا المسلمين فى طرابلس وبرقة واندونيسيا وموقف فرنسا من سوريا .

وتناولت الأبحاث أحوال المسلمين فى الحبشة بعد غزوها الايطالى ، وعرب زنجبار وأحوال المسلمين فى بلغاريا ومسلمى البوسة والهرسك ، ومسلمو بولونيا والدعوة الاسلامية فى انجلترا ، وقضايا المسلمين فى افريقيا الوسطى .

ولم تغفل الفتح عن قضية التغريب والغزو الثقافى وتناولت عديدا من قضاياه فى مقدمها شبهات طه حسين ومحمود عزمى، ودعوة سيزانبراوى بنسخ حكم الله فى تعدد الزوجات وما يتصل بأحوال ايران بعد تركيا ودعوة الحزب القومى السورى ، وسموم اسماعيل ادهم أحمد ، وكانت قضية ترجمة القرآن من أهم الأحداث التى استأثرت ببحث العديد من كتاب المنار .

وكانت قضية التبشير ولا تزال أهم القضايا وموقف جمعية الشبان المسيحية .

وتحدثت عن الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى عند الشيخ محمد عبده والتعليم الدينى والحركة العربية فى مواجهة الصهيونية ، وأحاديث لماذا اختار الله العرب لحمل الأمانة وأحوال المرأة المسلمة والمرأة التركية والعربية .

وفى هذا العام توفى السيد رشيد رضا صاحب المنار فانفردت الفتح بالجلل من الامور ، وفى هــذا العام صدر الجزء الثانى من المجلد الخامس والثلاثين من المنار (محى الدين رضا) متضمنا آخر ما قام السيد رشــيد رضا مؤسس المنار بتفسيره وكان قد وقف قلمه عنــد وفاته عند تفســير آية ((**رب قد اتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السماوات والارض انت ولى فى الدنيا والآخرة**)) .

وكتب فى هذا المجلد كثيرون منهم حسن البنا ، محمد احمد الغمراوى ، مسعود عالم الندوى ، محمد على علوبة ، ابراهيم الجبالى ، محمود يسن ، محمد الخضر حسين ، مصطفى السباعى ، مصطفى الحمامى ، على مظهر .

وكتب عن اعــلام المسلمين امثال عز الدين القســام ، وبدر الدين الحسنى المحدث والشيخ محمد رشيد رضا والبيرونى ونشر اول قصيدة لأحمد محرم فى ديوان مجد الاسلام ونشرت شعر العانوس وباكثير .

ما عملته الفتح :

- دحض القاديانية وتبيين دجلها لمن لم يعرفها ولمن كان يحســن بهــا الظن ولمن دخلها بحسن نية .
- مقاومة الاستعمار وأعداء الملة بكل قواها ، وقد نالهــا من ذلك عنت شديد وحرم دخولها فى اقطار اسلامية كثيرة .
- الفتح والتعارف الاسلامى : ملتقى المسلمين من جميع انحاء الأرض : الصين ، وجاوة ، وحضرموت وقد نقلت صحف ايران مقال تعارف علماء الفرق الاسلامية التى كتبها ابو عبد الله البوزجانى .
- الشعر الاسلامى : الدفاع عن الاســلام ، احمد محرم ، النجمى ، عرنوس ، باكثير .

١ المجــلد الحادى عشر (١٣٥٥ — ١٩٣٦)

واصلت الفتح رسالتها فى قوة وعزيمة واصرار :

معالجة قضايا العــالم الاســلامى من وجهــة نظر الايمان الكامل بأن الاسلام جنسية وطنية وأن مشاكل المسلمين لا تحل الا بالتماس منهج

الاسلام الاجتماعى فى الاصلاح وفى هذه الفترة برزت فكرة الوحدة العربية فى مواجهة التحدى الخطير الذى نزل بالعرب والمسلمين وهو النفوذ الصهيونى فى فلسطين وقد كانت قضية فلسطين هى أولى القضايا التى استأثرت باهتمام الفتح وتلتها قضية المسلمين فى الهند وبروز فكرة باكستان فى مواجهة التحديات التى تلقاها المسلمون فى قارة الهند ، كما تناولت عديدا من قضايا المسلمين على الساحة الواسعة :

العرب والترك ، المغرب والمغاربة فى المنطقة الاسبانية ، مؤامرة التجنيس فى المغرب ، شمال أفريقيا وفرنسا ، الاسلام فى التبت ، تركستان الصين والاسلام ، الاسلام فى سنغافورة ، اليمن وايطاليا ، الحرب الطرابلسية وقد استأثرت طرابلس الغرب باهتمام بالغ ، الهند والمنبوذين ، اسلام المنبوذين ، منبوذو الهند ، مسلمو يوغسلافيا ، المسلمون فى فنلندا ، اليمن ، مسألة الاسكندرونة وانطاكية ، افريقيا الشرقية ، الفيلبين حصن الاسلام ، التبشير فى السودان اما بالنسبة لقضية فلسطين فقد تعددت الأبحاث عن اليهود والعالم الاسلامى وصك الانتداب فى فلسطين ، ونداء اللجنة العربية فى القدس ، وبيان السيد أمين الحسينى امام اللجنة ، والمؤتمر الفلسطينى الهندى وحكم التوراة والانجيل على اليهود (*)

وواصلت الفتح عملها الفكرى والثقافى على جميع الجبهات : فأولت اهتمامها بـ :

١ — الشريعة الاسلامية وكان هذا المجلد حافلا بقضايا الفقه الاسلامى والقانون المصرى ، وصلاحية الشريعة الاسلامية للتقنين (*)

٢ — دراسة السنة (*)

٣ — ترجمة القرآن وظهور كتاب حدث الأحداث فى الاسلام للشيخ محمد سليمان (*)

٤ — الجمعيات الاسلامية ، واحاديث من الشبان وجمعية الهداية (عبد الحميد السيد) وجمعية انصار الايمان ، وجمعية مكارم الأخلاق ،

وجمعية الجهاد الاسلامى (احمد ابراهيم البراوى) وجمعية التعارف الاسلامى (محب الدين الخطيب) .

٥ — التعليم والتربية الاسلامية ، والمراة المسلمة ، والمدارس الأجنبية والجامعة ودراسة الدين .

٦ — التحديات فى وجه الاسلام : تفسير الدجال القاديانى ، رسالة من حسن البنا الى مصطفى النحاس ، الحذر من الدسائس البلشفية (تقى الدين الهلالى) البرنيطة والسفور ، تركيا وايران ، برنيطة توفيق الحكيم ، التبشير فى مصر ، سلامة موسى وبشارته ، توفيق الحكيم والرسالة ، ومواجهة لطه حسين من الكليات الخمسة (الحقوق ، الزراعة ، الهندسة ، التجارة ، العلوم) لما أعلنه فى المصرى ، يطالبون بضرورة تعليم الدين الاسلامى بالجامعة وفصل الطلبة عن الطالبات اثناء الدروس ويعلنون أن طه حسين لا يمثل الجامعة المصرية .

٧ — أحاديث عن الاسلام فى الغرب والجمعية العربية فى بريطانيا (عمر الدسوقى وعبد الرحمن البزاز) والطلاب فى باريس (عمر بهاء الامرى) .

اما كتاب هذا المجلد فهم : مصطفى حسنى السباعى ، دكتور زكى على ، محمد مكين ، احمد محرم ، مصطفى الرفاعى اللبان ، محمد الطاهر ابن عاشور ، محمد تقى الدين الهلالى ، عمر الدسوقى ، بهاء الامرى .

وقد قدمت الفتح تراجم للأعلام المتوفين : الشيخ محمد سليمان ، سليمان باشا البارونى ، طنطاوى جوهرى ، ياسين الهاشمى ، رشاد رشيد رضا ، مصطفى صادق الرافعى .

وقد عرضت لمؤلفات جديدة من كتب الشريعة الاسلامية : أحكام الوقف والمواريث (احمد ابراهيم) النظرية العامة للاعترافات فى الشريعة الاسلامية (شفيق شحاتة) ، التشريع الاسلامى مصادره وقواعده (حسن احمد الخطيب) .

وقد اشارت الفتح الى أن حكومة اندونيسيا أعادت مراسلاتها

الى جاوة عن خمس اعداد مكتوبا عليها Interdit أى ممنوع دخولها ولم يوجد بها أى حرف ضد الحكومة الهولندية أو بلاد جاوة .

وقد افتتح السيد محب الخطيب المجلد الحادى عشر بكلمات قال فيها :

أن المسلمين لم تكن لقله عدد فان عددها أربعمائة مليون أو ثلاثمائة مليون لا يصاب بالهوان والضعة من قلة وانما تصاب بهما لتفريطهما فى استعمال ما وهبها الله من قوة واقرب الأمثلة على ذلك ما نراه الآن فى فلسطين من أمة لا يزيد عددها على سكان مديرية واحدة من مديريات القطر فقد اياسوها فرأو منها العجائب .

نحن المسلمون نفهم التقوى فهما ضيقا ونراها ضئيلة وتنزوى فى ركن واحد من أركان صرحها العظيم ومن حق أولادنا علينا الآن أن يتعلموا منا أن التقوى التى امرنا الله بها والتى وعدنا عليها بثواب الآخرة لها معنى عام شامل اشتقت منه الوقاية من الأمراض ويدخل فيها اتقاء الأخطار والنوازل ومن هم صون الملة من الانحدار فى مهاوى الذل ومزالق الأخلاق .

المسلمون لم يتجردوا من وسائل النجاح عن فاقة وفقر فان منهم من أهلك الثروة من يصارعون أغنى أغنياء العالم بل هم بمجموعهم ينفقون على الضرورى من الأمور ما يتسرب من جيوب فقرائهم وصناديق أغنيائهم فيضهم الى خزائن مصانع الغرب ويكون عده لهم علينا وعونا لحكوماتهم على استعبادنا واستغلال أرضنا وكنوزنا ومن واجب خطباء مساجدنا أن يرشدوا الأمة الى الاستغناء عن الكماليات بقدر الامكان وأن يحرصوا على الضروريات وأن يستثمروا المعطل من ثرواتهم وفيض مواردهم فى تأسيس المصانع الكبرى .

ان الحضارة الغربية لما طفت على الشرق جاءته بقشورها وسفاسفها فايقظت شهوات بنيه وهيأت نفوسهم لحب المتعة وشغلت إفكار المتعلمين بوباء من النظريات الفلسفية وافسدت عليهم طمانينة الايمان ومن حق النسل الجديد على آبائه أن ينشئوه من الآن نشأة تخالف نشأتهم وتحوله من الاشتغال بالقشور الى العكوف على اللباب ولا يكون ذلك الا بقلب نظام

جميع المدارس العربية الاسلامية راسا على عقب وتكون من جديد تكوينا غربيا اسلاميا تتصرف فيه العقول والمدارك والحواس كلها نحو اكمال تاريخ البطولة الاسلامي بسلاح العلم المجدى والعمل الجدى » .

ومن خلاصة هذا المجلد نجد ما يأتى :

* اصرار على تطبيق الشريعة الاسلامية منهجا للمجتمع ونظاما للحكم .
* اصرار على مواجهة الغزو الوافد (الصهيونية) .
* اصرار على التحرر من التبعية الفكرية والاجتماعية فى الملبس ونظام العيش .

المجلد الثانى عشر (١٩٥٦ هـ — ١٩٣٧)

تابع الفتح رسالته فى قوة ومضاء وما تزال قضية فلسطين هى اخطر الأحداث السياسية فى العالم الاسلامى كله ، وقد تابعت أحداثها متابعة واسعة فنشرت كل ما يتعلق بتقرير اللجنة الملكية البريطانية والانتداب البريطانى فى فلسطين ، وما يتصل بتاريخ المشكلة وعهود مكماهون ووايزمان وفيلبى ، وتناولت حكم التوراة والانجيل ومؤتمر بلودان .

وتناولت قضايا البلاد العربية (توحيد فلسطين وسوريا) ولبنان وقضية العروبة ، ومسألة الاسكندرية وقضايا المغرب وسياسة فرنسا وغطرسة الاستعمار الفرنسى ،

وتناولت قضية باكستان وكان قلم تقى الدين الهلالى هو المجلى فيها،

وأحوال مسلمى شرق أفريقيا ، والثورة الكردية فى تركيا وشئون تركستان الاسلامية .

وتناولت شئون الوحدة الاسلامية ، والنهضة الأدبية فى الهند .

وأولت قضايا التعريب والغزو الثقافى اهتماما بالغا : فتحدثت عن تركيا وموقفها من الاسلام ومن المحاكم المختلطة ومن التبشير فى مصر ، والاباحة والالحاد فى اليمن وقضية القبعة الجديدة واعادة على عبد الرازق الى الأزهر ودراسة عن الشيوعية والقاديانية وعلم النحو والمبادىء اللادينية فى سوريا .

وتحدث عن قضايا الفكر الاسلامى والتشريع الاسلامى والحكومة الاسلامية ، ونشرت وثيقة تاريخية مهمة من سلطان المغرب الى احد ملوك أوربا فى القرن الثانى عشر الهجرى وتوحيد مناهج العلوم ، والمدرسة الدينية والتعليم فى مصر وتحدثت عن النهضة العربية واليقظة الاسلامية والاتحاد العربى والعلاقة بين العروبة والاسلام والتاريخ القومى واللغة العربية ولماذا اضمحلت فى جاوة وسومطرة وفى الجزائر .

وتحدثت عن قضايا المجتمع وما بعد الغاء الامتيازات (الخمور والبغاء) والمرأة والانتخابات وتحدث على الطنطاوى عن مارق العارف خليفة ميشيل عفلق فى الهجوم على الدين والتاريخ :.

واولت الجمعيات الاسلامية اهتماما واضحا فتحدثت عن الشبان ومكارم الاخلاق والاخوان والجمعية الشرعية واحياء السنة والجمعية السلفية كما تحدثت عن اندونيسيا والجمعية المحمدية (الشيخ احمد دحلان) ورابطة شباب محمد فى دمشق وشباب محمد فى فلسطين وطلبة الاخوان ومنهاج الاصلاح :.

وكتب فى هذا المجلد : أبو الوفا الشرقاوى ، محمد الطاهر بن عاشور ، وعجاج نويهض (العرب والانجليز والقضية الفلسطينية) مصطفى السباعى (يوم العيد الأكبر) عبد الحميد السيد (الحملة على القاديانية) محمد مكين الصينى (الاسلام فى الصين) محمد تقى الدين الهلالى (الاذاعة فى البلاد العربية) عمر الدسوقى (يوم العروبة فى لندن) عمر صدقى الأميرى (ذكرى المولد فى باريس) عبد الرشيد ابراهيم (القرآن كلام الله بنطقه العربى) بدر الدين الصينى (ترجمته) محمد طه فياض العينى ، ومن الشعراء محمد الههياوى ، محمد السنوسى مقلد (قف فى ربا الخلد واهتف باسم عدنان) سعيد العيسى (من محمد وعيسى) ومن الكاتبات المسلمات : عزيزة مصفور وزينب على المنصورى .

وتناولت الفتح الترجمة لعدد من الشخصيات الاسلامية : الدكتور محمد اقبال (مسعود عالم الندوى) محمد عبد العليم الصدقى (عبدالحميد سعيد) خطبته فى بلودان ، الشيخ محمد سليمان :.

كما تناولت ذكرى عمر المختار ، وتحدثت عن أمين الحسينى واعتقاله ، وهجرته الى بيروت وعن فرحان السعدى ، ومحمد أسعد النمساوى وخالد شلدريك وكيف هدى الى الاسلام والشيخ احمد السكندرى .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بحديث مستفيض عن رسالة الفتح قال :

« ما وزنت ولا أزن أحداث البشر وآرائهم الا بميزان الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون ولا حكمت ولا احكم على تلك الأحداث والآراء الا بما تقتضيه وحدة المسلمين ومصلحتهم العامة المجردة من أغراضنا الزائلة وأهدائنا الباطلة . ساعة اكتب ما أكتبه للفتح وساعة اقرأ ما يكتبه الكاتبون لينشر فى الفتح لا اجد أمام عينى الا ذلك الميزان الذى ازن به الأحداث والآراء ولا اقيسها الا بمقياس الاسلام كما فهمه الصحابة والتابعون غير ملاحظ شيئا غير مصلحة المسلمين العامة وافقت أهواء الناس ومصالحهم أم خالفتها ، وافقت مصلحتى ومنفعة الفتح المادية أو خالفتهما .

انا فى نفسى فقير قليل التصبر ولكنى ساعة ادفع السوء عن حقائق الاسلام أو ابتغى المصلحة لعامة المسلمين لا أشعر بأن فى هذه الأرض قوة للباطل اخشاها على الحق الذى انطق بلسانه وان اللسان الذى انطق به هو لسان الاسلام القوى وليس لسان الانسان الضعيف .

ان الفكرة التى تمثلها الفتح عظيمة فى ذاتها ، وهى وليدة الاسلام فليس لنا ولا لغيرنا فضل فى ايجادها وتكوينها ، وانما الفضل كل الفضل هو فى الاكثار من العاملين لها والعارفين بمراميها والمجاهدين فى سبيلها . لما صحت العزيمة على اصدار الفتح لم يكن فى مصر صحيفة اسلامية غير مجلة المنار وكانت منتشرة فى دائرة ضيقة لانها شهرية ولأن قيمة اشتراكها غير متناسبة مع حجمها السنوى ولأنها ذات أبواب محدودة لا تتسع لاكثر مما يكتبه منشئها رحمه الله ولم يكن من السهل فى ذلك الحين الحصول على رخصة باصدار صحيفة سياسية جديدة فى القطر المصرى حتى لو كانت سياستها اسلامية لا تتعداها لأن وزارة الداخلية كانت قد اقفلت باب

الترخيص بأصدار صحف غير الصحف الأوربية ولا تقبل فيه طلبا الا فى ظروف خاصة ولأناس دون آخرين ، وكان أحمد تيمور باشا رحمة الله عليه أكثر منا اهتماما بصدور الفتح . وشيخى الشيخ طاهر الجزائرى هو الذى ربى عقلى وهو الذى حبب الى هذا الاتجاه الفكرى منذ كنت طفلا الى أن صرت رجلا ولا أعرف مؤلفا أو حامل قلم نشأ فى ديار الشام الا كانت له صلة بهذا المربى الأعظم وأهم كتب السلف النافعة التى نشرها الناشرون انما نشروها باشارته وتحريضه ، وأنا وكل ما نشرته ما هو الا قطرة من بحر الخير الذى كان يتدفق من صدر هذا العالم والعامل ، استاذى فى الصحافة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، التحقت بتحرير المؤيد سنة ١٣٢٧ هـ (سبتمبر ١٩٠٩) استفدت من اساليبه الصحفية ومن خطته الاسلامية ما أنا مدين له به ما دمت حيا فالمؤيد كان مدرستى الاولى فى هذه الصناعة وفيها صاحبت المنفلوطى ومن فى طبقته من الكتاب الممتازين .

وسبب وجود الفتح : المسلم الكامل والعلامة المحقق انقطع النظير أحمد تيمور باشا ولولا تيمور باشا لما وجد الفتح ، ولولا الفتح لما وجدت هذه الصحف الاسلامية بعده ، وهو الذى سعى جاهدا لاطلاق لسان الاسلام فى صحف منتشرة تؤيد دعوته وتذب عن بيضته وتتحدث عن صديق آخر هو الشيخ محمد كامل القصاب وأمنية النهوض بالاسلام الى ما كان عليه فى عصر التابعين ثم جمعتنا رابطة العربية الفتاة ، والاستقلال العربى .

وكان الشيخ محمد الخضر حسين فى مقدمة الأفاضل الذين أمدوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم منذ سنتها الأولى الى الآن فما هوجم الاسلام فى وقفة الا وكان للاستاذ حفظه الله دفاع أمتن من الفولاذ وأرسخ من الجبال الراسيات .

وأشار الى كتاب الفتح فى هذه الحقبة ،

الدكتور يحيى الدرديرى ، محمد اسماعيل عبد النبى ، مصطفى صبرى ، محمد صادق عانوس ، أحمد محرم ، محمد حسن النجمى ،

ابو اسحاق ابراهيم أطفيش ، عبد الحميد سعيد ، محمد أبو الوفا الشرقاوى ، سليمان البارودى ، مصطفى أحمد الرفاعى اللبان ، محمد تقى الدين الهلالى ، محمد عبد الوهاب الرافعى ، محمد بهجت الأثرى ، على أحمد باكثير ، على الجندى ، عبد الحكيم عابدين ، مسعود عالم الندوى ، عمر الدسوقى .

وقال : ان الحكومات الأجنبية تطارد الفتح مطاردة عنيفة وتمنعها من دخول الأراضى التى تحت حكمها فتحرمها من الموارد التى تستطيع الحياة منها ومع ذلك فهى صابرة مصابرة مرابطة مجاهدة لا تكتب الا ما ينفع الاسلام والمسلمين .

المجلد الثالث عشر (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م)

كانت قضايا العالم الاسلامى هى مقدمة الدراسات ، وأخطر قضايا الساعة فلسطين فقد دخلت قضيتها فى مرحلة جديدة وجاءت عناوينها على هذا النحو :

المؤتمر الاسلامى لفلسطين ، اليهود والصهيونية ومطامع اليهود فى الأماكن المقدسة ، أوهام اليهود ، يهود مصر وفلسطين تحترق والمسلمون جامدون ، قنابل اليهود فى حيفا والقدس ، قرش فلسطين ، معركة فى فلسطين خطيرة ، (عدد كامل من الفتح سبتمبر ١٩٣٨) مذكرة هامة ودراسات محمد على علوبه وعبد الحميد سعيد ، الأندلس الثانية (ناجى الطنطاوى) .

٢ — قضايا شمال افريقيا . وفرنسا فى المغرب (عدد خاص) الجزائر ومراكش ، البربر فى شمال افريقيا ، أسبانيا فى مراكش ، طرابلس الغرب (فى أخطر مراحل التحدى) .

٣ — قضايا المسلمين فى يوغسلافيا ، والحبشة واليابان ، أندونيسيا والحضارم ، العرب فى أندونيسيا ، عرب اندونيسيا والوطن ، العرب والترك ، يوغسلافيا والمسلمون ، المسلمون فى بلغاريا والحروف اللاتينية ،

وفى قضايا التغريب واجهت حملة توفيق الحكيم (هل يوجد اليوم

شرق) كلية الآداب وموقفهـا من النبى ، النصيرية ، البهائيـة وخـدمة الاستعمار ، البكتاشية ، التبشير والفرقة اليسوعية وتاريخها ، القاديانية ،

وفى مصر حركة تحطيم الحانات (مصر الفتـــاة) وشرب الخمر فى أوربا .

وفى مجال الفكر الاسلامى أحاديث عن مصر الاسلام والوحدة العربية والتعليم الاسلامى فى المدارس المصرية والشريعة الاسلامية والمحاكم المصرية والشريعة الاســـلامية فى القانون المدنى المصرى ، وأحاديث عن المدنية الاسلامية ، موقف عالم غربى (كمال ولف سخوماكو) وأحاديث عن أن اليهود هم حكام أمريكا الحقيقيون ، وأحاديث عن الجماعات الاسلامية ودار الارقم فى سوريا وشباب سيدنا محمد ، والمؤتمر الخامس للاخوان . وأحاديث عن الصحافة المصرية وموقفها من الاسلام ووفاة أتاتورك .

ومن كتاب هذا المجلد حسن محمد يوســف (الفن والدين فى مصر) وسليمان الندوى ، ومسعود عالم الندوى ، وتقى الدين الهلالى والدكتور زكى على وعبد الله بن نوح الاندونيسى ، والقصيمى وعبد اللطيف ابوالسمح وشعر لأحمد محرم وعلى أحمد باكثير وعلى الجندى .

ودراسات عن أعلام الاسلام : محمد اقبال (مسعود عالم الندوى) وفاة الاسكندرى ، الدكتور السيد أحمد الشريف اول من كشف القاديانية ، عمر المختار .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بكلمة ضافية قال فيها :

لا أشك أن الفتح يخطو فى سبيل الاسلام خطوات الى الأمام لا بأس بها وان الواقفين فى الطريق — ممن يتسمون باسم المسلمين أو من غيرهم — يشــــعرون بضغط هذه الحركة وفيهم من أعلن رجوعه الى صفوفها والاغيار منهم يفكرون فى تعديل خططهم حتى تظهر بمظهر المحاسنة بعـد أن تجاهرت بالمخاشنة ، كل ذلك من نتائج يقظة المسلمين وتمسكهم بعروة جامعتهم ، وكلما ازدادوا يقظة وتمسكا زادهم الله هيبة ، فى نظر أعدائهم

وكافاهم على ذلك بالقوة والعزة والسعادة ونحن فى تقدم نحو الغاية ولكنه تقدم بطىء ولولا دفع الله هؤلاء الأمم القوية بعضهم ببعض . لقضوا على آمالنا وعلى البقية الباقية من حقوقنا منذ دهر طويل .

ودعا صاحب الفتح الى الجهاد لرفع مستوى الأمة واعدادها للحياة وتبوئها المكانة التى تستحقها بين الأمم اذا لم تستمد قوة من الاسلام واذا لم يكن منه قوة للاسلام فمآله الفشل وكل جهد يبذل فهو جهد ضائع لا محالة .

وقال : أربعمائة مليون من سكان الكرة الأرضية يدينون بالدين المحمدى ويرون الخير والسعادة فى اضاءة بيوتهم ومدارسهم وأسواقهم ومحاكمهم ومجامعهم بأنواره فمن شاء ان يجعلهم قوة له فيمكنهم من تنوير بيئاتهم بأضوائه ومصابيحه وسيجدهم بذلك من أمضى الأمم وأعظمها نهوضا ومن حال بينهم فسيجدهم مكافحين له متقدمين نحو غايتهم مقتحمين كل ما يعترض سبيلها ولو اعترضت سبيلها بحار من نار »

المجلد الرابع عشر (١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م)

ما يزال العالم الاسلامى هو نقطة الانطلاق فى أحداث الساعة ، وفلسطين ما تزال هى القضية الأولى ، ثم أحاديث عن الشمال الافريقى والخطر الايطالى على مصر وتونس ، حيث تصبح طرابلس الغرب هى بؤرة الصراع ، وهناك أحاديث عن تونس ، والمغرب الأقصى والظهير البربرى ، والسودان والانجليز ،

فى هذا العام اندلعت الحرب العالمية الثانية وكانت لها آثارها فى الأحداث من بعد ، ثم أحاديث عن الاسلام والصين واليابان ، والشرق الأقصى وأحاديث عن الحضارمة ، وعن فيلبى وموقعه من العرب وعن مسلمى الهند وتعصب الوثنيين ، وأحاديث عن الوحدة العربية ، والناطقين بالضاد ، والوحدة الاسلامية .

٢ — أما الغزو الفكرى فهو المنطلق الحقيقى للفتح والتبشير هو القضية الأولى : السودان وحلب والقاديانية والأحمدية ، فى الهند وفى الأزهر ،

وحملة مكثفة يقودها عبد الحميد السيد على الاحمدية وكتبها بعد ان تركها، ودراسات عن محمد على اللاهورى ، (وقد اتسعت الأحاديث عن القاديانية حتى يمكن ان يكون أبرز موضوعات المجلد) وهناك استجواب بشأن طه حسين بعد تعيينه مراقبا للثقافة وحديث للأستاذ حسن البنا عن كتاب مستقبل الثقافة ورد على طه حسين (محمود محمد شاكر) ، وأحاديث عن خطر ترجمة القرآن وموقف الصحافة المصرية من الإسلام ، وموقف الشيخ مصطفى عبد الرازق من دعوة الشيخ أبو العيون ، وأحاديث عن على الجارم ودروسه فى الحب والصبابة .

٣ — وفى مجال الفكر الاسلامى تحدث الفتح : عن اثر الاسلام فى التاريخ الأدبى والحروف العربية فى تركيا وأحاديث عن كيف عاش النصارى تحت حكم المسلمين فى اسبانيا (حسين لبيب) وأحاديث عن العرب (عبد الرحمن عزام) وكتب ضد الاسلام فى الجامعة وضرورة حماية الاسلام فى الجامعة ، وأحاديث عن جرمانوس ولماذا أسلم ورأى غربى آخر فى الاسلام (لجورج رو) وحديث عن الشريعة الاسلامية (أحمد محمد شاكر)

٤ — وفى التراث قدمت الفتح دراسات عن كتاب الجماهير فى الجواهر للبيرونى ، وكتاب نيلينو عن الأقطار العربية ، والأسبانيون وعلوم العرب ، وحديث للسباعى عن موقف المستشرقين من الامام الزهرى .

٥ — أحاديث عن المجتمع الاسلامى والغاء البغاء فى المملكة المصرية ومسابقة السيقان والخمور وانتشارها (أحمد حسن) وفوضى الاعلانات لترويج المشروبات الروحية .

٦ — أحاديث عن الجماعات الاسلامية ودعوة الى تكوين اتحاد أعلى للجمعيات الاسلامية ، وتفاصيل الحركة الاسلامية فى العراق (محمد شيت الجبساوى) .

ونشرت الفتح فصولا عن : الشيخ محمد شاكر ، بمناسبة وفاته ، الحاج امين الحسينى ، بقلم أجنبى ، علال الفاسى فى منفاه .

ومن كتاب الفتح الدكتور زكى على ، مصطفى الرفاعى اللبان ، مصطفى السباعى ، طاهر الزاوى ، عبد الله المازنى وشعر لأحمد محرم (أعد الرجاء وجدد الأمل) .

ومن أبرز ظواهر هذا المجلد الاهتمام بدراسات واسعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم (عمر بهاء الأميرى ، مصطفى الزرقا ، عبد الوهاب النجار ، محمد المبارك ، مصطفى الرفاعى اللبان) .

وقد افتتح السيد محب الدين الخطيب هذا المجلد بتوجيهات حاسمة قال :

« قراءها فى كل قطر هم الصفوة الممتازة من أهل الحجى والفضل وصيارفة الكلام فمن تصدى مخاطبتهم كان جديرا به أن يزن القول بأدق موازينه وأن يتخير له الأوقات المناسبة وأن لا يتجاوز مدى الحاجة ، فقراء الفتح مصابيح بين أيدى كتابه على ضوئها يسيرون وبآلامها يكتبون والى مستواها يرتفعون ، وكتاب الفتح يتقيدون بما يكتبون لأنه فى سبيل الله ولأغراض معينة هم ثابتون عليها لا تحولهم عن شىء منها براقش الدنيا ، كتاب الفتح وقراؤه نسيج واحد فى وحدة الهدف . وقال انه اعتذر عن حفلة تكريم للفتح ، وعن قصيدة من الدكتور أبى شادى يعلن فيها ابتهاجه بانشاء الشبان المسلمين ، نشرها بعد أن طوى فيها أبياتا تمنى الكثيرون أن تكون قيلت فيهم ، وقد نشر القصيدة دون نشر أبيات المديح قال : رأيت بعض الأميين من زملائنا الذين يرتزقون من هذه الصناعة يستكتبون أصحاب المناصب الرفيعة والمقامات العالية كلمات صدرت من الألسنة لا من القلوب يؤثرون بها على طبقة من الناس تحكم على الأشياء بأسماعها لا بأبصارها فتحسب الدرهم دينارا والدينار درهما . وقال ان الربح قاصر على بيان محاسن الأهداف التى ترمى اليها هذه الصحيفة وتحريض شباب الأمة على تأييدها .

المجلد الخامس عشر (١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م)

أولى صاحب الفتح هذا المجلد اهتمامه الكبير بآثار الحرب العالمية الثانية على المسلمين وقضاياهم فتناول عديدا من القضايا السياسية ذات الأهمية البالغة ، العرب أمة واحدة ذات أغراض واحدة ، ينابيع البترول فى السعوديه ، مطامع اليابان فى أندونيسيا ، الجيش الفرنسى يلقى سلاحه فى أوربا فى أحرج ساعات التاريخ ، الانجليز يدمرون الاسطول الفرنسى فى وهران ، اتفاقية بين العراق والعربية السعودية ، مستقبل العرب والمسلمين ، المطالبه بتاسيس نظام جديد فى العالم ؛ يقوم على أساس من العدالة والسلام ، أمنية الاتحاد العربى ، القضاء على الجيش الايطالى فى سيدى برانى والسلوم ، مسلمو الهند ينشدون مستقلا وطيدا ، هزيمة ايطاليا ، السكة السلطانية فى اوربا هو الاسلام .

وفى مجال الفكر الاسلامى تحدثت الأبحاث عن تدوين القرآن الكريم فى العهد المكى ، والتعليم الدينى فى المدارس المصرية واهتمام الانجليز بالعلوم العربية فى القرن الماضى (برنارد لويس) وعن دعاة الجامعة الاسلامية .

وفى مواجهة التغريب والغزو الثقافى جرت الأبحاث حول كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، وأحاديث عن نشرة جديدة للملحدين وأحاديث عن القانون الجديد لمنع النشر ، وتعليم الدين المسيحى لأبناء المسلمين ، ونشاط البهائية فى مصر وأحاديث عن المستشرقين والاسلام .

كما تناولت الفتح أحاديث عن موقف الغرب من الاسلام : ما كتبه المستشرق أميل درمنجم عن أن الاسلام دين عالمى وما تحدث به زائر مسيحى عن البشائر المحمدية .

وفى مجال التاريخ الاسلامى تحدثت الفتح عن عدد من الموضوعات :

رسل الملك يوحنا الى سلطان المغرب ، صفحة مشرقة من الحروب الاسلامية ، وآثار ملوك مصر الاسلامية فى الشام ، ومن دمشق الى مدينة الرسول برا وتحريف الحقائق الاسلامية فى كتاب فجر الاسلام وأحاديث عن لو فتح العرب فرنسا لتقدمت الحضارة .

كما أولت اهتمامها بالتعليم والتربية وشئون الأزهر فتحدثت عن واجب الأزهر نحو السودان والبلاد النائية وتنظيم الوعظ الاسلامى وقدمت احصاء عن المعاهد الأجنبية فى مصر (٤٠١ معهدا فرنسيا وايطاليا وانجليزيا وامريكيا وروسيا وهولنديا) وحدثت عن القرآن مادة أساسية فى المدارس الابتدائية ، واقتراح عن توحيد التعليم بعد توحيد القضاء .

وقد عنيت بالحديث عن شخصيات المتوفين من اعلام العصر : سليمان باشا البارونى ، عبد الحميد سعيد ، محمد حسن النجمى ، عبد الحميد السيد ودراسة عن السيد رشيد رضا بمناسبة ذكراه وحديث عن عبد الرحمن المهدى .

وكتب فى هذا العدد أعلام يثيرون فى مقدمتهم محمد عبد السلام القبانى ، محمد اسماعيل عبد رب النبى ، على سامى النشار ، مصطفى الرفاعى اللبان ، احمد محرم ، عبد الحميد السيد ، مصطفى السباعى .

وقد جاء فى افتتاحية هذا المجلد عرض لمهمة الفتح :

« نعم أعترف بأنى أعارض التيار منذ اربعة عشر عاما واقف فى طريقه كما يقف المغرور بقوته . ان لم أقل كما يقف المجنون وما انا بالمغرور ولا بالمجنون ولكنى رايت واجباً واجبات الكفاية انصرف عنه الناس فقمت بما يستطيع مثلى يوم لم يكن فى الميدان صحيفة واحدة تتصدى له وثابرت عليه حتى بعد ان تهافت المتزاحمون على هذا المورد ظانين أن فيه تجارة رابحة فلما علموا أن سبيلنا الى غايتنا لا يرافق الثروة ليجتازها ازوروا عنه الى غرضين طمحوا اليهما ، اما اولهما من طلبه من أفراد العامة بما يميلون الى معرفة من احكام ومواعظ ومناقب حفلت بها واما التقرب الى اصحاب الكراسى من سدنة الدين والدنيا مدة وجودهم فيها فاذا تخلوا عنها انصرفوا عنهم الى من يخلفهم عليها حتى يتخلوا عنها . كان فى استطاعتنا أن نسلك هذا السبيل الذى اثرى منه الأميون ولكن كان الهدف الذى نرمى اليه غير ذلك وكان فى استطاعتنا ان نسلك سبيل الصحف الأخرى التى تتجر بالثقافة والأدب وتتنازع ثمراتهما المادية وتسير بالرأى العام الى ما يجمع بين المتعة والفائدة تارة والى ما يشاب دسمه

بسمه تارة أخرى ولو أننا ارتضينا للفتح هذا السبيل لاقبل عليه القارئون بعشرات الألوف ولكان فى استطاعة الفتح أن تستخدم أبرع الأقلام واجود القرائح لارضـــاء القراء ولكننا لم نفعل لأنه كان لنا غرض ان خفى علـــى الناس قبل اربع عشر عاما فان الأربع عشر عاما كافية لأن يستنبئوه ».

قالوا له : كانوا ينتظرون منك أن تتوسع حتى تجارى عصرك لا أن تضيق الدائرة فتصير الى ما رايناه فى الفتح ، فقلت أنا لم اضيق وليس من شانى أن أوسع ، وان هناك دائرة رسمها الاسلام وأنا مستعد لأن اتوسع بمقدار ما يتسع لى من الدائرة فاقبل الحقائق كلها كما هى وارحب بهـــا واستقبل اسباب العلم والحضارة والنهضة والعمران بكل ما تســتحقه من تشجيع وقبول وانى على بينة من طريقى وسيتبينه الناس مع الزمن ،

كم من صحيفة عربية أو اسلامية صدرت ثم احتجبت فى مصر وفى غير مصر منذ صدرت الفتح الى الآن أما صحيفتنا فباصرار صاحبها الى حـــد العناد استحقت مكافأة الله عز وجل باســـتمرارها هذه المدة كلهـــا بغـــير انقطـــاع .

المجلد السادس عشر (١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م)

بدات الفتح مجلدها الســــــادس عشر بقضايا العالم الاســـــلامى السياسية وكان اعلان الحرب العالمية الثانية وتطوراتها واضحا من خلال الموضوعات التى تناولتها هذا العام . فالحرب فى الصحراء الغربية واطلال من القبائل على طرابلس والقتال بين الانجليز والعراق ، بعد الانقـــلاب العسكرى الذى قام به (رشيد الكيلانى) وســــــقوط اديس ابابا واجتياح أديس أبابا والزحف البريطانى على سوريا ولبنان وتوغل الروس والانجليز فى ايران واتساع ميدان القتال من بحر قزوين الى نهر النيل وخطر الغزو الألمانى على انجلترا والشرق واحاديث عن الانجليز والوحــــــدة العربية واحاديث عن باكستان والرابطة الاسلامية فى الهند تطالب سياسى الدولة الاسلاميه وانهيار فرنسا وسقوط الفرنك الفرنسى وخطط اليابان المريبـــة ومســــــلمو الهند يقولون نحن لنا اقلية ولكننا امة . ومدينة القاهرة مدينة

مفتوحة ، وأحاديث عن المسلمين فى أندونيسيا والاسلام فى الهند (اقبال على شاه) .

هذا من الناحية السياسية ، وفى نواحى الفكر الاسلامى يواصل السيد محب الدين الخطيب خطته فى الدعوه الى اعادة تنظيم حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بعد الحرب ويواصل أحاديثه عن قضايا المجتمع الاسلامى ووجوه فساده : هذه الاغانى المتبذلة ، ومشكلة البغاء وتهتك النساء فى مصر ، وانتشار أندية القمار وأحاديث عن التبشير والارساليات الدولية وأحاديث للشيخ عبد الوهاب خلاف عن لماذا أخذت قوانين مصر من التشريع الفرنسى ـ والجماعة والاجتماع (لمستنالنا) والحدود الشرعية والتشريع الحديث ، وفضائل اللغة العربية ودعوة الاتحاد العربى فى السياسة والاقتصاد وتحدث عن الجماعات الاسلامية ودار الأرقم فى سوريا ، وكيف نربى الشبان المسلمين (عبد الوهاب عزام) وأحاديث عن التراث الاسلامى : الخطاطون وكتابة المصحف ، والنقود العربية فى الأندلس وبلاد المغرب وتجار الشرق الأقصى التى يدور فيهما الحرب وصل اليها العرب قبل الف سنة وحديث عن معركة نور (حنا خباز) وأحاديث عن الاسلام ونصارى العرب ، وحديث عن وزير مسيحى يصف الشريعة الاسلامية (فارس الخورى) وحديث عن البدو كما رآهم مارك سايكس ، وابن تيمية وطعام التتار .

وقد كتب فى هذا المجلد عدد كبير من الكتاب فى مقدمتهم احمد محمد رضوان ، وعبد الوهاب خلاف ، وعبد الوهاب عزام .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فى هذا المجلد كثيرا من التوجيهات النافعة ، فهو يسأل ماذا ينبغى أن نعمل بعد الحرب ، يقول قد تنطوى نتائج هذه الحرب على مفاجآت لم يكن يتوقعها حكم ولا مؤرخ ممن عاشوا فى القرن الماضى وفيما مضى من هذا القرن ملنفاجىء نحن المسلمين أحداث الزمان بأمر عجيب لم يكن ينتظره الزمان منا وهو الرجوع الى الله والتوبة اليه فيما فرطنا فى آدابنا الاسلامية وفيما أسرفنا من تقليد أوربا وامريكا فى فجورهما والأمر هين اذا جمعت أيها المسلم زوجتك وبناتك

وصبيانك حولك ولفت انظارهم الى ما يحيق ببنى الانسان من اخطار وما تتوقعه الأمم من دمار وطلبت اليهم ان يتأدبوا معك بآداب الاســلام وأن نعود جميعا الى طهارة الشريعة .

ويدعو صاحب الفتح الى اعادة تنظيم حياتنا الاقتصادية بعد الحرب فيقول : ستنتهى هذه الحرب على كل حال وســتجدد كل امة بعد الحرب حســابها بينها وبين نفســها وتبنى على ذلك خطتها الجديدة فى السير نحو المستقبل فاذا أردنا أن نكون أصحاب أوطاننا والمتصرفين فى أنفسـنا فيجب علينا أولا وقبل كل شىء أن ننظم حياتنا الاقتصادية تنظيما جديدا ، نجعل معه ثروتنا فى خدمة ســادتها ونهيىء كل يد عاملة للعمــل الحــلال حتى يكون ميسـورا امامها ومفتحــة ابوابه لخــير البيــوت منفردة ولخير الوطن مجتمعا ، ويرى صاحب الفتح أن للمسلم رسالة يجب ان يعرفهـا وأن يقوم بها ، فيقول ان من تمام رسالة المسلم أن ينظر الى أحداث الدنيا من وجهــة المصلحة الاسلامية فيوجه جهــوده وعواطفــه فى كل حادثة الى الجهــة التى تكون فيها تلك المصلحة العامة للاســلام وفى اعتقادنا ان تربيــة النشء الاســلامى على ذلك من اهم واجبات الآباء والمدرسين واذا لم تنشأ الأجيال الاسلامية على هذا الأساس كان المسلمون على خطر عظيم ويقول : المسلمون الى خير ما فى ذلك شــك ولــكن اتجاههم الاولى يجب أن يسير فى طريقهم الأصيل والذين أدركوا هذه الحقيقة قليل عددهم والذين لم يدركوها من المشتغلين وحملة الاقــلام يسيرون فى اتجاه غريب عن الملة ، والاسلام يحب العمل للدنيا كما يحب العمل للآخرة ، وان سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالآراء الباطلة فان الدين قوة ادبية لا يستهان بها من الواجب أن تأخذوا من دينكم ما يوافق روح العصر وأن تحافظوا على تقاليدكم الحسنة .

المجــلد السابع عشر (١٣٦٢ — ١٩٤٣)

(هذا المجلد يبدأ فى رجب ١٣٦٢ — يوليو ١٩٤٣ ويمتد الى ذى الحجة ١٣٦٦ — ١٩٤٧ خلال ست سنوات كاملة) وقد تغير فى هذه المرحلة حجم الفتح ، كما أنه تحول الى مجلة شهرية ، وذلك نتيجة للاعسار الذى حدث

فى الورق والمواد نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية واثرها على خطوط البريد الممتدة الى المغرب والى سنغافورة حيث تقطعت هذه الخطوط .

كذلك فقد كان للحرب العالمية التى بدأت أواخر عام ١٩٣٩ آثارها على الأحداث فى البلاد العربية والاسلامية وكانت قضية فلسطين هى ذروة الأخطار التى واجهت المسلمين على هذا المدى حتى عام ١٩٤٨ حيث قامت الحرب العربية الفلسطينية التى انتهت بهزيمة العرب وقيام اسرائيل فى فلسطين المحتلة ولقد والت الفتح هذه القضية خلال السنوات الست من هذا المجلد وفى المجلد التالى (١٨) الذى انتهت به مجلة الفتح (١٩٤٨) ولقد كان من أبرز القضايا التى عالجتها الفتح خلال هذه الفترة :

أولا : بروتوكول جامعة الدول العربية (شوال ١٣٦٣) .

ثانيا : قيام دولة جديدة فى باكستان (ربيع الآخر ١٣٦٥) .

ثالثا : قيام دولة اسلامية فى أندونيسيا .

رابعا : الجلاء عن سوريا .

خامسا : تقسيم فلسطين وقيام الحرب بين العرب واليهود .

وقد والت الفتح عام ١٣٦٢ — ١٩٤٣ قضايا المشادة على الدستور اللبنانى بين اللبنانيين والفرنسيين ، وغضبة الأوطان العربية لما وقع فى لبنان من تدابير ظالمة اتخذتها السلطات الفرنسية باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء واحتجاج البلاد العربية (سوريا والعراق وشرق الأردن ومصر) .

وفى عام ١٣٦٣ — ١٩٤٤ كانت الأحداث السياسية كالآتى :

محادثات حول الوحدة العربية فى بغداد واشتراك السودانيين فى حكم بلادهم ومشروع باكستان وانشاء صندوق الأمة العربية فى فلسطين وانحياز أمريكا الى جانب اليهود فى قضية فلسطين ، وجرائم اليهود فى فلسطين ، وبروتوكول جامعة الدول العربية واحتفال جامعة فؤاد بذكرى الهجرة .

وفى عام (١٣٦٤ — ١٩٤٥) تحدثت الفتح من عروبة شمال افريقيا وعن التقدم فى المملكة السعودية وجبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية

وما قرره مجلس الجامعــة من الجــلاء الشامل لجميع القوات الفرنسية عن ســوريا ولبنان وقضية طرابلس الغــرب وبرقة ، وقضية فلسطين فى ضوء انتصار الحلفــاء . ومصير اريتريا ومقاطعة الانتاج الصهيونى ، كما أصــدرت الفتــح عــددا خاصا عن فلسطين بمناسبة (٢ نوفمبر) وعد بلفور (وقد انتهت الحرب العالمية ووضعت أوزارها فى هذا العام) .

وفى عــام (١٣٦٥ — ١٩٤٦) تحدثت الفتح عن اســتقلال المغرب المسلوب وعن مسلمى الهنــد وارهاصات باكستان وقيام دولة اســلامية جديدة (ربيع الآخر) وعن الجامعة العربية والوحدة العالمية (عبد الرحمن عزام) وعن الجــلاء عن سوريا وأحاديث عن طرابلس وبرقة فى اجتماع منوك العرب وتهريب اليهود الى فلسطين وتقسيم فلسطين وفظائع الادارة الفرنسية فى تونس ودسيسه سوريا الكبرى .

وكانت أكبر ثلاث قضايا أولتها الفتح اهتمامها : الشريعة الاسلامية ومقاومة الشيوعية والوحدة العربية .

وفى عام (١٣٦٦ — ١٩٤٧) تحــدثت عن تقسيم فلسطين : أفظع جريمة سياسية ترتكب فى هــذا العصر ، وتقســيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ومكانة الباكســان فى قلوب العرب ، والأمير محمد عبد الكريم الخطابى فى مصر دولة اسلامية جديدة ، أندونيسيا الشقيقة .

هذا هو الجانب السياسى فى مجلة الفتح خلال هذه الفترة .

أما من جانب الفكر الاسلامى فقــد أولت الفتح اهتمامها لعشرات من القضايا الهامة والخطيرة . وكان طابع الحديث كله منصب على الصفحة الجديدة التى سيبداها العرب والمسلمون بعــد انتهــاء الحرب العالميــة التى انتهت فعــلا عام ١٩٤٥ ومن ذلك كانت احاديث عديدة عن العروبة والاسلام وتقوية الجبهة العربية لتضطلع بعبء الرسالة الاسلامية من جديد ومن عقدة المقد فى الاصلاح الاسلامى ، ومن ذلك مقال « سيدعو الاسلام أوليائه » والتطور العالمى بعد الحرب . ونهضة العرب للاطلاع برسالتهم .

وقد أولى الفتح اهتمامه البالغ بقضايا كبرى :

أولا : العروبة ومفهومها الاسلامى الأصيل : فى عديد من المقــالات حيث كشفت بعض الكتابات عن فساد فكرة الفرعونية ، وان خير منهج هو : العلم عالمى والثقافة عربية والتربية اسلامية ، وحدثت عن سجايا العرب فى التراث الاسلامى ، وان بيت الابرة اختراع عربى ، وأحاديث عن الفن المعمارى الاسلامى وزورينا فورنس تحدث عن شهامة العربى وأن السيادة عند العرب بالأخــلاق وأيام الله التى مرت بالعربيـــة والعرب واحاديث لدوزى من حرية العرب ونظام حكومتهم ، وان العرب من اقــدم أجداد الانسانية (باسكال) وأحاديث عن العرب فى أسبانيا ، ومحمد لنصــارى العرب كما لمسلميهم ومآثر العرب فى العــلوم المدنية ، ونصيبا من العلوم الكونية وتطبيقاتها بعد الحرب واستكشافات العرب وأمجد ذكرى فى تاريخ مصر وهى الفتح الاسلامى .

ثانيا : الشريعة الاسلامية : وقد أولى هذا الموضوع اهمية كبرى خلال هذه الفترة ايمانا بأن الطريق أصبح ممهــدا لتطبيق الشريعة الاســلامية بعد أن انتهت العوائق التى كانت تحول من نفوذ أجنبى فتحدث عن الاسلام فى الدستور المصرى ، وتحدثت عن اتجاهنا التشريعى فى عصر الاستقلال .

ثالثــا : التربية الاسلامية : كما تحدث عن ضرورة تغيير نظام التعليم فى المدرســة المصرية بحيث تكون التربيــة الاسلامية اساسا له والتخلص من التبعية للمناهج الاجنبية ومدارس الارساليات التى تقضى على وطنية وعقيدة ابنائنا .

رابعــا : اللغــة العربية : فى مواجهة التحديات وخاصة المشروع الذى تقدم به عبد العزيز فهمى الى مجمع اللغة العربية لكتابة العربيــة بالحروف اللاتينية . وقد ووجهت هذه القضية بحملة شديدة وقد تحــدث السـيد محب الدين الخطيب عن القــرآن معجزة بين معجزتين ، وتفوق العربية على لغات الدنيا ، وتحدث الشيخ أحمد محمد شاكر عن عبدالعزيز فهمى وعداؤه للعربية .

وفجرت الفتح قضية الخلاف بين الشيعة والسنة بمناسبة ظهور جمعية

التقريب بين المذاهب وكتب فى هذا المجلد عدد كبير من الباحثين فى مقدمتهم عبد الرحمن عزام ، حسن البنا ، وعلى الطنطاوى ، وناجى الطنطاوى ، وحسن يوسف ، وأحمد محمد شاكر ومن الشعراء محمد صادق عانوس ، واحمد محرم ، وصابر على رمضان والسنوسى مقلد ، كما تحدثت من اعلام الفكر الاسلامى : جمال الدين القاسمى ، أمين الحسينى ورسالة من جمال الدين الأفغانى الى عبد الله فكرى .

* * *

افتتاحية المجلد السابع عشر : يقول السيد محب الدين الخطيب :

ستة عشر عاما قد مضت على الفتح وهى تؤدى رسالتها الشاقة المضنية فى نشاط وقوة غير مبالية بما يعترضها من صعاب وما يصادفها من عتاب ، من ذا الذى يدرك بسهولة أن مجلة اسلامها مشربها اسلامى نبوى صريح استطاعت أن تشق طريقها الى النور فى زمن انتشرت فيه الخرافات والأوهام واستشرى فيها الالحاد والمروق والاستهتار واشتدت يد التخريب تحاول هدم كل صالح نافع . وقال : صحيفة لا مدد لها ولا اشتراكات محبى الاصلاح الواسع ومع ذلك قامت تتذكر الأمر وارشادها الى طريق الاسلام الاول وسارت خطوات موفقة الى الهدف الأسمى الذى يطلبه كل مسلم الا وهو عزة الاسلام وصلاح المسلمين ورفع الضيم عن الأمم الاسلامية المهيضة الجناح ، كانت الفتح قبل نشوب الحرب المدمرة الحاضرة تطوى انحاء العالم الاسلامى الفسيح وتعلم أهله ما يجب عليهم لدينهم ووطنهم وتنير لهم سبيل الفوز فى الدنيا والآخرة فلما شبت نار الحرب المحرقة واقفلت الطرق وامتنع على الفتح أن تجتاز مسلك الجهاد فى معظم جهات العالم وجزع محبوها وهلعوا لبعدها منهم .. وللفتح على مصر فضل لا يجحد فقد ظهرت والالحاد رافع رأسه يريد أن يغزو الحق الذى نام اهله فكانت سيفا بتارا قطع أوداج الباطل وقضى على جراثيم حياته وكان صوتها هو الصوت الأول الذى دوى زئيره فازعج الملاحدة وأخاف المبطلين . وكل صوت ارتفع بعدها فقد كان رجعا لها وصدى لصوتها الأول . وقد استمرت سنوات تجاهد وحدها فى الميدان

ولا معين لها الا الله عز وجل ففازت فوزا مبينا . وتمتاز الفتح عن غيرها من الصحف بنصاعة منطقها وجمال أسلوبها وسمو معناها وتحرى الكلمات النقية له ، وبعدها عن الاسفاف حتى فى أشد الموضوعات الجدلية خطرا واكثرها تعقيدا ، مبدؤها التوحيد الخالص والتوفيق بين المسلمين جميعا فلا تتعرض لجماعة اسلامية بنقد الا لاصلاحها وتقويتها وتقريبها من ينابيع الاسلام ومبادئه الأولى وازالة ما يعوقها عن بلوغ الغاية المطلوبة وهمها الأوحد مقاومة أعداء الاسلام ايا كان مظهرهم وصفاتهم فكل من آذى الاسلام فهو عدو الفتح يجب هتك استاره وتقليم اظافره واطفاء ناره .

وفى خاتمة عام ١٣٦٦ الهجرى (١٩٤٧ م) وهو نهاية العام الثانى والعشرين كتب السيد محب الدين الخطيب يقول : كنا مغلوبين على أمرنا بعد مرور السنة الأولى من الحرب على أن نجعل الفتح نصف شهرية ثم شهرية لأن الورق ارتفع الى أربعين ضعفا عما كان عليه قبل الحرب وعجزنا فى بداية الأمر أن يكون لصحيفتنا نصيب من ورق التموين لأن الايثار به ثم تعيين كمياته كانا خاضعين لاعتبارات عامة وخاصة لا نصيب للفتح فى شىء منها فاضطررنا الى اصداره فى بعض الأحيان على ورق من الوان شتى وثمن الورق وحده قبل تكاليف الطبع أضعاف ما نحاسب به المشتركين فاضطررنا الى اصدار صحيفتنا شهرية وانقطعت المواصلات مع اكثر الأقطار التى كانت للفتح فيها مشتركون وصدر قانون النيت به الاعلانات القضائية فحيل بين الفتح وبين أكثر أسباب الحياة الا ما يمدها به صاحب الفتح من حياته وعصارة قلبه على أمل ان تكون الحرب قصيرة الأمد ولكنها طالت ثم طالت وصبرنا عليها ثم صبرنا حتى انتهت وها نحن الآن أمام أمر واقع لا نعرف متى تكون نهايته ثمن الورق عشرة أضعاف ما كان قبل الحرب ونفقات الطباعة مرتفعة خمسة أضعاف والاعلانات القضائية انقطعت والاعلانات الأخرى التى تستعين بها صحف المتعة والمجون اما عن موبقات او محرمات او عن متاجر لا يستبيح المسلم لنفسه تشجيعها .

هذه الصحيفة لها رسالة لم تحد قيد شعرة من مبادئها وأغراضها لأننا عاهدنا الله منذ اليوم الأول على التزامها والثبات عليها جملة وتفصيلا ،

وقد وفقنا الله الى الثبات عليها فلم تستطع أن تحولنا عنها قوة فى الأرض .

ويرجو صاحب الفتح ان يديم الله توفيقه الى البر على قدر ضعفه بما عاهد عليه ربه من هذه الناحية حتى يخرج من هذه الدنيا وهو على خطة واحدة من بدء حياته الى خواتيمها .

وانه لمطلب شاق عسير فى زمان اسفت فيه الصحف الى اهواء الجماهير وسابقتهم فى المباح والحرام وحد متعهم وشهواتهم فاين يذهب من يريد بالصحافة أن تؤثر النصيحة لله ورسوله وعامة المسلمين .

وكان من رأينا ان تعنى بنواحى الضعف والقوة التى غفل عنها المسلمون التى نراهم انتهوا لها واولوها ما يستحق من عنايتهم وهمتهم وحينئذ يتحول الى ناحية أخرى مفتنة لها هذه الأمة وقادتها ونظن أن كثيرا من الخير الذى اعان الله العرب والمسلمين عليه كان الفتح وحده يدعو اليه قبل أن يدعو اليه أحد غيره حتى هيأ الله أسبابه وقرت العيون برؤيته حقيقة ماثلة تشق هذه الصحيفة طريقها بصعوبة وتسير الى اهدافها مثقلة بالأعباء والموانع ويضيع صوتها الضعيف فى عدد غير قليل من المسلمين .

لم تظفر بالعون فى الاثنين والعشرين سنة الماضية ولا بنسبة عشر معشار ما كان يستطيعه المسلمون . لقد بذلت من ذات نفسى لهذه الصحيفة كل ما استطيع وهى لن تستطيع ولا صاحبها أن تكون من الرواج فى الأسواق وفى أيدى الناس بمنزلة هذه الصحف التى تقدم للناس كل ما تشوبه من خير وشر وتمتعهم بكل ما يحبون أن يتمتعوا به من حلال وحرام .

المجلد الثامن عشر (١٣٦٧ — ١٩٤٧)

هذا المجلد الخاتم من مجلة الفتح الذى ينتهى فى ذى الحجة ١٣٦٧ — ١٩٤٨ فقد فرضت الظروف السياسيه توقف هذه المجله الرائدة فى الدعوة الاسلامية بعد أن أدت دورا هاما وخطيرا فى توسيد مفهوم العمل الاسلامى

وفى احضانهـا نشأت صحف الاخوان المسلمين منـذ عام ١٩٣٣ (جريدة الاخوان المسلمين) ومجلة النذير (١٩٣٩) ثم مجلة الاخوان (١٩٤٥) وجريدة الاخوان اليومية (١٩٤٦) واللتين توقفتا قبل نهاية عام ١٩٤٨ أيضا ، وقد أولت اهتمامها هـذا العـام الى جميـع القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية المثارة بمفهوم الاسلام الجامع فتحـدثت عن قضية فلسطين التى دخلت فى مرحلة الحرب العربية الصهيونية وهزيمة العـرب وقيام اسرائيل ، ونشرت أحاديث مستفيضة عن الجهاد فى شريعة الاسلام وواصلت الفتح اهتماماتها بقضـايا الثقافة والفكر الاسـلامى ، وتحدثت عن الحكومة والأمة فى الاسلام ، وتحدثت عن أجناس مصر منذ فجر ما قبـل التاريخ وفقه الدولة والفقـه الاجتماعى فى الاسـلام وأحاديث عن الربع الخالى فى جزيرة العرب وعروبة السودان ورسـالة تاريخية من محرر الفتح الى الامام يحيى وأحاديث عن اليمن .

وقدمت الفتح دراسات عن أبطال الاسـلام : الجراح بن عبد الله الحاكمى والأحنف بن القيس .

كما عرضت الفتـح لمؤلفات جـديدة فى التراث وفى مقدمتهـا كتاب « معجم ما استعجم من البلاد والمواضع » .

وأولت الفتح اهتمامها للغة العربية والمحاولات الهـدامة وأحاديث عن الفصحى لغة القرآن ولغة الاسلام ، ومساجلة مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد وحديث لحفنى ناصف عن اللغة العربية وسياسة الباب المفتوح .

كما أورد الفتح حديثا لفارس الخورى عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأحاديث عن العرب بين أجناس البشر ، وأحاديث عن ما سمى : خرافة التقريب بين المذاهب ، وذكريات السيد محب الدين الخطيب بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين .

وفى افتتاحية المجلد الثامن عشر (المحرم ١٣٦٧) كتب :

فى استقبال عهـد جديد

● التشرف بالانتماء الى رسالة اكمل المرسلين محمـد صلى الله عليـه وسـلم .

● التخصص بلغـة العروبة سيدة اللغـات .

● تبوأ اقدس بقاع الأرض واكملهـا واجملها واكثرها اعتـدالا واغناها بالمجد وخصب التربة وكرم المعـدن .

● تقلص ظل الاستعمار الأجنبى واخراج الفرنسيين من الشام والانجليز من مصر والهولنـديين من اندونيسـيا واقامة الحكومة والوليـدة فى باكسـتان .

نعمة واحدة لا اطمع لامتى بخير منها وهى ان تؤهلنا لما انعمت به علينا فلا نكون غرباء عن الاسلام ، ونحن ورثته ؟ ولا أعداء للغة القرآن ونحن الناطقون بها وأن لا نكون معاندين لله (تبارك وتعالى) فى سننه التى سنها لكائناته ، وسنن الاسلام التى سنها الاسلام لأهله .

نحن الآن فى مقدمة الطريق فاولادنا الذين يولدون فى احضاننا سيكون فى الغـد القريب ؟ اى بعـد عشرين سـنة ؟ اما أذلاء مستعبدين لليهود والاستعمار بشر مما رأيناه بأعيننا فى مصر أيام كرومر وكتشنر وفى الشـام أيام غورو ومن جاء بعده ؟ واما أن يكونوا أعزة يعمـلون بأخلاق الاسلام ويستميتون بثقافة العلوم ودلالة الأنظمة » .

وكان العدد الاخير من الفتح (ذى الحجة ١٣٦٧ — الموافق ١٩٤٨) وهى نفس ختام هذه المرحلة من تاريخ الصحافة الاسلامية بالنسبة لمجـلة الأزهر وصحف الاخوان فقـد كان عام ١٩٤٨ عاما حاسما حيث سقطت فلسطين فى أيدى الصهيونية وفى مصر حلت جماعة الاخوان وتوقف العمل الاسلامى فترة من الزمن نقف عندها ثم نواصل المرحلة الثانية من تاريخ الصحافة ونبداها بمجـلة الأزهر فى مرحلتها الثانيـة ، وصحف الاخوان الجديدة والصحف الاسـلامية الصـادرة فى مكة والكويت ودمشق وبيروت وابو ظبى وقطر باذن الله .

الفصل الثانى

الدعـــوة الاســـــلامية

((منهـــج الفتح))والايدلوجية الاسلامية عند ((صاحب الفتح))

نشأت الفتح فى خضـــم الأحداث وفى قلب التحديات التى كانت بدأت تغزو الفكر الاسلامى وتؤثر على الاحداث وتكشف عن الأخطار التى تتعرض لها الأمة الاســـلامية ، وكان الســـيد محب الدين الخطيب ابن الاســـــلام والعروبة الذى عايش مؤامرات الاحتلال الغربى وتقسيم العالم الاسلامى ووقوع الخلاف بين العرب والأتراك ، وتمزق الدولة العثمانية وانفصـــال العرب ليحتويهم النفوذ الغربى فتتقاسـمهم فرنسا وانجلترا ، ويشـــترك فى الحركة العربية فى سوريا ثم عندما تسقط سوريا فى يد الاستعمار الفرنسى يخرج مهاجرا الى مصر ليعمل فى ميدان اليقظة عن طريق بعث التراث والكتابة والصحيفة وانشاء الجمعيات ، ايمانا منه بأن هذا هو الطريق الصحيح لبناء مستقبل الدعوة الاســـلامية فأنشأ المكتبة السلفية وبدأ فى احيـــاء التراث الاسلامى على خطا السيد رشيد رضا الذى كان قد قطع شوطا طويلا فى هذا وكان له من صداقاته ما حقق له الكثير وما وسع دائرة عمله ، كان معه أحمد تيمور باشا والشيخ الخضر حسين وكثيرون وكان ذلك مقدمة لانشاء الفتح بعد تلك الضربة القوية التى تلقاها المسلمون باســـقاط اتاتورك للخلافة وبروز طابع العلمانية فى تركيا وتأثر المفكرين العلمانيين فى مصر به ، وبروز عملية التبشير الغربى فى الأوساط المسلمة ، هنالك أذن الله تبارك وتعالى بظهور مجلة الفتح لتواجه هذه الأخطار ومن ثم كان كتابات السيد محب الدين الخطيب وخاصة افتتاحيات مجلته التى استمرت أكثر من عشرين عاما تناضـــل بقوة وبدون معاونات مالية حقيقية (من اعلانات أو موارد صحفية) وكان يعتمد على موارد المطبعة السلفية فى نشر الفتح وتحمل نفقاته جزاه الله خيرا وقد أعلن من اليوم الأول أن هدف الفتح هو : الكشف عن جوهر الاسلام :

الكشف عن أن الاسلام دين اجتماعى صالح لكل زمان ومكان وعن ان مدنية العرب اكبر مدنية .

واعلن عن أهـداف الفتح التى مضى يركز عليها ويثبتها ويوسعها ويعمقها خلال حياة الفتح دون أن يخرج عليها وهى :

١ — أصلاح المدارس والقضاء على الصحافة الفاسدة

اذا أعطى الزمان فى الاصلاح فيجب أن تبدأ تربية أولادنا وتحرر نفوسهم ، ان طريقة التعليم التى يسير عليها شبابنا لم تروعهم عن صرف مداركهم وذكائهم وجميع قواعدهم الفكرية من أن يتجهوا للشهوات عن طريق القوة السيئة ، يجب أن نبدأ أنا وأنت باصلاح منازلنا وتنشئة صغارنا على تقوى الله واحترام الفضيلة والتحلى بالشهامة ومما يؤسف له كثيرا ان طائفة من الناس ومنهم فريق من العلماء والأعيان يضعون أولادهم وبناتهم فى مدارس الفرير والجزويت والراهبات .

ويتحدث عن ثلاثة فروع للاصلاح : اصلاح منازلنا ، واصلاح مدارسنا ، واصلاح صحافتنا .

ويقول أن الصحف المصورة التى تحض على الفجور وتهون أمر الأعراض وتملأ رءوس القراء والقارئات بحكايات الشقق كانه أمر عادى ، وكأنما هو الأصل وما عداه شىء غريب .

هذا الجانب الاجتماعى كان شغل السيد محب الدين الشاغل ، فهو يدعو الى مقاومة تيار التحلل من قيود الشرائع والسير فى غير الطريق الذى يدل عليه الاسلام بوجه عام ، ويعترض على دعوة المرأة الى السفور وموسم حمامات البحر والعرى على الشاطىء ، هذا التيار المندفع الذى تؤيده السينما وتشجعه الصحافة ، هذا التيار الذى استشرى من بعد حتى وصل قمته ١٩٤٣ حيث يقول : فى الأمة شخصيات محترمة من جميع الناس ولكلامها وقع فى قلوبهم ، لا شك فى ذلك ابدا فهل وقف احد ممن لهم هذه المكانة فى الأمة وصار فيها داعيا الى وضع حد لهذا الفحش الذى نشا فى أمة لا يمكن أن يكافئها الله عليه بالاستقلال » .

ويركز السيد محب الدين الخطيب على الاسلام بوصفه **الدين الاجتماعى** ، يقول :

« هو الدين الاجتماعى الوحيد الذى يصح أن يوصف بهذه الصفة

وحسبنا ان نعلم ان الاسلام جاء للدين والدنيا معا وحسبنا أن نذكر ان نظام الزكاة خاص بالاسلام ، اما الديانات الأخرى فليس فيها غير الحض على الصدقات والاسلام يشاركها فى هذا ويزيد عليها من اسباب الحض على الخير بما لا مثل له فيها : هذا الدين الاجتماعى حتى هان على أهله فجنوا بذلك على انفسهم وصاروا فى بلادهم عالة على غيرهم فمرضاهم فى مستشفيات المبشرين بالنصرانية وأطفالهم فى مدارس المبشرين بالنصرانية وما يقوله أعداءهم فيهم هو الذى يذيع فى الدنيا خطأ ، فيقراه المسلمون من أبناء الاقطار الأخرى وينطلى عليهم ويحسبونه حقا وصدقا ، وذلك لأن المسلمين نسوا روح الاجتماع الذى جاء بها دينهم فعاشوا أفرادا متقادلمين وجاء المرض من اهمال أهل الراى فينا بتنظيم حياتنا الاجتماعية وجعلها ملائمة لديننا من جهة ولمصلحتنا الملية من جهة اخرى : « العيب فى القيادة » اى فى الذين بيدهم القيادةالفكرية أولا والقيادة المالية ثانيا .

٢ — وفى المجلد الرابع من الفتح يستعرض السيد محب الدين الخطيب احوال المسلمين تحت عنوان « الأمة اليتيمة » فيقول : الحق ان المسلمين فى جميع انحاء العالم فى حالة محزنة من جهة مقوماتهم الاجتماعية والملية ، فالسرى النبيل فى بلاد المغرب الأقصى يريد أن ينشىء أولاده تنشأة اسلامية عربية راقية تتمشى مع روح العصر ليأخذوا بأيديهم الى أوج القوة فلا يجد فى بلاده ولا فى البلاد الاسلامية مدرسة يبعث بأولاده اليها فهو بين احدى قضيتين : اما ان يخسر أبناؤه اسلامهم وعروبتهم ويكونوا كما يريد الاستعمار أن يكونوا واما ان يظلوا على خمولهم جاهلين روح العصر وأسباب القوة وكلا المصيبتين شر من اختها . وقد تعود المسلمون أن يعتمدوا على حكوماتهم فى جميع شئونهم العامة ، وحكوماتهم فى المائة سنة الماضية لا يعنيهم ما يعنى حاخامات اليهود ونظريات المذاهب المسيحية ، فهل المسلمون عاجزون عن أن يكون لهم معاهد علمية تجمع بين الحسنيين .

الأمة اليتيمة هى الأمة الاسلامية : التى امتاز دينها بانه دين توحيد وسعى وتضامن ، دين العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، هذه الأمة صارت الآن محرومة من اهمأسباب الحياة والبقاء وعالة حتى اوطانها على الاغيار والنزلاء والضيوف « (١٩٣٠) » .

٣ — ويصل من هذا الى أن الدعوة الاسلامية يجب أن تكون لهـا خطة عمل .

يقول م ٥ (١٩٣١) خطة ندعو بنى ملتنا الى اتباعها . أساس هذه الخطة ركنان اثنان :

أولا : تعيين طريق واضحة فى الثقافة اللازمة للمسـلمين حتى تكون الاجيـال الآتية تكوينا صـالحا للانتصـار فى معارك الشرق والغرب التى ستنشب فى المستقبل .

ثانيا : عدم تمكين الغرب من أن ينمى قوته على حسـابنا وأن يزيد موقعه رسوخا فى أوطاننا عن رضى منا واختيار .

ويقول ان الثقافة اللازمة للمسلمين هى التى تجمع بالناشئة الاسلامية بين التخصص فى العلوم الكونية والتمسك بهداية الاسلام ، ومعرفة المفاخر القومية والمحافظة على الامجاد الملية ، ومتى نشأ الناشىء حريصا على دينه شديد الحب لقومه كان ذلك ضمانة كافة لاستعمال معارفه الكونية مما يدفع عن الاسلام صولة المهاجمين وعن الشرق جشع المستعمرين .

٤ — ويصـل السـيد محب الدين الخطيب من هذا الى أن الدعـوة الاسلامية محتاجة فى الوقت الحاضر الى اربعة امور (١٩٣٣ م ٨) .

الأول : ان تكون لها جمعية ترسم سياسة الدعوة وتدرأ عنها العدوان والشرور .

الثانى : ان يكون هناك مصنع يقدم للاسـلام دعاة فنيين يقفون حياتهم على الدعوة (والأزهر وان كان يخرج علماء فى دين الاسلام) لكن صناعة الدعوة أصبحت فى هذا العصر ذات أساليب لا يكفى لها العلم الاسـلامى العـام .

الثالث : الملاجىء والمستشفيات .

الرابع : ايجاد مناعة فى أبناء المسلمين ولا يكون ذلك الا بحمل جميع مدارسنا على جعل الثقافة الاسلامية أساس التعليم والتربية .

ويقول : دعاة النصرانية من رجال السياسة ورجال الحـرب مضى عليهم الآن مائة سنة وهم عاملون على انتهاز غفلتنا وانشاء ملاجئهم فى بيوتنا

وتسديد ســـــلاحهم الى حبات قلوبنا وضرب نطاق الحصار علينا من كل جانب حتى لا يفلت من أيديهم من لا يستطيعون انشاء النصرانية فى روحــه يكتفون بهدم الاسلام فى روحه . لقد طمع فينا دعاة النصرانية لأنهم كانوا فيما مضى يجهلون بعض دخائلنا ويتصورون أن للأزهر خطة مرســومة فى خطة الاسلام ، تحت تأثير هذا التخيل صرح الأســتاذ فمبرى المجرى من بودابست متسترا بلباس درويش مسلم يتكلم اللغة التركية وقطع مغـاور آسيا الى أعماق التركستان ليكتشف دخيلة أمر المســلمين ويطلع على ما يكتمونه من طرق التعاون وتحت تأثير هذا التخيل ، لبس العلامة هرنجرونجه الهولندى المرقعة وجاور فى الحرم المكى دهرا طويلا منتحلا صفة طالب علم مسلم ليقف على ما لابد أن يكون المسلمون قد رسموه من خطة لخدمة دينهم فلما عرفونا كما نحن وسعوا نطاق العمل بعد الحرب على أمل أن يستولوا حتى على أولاد الأمراء والوجهاء وشيوخ الدين » .

٥ — ويواصل السيد محب الدين الخطيب منهجه لا يتوقف ففى م ٨ (١٩٣٤ — ١٣٥٢) يتحدث عن « **تنظيم الدعوة الاسلامية** » فيقول :

أدعو أهل القبلة أن يخففوا من حماســـتهم المذهبية والطائفية وأن تستشـــعر كل طائفة من طوائف أهل القبلة المحبة الأخوية التى يطلبها كل مسلم لاخوانه المسلمين وان خالفوه فى غير الأركان التى يقوم عليها الاسلام، فالسنى والشيعى والزيدى والأباضى يجب أن يتجنب كل فريق منهم اليـوم العصبية الجاهلية التى تنافى أخوة الاسلام ، ولا فائدة لها فى تقرير الحقائق العلمية ، والاسلام الذى سن للمســلمين الدعوة الى ســبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ينكر على كل طائفة من طوائفه الانتصار لما انفردت به من أمور بأساليب تدعو الى سوء التفاهم وتفتح للشقاق أبوابا يدخل منهــا الأجنبى عليها بمصالحه ومادينه فالأمور التى يشترك فى الاعتقاد منها السنى والشيعى والزيدى والأباضى هى الأمور التى تسمى بها الاســلام اساسا ولا يتم الاســلام الا بها . والعالم الاســلامى بحاجة الى تنظيم صفوفه وتسويتها والنفوس الآن أصبحت مستعدة لهذا الأمر وفى بيوت المســلمين الوف والوف من الناس ترقب قادة الدين وتحصى عليهم أنفاســـهم وتعد العصبية للمذهب وللطائفة جريمة لا تغتفر ، فالعصبية والانتصار للطائفة

يجب أن يتحولا بعد اليوم الى الجامعة الشاملة .»

٦ — ويتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد الخامس الى الشباب المسلم : فيقول :

أول واجبات الشباب أن يعرف حقه العام وان يؤمن به وأن يتخذ منه زجاجتين يضعهما أمام عينيه فلا ينظر فى الدنيا الا بهما . اذا آمنت بحقك العام انتفى الناس من قلبك . الواجب نحو الوطن الأكبر ، يجب أن يكون بنو وطنك وقومك وبنو ملتك أغنياء ليستغنوا بذلك عن الأجانب فاحرص على أن لا يدخل فى جوفك شىء أجنبى ، واحرص على ألا تلبس على جسمك شيئا أجنبيا الا اذا كان لا غنى لك عنه فقط . يجب أن يكون وطنك وقومك وبنو ملتك أحب الجامعات اليك فلا تدع لأعداء وطنك وأمتك ودينك اى مجال لانتقاص كرامة هذه الجامعات المقدسة او الحط من منزلتها او الطعن فى شىء منها وكل الكتب والصحف التى تهين جامعتك الوطنية والقومية والدينية وتمس بكرامتها انما هى كتب سوء وصحف سوء ، يجب عليك دفع شرها ونقض أباطيلها .

ان المهمة التى تنتظر منا العربية والاسلام أن نقوم بها يمكننا أن يقوم كل واحد منا بجانب منها من نفس عمله الذى يتولاه مهما كان نوعه ، ان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه . كان اهم قرار الغرب : هو قطع الأواصر بين اهل المشرق دعوة الى التخلى عن هذه الروابط واحياء عصبيات صغيرة كان الاسلام قد أماتها لتحى بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها .

ويتحدث فى الدعوة الى الوحدة العربية بمفهوم اسلامى أصيل (م ٧ — ١٩٧٧) . فهى جزء من الوحدة العربية الاسلامية ، وهى مواجهة لحملات الاستعمار لتمزيق العرب الى اقليات ودحض دعواهم أن ليس العرب أمة واحدة ترتبط برابطة اللغة والثقافة والمطمح المشترك ، بل هى مجموعة أمم هى أشرف من أمة الغرب وأرقى سلفا وسابقة وان المصرى ليس عربيا ولكنه سليل الفراعنة والعراقى ليس عربيا ولكنه سليل

الاشوريين والكلدانيين والسورى ليس عربيا ولكنه سليل الأرمن واللبنانى ليس عربيا وانما هو سليل الفينقيين ودليل الصليبيين ،

يقول يجب على الناطقين بالضاد من حدود فارس الى رباط الفتح فى اقصى المغرب ان يؤمنوا بأن القومية العربية متكونة منهم ومن سكان جزيرة العرب وأن يعلموا أن لغة القرآن جعلتهم خلفاء على الأمانة التى يحملهـا المبشرون بالقرآن .

ويولى السيد محب الدين الخطيب اهتماما واسعا بالاحتفال الضخم الذى أقيم احتفالا بذكرى حطين واجتمع به رجالات العرب وقادتها المخلصون وقال انهم ما اجتمعوا فى هذا اليوم الا ليبرهنوا للغربيين أنهم ابنـاء أولئك الأبطال الفاتحين الذين نشروا لواء العدل والحرية فى مشـارق الأرض ومغاربها ، وليثبتوا لهم أن دمهم العربى الذى يجرى فى عروقهم هو دم طاهر شريف لابد أن يتفجر يوما فيعيد سالف مجده وتالد عزه وان الأمة العربية الشريفة مهما أصابها من كبوة فلابد لها ان شاء الله من أوبة .

ثانيـا : مهمـة الفتـح

وقد تناول السيد محب الدين الخطيب مهمة الفتح وتحدث عن متاعب العمل الصحفى الاسلامى :

قال : لقد طبعنا فى السنة الأولى للفتح سـنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦) سبعمائة نسخة ،

قال له شريكه : ان مجلة أخرى تطبع عشرة آلاف وتبـاع بسرعة ، ألا ترى طريقة تجعل الفتح مقبولة عند الناس فتروج رواج الأخرى .

قلت : ان أسلوب التعليم الذى تلقيته يعيننى على انفاق التحـرير بالطريقة التى تراها فى المجلة الأخرى اكثر مما يعيننى على اصدار صحيفة الفتح ، ولكن أمتنا متخوفة بهذا النوع من الصحف بينما هى فى اشد الحاجة الى صحيفة تنظر الى الأمور من الوجهة الاسلامية المحضة غير متأثرة باى مؤثر سياسى أو حزبى ، ولا باى غرض من اغراض ذوى الأغراض ، وانا لا انكر أن الجمهور مندفع فى تيار يفضل معه ما يثيره على ما ينفعه ولـكن فى العالم الاسلامى عددا كبيرا من القراء الشاعرين بالحاجة الى مثل (الفتح)

وانا متأكد ان مع العسر يسرا ، وان مع الصبر سيكون للفتح قراء لا يقل عددهم من قراء المجـــلة الاخرى ، وانقضى على ذلك خمس أعوام ونحن صابرون حتى اتسع والله الحمد والمنة نطاق انتشار الفتح وسار ذكره وصار يطبع منه بضعة الوف وكلما اتسع انتشاره فى قطر اسلامى تحكمـــه دولة مسيحية طورد من ذلك القطر وخسر ما ماله هنالك من مشتركين (السودان المغرب الأقصى ، الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب ، سومطرة) .. ان مطاردة الفتح فى مختلف الاقطار لم تنل من صبرنا منالا لأن هذا هو الشيء الذى كنا قد وطنا النفس عليه من أول الأمر ولكن الذين نالوا من صبرنا هم اناس أقرب الينا من الحكومات الأجنبية وهو العدد الأكبر من مشـــتركى الفتح . ذلك أن الصحف الاخرى تعيش فى الأكثر من الاعلان عن الخمـــر والدخان وبضائع الترف التى تستنفذ أموال الأمة فى بالوعة شـــيكوريل وبون مارشيه ، ومن مســـاعدة احزاب مخصوصة وجهات مخصوصة ، ثم يكون كل ما يدخل عليها بعد ذلك من المشتركين زائدا من قدر حاجتهـــا

أما امثال الفتح من الصحف فلا حياة لها من قراء آلوا أن يتفقوا معها فى وجه تيار الغلالةحتى يثبتوا وجودهم ويكون منهم ســـدا أمام هذا التيار منيع . ان هذا التيار يجرف فى طريقه حرمة الدين والفضائل ، وينـــكر على التاريخ مناقب الاسلام وأهله ، وقد بلغت موجاته بيوتنا وخاض فيها أبناؤنا فلابد لصده من جريدة ولابد للجريدة من قراء : بهذا الحس اصدرت الفتح وبهذا الحس كنت أنفق على الفتح صابرا وبالرغم مما تلقى الفتح من مطاردة حقيقية ، صار للفتح قراء كثيرون ، وقد حســـبنا مجموع ما دخل صندوق الفتح فى سنته الخامسة ومجموع ما أنفق عليها ، أننا انفقنا من مال المطبعة السلفية ومكتبتها على سنة الفتح الخامسة مائتى جنيه سترا لعجز مصاريف الفتح مع اعتبار ان تحرير الفتح من أوله الى آخره نقوم به مجانا ، ان التيار الذى نحاول مع قرائنا ان نقف فى وجهه لو كتب له الفوز فى المشرق العربى كما فاز فى تركيا مثلا فان ذلك يؤذى جمهور المســـلمين فى دينهم فقط ، أما علماء الشريعة والقانون بالوظائف الدينية فان الأذى ينالهم من دنيـــاهم ودينهم معا .. (٢٢ ربيع الاول ١٣٥٠) السنة ٦ الفتح .

ولكى تكتمل هذه الصورة لابد من حصر كل ما يتعلق بهموم اصـــدار

الفتح : وفى المجلد السادس يتحدث السيد محب الدين الخطيب عن : « ان الذين يريدون مشـــــل هذه الصحيفة اكثر يقظة لها من اصـــدقائها الذين يريدون لأغراضها النجاح » .

ثم يتحدث عن انخفاض الاشتراكات ، ويقظة الحكومات الاستعمارية لهذه الصحيفة ، وقطعها عنها موارد الحياة فهى اقطار عديدة منع الفتـــح من دخولها ولا يزال ممنوعا ، فحكومة هولندا مثلا منعت الفتح من دخـــول جميع اقطار اندونيسيا (٥٠ مليونا اكثرهم من المسلمين ومن مهاجرة العرب ٣٠٠ الف نسمة) ان الجرائد الأخرى تعيش من الاعلانات أو اعانة الدعايات أو من اعلانات بضائع الافرنج وفى مقدمتها الخمور والمراهنات والكماليـــات التى نحن نحض الناس عن الاستغناء عنها .

وتحدث صاحب الفتح عن توزيع الفتح فى السودان وكيف منعت من دخول المغرب الاقصى ، وكانت أوسع انتشارا واكبر تاثيرا من الصـــحف العربية المحلية فى المغرب ثم منع بيعها فى الجزائر وفى تونس وبطبيعة الحال صارت لا تدخل بلاد طرابلس ، ومقاطعات كبيرة فى جزائر الهند الشرقيـــة تالمت اعصاب حكامها مما نشر فى الفتح خاصا بتلك الديار وقد بدات الفتح (فى ٢٩ ذى القعدة ١٣٤٤ — ١٠ يونيه ١٩٢٦) .

صاحبها محب الدين الخطيب ورئيس التحرير عبد الباقى سرور نعيم الذى ظل يشرف عليها عاما كاملا قبل أن يرحـــــل وكان من نوابغ الكتاب الاسلاميين ، وقد كتب فى الفتح محمد الخضر حسين ، محمود محمد شاكر ، محمد حامد الفقى ،

وقد اولى السيد محب الدين للتراث اهتماما كبيرا ، فقد نشأت الفتح فى أحضان المطبعة السلفية والمكتبة الســـلفية ، وقد جاءت الفتح فى الوقت الذى اشتدت فيه حركة التبشير ، واشارت الى ذلك الأجنبى الذى دس نفسه بين الحجاج المسلمين ومعه نسخ الانجيل ، واخذ فى توزيع كتب التبشـــير عليهم ، واشار الى مصر القديمة وطائفة المبشرين التابعين لجمعية التبشير الانجليزية ، ومن كتب التراث الذى أحياها :

ثلاث رسائل للجاحظ : فى الرد على النصارى وفى أخلاق الكتاب وفى القيـــان .

علل الحديث : ابى محمد عبد الرحمن الرازى .

سيرة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم

ويكشف السيد محب الدين مخططه فى العمل الصحفى الاسلامى كأحد رواده ، بعد رشيد رضا الذى كان مجلته المنار شهرية وتكاد تكون قاصرة على ابحاثه — وان نشرت أبحاثا أخرى كثيرة على فترات — أما مجـــلة الفتح فهى اسبوعية أولا ومنهجها فتح الطريق امام شباب كتاب المسلمين ، ولذلك فقد كان لها خطة واضحة فى عقل مؤسسها :

يقول : كان مسلكنا فى الفتح منذ البداية ان ننبه المسلمين الى أعدائهم وأن ندلهم على النشرات والمؤلفات التى ينطوى أصحابها على غل وبغضاء للهداية الاسلامية فاذا قامت الحجة على ذلك وعرف الناس عدوهم : وعدو العقل والهدى نعد أن مهمتنا من هذه الناحية قد انتهت ونلتفت الى غيرها ، وكان هذا دأبنا فى أمر مجلة السياسة الأسبوعية فاننا ما نزلنا بين قرائنا الى ما تنشره من مفتريات وأكاذيب حتى امتنعوا بذلك حتى صار أهل الايمان من باعة الصحف فى مختلف الاقطار الاسلامية يرفضــون الاتجار بها وينزهون بطونهم من مال الســـحت الذى يأتى من طريقها (ويقول لمراســـل من سنغافوره) الدواء الشافى هو ان يعمل مســـلموا بلادكم على الا تدخـــل السياسة الأسبوعية منزلا وان لا تحملها يد .

وبعد أن بلغت الفتح ثلاثة عشر عاما تحدث صاحب الفتح عن تشييد دار الفتح ومطبعتها وكان قد صدر أول عدد منها ١٣٤٤ (وصدر أول كتاب من مطبعتها ١٣٤١ وقد تأسست مكتبتها ١٣٢٧ يقول : كنت حريصا على أن ارد ما يدخل فى يدى من مال على تحسين هذه الصحيفة ونشر ما أستطيعه من مؤلفات أقاوم بها تيار الأدب الفاسق والمطبوعات الضارة وقد يسر الله — تبارك وتعالى — شراء ارض فى روضة المنيل وراء المقياس من وقف السيد محمد ابى الأنوار السادات رحمه الله) .

ويقول : نحن نكتب فى الفتح ليحاسبنا الله وحده على ما نكتب ، وبهذا نالت هذه الصحيفة الصغيرة اعتبارا عند من يحبها ومن يشنؤها . وقــد تحسدها عليه كبريات الصحف ، ونحن لا ندعى العصمة فما نذهب اليه من

راى فى اى حادث ولكننا نتحرى الصواب والخير وغايتها : اهتمام وافر بكل قضايا العالم الاسلامى والعربى بالذات .

● قضايا الجزيرة العربية فيما بين اليمن والسعودية .

● قضايا تونس والجزائر والمغرب وطرابلس الغرب .

● الجمعيات الاسلامية فى الشام (سوريا وفلسطين) والعراق : شباب محمد والشبان المسلمين والاخوان .

● قضية فلسطين .

● قضايا البهائية والقاديانية وغيرها .

● قضايا مسلمى اندونيسيا والصين وباكستان والهند (ومن كل هذه المناطق كتاب يكتبون) .

● الشعر الاسلامى .

● كتاب مصريون وعرب فى البلاد الغربية : عمر الدسوقى ، احمد عبد السلام بلافريج ، عمر الامرى .

● التربية والتعليم .

● الشريعة الاسلامية .

فهى صحيفة سياسية اسلامية وصحيفة دعوة مع توجيه كل خدمة المركز العام للشبان المسلمين عن مختلف القضايا السياسية والاسلامية .

وفى كل عام من أعوام الفتح قضايا تتجدد وخواطر جديدة :

الفتح (م ١٩٣٥/١٠)

العالم المسلم الذى نعيش بعيدا عن حركة الجهاد لايقاظ المسلمين وتحريرهم وتحقيق وطأة الاستعمار وسلطانه عن رقابهم مكتفيا باشتغاله بمسائل الحيض والنفاس واقتعاد حلقات الذكر وتلقين الأدوار وتخدير اعصاب الأمة بما يحول بينها وبين القوة والثروة والنهضة والتقدم من أسباب لبواعث الضعف والاستكانة .. ان العالم الذى هذا شأنه هو من أعوان الاستعمار فى التدمير والتكفير لابد من يرى الحريق ولا يبادر لاطفائه مع

القدرة على ذلك يعد شريكا لمرتكب خيانة الحريق . فمن أراد أن يقـــوم للمسلمين بواجب دينى فعليه أن ينتشــــلهم مما هم فيه ، وأن ينبههم الى أسباب ضعفهم ، وان يأخذ بأيديهم الى طريق القوة والاســـتقامة والنهضة والرجولة . فلتكن لنا أساليب ندفع بها الأمة الى ما يدفعها عنـــه أعداؤها وكلما كثر الأئمة الموجهون الى هذه الوجهة تقربت الأمة بهدايتهم الى ربهـــا وخففت عنها من سخطه وتأهلت للسيادة والســــــعادة وكانت من عباده الصالحين .

ويتحدث عن الوجهة الصحيحة للأمة : ان الأمة فى بدء نهوضها تضطر الى تقليد الاقوياء فى مناهجهم وخططهم وانظمتهم وقد يتمسك فى هذا النقـــل بكثير من الظواهر فيشغلها ذلك من النظر فى كثير من الحقائق ولـــكن لهذه الحالة دورا تنقضى ثم تنتقل الأمة منه الى النظر فى حالها لتطبيق تلك الأنظمة عليها أو تعديلها بحســـــبه فندخل فى دور آخر هو دور التحرير التشريعى الذى نبتعد عن الغرباء عنها ونتقرب من الذين هم منهم وهم منها ثم تعاون بين مصر وشقيقاتها العربيات .

انتقال مصر من دور الاتجاه نحو الغرب الى الاتجاه نحو نفسها ونحو شقيقاتها فى الشرق ، أو بالتعبير الأصح من دور التقليد للغـــرب الى دور الرجوع الى مجرى تاريخ مصر الثقافى الذى تشترك فيه مع أقطار الشرق العربى ، ان ظواهر انتقـــال مصر من ذلك الدور الى هذا الدور قد بعثت آثارها فى اقتناع الأمة قبل أن يبدو فى اقتناع الحكومة والصحافة المصرية تحت تأثير ميل الأمة واقتناعها ـــ صـــارت تعنى بأخبـــار الشرق العربى وتخصص الصفحات الواسعة .

ويركز الســـيد محب الدين الخطيب على اتجـــاه الثقـــافة المصرية نحو الشرق : فيقول : يعقد لمصر لواء الامامة على أقطار الشرق العربى فى سير قافلة الثقافة الى الأمام ويكون للقومية العربية قدم صدق فى الحضارة الانسانية العامة ،

ويتحدث عن دعوة (محمد على علوبة) وزير المعـــارف اذ ذاك الى تدريس تاريخ الاسلام فى المدارس الأولية والابتدائية والثانوية تدريسا يمزج

بأرواح شباب مصر حس الاحترام والتقدير والاجلال للعبقرية والبطـــولة والعظمة التى كانت لسلف هذه الأمة (م ١٠ فى ٨٣٢) كما آزر الدعوة الى توحيد مناهج التعليم فى الشرق العربى .

ويركز على هذه الوحدة العربية الأصيلة التى حمل لواءها الأبرار من الدعاة حين بدأت أزمة فلسطين فيتحدث عن ذلك : (م ١٢/١٩٣٨) .

وطن واحد ، أمة واحدة ، لغة واحدة .

ألفت انظار بنى قومى من الناطقين بالضاد وفى كل قطر وتحت كل نجم سواء منهم المنتشرون غرب روسيا أوفى شـــمال افريقيا ، ان الايمان سر التوحيد وروحه ، وان التوحيد ثمرة الايمان وغايته ، فاذا كنت انت غــير مؤمن بحقك فلا تلم الطامع اذا اخذ ما لم يعترف لك به واذا كنت انت غير جاد فى حفظ هذا الحق وهو فى يدك ولا فى انتزاعه من يد مغتصبه اذا كان قد خرج من يدك فلا تلم مغتصبه من حرمانك منه والجد فى حفظ التراث الموجود ، واســترداد الحق المفقود وليد الايمان بوجــوب حفظه موجودا واسترداده مفقودا وكلما تضافر ايمان المؤمنين بالحق واتخذوا فى تحقيــق امنية التوحيد كانت من ذلك القوة الرهيبة التى لا تقف فى سبيلها قوة .

وفى عام ١٩٣٨ وهى أثر سنوات الجهاد وفى فلسطين نرى اهتمــام الفتح واضحا .

يقول : « الخطأ الذى يقع فيه الاقوياء الظافرون يرجع الى اعتقادهم ان فى امكانهم أن يحولوا بين المغلوبين او المحكومين لهم وبين ان يصــيروا اقوياء فى المستقبل القريب او البعيد فهم لا يحســبون لهذا الأمر حســابا ويبنون النتائج على ان القوى سيظل قويا وان الضعيف سيظل ضعيفا أبد الدهر ، ولكن قوة الاقوياء وضــعف الضــعفاء امراض متقابلة يصرفها الله بارادته وتقديره ، كما يصرف سائر خلقه ، والقوى العاقل هو الذى يحسب حسابا لانقلاب الضعيف قويا وانقلاب القوى ضعيفا ، والتصرف بمصــير الأمم تجربة يجرب الله بها الاقوياء فاذا تصرفوا بالعدل والحكمة كان ذلك وقاية لهم من سوء العواقب ، ترى هل يعتبر الانجليز بهذا الموقف فيعدلوا فى فلسطين عن احدى الغلطات التى تورطوا فيها بعد الحـــرب العظمى ،

وهل يعتبر الايطاليون فى طرابلس الغرب والفرنسيون فى تونس والجزائر والمغرب الأقصى فيعدلوا عن اضطهاد القومية العربية والملة الاسلامية واستفزازها للدفاع عن حياتها » ..

ولا يتوقف السيد محب الدين الخطيب فى دعوة الأمة الاسلامية الى القوة بالأخلاق والعلم والثروة والمال وبالصناعة والتجارة ، بالنظام والاقتصاد والتخصص ، ليستغنى أبناء ملتكم عن الأغيار فتكونوا بذلك قوة للملة بالنظام والاقتصاد والتخصص وهى المزايا التى قامت بها حضارة الغرب ، ان أمة قليلة العدد تستطيع ان تستولى فى أمة أخرى كثيرة العدد لأن الأولى امتازت بالنظام على الأمة المستعبدة ، كونوا أقوياء بالاتحاد ولنذكر انه عضو فى جسم الملة وان يقوى بها وتقوى به »

ويواصل السيد محب الدين الخطيب رسالته. ففى العام الخامس عشر من الفتح العدد ٧٠١ — ربيع الأول ١٣٥٩ يتحدث عن مهمته ودوره فيقول : اعترف بانى اعارض التيار منذ أربعة عشر عاما واقف فى طريقه ، رأيت واجبا من واجبات الكفاية انصرف عنه الناس فقمت بما يستطيعه مثلى يوم لم يكن فى الميدان صحيفة واحدة تتصدى له وثابرت عليه حتى بعد أن تهافت المتزاحمون على هذا المورد ظانين أن فيه تجارة رائجة فلما علموا ان سبيلنا الى غايتنا لا يرافق اللجة لنجتازها ازوروا عنه الى غرضين :

(١) مخاطبة أفراد العامة بما يميلون الى معرفته من أحكام وعوائد

(٢) التقرب الى أصحاب الكرسى من سدنة الدين والدنيا مدة وجودهم فيها.

كان فى استطاعتنا أن نسلك هذا السبيل الذى أثرى فيه الأميون ولكن كان الهدف الذى نرمى اليه غير ذلك ، كان فى استطاعتنا ان نسلك سبيل الصحف الأخرى التى تتجر بالثقافة والأدب وتتنازع ثمراتها المادية وتسير بالرأى العام الى ما يجمع بين المتعة والفائدة تارة والى ما يشاب دسمه بسم تارة أخرى ، ولو أننا ارتضينا للفتح هذا السبيل لأقبل عليه القارئون بعشرات الألوف ، ولكنا لم نفعل لأنه كان لنا غرض ان خفى على الناس قبل أربع عشر عاما فان الأربع عشر عاما كافية لأن يستبينوه ، : ان هناك دائرة اسمها الاسلام ، وأنا مستعد الان اتوسع بمقدار ما تتسع له

هذه الدعوة ، فاتبل الحقائق كلها كما هى وارحب بها واستقبل اسـباب العلم والحضارة والنهضة والعمران بكل ما يستحقه من تشجيع وميول ، وانى على بينة من طريقى وسيتبينه الناس مع الزمن » .

ويتحدث عن الاقلال من صفحات الفتح نتيجـة غلاء الورق مائتين فى المائة بعد اعلان الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ، ولو كان العدد الأعظم من مشتركينا يسعف الفتح بقيمة الاشتراك فى اوقاتها لكان ذلك اسرع فى بلوغ ما تتمناه من النهوض » ذلك ان الصـحف ذات المبدأ والغاية المعنية تهم قراءها بمقدار ما تهم ناشريها ، يقول : « كم من صحيفة عربية او اسلامية صدرت ثم احتجبت فى مصر وفى غير مصر منـذ صدور الفتح الى الآن ، اما صحيفتنا فلاصرار صاحبها الى حد العناد اسـتحقت مكافاة الله عز وجل باستمرارها هذه المدة بلا انقطاع .

ويولى الفتح اهتمامها الى : بناء الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

اعادة التشريع الاسلامى الى الحياة

فما ان يدعو اسماعيل صدقى عام ١٩٣١ الى توحيد القضاء فى مصر بادماج القضاء الشرعى فى القضاء الأهلى ؛ حتى ينبرى له السيد محب الدين الخطيب فيقول : « (م ١٥) القضاء الشرعى نوع ثالث من أنواع القضـاء وهى المدنى والجنائى والتجـارى لا يكون الا اذا أراد المشرع المصرى ان يجعل التوحيد قائما على توحيد المصدر الذى يسـتمد منـه التشريع وهو الفقه الاسلامى الينبوع القومى والمصـدر التاريخى للتشريع فى مصر مدة بضعة عشر قرنا وان مصر لم تعـدل عنـه الى التشريع الأجنبى الا بتأثير أجنبى منذ نصف قرن فقط . ان الأمم المسيحية فى أوربا لم تأخذ تشريعها من الفقه المسيحى لأن المسيحية ليست دين حكم ، ولذلك لم يكن للمسيحية فقه يصلح للقضاء ، اما الأمم الاسلامية فكانت ولا تزال تستمد تشريعها من الفقه الاسلامى لأن الاسلام دين حكم ومن ثم كان للاسلام فقه فلأطبـاق الأرض تأصيلا وتفريعا ، ولا يوجد فى تاريخ العقل الانسانى معنى من معانى العدل الا وقد نص على الفقه الاسلامى ولاحظه واعطاه حقه من البيان والموضوع (كتاب سانتلانا المطبوع فى تونس ١٨٩٩) وقد استقى الفرنسيون منـه

قانون تونس المدنى المأخوذ من الشريعة الاسلامية واسطة الأستاذ سانتلانا » .

ويتحدث عن « عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى » وهى قمة منهج محب الدين الخطيب : « ان عقدة العقد فى الاصلاح الاسلامى والسبب الأول فيما يشكوه المسلمون من أمراض الضعف التى ينشدون علاجها ويتمنون البرء منها هى فى الدرجة الأولى انصرافهم عن فضائل الاسلام وأحكامه ، وسننه عن الغرض الحكيم الذى ترمى اليه هذه الفضائل والأحكام والسنن ، اى الشكل الذى يمثلها ويدل عليها واكتفاء أكثرهم بهذا الشكل عن ذلك الغرض » .

ومهمة الاسلام تتناول اصلاح الفرد فى نفسه وبنيه كما تتناول تكوين المجتمع على اسس ثابتة يصلح معها للفوز فى مضمار الحياة ، فضلا عن مهمة الاسلام فى تصحيح العقائد وتبسيطها ، وايقاظ العقل لحقائقها ودلالته على سيرها مع الفطرة السليمة فضلا عن مهمته فى توجيه قلب المسلم الى العبودية لله وحده وتخليصه من أوهام البشر التى رانت على قلوبهم فى سالف الأعصار من تهويلات الديانات العتيقة المشوب حقها بباطلها ومعقولها بأساطيرها : هذه المهمة التى جاء بها الاسلام جربت فى الصدر الأول فجاءت بأعظم النتائج وان الاسلام لا يزال هو الاسلام ونصوصه هى النصوص التى ثبت نجاحها فى تكوين خير أمة أخرجت للناس » (١٩٤٤ م) .

(م ١٦) ١٩٤٤

لما انتهت الحرب الماضية لم يكن لنا كيان قائم فى جهة العمل وكل ما نراه الآن من صحف اسلامية وجماعات اسلامية وجماعات تتحدث بخير الملة انما أنشىء بعد الحرب الماضية بزمن غير قليل ، ان كل ما أنشأناه من ذلك انما كان من قبيل التجربة ، وكثير منه لم يكن له خطة مرسومة ، واذا كان لبعضه خطة فيها اثر من آثار العقل والبصيرة فهى من عمل افراد ولما يدخل الايمان فى قلوب سائر العالمين :. ان الجبهة التى أنشأها أولياء الاسلام فيما بين الحربين استماتوا على انشائها بمن وجدوه أمامهم من شباب وشيوخ انما كانت تجربة ، التجربة دلت على مواطن الضعف

ومواطن القوة في هذا العمل فعلى من يعمل لوجـــه الله وحـــده وتعبدا له بتسوية صفوف الملة وتنظيم قواها في سبيل طاعته ، وأن يتحرى بعد اليوم أمثاله ممن يحتقرون الظهور ويبتغون العزة والمثوبة عند الله بما يخفونه عن عباده من جهـــدهم الصالح حتى اذا ما تعارف هؤلاء واتصلوا بمن على شاكلتهم في الوطن الأكبر كانت منهم النواة التي ينمو غرسها وسيبارك الله في ثمرها ». حتى اذا وضعت الحرب أوزارها تفرغت الأفكار لرســم خطة السير بالمجتمع الاسلامي الى ما يرضى الله عز وجل ويلائم اتجاهنا التاريخي».

م ١٨ الفتح (١٩٤٣) :

يتحدث السيد محب الدين الخطيب عن نشأة الفتح فيقول :

« لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى أخـــذ المؤمنون بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدون العدة للاستيلاء على الراى العام وتحويل وجهه عن المكتين وما أنزل الله منهما الى المعاهد القائمة على ضفاف التاميز والسين وما يصدر عنهما وواتاهما الحظ بما احدثته القوة من احـــداث وما صحت اليه من هوى ولم يكن للاسلام في مصر صحف غير مجلة المنـــار ولا جمعيات غير جمعية مكارم الاخلاق ومجلتها .

أما النزعة الأخرى العاملة على تعميـــم الدعوة الانفرادية وتقليدها فكان في أيدى رجالهـــا أكثر الصـــــحف وكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات وكان أنصارهم منبثين في وزارة المعـــــارف ومعاهدها ، ونظام الاحتلال يؤيدهم في ابعاد الشباب عن الاسلام وحيوته جهد الطاقة . وكان أحمد تيمور باشا هو الوجه المصرى الوحيد الذى شعر بالخطر الأعظم على مصر والوطن العربى والعالم الاسلامى وأشـــــفق من أن يتم فيه — ولو بالتدريج — ما تم في تركيا وكان رحمه الله لا ينقطع عن زيارة دار المطبعـــة السلفية يوميا الا لمرض أو لسفر ، وكانت دار المطبعة السلفية في شــــارع خيرت فانعقدت فيها اجتماعات حضرها أحمد تيمور باشـــا وأبو بكر يحيى باشا والشيخ عبد الرحمن قراعة والسيد محمد الخضر وعلى جلال الحسينى ونحو عشرة آخرين من هذه الطبقة تذاكروا موجـــة الالحاد الشـــوية التى طغت على العالم في الاسلامى وهو على غير استعداد لدفعها لأن أمره ليس في يده والذين أمرهم في يدهم من المسلمين فهموا من الاسلام الفاظ أوراسمه

وحركات مسابحه وغفلوا عن أهداف جهاده وأسباب حيويته وانتهت هـذه الاجتماعات بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الالحاد والتعاون على ذلك مع كل من يؤلمه أمره فى الوطن الاسلامى الاكبر ، وبعد أشهر من هذه المحاولة تبين لنا أن الخطر اسرع من ان يعالج بمثل هذه الجمعية وانه لابد من الاتصـال بالرأى العام والشباب المثقف على الخصوص وان الصحافة هى الوسـيلة الأولى لذلك ، وكنت أصدر فى ذلك مجلة الزهراء غير انها شهرية أدبيـة ولا تصلح مطية لهذه المعركة ، فضلا عن انه مشروط فى امتيازها الا تتعرض للسياسة والدين (*)

وكان الحصول يومئذ على امتياز بصحيفة اسلامية للغرض الذى نريده أشبه بالمستحيل غير أن أحمد تيمور باشا رحمه الله التمس لذلك الأسباب التى لا يقدر عليها غيره . وتمكنا من الحصـول على امتياز باصـدار الفتح وصدر العدد الأول منها فى يوم ٢٩ ذى القعدة ١٣٤٤ (١٠ يونيه ١٩٢٦) ومر على هذه التجربة عام تبين لنا فيه أن الخطر أفدح وأقوى من أن يعالج بهذه الأداة الضعيفة والامة أعظم وأكرم على نفسها من أن تصغى الى هذا الصوت الخافت وحينئذ فكرنا فى تأسيس جمعية الشـبان المسلمين . وقد استعنا على النجاح فى تأسيسها باثنى عشر شابا منهم الأستاذ محمود محمد شاكر وعبد المنعم خلاف وعبد السلام هارون ومحمود الخضرى وكمال اللبان وعبد الفتاح كرشاه وبعد أن صار للجمعية ثلاثمائة عضو أخذنا بها الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ عبد العزيز جاويش وامثالهما ودعوناهم للانضمام للجمعية وأعلن عن تشـكيلها فى غرة جمادى الآخرة ١٣٤٦ (٢٥ يونيه ١٩٢٧) (*)

ثالثا : قضايا الدعـوة الاسلامية

وفى عديد من قضـايا الدعوة الاسـلامية ابدى السيد محب الدين الخطيب وجهة نظر اسـلامية أصيلة : نظام الحكم ، التعـليم ، الحركات الوطنية ، الثقافة والعلم ، التجديد ، التقريب بين المذاهب ، الاسلام الاجتماعى .. الخ

اولا : بعث التراث الاسلامى

يقول : يا شباب الجيل : ان من حق جيلكم على جيلنا أن نختصر لكم الوقت ونطوى علم مسافات الطريق ، كانت رسـالة الجيل قبلكم منحصرة فى معاونة الاستعمار فكانت مهمة سلبية تدور حول معنى الهدم وأنتم واقفون الآن على مفترق الطرق تتساءلون عن رسالة حياتكم ، رسـالة ايجابية تتمثل فيها جميع معانى الانشاء والبناء والتشييد ، وستجدون على مفترق الطرق معلمين كذبة ودعاة من الطابور الخامس يسولون لكم الاستمرار فى الهـدم ويشيرون الى ما ابقى لكم الدهر من تراث السلف ليوسوس لكم الشيطان هدمه وسيشير آخرون عليكم بالبناء ولكن على أسس غير اسسكم وبأذواق غير أذواقكم ، ولاغراض غير أغراضكم ، نحن أمة امتازت على غيرها من الأمم بأن آخرها متصل بأولها ، وان تراث ماضيها من ثروة حاضرها ، وأن أهداف مستقبلها مرسومة فى سنن اسلافها ، وانها كلما يقوى جديده بقديمه ويحيى قديمه بجديده ويمتص قديمه وجديده من ينابيع قـوة الحـق والخير يقوم البناء الجديد حول مهمتين :

أما (أولاهما) : فبعث تراثنا القومى من تاريخ واخلاق وعلوم وسنن ووصايا وتعيين أهداف الى أن نعرف كياننا القومى كما كان فى الماضى وكما يجب أن يكون فى المستقبل . ان هذه النظم الأجنبية التى الزمنا الاستعمار العمل بها فى عشرات السنين الاخيرة هى خليط من مبادىء واحكام واتجاهات اقتبس اقلها من المعانى الأولية كالعدل والحق والخير ووضع أكثرها بتأثير القوى التى تطور الاستعمار تحت سلطانها كالراسمالية وشهوة تحكم الأقوى بالأضعف والديكتاتورية وتملق أهواء الجماهير ..

أما (المهمة الثانية) : فهى مطاردة آثار الاستعمار فى نفوس ابنـاء الجيل وفى مرافقهم وفى بيوتهم ومعالجة الخلاص منها ، ثم مطاردة معـانى

الضعف التى طرات على مفهوم الدين فى عقول العامة واشباه العامة مما لم يكن للصحابة والتابعين علم به .

ويقول : أنا منذ خمسين سنة الى الآن اتتبع نصوص الاسلام واطيل النظر فى عقائده وقواعده وسننه ، وفى فهم الصحابة والتابعين لها ثم فى الالاعيب التى اخترعها الزنادقة والدجالون والجهلة لتحويلها من اهدافها وقد يكون فى قلبى اليقين بانه ليس فى عقائد الاسلام عقيدة ولا فى عبادته عبادة ، ولا فى مبادئه وسننه مبدأ او سنة ولا فى نصوصه وتوجيهاته نص او توجيه الا وله اثر عملى فى تكوين الفرد الصالح والبيت الصالح والامة الصالحة وما اخر الاسلام المسلمين ، ولكن المسلمين عطلوا دينهم وشوهوا جماله ».

ولو لم يكن من المسلمين غيرى وغيرك لوجب علينا ان نبدأ به من انفسنا وندعو اليه كل من يصغى الى دعوتنا وان نحتال على اهل القابلية من الأصفياء الأذكياء فنبث هذا الايمان الاسلامى فى قلوبهم ، ومتى كثر هؤلاء وعادوا شيئا يذكر أكرمهم الله بالولاة الصالحين « وكما تكونوا يول عليكم » (١)

(م ١٧) ١٩٤٤ :

ثانيا : نظام الاسلام الاجتماعى

وكانت دعوته الى التركيز على نظام الاسلام الاجتماعى من اكبر همومه واهدافه :

يقول : ان علماء الاسلام ووعاظهم وجهوا عنايتهم الى بعض الاسلام دون بعض واهم ما حجبوا عنه عنايتهم (الجانب الاجتماعى فى الاسلام) وهو جانب واسع جدا فبقى مجهولا من الناس ولا يعرفون انه من صميم الاسلام وثمين تراثه .. ان اهمال النظام الاجتماعى فى الاسلام بدأ من صدر دولة بنى العباس (اى فى اوائل عهد التدوين فى الاسلام) ولذلك لم تفرد له مؤلفات مبسوطة خاصة به ولم يعن بابرازه العناية الواجبة لانه لم يكن له فى المجتمع الاسلامى سوق ، بل انه يصطدم مع منافع الكثيرين ، غير ان علماءنا من السلف رضوان الله عليهم بثوا مبادىء الاسلام الاجتماعية وانظمته السامية فى اشتات مؤلفاتهم حتى لم يضع شىء منها فهل لمحبى

بجمال الاسلام أن يتفرغوا لجمعها وتنظيمها وحسن عرضها على الأمة حتى اذا عملت بها كانت الأمة الصـــالحة التى يؤهلها الله للخلافة فى الأرض ، ويوم ينتهى الباحثون من استقصاء أسانيد الفقه الاجتماعى ويحســنون عرضها وعرضه على ولاة أمر المسلمين ويوم توجد فى العالم الاسلامى أمة ودولة تولى هذا الجانب عنايتها وتحققه فيومئذ تتحول الشمس لتشرق من أفقها الأول كما كانت يوم بسطنا حضارتنا وعمراننا ومبادئها الســامية فى أطراف أوربا وآسيا وافريقيا . ان كيان الدولة لا يقوم على عواتق الساسة وحدهم بل ان العلماء بجهودهم العلمية والثقافية السديدة الاتجاه يجذمون بنيان دولتهم بما لا يقل عن عمل اخوانهم من الساسة ، ان أكثر المسلمين يظنون ان الجانب الاسلامى من أوامر الاسلام ونواهيه جانب اختيارى لا يأثم المسلم بالتهاون به كما يأثم بالتهاون بما يعرفه من شعائر العبادات ومــن هنا دخل الشيطان على المسلمين وافسد عليهم دينهم وسعادتهم وجمـــال مجتمعهم . ان علينا ان نقدم النصوص المتعلقة بنظام المجتمع وآدابه ومــا ينبغى أن يتحلى به أفراده من خلائق وســجايا وفضائل ، وخاصة أوامر المصطفى ونواهيــه فى تكوين الأسرة وتوجيهها وفى تناول العقـــود بين المتعاملين فى الأسواق والمعايش ، فى نظام المجتمع وآدابه فان السنة هى الطريق الأعظم (م ١٧) .

ثالثا : نظام الدولة فى التشريع الاســلامى

ويتحدث عن نظام الدولة والجماعة فى التشريع الاسلامى فيقول :

أن عصور الضغط والانحطاط وما ترتب على الضعف والانحطاط من تحكم الاستعمار ببلاد الاسلام قد حرم المسلمين من طبقة اهل الحل والعقد على ما كانت عليه فى عصــورنا الذهبية ، فاضــطررنا لأن نبقى فى النظام النيابى الأجنبى عنا ، وأن نتحمل كل ما نراه بعيوننا من عيوبه التى فرقت بين الأهل والأصدقاء وأوجدت الاحن والعداوات وترتب على النظام نفسه قيام الحزبيات فانتشر على السنة خطبائها وفى صحفها منطقها الذى لم يكن لنا عهد بمثله ، ولن ينقذنا من هــذا النظام الأجنبى الا رجــوع الأمة الى ما دعوت اليه من العناية بالأخلاق الفردية ليتكون من مجموعها المجتمـــع الصالح فتنبع فى الأمة طبقة اهل الحل والعقــد ، وحينئذ يكون لنا نظامنا

القومى الذى يغنينا عن النظام الاجنى ، الذى لمسنا ولمس الأجانب أيضا عيوبه ، أما نحن فان رجوعنا الى قواعدنا وسننا بعد رجوعنا الى اخلاقنا وسجايانا سيعيدنا الى أنظمتنا التى كانت لنا فى عصورنا الذهبية ، ويومئذ نباهى بنا امم الأرض ، وأظنك تعود الى أن الطريق طويل وجوابى على ذلك ان كل طريق آخرأطول منه ، بل لا طريق لنا الا هذا الطريق ، ومهما أبطأت نتيجته فهى محققة.ثم انها لا تكون بعيدة اذا بدأنا بها من الآن ، ان الأمم التى تعد نفسها للعظائم تستعين على ذلك باحيائها أنظمتها الخاصة وتبتعد كل البعد من الانظمة الاجنبية والآن وقد بدأنا نستقل فيجب علينا ان نعود الى تعرف أنظمتها واستخراج كنوزها لنقدمها للمثقفين منا هدية لدولتهم المستقلة التى نهضت تفاخر بعروبتها ». ان ما أكرم الله هذه الأمة من فتوح واتساع وحضارة وعلوم ونهضة وسعادة انما كان وليد هذه الرسالة الكاملة ونتيجة تخلق الأفراد بأخلاقها واغتباط المجتمع بقواعدها وسننها ونهوض الدولة بأنظمتها . (م ١٧)

رابعا : فساد التعليم فى مصر

وتناول صاحب الفتح نظام التعليم الذى كان من أعمال النفوذ الأجنبى فيهاجمه داعيا الى التحرر منه مع تحرر الأمم من الاستعمار : يقول : لأنه اقيم منذ البداية على أسس رسمت لنا تحت نظام الاستعمار لتكون متمشية مع مقاصده ، وما كانت مقاصد الاستعمار لتضن لاوطاننا تربية جيل صالح للاضطلاع بأعباء السيادة ، وعلينا أن نعمل الآن على تخريج الجيل الصالح لحمل تكاليف السيادة والاستقلال ».

ان خضوع العالم العربى حقبة طويلة من الزمن للثقافة الأجنبية التى ادخلت عليه تحت رعاية الدول الغربية المختلفة جعل مدارسه وكلياته وجامعاته تجرى على سياسة تعليمية توافق أغراض منشئيها . ان اصلاح التعلم فى الأوطان العربية لا يكون الا بنقض أسسه الأجنبية واستئناف تاسيسه على أساس عربى يضمن للمستقبل نشأ قوى النفس مستقيم الأخلاق يحسن التوفيق بين العمل لنفسه والعمل لأمته وتساعده أساليب التعليم على ان يكون منه رجل كفاح فى ميادين العلم والبحث والصناعة والتجارة والاقتصاد ».

ان العيب الأساسى فى مدارسنا انها معاهد تعليم لا معاهد تربية وان التعليم فيها نظرى فما يستفيد منه صاحبه فى معترك الحياة وميادين العمل ، والتربية لا تكون الا عملية ، ولا تكون التربية عملية الا اذا كانت المدرسة (الاولية والابتدائية) للتلميذ كالبيت الصالح للابن الصالح .

ان المدارس الأجنبية والتبشيرية تعنى بالتربية ، والمدرسة الوطنية لا تعنى بها ، ليس المقصود التربية البدنية ، المقصود هو التربية الخلقية التى تعنى بانسانيهم ، ان مدارس الفرير والجزويت والاليانس تعنى بالتربية المسيحية والتربية اليهودية ، اما وزارة المعارف فلا تعنى بالتربية الاسلامية والعلوم الرياضية والطبيعية لا يقال فى مقدمتها فضل العرب عليها والتعليم عندنا فاسد من اساسه ، فأبناؤنا فى المدارس الابتدائية لا يجدون المناعة التى تحول بينهم وبين جراثيم هذا الشر ، وتلاميذنا فى الثانوى اذا ادخلوا الجامعة ولا سيما كلية الآداب تلقفهم جو موبوء ، ان الأمة العربية تستقبل فى حياتها العقلية الحاضرة مهمة التنقيب عن تراث العروبة والاسلام لتبنى عليه بنيانها العلمى فتصل حاضرها بماضيها .

خامسا : قضية التجديد

ان التجديد القائم الان تجديد مزيف لانه ليس الغرض أن يأتوا الى جدار القلعة او سور المدينة فيخرجوا منها الحجارة المحطمة ويحلوا محلها حجارة اخرى قوية فيتجدد بذلك بنيان القلعة والسور بل الغرض منه ازالة القلعة من اساسها على زعم انهم سيبنون فى المستقبل غيرها .

ان الاسم الحقيقى لهذا العمل هو الهدم والقائمون به مخربون ، ومن المعترف به عند البشر أن مثل هذا التخريب من عمل الشيطان ، أما التجديد فمما ارشد اليه الرحمن ، وقد بشر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل يبعث لهذه الامة فى كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها وعلى كل حال فان الشرق الاسلامى عازم عزما اكيدا على الدفاع عن هداية الاسلام ورد كل ما يناقضها وسيحثوا التراب فى وجه كل متآمر عليها ، لهذا نحن نقول ان طريقة مصطفى كمال مكتوب عليها بالفشل والساخطون عليها موجودون فى منازل دعاتها انفسهم . خالده اديب ذهبت الى أمريكا لتستعطف الأمريكيين على مصطفى كمال ولتقول لهم انا تلميذتكم المتعلمة فى

مدارسكم التبشيريةفى الأستانة ، اشهد ان مصطفى كمال يسير بالمسلمين الى الغاية التى كنتم تحاولون سوقهم اليها فلا تستطيعون وها هو قد حقق أغراضكم فى تركيا وأصبح جديرا بعطفكم عليه ، ان هناك جمودا أصيب به المسلمون منذ عصور ، فالذين يعرضون الدين الاسلامى وتاريخه يقولون ان هذا الجمود « علة طارئة » على الاسلام وليست منه ، وان المسلمين كانوا متمتعين بالسلامة من تلك العلة يوم كانوا متمسكين بدينهم فسعدوا به وارتقوا فلما تهاونوا بتعاليم هذا الدين نقصت قوتهم وازدادوا ضعفا حتى صاروا الى ما هم عليه الآن .. ان البقاء على الجمود هو الذى جعل ديار الاسلام تحت حكم غير المسلمين ، ولا خلاص للشرق الاسلامى الا بالاسلام ، والتجديد على طريقة مصطفى كمال مظهر على مؤامرة سرية واسعة النطاق يراد بها ازالة هداية القرآن (١٩٤٤) ».

سادسا : قضية التقريب بين المذاهب الاسلامية

ان القرآن الذى هو الكتاب المشترك بين أهل السنة والشيعة نفهمه كما فهمه أبو بكر وعمر وسائر الصحابة من النبى صلى الله عليه وسلم وائمتنا المهتدون أبو حنيفة النعمان ومالك بن انس ومحمد بن ادريس وأحمد ابن حنبل بنوا أقيستهم واجتهاداتهم فى مذاهبهم على هذا الفهم للقرآن من طريق أصحاب رسول الله ، وقد عنى مدونو دواوين السنة وفى مقدمتهم أصحاب الصحاح وكتب السنن بعقد أجزاء وأبواب فى جوامع كتبهم للأحاديث الصحيحة فى تفسير القرآن وما يقرره من الصحابة كما نقلوه عن النبى صلى الله عليه وسلم أو كما فهموه هم ، أما الشيعة فلا يعترفون لنا لا بصحيح البخارى ولا بصحيح مسلم ولا بسائر كتب الحديث التى عنى بها رواتها اكثر من عناية أى أمة أو أى ملة تحفظ أخبارها ومأثوراتها ، وللقرآن عند الشيعة تأويلات وتفسيرات مدونة فى أمهات كتبهم المعتبرة عندهم تخالف فى مجملها وفى بعضها ما ثبت عندنا فى صحاح الأحاديث وحسانها ما يكذبونه ويلعنون اصحابه الذين نقل الصادقون عن الصادقين هذه الأحاديث مروية عنهم ، فاذا كان هذا اختلافنا معهم على فهم القرآن واذا كان فهمهم للقرآن مأخوذا من دماغ مجهول ومتناقضة وغير معقولة كانوا يزعمون أنهم يحصلون عليها من طفل مختبىء فى سرداب فكيف يمكن التقريب

بين مذهبنا ومذهبهم ما دمنا مختلفين معهم حتى فى فهم القرآن وهو الجامع الوحيد الذى يجمعنا بهم ».

سابعا : مواطن الزلل فى الحركات الوطنية

علينا ان ننظر الى شئون العامة من الوجهة الاسلامية ، وأن نعالج كل أمر من أمور الشرق الاسلامى على قدر اتصاله بدعوة الاسلام وكرامته وآدابه وعقائده ، وشعائره ، وما كان من ذلك بعيدا عن هذه الدائرة فيجب الخوض فيه ونحرص كل الحرص الا يكون لصحيفتنا اى صبغة حزبية او سياسية فكل حادث فيه يصلح الاسلام نسارع الى تشجيعه وتأييده مهما كان مصدره وكل ضرر يلحق بالاسلام وأهله فنحن عاملون على درئه ومقاومته بلا تردد ولا محاباة ، ان الشرق الاسلامى وقع كثير من اقطاره تحت تصرف الغرب ، ونال الاسلام من ذلك وهن فى دعوته وآدابه وعقائده وشعائره ، ولذلك نحن نرى فرضا دينيا علينا طلب انقاذ الشرق الاسلامى من تصرف الغرب منه ، الاسلام نفسه يأبى على المسلم أن يكون محكوما لدول غير اسلامية ولأجل هذا المعنى انضوت الشعوب الاسلامية تحت لواء الأحزاب الوطنية الداعية الى الاستقلال ، فالأحزاب السياسية فى كل بلد اسلامى مدينة للاسلام بكونه العقبة الحقيقية فى سبيل الاستعمار وبكون المسلمين لبوا نداء الدعوة الاستقلالية بدافع من دينهم ماذا رأينا فى قطر من اقطار الشرق الاسلامى حزبا سياسيا يتجاهل قادتهويتشدق زعماؤهبالنكير للاسلام فان حكمنا على ذلك الحزب ورجاله انهم اما كاذبون فى دعوى جهادهم الاستقلالى لأن الذى يجاهد للاستقلال لا يعمد الى اقوى اسلحته فيتجرد منه ، واذن ذلك الحزب ورجاله يجهلون هذه الحقائق فهم غير اهل للقيادة ولا صالحين لان ينضوى اخواننا المسلمون تحت لوائهم .

لما تم لأوربا غزو الأقطار الشرقية ارادت ان تصدع صفوف الأمة الواحدة فاستخلصت من اهل الهوى وأسرى الحاجة والمفطورين على التزلف والطامعين فى المناصب والجاه الكاذب أعوانا لها تصطاد بهم اهل السذاجة وقصار النظر ليكثر سواد الموطدين لسلطانها ، ولم تكتف سلطات الاستعمار باستخلاص أعوان لها على الباطل ولا بشق عصا الجامع بل ارادت ان تغزو القلوب وتحتلها فرسمت مناهج التدريس للبنين والبنات فجعلت اشد الشباب

والشابات اخلاصا للوطن واكثرهم حماســة فى الدعوة الى الاســتقلال مشغولين بالسفاسف والمساعى العقيمة .

ان الوطنيين فى اندونيسيا صاروا قدوة للمناوئين فى التفرنج واستعمال مصنوعات هولندا واقمشتها وخمورها وما يحمله سكانها الى جزر جاوه من أدوات موسيقية وزينات كمالية ، هذه الهيئات تنقص من ثروة الأمة المادية مقدار ما تزيد فى ثروة الأمة الهولندية فهم بكل كأس يشربونه من الخمــر الهولندى يضربون مسمارا فى سلطة هولندا ليثبتوها فى أرض وطنهم ، وبكل كلمة سوء يقولونها فى الاسلام يتوضون من جيش الوطن جنديا .

ثامنــا : النظــام الاسلامى

ان تاريخنا القومى دست فيه دسائس غريبة عنه شوهت جمال عصر الصحابة وحطت من قدر معجزات الفتوح، وجعلت ورثة لغة العرب يجهلون ميزات هذه اللغة وحملة أمانة العروبة فيخشون قدر هذه الأمانة ، وبيننــا اليوم طوائف من المؤلفين والمدرسين مستمرون على هذا الدرس ومثابرون على هذا التشويه ، وهؤلاء شر على الأمة وعلى الدولة من الاحتلال الأجنبى المسلح لأن الأمة كانت تعلم أن الاحتلال المسلح شر عليها وعدوا لها ولكن أطفال المدارس وشباب الجامعة ينظرون بعين الحرمة الى هؤلاء الثعالب الشعوبيين الذين يشــوهون تاريخ العرب فلنعتبر تعليم التاريخ اقدس أمانات الأمة وأمضى اسلحتها .

تاسعا : النظــام الاســلامى

أرى من الطبيعى لكل بلد اسلامى أن يثبت فيها النظام الاسلامى الذى ظل معطلا أكثر من الف سنة وصار للاسلام بتعطيله مفهوم فردى بعيد من جمال الاسلام فى تكوين المجتمع الصــالح وفى اقامة الدول المحترمة ، ولابد للنظــام الاســلامى فى المجتمــع وفى الدولة المحتــرمة ، أن يعــود اليــه جمـلة النظــراء الأول فى كل بلاد اســلامية ، احب أن تعلم الجمعيات الاسلامية أن اقامة هذا النظام وبعثه يحتــاج الى رجال غير موجودين الآن ، ويحتاج الى استعداد علمى لم يعن به أحد حتى ولم يلتفت اليه دولة اسلامية ولا جمعية اسلامية ، وان هذا النظام لا يمكن

ان يعود بمجرد فوز الجمعيات الاســـــلامية فى الانتخابات لأنها على فرض فوزها وتسلمها مقاليد العمل سنرى أن العمل يحتاج الى رجال لو بحثنا عنهم لا نجد اشباههم واذا وجد بعضهم او وجد اشباههم ستضطر الجمعيات عن فورها ، وستضطر القائمون الى العمل بالأنظمة الأجنبية الموجـودة ، أما الأنظمة الصالحة والمبادىء الاسلامية الرحيمة وقواعد سلفنا التى يجب أن تحل محل ما هو متعارض الآن فان المثقفين وحملة الاقلام من الاســـــلاميين وغيرهم لا يبحثون عنها ولا يبالون بها لانهم لا يجدون لها شوقا . وكنت أرى من الخير أن يتقارب الطيبون فى جميع الهيئات والجماعات مع الحكومة على الاصلاح التدريجى فى التعليم وتحويله عن مناهجه واغراضه الأجنبية الى ان ينشأ جيل يعرف نفسه ويعرف تراثه القومى وأنظمته التى ساد العالم بهـا ليختار منها ما يطبقه وما يبعث به قوميته وســـجاياها وان يتعاون هؤلاء وهؤلاء على اكتساب قلوب هذا الشعب واقناعه بأنهم سيكونوا عند حسن ظنه بهم حكاما وعلماء وكتابا وخطباء وصحفيين (١٩٤٤) » .

٢ — المخرج مما نحن فيه أن يبدأ جيل من المثقفين بدراسة ســــنن الاسلام وأنظمته الاجتماعية والحكمية ومقارنتها بســـــنن الغرب وانظمته وأساليب حكمه ، وسيستدلهم هذه المقارنة على ان الذى اهملناه هو الذهب الابريز والذى أخذنا به لا يساوى فى جانبه شـــيئا . فاذا تمكنوا بعلمهم وحسن نياتهم من تفهيم الأمة هذه الحقيقة واقناعها بأن تكون حينئذ الراى العام الاسلامى واصبح جديرا بان يكون له الحكومة اللائقة به العـــاملة بسنن الله وأنظمة الاســــلام ، وكما تكونوا يولى عليكم وانا اعرف بان هذا طريق طويل ولكن ان لم نبدأ بالسير عليه الآن تأخر وصولنا الى غاياته بمقدار تأخرنا فى سلوك بداياته .

عاشرا : الثقة فى نصر الله

ان الاسلام لا يحتضر ، واذا كان من يقصر فى اداء واجبه ، فان الله سينصره برجال غيرنا بعد أن يذهب بنا لأن فى الاســـــلام من القوة الذاتية والمناعة الخالدة فلو تخلى عنه الناس جميعا ما يكفى لاعادة مجــده ونشر لوائه عشرة رجال فقط . انا لا أنكر ان تيار الاباحة والالحاد تيار شـــديد ولكن شدته هذه لن تكون خطرا على الاسلام الا اذا امتلأت نفوسنا يأسا ،

واستقبلنا هجومات خصومنا بسلاح الجهل والعجز وبالنفوس الصغيرة ؟ أما اذا كان فى الاسلام رجال يتخذون من ماضيه سراجا لمستقبله ومن أبطاله أئمة يقتدى بسيرتهم فان التيار الحاضر يكون أحقر من أن نرى معه الاسلام محتضرا ؟ الا تستطيع ان تقنع الغنى المسلم الذى يتعلم فى المدرسة الثانوية او العالية بأن ما خلفه لنا التاريخ الاســــــلامى فى أربع عشر قرنا هو أثمن تركة حصل منها وارث ، وان الذى يتخلى عن هذه التركة جاهل او مجنون؟ ان وقعه ازاء كل حادث تكشف عن ذلك ، وما أن ظهر كتاب (فى الشـــعر الجاهلى) حتى مزقته الأقلام تمزيقا ؟ وكشفت عن مقدرة صاحبه فاذا هو جاهل ومدلس وسارق وسفيه وملحد وفيه مخاز لو نسبت الى ارسطو أو ألصقت بأفلاطون لكانت كافية فى اسقاطهما ومحو اسم كل منهما من تاريخ العلم والفلســــــــفة ، وهكذا ما تكاد تظهر حركة من جانب الهاجمين على الاسلام حتى تعامل باشد منها .

الباب الثاني

القوى المناهضة للإسلام

اولا : التبشير والاستشراق

ثانيا : التغريب والغزو الفكرى

ثالثا : قضايا الغزو الفكرى

رابعا : دعاة التغريب

خامسا : تغريب الجامعة

سادسا : مطاعن طه حسين فى الاسلام

سابعا : الفرق الضالة

ثامنا : قضايا متعددة

الفصل الأول

مؤامرة التبشير والاستشراق

كان التعريب والغزو الفكرى هو كبرى القضايا التى أولاها الفتح اهتماما ، وجند لها القوى ، وحشد لها الحشود ، وواجه قضاياها فى مختلف المجالات : الاستشراق والتبشير والدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية ، كما واجهت حملات الالحاد والكتب الضارة ، خلال فترة من أدق فترات الفكر الاسلامى ١٩٢٧ — ١٩٤٧ واجهت فيها حملات التغريبيين : طه حسين ومحمود عزمى وسلامة موسى وعلى عبد الرازق وغيرهم .

وكانت مؤامرة التبشير من اكبر القضايا التى أولتها مجلة الفتح اهتمامها ، نظرا لخطورة الدور الذى قامت به فى المرحلة نفسها فقد كانت هذه السنوات من اشد السنوات التى قامت به منظمات التبشير فى ضغطها على البلاد الاسلامية وعلى مصر بالذات ، وكانت الكنيسة البابوية قد حصلت على مبالغ ضخمة من حكومة ايطاليا وقد أعلنت أنها ستوجهها للتبشير فى البلاد العربية ومن ذلك اقتحام القس زويمر لكليات الأزهر وتوزيع منشوراته المعروفة ، فضلا عن التسهيلات الضخمة التى كانت تقوم بها الحكومات فى هذه الفترة للبعثات التبشيرية فى اقامة معاهدها وفى السماح لها باستيراد مواردها .

بل انك لتحس من مراجعة وقائع الاحداث فى هذه السنوات ان التبشير يحاصر العالم الاسلامى محاصرة تامة بارسالياته الكاثوليكية والبروتستانتية فلا يدع مكانا دون ان يحاول بنفوذ الحكومات الاستعمارية السيطرة عليه ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كانت خطوات اتاتورك فى تركيا والشاه فى ايران وأمان الله خان فى افغانستان فى محاولة تحويل للبلاد الاسلامية الى بلاد مغربة ، فضلا عن الدعوة الى التنصير فى جزر الهند الشرقية وجاوة وتغيير حروف اللغة من العربية الى اللاتينية .

هذا فضلا عما كان يحدث فى المغرب : طرابلس تحت وحشية الايطاليين ، الظهير البربرى فى مراكش لاخضاع المسلمين البربر الى محاكم

ومدارس غير مدارس العرب ، المؤتمر الافخارستى فى تونس ، مائة عام على الاحتلال الفرنسى فى الجزائر .

فاذا جاءت معاهدة١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا على تنظيم الاحتلال ، برزت قضية الارساليات التابعة للدول الأجنبية فى مصر ، ودعوى عريضة لفرنسا لحماية هذه الارساليات والمطالبة أن لا تخضع للدولة وان تظل حرة فى عملها ،

وقد تقدمت فرنسا فى مؤتمر الامتيازات بطلب حماية هذه الارساليات وذلك (كما يقول الفتح م ١١ — ١٩٣٧) بالرغم من مصر اتاحت للهيئات والمعاهد الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها أقصى ما هو مباح لهما فى كل بقعة من بقاع أوربا من ادارة الكنائس ومزاولة الطقوس والحرية فى التعليم وتأسيس المستشفيات والملاجىء وغيرها ، تسارع هذه الهيئات الى مؤتمر مونترو تطلب حمايتها وهى التى تدرس فى كتبها ما يجافى الحق فيما يتعلق بالاسلام ورسوله ، كما رأينا فى كتاب (التاريخ المقدس) الذى يدرس فى مدارس الفرير والجزويت فى مصر .

ومنذ العام الأول للفتح (١٩٢٧) : كان الاهتمام بهذا الخطر ومواجهته واضحا فهى تشير الى ان جمعية التبشير الانجليزية قد بثت منشورا حوى من المثالب والقذائف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وان الغرب يعد أكبر حملة صليبية لتنصير العرب ويعد لها أضخم عدة ويرسل معها أقدر الرجال وقد وجه قائد حملة التبشير لبلاد العرب مستر اشنين للتنصير فى العالم وبلاد الغرب منشورا يهدف الى نشر التبشير فى بلاد العرب التى لم يدخلها التنصير بعد وسكانها من٤ الى١٢ مليونا لم تبلغهم دعوة الانجيل وأعلن الحاجة الشديدة الى مائة مبشر يذهبون الى بلاد العرب المهملة التى لم تبلغها الدعوة بعد .

ويعلق السيد محب الدين الخطيب على هذا الاعلان لاقتحام بلاد العرب فيقول : (م ٢ الفتح) لما نشرت الدعوة فى لندن لارسال مائة مبشر الى بلاد العرب لم ننظر نحن الى ذلك من الوجهة التى نظر اليها الطائفيون فى مصر ، لذلك لم يخامرنا أى خوف على بلاد العرب من هؤلاء ، لأن تلك البلاد فيها من المناعة الكافية تجاه هذه الغزوة ، ولا يستطيع دعاة النصرانية

ان يعملوا هناك الا فى الاماكن التى فيها للاجانب ســـــلطة وذلك فى بعض السـواحل كجزيرة البحرين وبلاد العراق وثغر عدن . اما البلاد العربيـــة المستقلة فلا يستطيع هؤلاء ان يدخلوها الا كما يدخل اللص بيت الرجـــل القوى فهو ابدا تحت خطر الهلاك .

يقول الأستاذ المشرقى : ان الاستيلاء على بلاد العرب هو غاية الغايات عندهم وان الغاية التى تهمهم هى دوام قبضتهم على ما تمكنوا من احتلاله من الاقطار الاسلامية وهم (مبشرين وسياسيين) بداوا يحكمون الكيد للاسلام ويرسلون الحملات التبشيرية سياسية وعلمية منذ قرن ونصف من الزمان ، وان عمل المبشرين والسياسين هو محاربة القوة الاسلامية المادية ، وذلك بغزو الاسلام وانتقاض اطرافه قبل الانتضاض على قلبه . ان خطتهم فى اساســــها أن يربو من اهـــل بلد من يتولى عنهم فتح ذلك البلد بالتدريج اذ قد علمتهم تجاربهم القاسية ما يقرب من قرن ، ان ما بينهم وبين أهل كل قطر اســــلامى أو شرقى من الفروق الكثيرة فى اللغة والجنس والعادات والتقاليـــد وطرق التعبير تقوم حائلا بينهم وبين نفوس النـــاس فلا يصلون اليها بتاثير اساس خطتهم فى غزو الاسلام والوصول الى نفوس أهله عن طريق مدراسهم التى انشاوها فى طول بلاد الاسلام وعرضها الا الوسيلة العملية لتخريج تلك الفئـــة التى رجوا ان تنوب عنهم فى الدعاية او على الاقل أن تنشر بين الناس ثقافتهم فتمهـــد الطريق لتخريج تلك الفئة التى ينشدون . وهم بنشر تلك الثقافة يخدمون الفتح السياسى والفتح التبشيرى فى آن واحـــد . تلك المـــدارس التى أنشاتهـــا جمعياتهم التبشـــيرية من فرنسية وانجليزية وأمريكية والمانية وايطالية كانت اذن أداة لتحقيق الفتح التبشيرى وتوطيد الفتح السياسى عن طريق ايجاد خطط الثقافة للأقطـــار المراد فتحها واعانتهم على ذلك تلك البعثات المختلفة التى كانت ترســـلها الممالك الاســلامية الى أوربا ، ان اكثر النازحين الى معاهد الغرب والمتخرجين من معاهد جمعيات التبشير هم اذن فى الحقيقة تلك الفئة التى قام ويقـــوم عليها الفتح التبشيرى فى الشرق عامة وفى بلاد الاسلام خاصة وهم القائمون ببث دعاية الغرب فى الشرق بما لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، لقد انسلخوا عن دينهم وروحه كما انسلخوا عن قومهم وحضارتهم وان بقيت لهم اسماؤهم

الاسلامية ، ودعاواهم الوطنية كما يبقى من النسر المحنط ريشه وهيئته ، وقد ادى ذلك ان نشات فى مصر وفى غير مصر فئة كفت جمعيات التبشير كثيرا من مؤونة الجهاد ومشقته فحاربت الاسلام بدلا منها حربا دينية شعواء لا باسم الدين ولكن باسم (التقدم والتجديد) .

فتح العالم الاسلامى (٢)

ولما كان السيد محب الدين الخطيب هو من أوائل من اولوا الاهتمام بهذا الخطر منذ سنوات بعيدة فقد كان من الضرورى أن يعيد نشر كتاب (الغارة على العالم الاسلامى) الذى كتبه شاتليه وترجمه الخطيب وسليم الباقى ونشر عام ١٩١٢ فى جريدة المؤيد حتى تتضح الخطوات أمام قراءه : يقول :

فى مجال الصراع بين جمعيات التبشير الكاثوليكية والبروتستانتينية فى العمل على ازالة الاسلام من الوجود أصدرت مجلة العالم الاسلامى الفرنسية مئات الصفحات أوردت فيها أعمال المبشرين البروتستان ، واطلقت على هذا البحث اسم : الغارة على العالم الاسلامى او فتح العالم الاسلامى ، هذا المعنى يجب على كل مسلم ان يطيل التامل فيه وأن يزنه بميزان الأعمال التى تجرى فى العالم الاسلامى ، وما اقل عدد المسلمين الذين بلغت بهم اليقظة ورقة الشعور الى الحد الذى ينظرون فيه الى الحوادث من هذه الجهة .

نشر هذا البحث فى مجلة العالم الاسلامى ، وترجمته الى العربية جريدة المؤيد ١٩١١ وكان له وقع عظيم فى العالم الاسلامى وبعث اليقظة فى كثير من الناس ونقله من المؤيد صحف ومجلات متعددة منها المنار فى القاهرة وجريدة الاخاء العثمانى فى بيروت وقد كشف عن اعمال ارساليات التبشير البروتستانتية الأول فى القاهرة ١٩٠٦ ، الثانى فى ادنبرج ١٩١٠ الثالث فى لكنو ١٩١٣ .

وقد كان طبيعيا أن يتابع السيد محب الدين الخطيب اعادة نشر فصول هذا الكتاب فى هذه الأعوام حتى يعرف الشباب المسلم جذور

المؤامرة ، فاذا فرغ منها كان عليه ان يعرض وقائع المؤتمر التبشيرى العام الذى عقد عام ١٩٢٤ كمقدمة للمؤتمر الذى عقد ابريل ١٩٢٨ فى القدس والذى افتتحه القس جوت موت الزعيم الدولى لجمعية الشبان المسيحية تحت عنوان : الهدف توحيد السياسة بين الكنيسة القديمة والجديدة لجعل الضغط الغربى على سائر انحاء العالم مرتكنا الى القواعد المسيحية .

المؤتمر التبشيرى العام ١٩٢٤

قد دعت الضرورة ان تتخذ جمعيات التبشير شكلا جديدا ملائما للحالة الجديدة فى الشرق الاسلامى وان الانقلابات الكبيرة السائرة سيرا حثيثا كان من شأنها ان جعلت النظر فى الحالة أمرا جوهريا ، حضرت المؤتمر وفود بلاد العرب والعراق وايران وتركيا والصين والهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية (٨٠ شخصا) من أعاظم رجال التبشير ومعلميهم واطبائهم والقائمين بالأعمال الاجتماعية والتبشيرية وزعماء الكنائس المحلية وجماعة من المسلمين المتنصرين الكبار (هكذا)

عرض المؤتمر خطة قوامها هذه المغالطات :

أولا : ان الروح القومية اصبحت تدحر روح الجامعة الاسلامية وتحل محلها (تجربة تركيا) فقد كان لالغاء الخلافة اكبر الاثر ليس فى تركيا بل على العالم الاسلامى فالظواهر كلها تدل على انحلال الرابطة الاجتماعية فى الاسلام .

ثانيا : تطور مكانة المرأة وعلى الأخص فى الجديد

ومن ثمار هذا الانقلاب العدول عن الزواج الباكر والتوسع فى الحرية على المرأة .

ثالثا : الانقلاب الفكرى فى الاسلام ومظاهره لا تحتاج الى برهان فالآن تتكون عقلية جديدة من المسلمين نتيجة الاحتكاك والاتصال بالعلوم الغربية والحضارة الغربية خلال الحرب العامة وظهور انحلال العروة الدينية فى الاسلام والثورة ضد كل مأثور قديم .

ثم اشار التقرير الذى نشرته الفتح نقلا عن مجلة الجامعة الاسلامية فى القدس الى التوجيهات للخطة التالية :

أولا : فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجها نحو النشء الصغير من المسلمين وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا كله على كل عمل سواه فى الأقطار الاسلامية ، فان تنور روح الاسلام فى الناشىء الحديث تبدأ باكرا من عمره فيجب والحالة هذه أن يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين الى المسيح قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم حينئذ ويستعصى على العامل المبشر .

ثانيا : كان التعليم التبشيرى وسيلة لا مندوحة عنها لتنظيم قيادة القوات المسيحية ورفعها الى مستوى عال من الكفاية ، ولم يزل التعليم المسيحى هو افضل وسيلة للوصول الى المسلمين ، وان الحاجة الى توسع هذا التعليم وزيادة نشره تتزايد وتتعاظم يوما فيوما من كل جهة حتى ان الحاجة الى اتخاذ مناهج التعليم المسيحى من حيث الأخلاق وبثها لم تزل محسوبة من الحاجات الماسة فى البلدان التى تكامل نظام التعليم الحكومى فيها واستقر على شكل ثابت فاختيار نوع الكتب والمطبوعات التى تنشر والأعمال الطبية التبشيرية من اقوى الوسائل .

ثالثا : الذين يتنصرون من المسلمين يجب أن ينقلوا الى جهة اخرى اجتماعية متكاملة الأوضاع لتلك التى خرجوا منها حتى لا يشعروا بعد انتقالهم الى الهيئة الجديدة بنقص أو ضرر .

رابعا : يرى المبشرون أن الطريق فى كثير من الأقطار الاسلامية غدت سهلة منفسحة للتبشير وعلى نطاق واسع فان عقلية المسلمين وصلت الى حالة كبيرة من الطواعية واللين وتقبل بالسهولة الصورة التى تعطى لها فيجب أن تغطى هذه العقلية الجديدة كلمة المسيح لتنطبع فيها .

خامسا : حاذروا من كل نوع من أنواع الجدل السلبى العقيم ، واعتمدوا على التبشير الايجابى بكلمة المسيح المصلوب والمقتضيات التى يوجبها صلبه واستعمال روح المحبة من خلال الصلاة التى تصله بدين المسلمين ، وعلى المبشر أن يقصد الطبع القلب والفضلى من المسلمين حتى اذا أصبحت هذه الطبقة فى قبضة أيديهم اتخذوا اساسا ينبنى عليه سائر بناء التبشير الذى يراد اقامته .»

سادسا : القضية محصـــورة فى مواجهة واحدة هى تعبئة صـــفوف جديدة من المبشرين وحسن التصرف فى توزيع القوى المجهزة وبذل الجهـــد فى جعل العمل مدبرا تدبيرا حســـــنا ولجعل القوى الروحانية فى صفوف المبشرين حية متكاملة فى جميع الجهات .

سابعا : من مظاهر الانفتاح أن بعض الحكومات الاستعمارية كانت فيما مضى مصـادرة للتبشير فى الأقطار الاسلامية وقد تغير حالها الآن وباتت صديقة للتبشير وعضده القوى تمده بالمعونة اللازمة للقيام بالأعمال الطبية والاجتماعية التبشيرية الخاصة .

ثامنا : الدستور الذى انشىء فى مصر قد اشتمل على نصوص قاطعـــة تكفل الحرية الدينية وصيانتها .

تاسعا : خير الوسـائل هى اقتباس الكتاب العرب دسائس الدعاية المبثوثة فىكتب المبشرين ونشرها فى كتاباتهم ومحاضراتهم كالآراء التى كتبها جرجس سال ونقلها طه حسين فى كتابه (الشعر الجاهلى) .

عاشرا : الحرب الكبرى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية فانفتحت عيونهم على عالم جـديد ما كانوا يعرفونه من قبل وغدا أهل الغنى والمكانة يردون الأقطار المســيحية زرافات ، الألوف من الطلاب يهاجرون من آسيا وافريقيا الى أوربا لطلب العلم وتحصـــيل المعارف ، وسيل عظيم من العمال والصناع يتدفق من شمال افريقيا عـــلى فرنســـه .

وقد أشارت صحيفة الجامعة الاسلامية التى تصدر فى يافا أن المؤتمر استتبع توجيه المطاعن الفاشية الى الاسلام ورسوله وقالت ان المسلمين فى حيفا قد واجهوا انعقاد المؤتمر باحتجاج شديد وأنه أحدث غليانا شديدا بين المسلمين يخشى أن يؤدى الى فتنة عظيمة وطالبوا بحله ومراعاة تقاليد البلاد وعواطف أهلهـــا وان الغرض من هذا احداث فتنة بين المســــلمين والنصارى تحقيقا لغايات سياسية . وقالت الصحيفة أن القس زويمر قام بتوزيع كتب وأوراق كلها طعن بذىء فى الاسلام .

حركة التبشـــــير العالمية

وواصلت مجلة الفتح الحديث عن مؤتمر التبشير الجديد (المنعقد فى ابريل ١٩٢٨) فى القدس وفيه ألقى بيانا يكشف عن هزيمة التبشـــــير فى مخططاته التى نظمها وسعى اليها قال :

ان الطريقة التى سرنا عليها الى الآن لا توصـــــلنا الى الغاية التى ننشدها فقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا وانفقنا من الذهب قناطير مقنطرة وألفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ومع ذلك كله فاننا لم ننقل من الاسلام الى المسيحية الا عاشقا بنى دينه الجديد على اســـاس الهوى ، أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه ، ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول أنه قد دخل فيـــه . ومع ذلك فان الذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحد فيهم فالذى نحاوله من نقل المسلمين الى النصرانية هو اشـــــبه باللعب منه بالجد فليكن عنـــدنا الشجاعة الكافية لاعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وانشلت .

وعندى انه يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين أن نهدم الاسلام من نفوسهم ، حتى اذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا او على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم او فى نفوس من يتربون على أيديهم .

ان عملية الهدم أسهل من عملية البناء فى كل شيء الا فى موضوعنا هذا لأن هدم الاسلام فى نفس المسلمين معناه هدم الدين على العموم وهى خطة مخالفة لما ندعو اليه لأنها خطة الحاد وانكار للأديان جميعا ولكن لا سبيل الى تخليص المسلمين من الاسلام غير هذا الســـــــبيل فانظروا ماذا أنتم فاعلون » .ه.

ويقول السيد محب الدين الخطيب معلقا على هذه النتيجة :

« أنهم نتيجة ذلك عمدوا الى عقد الاواصر مع دعاة الالحاد ، فتـــح الأندية ، جمعيات يزعمون انها ليست للدعوة الدينية — كجمعيات الشبان المسيحية — استمالوا من لا يقترب من معاهد التبشير حتى مؤتمر ١٩٢٤

نشطت هذه الطريقة وكثر عدد الملاحدة من المسلمين ، وكان اعتقادهم أن هدم الاسلام فى نفوس المسلمين انما هو خطوة واسعة الى قبول النصرانية.

والكماليون كادوا للاسلام أعظم كيد وساروا فى الاساءة اليه على خطة محكمة منظمة أتقن تنظيم ، ان الشعب التركى الذى أسكتته المشانق فى الخطوة الأولى فان المشانق التى تسكته فى الخطوة الثانية لم تخلق بعد ».

خطوات فى العالم الاسلامى

واشارت الفتح الى مقال نشرته مجلة العالم الاسلامى التى يصدرها القس زويمر (ابريل سنة ١٩٣٠) تحت عنوان (المساحات التى لم تحتل بعد) اشار فيها الى الأقاليم التى لم يزرها المبشرون بعد ويجب أن تكون موضع اهتمام الكنيسة وميدانجهادها قالت : لا ينبغى أن يبقى فى هذا القرن العشرين للتاريخ المسيحى مكان على وجه الأرض لا تطأه قدم المبشر ، وغالب البلاد التى لم يحتلها المبشرون انما تقع فى دائرة العالم الاسلامى (شمال افريقيا وغرب آسيا ولايتا قنصوه وسنكيانغ فى الصين ، الهند الصينية الفرنسية وسيام حيث يوجد ما يقرب من مليون مسلم ، الأفغان ٨ ملايين ، فارس ، بلاد الأكراد) الخ .

واشار الدكتور زكى على الى مؤامرة التبشير فى السودان (الفتح م ١١ — ١٩٣٧) فقال :

« جاهر غوردون بضرورة تنصير السودان ١٨٧٨ وبمجرد استرداد السودان ١٨٩٩ نشطت حركات المبشرين وتعدتها الادارة الانجليزية فى مصر والسودان بالتشجيع المادى والأدبى ، وأرسلت الكنيسة الانجليكانية ١٨٩٩ البعثة التبشيرية الكاثوليكية حيث أنشأت مراكز تبشيرية فى الخرطوم وأم درمان وواد مدنى وعطبرة وفى عام ١٩٠٥ دعا اللورد كرومر رجال الكنيسة الانجليكانية لانشاء مراكز للتبشير فى مديريات جنوب السودان وتنصير قبائل الزمطا .

هذا وفى نفس الوقت فتحت مجلة الفتح أبوابها لدراسات واسعة حول التبشير وشبهاته المثارة وكان فى مقدمة من تصدى لذلك الشيخ مصطفى

الرفاعى اللبان فكتب عددا من الدراسات : م ٤ و ٥ (١٩٣١/١٩٣٢) منها

مناقشة هادئة للمبشرين .

دعوى الوحى فى الانجيل .

دعوى الوهية المسيح .

دعوى ان مدنية أوربا مسيحية .

حيل المبشرين وتضليلاتهم .

وناقش الشيخ اللبان مطاعن المبشرين : حول تعدد الزوجات ، وزوجات الرسول والطلاق ونشاة النبى فى قوم وثنيين والسيف وانتشار الاسلام ومستقبل الاسلام .

فقدم اجابات وافية حول هذه الشبهات .

كارثة أكبر من ضياع الأندلس

وفى ١٥ مايو ١٩٣٠ وجهت الفتح سهامها للخطر الكبير الذى واجه المسلمين وهو عقد المؤتمر الافخارستى الصليبى التبشيرى فى عاصمة تونس فقال :

« نحن اليوم أمام كارثة أكبر من كارثة الأندلس ، هذه الكارثة العظمى هى أن شيخ الاسلام فى تونس وعدد من حملة علوم الشريعة قبلوا أن تتألف منهم لجنة شرف لمؤتمر التبشير الكاثوليكى الذى عقد منذ أيام فى الديار التونسية واعتمد له مليونان من الفرنكات اخذت من بيت مال المسلمين فى تونس وأعطيت لمؤتمر التبشير الافخارستى فضج لذلك الحزب المعارض فى مجلس النواب الفرنسى وبقى المسلمون أموالنا ، شرف عظيم لشيخ الاسلام فى تونس وعصابته وأى شرف اعظم من ان يكونوا لجنة شرف لتسهيل مهمة كاثوليكية يقوم بها خمسين الف قسيس من حملة الصلبان العاملين بهمة واخلاص لاخراج المسلمين من الدين المحمدى وادخالهم تحت راية الصليب .

لقد كان انعقاد المؤتمر الافخارستى فى بلد اسلامى مما افسح الأمل لرجال الكنيسة فى امكان تنصير المسلمين ، ومدى أهمية هذه المظاهرة

الكاثوليكية الكبرى على مستقبل المسيحية ، وقد قوبل المؤتمر بالفشل المخزى ، أما تونس الحرة فلم تحضر من وجهائها وافاضلها وعامة أهلها احد قط ، واضرب رجال الصحافة ، وتونس افهمت الملاحدة غير الصادقين فى الحادهم انها لا تزال بلدا عربيا اسلاميا اذا سيم الضيم قال بملء فيه : « لا » .

ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية كما يظن بعضنا

وكتب الأمير شكيب ارسلان (م ٥) ان هذه الرسالات فى جميع أمم الافرنج تجاهد فى نشر الدين المسيحى بنشاط يقصر عنه كل وصف ، أحب ان لا ينخدع المسلمون بكلمة ان هؤلاء انما يعملون للدنيا وان الدين انما هو ستار لها فانه يكون من قبيل تشخيص المرض بغير حقيقته وعند ذلك يتعذر كفاحه . ان الحكومة الفرنسية عندما تسهل للقسوس والرهبان الاتصال بالقبائل حتى ينصروها وتمنع دخول الفقهاء وحفاظ القرآن ومشايخ الطرق الصوفية بين البرابر حتى يخلو الجو للقسوس والمبشرين لا شك انها ترمى الى عرض دنيوى هو توطيد استعمارها للمغرب فأما القسوس والمبشرون فان الغاية التى يسعون اليها انما هى أن يحولوا البربر للمسيحية .

سنوك هورمزونج : عدو عاقل ولكنه شديد الخطر

وكتب الأمير شكيب ارسلان م ٥ الفتح ص ٦٧٤ (١٩٣٢) م .

« اقام بالبلاد الاسلامية مدة طويلة اسلم خلالها وحج وجاور بضع سنوات فى مكة واطلع على الدقيق والجليل من أمر المسلمين وتلقى كثيرا من العلوم العربية على المدرسين بالحرم الشريف ، قرات له أربع محاضرات بالفرنسية فىكتاب صدر عام١٩١١ تحتعنوان (سياسة هولنده بازاء الاسلام) وقد أعترف هورترونجه بأن حزبا فى هولندا قائما لجمعيات التبشير يحث الحكومة على أن تحمل مسلمى الجاوى على النصرانية قسرا فبين الخطر العظيم من مماراة جمعيات التبشير على ما عليها من تنفير المسلمين وطعن فى مزاعم بعض النواب كون اسلام اكثر أهل الجاوى والجزائر/البيز لانديه/ لا يزال اسميا فلا بأس بمعاملتهم بغير ما يعامل به المسلمون . ولا نرى شغلا لدول أوربا المدنية فى هذا العصر اهم من المسائل الدينية والاهتمام بالتبشير ومعاضدة القسوس فى دعايتهم ببلاد الاسلام .

الاســلام والبعثات الكاثوليكية

واشارت الفتح الى الكتاب الذى اخرجه المجمع الكاثوليكى فى باريس مجموع محاضرات بشأن الاسلام (دريمور دولانوبارى) فى المجلد الخامس ص ١٩٢ فأورد ما اشارت اليه الأبحاث من أن الحرب العالمية الأولى قتل فيها أثنى عشر مليون قتيل وجرح ثلاثون مليونا ، واشــار الى حكومة البحث وهو قولهم :

ان التجارب حققت لنا أن المسلمين الذين فى ممتلكاتنا فى افريقيــا لا يصيرون ابدا رعايا مخلصين لفرنسا ان لم يصيروا مسيحيين فعلى هذا قد تضافرت شهادات القسوس والمبشرين والاشــخاص العالمين الذين عرفوا الاسلام حق المعرفة .

الحــرب الصليبية الجديدة

وفى الفتح م ٥ ص ٧٥٤ (١٩٣٢) كتب الاستاذ عبده مليوه أبو الخير مقال : حذرنا خالد شلدريك من حرب صليبية تتولى زعامتها ايطاليا وجاءت مظالم الايطاليين فى برقة مؤكدة لهذا الراى وصرح (أوجين يونج) فى كتابه الاسلام فى آسيا أمام المطامع الأوربية بأن هنالك غارة صليبية جديدة تدبر للقضاء على العقيدة الاسلامية وتبديد شمل أمم الاسلام وقيام حركة للتنصر واسعة المدى تتزعمها الكنيسة الكاثوليكية . وتنظر الشعوب اللاتينية الى الكنيسة الكاثوليكية كنصير يجب ان يساعدوه حتى ينشر الدعوة المســيحية ويكون من ورائها التوسع الاســتعمارى ، وقد رأينا بوادر هذه الحركة فى بلاد المغرب ، ويدعى أصحاب هذه الحركة ان البربر من سلالة اوربية لذلك يجب أن يخضــعوا للقانون الفرنسى وبمحو اللغــة العربية من اذهانهم ويستعيضوا عنها باللغة الفرنسية أو بلهجاتهم البربرية .

والآن تتقدم ايطاليا الى الاسلام كزعيم للكنيسة الكاثوليكية بعد ان سوت مسائل الخلاف بينها وبين البابا .

وهنالك عدو آخر فى فلسطين هم اليهود وكأننا نرى اليهود والكاثوليك جنبا الى جنب يمشيون للقضاء على الاسلام .

حقا انها حرب صليبية جديدة : ارساليات كاثوليكية تشاد يوما بعد يوم فى الأراضى المسلمة وثروة الولايات المتحدة تسند هذه الارساليات .

حملة التبشير الكبرى : الجامعة الأمريكية فى القاهرة

وسرعان ما انفجرت حركة التبشـــير الكبرى فى القاهرة عن طريق الجامعة الأمريكية وقد احدثت أصداء واسعة فى الصحافة وحفلت الفتح شوال ١٣٥٠ المجلد السادس (١٩٣٣) بالنتائج التى وصلت اليها صيحة المركز العام للشبان المسلمين وموقف الأمة الاسلامية تجاه عدوان المبشرين، فقد قدمت عدة توصيات هامة فى مقدمتها :

(١) مراقبة سير التعليم فى مدارس المبشرين والمؤلفات التى تقـــدم اليهم .

(٢) منـــع المدارس المسيحية من مطالبـــة المسلمين بأداء العبادات المســـيحية .

(٣) مراقبة مستشفيات المبشرين وأماكن محاضراتهم ومنع اتخـــاذها وسيلة للتعدى على الاسلام بأساليب خبيثة .

(٤) انشاء مدارس اسلامية لتغطية حاجة المسلمين وحتى لا يدخلون مدارس التبشـــير .

(٥) قصر جهود الارســـاليات على أبنـــاء الديانة التى تتبعهـــا الارســـاليات .

وقد ألقى الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس الشـــبان خطابا هاما فى مجلس النواب عن هذه التحديات وكشف عن الاساليب التى استعملوها فى تنصير ابناء المسلمين ومنها استعمال طريقة التنويم المغناطيسى .

٢ — وكتب السيد محب الدين الخطيب معلقا قال :

ان أعداء الحقيقة الاسلامية استعدوا لمكافحتها بأحدث أساليب الطى والنشر ونظموا القوى التى تشترك فى هذا الكفاح وصنفوا لذلك كل اداة لاح لهم أنهم سيحتاجون اليها أثناء العمل من دورات عملهم مدارس جامعـــة أنفقوا عليها الألوف وجمعيات غنية منظمة مجهزة بالصحف والمطابع ودور

الكتب ومكاتب الاستخبارات ورجال العمل المتمرنين عليه وان لها أعوانا فى صميم بيوتنا ».

ويزعم كاتب جريدة الشرق (المشرف عليها الدكتور طه حسين) أن الجامعة الأمريكية بريئة من التبشير مع أن مدير تلك الجامعة له كتاب مطبوع يفخر فيه بأنه داعية .. وان الجامعة الأمريكية معترفة بكتب هى من كتب التدريس عندها وفى هذه الكتب طعن على دين الاسلام ورسوله . أن أعداءنا يهاجمون أبناءنا فى عقائدهم وفى حقيقتهم ، وصـــاروا يخطفونهم من بين احضاننا ويفسدونهم علينا . يجب على كل مسلم يرى فى نفسه استعدادا للمنافحة عن حقيقة الاسلام ان يجند نفسه بالمعدات اللازمة لذلك وأن يهب نفسه لله (م ٦ الفتح) .

٣ ــ ويواصل الفتح حملته كاشفا من كتب المبشرين ومســاعيهم فى المدارس الأجنبية وخاصة كتب جماعة الفرير : « هذه الكتب المحشــــوة بالطعن على الاسلام يبيعونها للناشئة من شاء منهم ومن أبى ويغرســـون مغزاها فى نفوسهم كى ينشـــأوا كارهين لدينهم وبلادهم أو ليخرجوهم من ملتهم .

وكان الأستاذ محمد عبد الحميد قد مر بهذه التجربة معهم فهو يكشف خفاياهم ، وقد عرض أسماء مجموعة من الكتب تباع فى المكتبات منها كتاب باسم (توبيخ الاسلام) وعـــدد من الكتب التى ترمى الى تقريب المسيحية الى ذهن المسلمين وكلها تدور حول سوء القصد فى التعبيرات حول الاسلام والنبى واللغة العربية والأزهر .

وقال ان الجامعة الأمريكية فى القاهرة تعد مصيدة دينية باسم العلم

٤ ــ وكتب الأستاذ عجاج نويهض فى هذا الصدد فقال :

ان شر القوى المتسلطة على التفسير العام هى المدارس الأجنبيـــة بمختلف ملاقاتها وأنواع جمعياتها التى تنتمى اليها : هذه المدارس مراكـــز مسلحة بأحدث آلات الافساد وعطها الغارة على الأمة وناشئتها مما لا يقل بوجه من الوجوه عن الغارة العسكرية الحربية ، بل غارة المدارس الأجنبية

أقتل وانفذ واستر عن العين واخبث وسيلة وأكبر شرا . فالناشىء الحدث الذى شب بعد الحرب العالمية والذى يدخل المدارس الأجنبية المجهزة بكل الوسائل المدرسية للاستيلاء على عقول الطلاب فهو عندما يدرك الثلاثين أو الأربعين قد انقلب ليس فقط الى أن يكون عاملا مسخرا للأجنبى يؤدى للمسيطر عليه الضريبة ، بل هو مسلوب الدين والعقيدة ، فاقد الانفة العربية الصحيحة ، يرى من الثقافة القومية وتاريخ العرب وتاريخ الاسلام فى رأيه ساقط مكذوب والتقاليد القومية يراها ضحكا وسخرية .

كذلك فقد مضى الأستاذ مصطفى الرفاعى اللبان فى تفنيد الشبهات التى أوردتها كتب المبشرين وكان له باع طويل فى هذا المجال اتسع له مجال البحث اعواما طويلة يعرض لشبهات كتب النصارى والمبشرين والملاحدة وغيرهم .

وقد أشار فى الفتح م ٦ (فبراير ١٩٣٣) الى مجموعة الشبهات التى اوردتها كتب المستشرقين ورد عليها واحدة واحدة :

(١) الاسلام دين جمعت مبادئه من الأديان كلها حتى الوثنية والاباحية

(٢) « محمد » صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون نبيا لأنه من الأمم غير الاسرائيلية ومحرم على غير بنى اسرائيل أن يخرج منهم نبى أو مصلح .

(٣) المسلمون اتباع شهوات وعبيد لذات واقران قسوة وغلظة وشدة .

(٤) القرآن كلام محمد وأعانه عليه قوم آخرون من الأعاجم العارفين بالأديان السابقة .

(٥) الاسلام جنى جناية لا تغتفر بوصفه المسيح بالعبودية والرسالة فقط .

(٦) رجال العلم من المسلمين يتعلقون بآيات من التوراة والإنجيل مدعين أن فى طياتها بشارات فيهم مع أن الأمر ليس كذلك .

موقف الجامعة الأمريكية بعد حوادث التنصير

كشفت الدوائر الاسلامية موقف الجامعة الأمريكية وخروجها عن حدود الرسالة المنوطة بها ، ومخالفتها لمذهب حرية الأديان فى التعليم ، وطالبت الهيئات الاسلامية الجامعة الأمريكية بعدم التعرض للاسلام والا كانت خليقة بتقليم أظفارها ومنع التعليم فيها حماية للمسلمين : وقال السيد محب الدين الخطيب : هبوا اننا أسسنا مدرسة فى أمريكا تتعرض للديانة المسيحية وتحرض المسيحيين على تعلم الديانة الاسلامية فهل تصبر علينا حكومتها .

٢ — وعلق الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان (م ٧ ص ٣٤٩) على أحداث التبشير فقال : منذ قرن ونيف كان النصارى العرب فى الشرق الأدنى يعيشون مع اخوانهم العرب المسلمين فى وفاق تام فلا نرى نصرانيا يسىء الى الاسلام الحنيف بكلمة بل يدافع عنه فلما جاس المضللون خلال الديار وعاثوا فيها فسادا ونشروا مؤلفاتهم السخيفة المشحونة بالأكاذيب المفتريات والنقول الخاطئة عن الدين الاسلامى وانتشرت مدارسهم هنا وهناك جعلوا من مواطنينا النصارى شيعا وطرائق قددا ووضعوا فى نفوس بعضهم بذور الطعن المرفوض على الاسلام ورجاله .

٣ — ولما كانت حركة التبشير استمرت للعام الثالث ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ فقد واصلت الفتح حملاتها لم تتوقف .

ففى المجلد السابع ص ٧٩٦ نجد هذه الصورة عن تعليم الفتاة المسلمة فى مدارس الراهبات : بعد دخول البنات المسلمات مدرسة الراهبات الكاثوليكية وتعودت آذانهن نغمات كلمة الصليب والأيقونة والتديسين والثالوث والعذراء ولا ريب أن قلوبهن وعقولهن لم يوضع فيها شىء عن محمد صلى الله عليه وسلم ولم يسقط عليها شعاع من القرآن وهداية الاسلام ، وما برح دعاة النصرانية يعرضون على بعض الفتيات المسلمات فى مدارسهم صور شباب مسيحيين على شىء من الجمال ويرغبوهن فى أن يكون خطيبات لهؤلاء الشبان وبين عشية وضحاها تسمع صراخ الآباء التيوس يتردد صداه على صفحات بعض الجرائد بأن مدرسة الراهبات الكاثوليك أو مدرسة الأمريكان البروتستانت نصرت بناتهم ومنعتهم من

الاتصال بين ويحاول الأب التيس الذى اختطفت ابنته من تحت ذقنه ان يعيدها الى سلطته ولكن هيهات ، فان البنت استأنست بالصليب والأيقونة والقديس والثالوث والعذراء وصارت غريبة من محمد صلى الله عليه وسلم وعن القرآن وهداية الاســـلام وقد وعدوها بأن تكون مدرسة فى احدى مدارسهم او ممرضة فى احدى مستشفياتهم أو مبشرة بالصليب وستقول لكل من تتصل به من المسلمين والمسلمات انا بنت فلان وكنت مسلمة ، ولما علمت أن دين الاسلام دين قذارة ووحشـية وشـهوات ونفاق تحولت عنه الى النصرانية ، كل هذا حدث لأن أباها جعلها فى محيط لم يفكر فى نتائج وجودها فيه فطارت من يده وصارت حربا عليـه وعلى دينه ومن ثم فان كل جريمة تقع على الاســـلام فى مدارس دعاة النصرانية ومعاهدهم ومصايدهم فان المجرم الاكبر الذى يعد أصيلا فى ارتكابها هو المسلم الذى كان يمكنه ابعاد الابن المسلم أو البنت المسلمة عن مصايد التنصر وتهاون فى ذلك » .

٤ — وتواصل الفتح فى العام الثامن (١٩٣٥) الحديث عن أخطـار التبشير فتقول تحت عنوان (المسلمون يساعدون محمدا صلى الله عليـه وسلم بالدعاء لا غير ، والنصارى يبذلون مئات الملايين كل سـنة لتنصير الكرة الأرضية) (شكيب أرسلان) : من الذ ما يلذ المبشرين وأهم ما يهمهم تنصـير المسلمين خاصة فانهم لو نصروا مائة بوذى أو خمسـمائة فيتشى ما سرهم ذلك بمقدار تنصير مسلم واحد ، لذلك نجد لهم فى العالم الاسلامى مجاهدات فى هذا السبيل تحار فى أمرها العقول ، وحاضرى فى الأيام الأخيرة فى مصر الا هو صفحة من صفحات هذا التاريخ الذى مضى عليه وقت طويل والمسلمون غير غافلون أو متغافلون . ولو لم تكن قلعة محمـد صلى الله عليه وسلم أمنع قلعة روحية بناها مؤسس شريعة فى الدنيا لكانت الحملات التبشيرية قد أتت على الاسلام من قواعده لكثرة وسائلها وأدواتها وتصرفها فى المال والجاه مما هو فوق الاحصاء على حين أن الاســلام نائم يغط فى سبات عميق ولا ينفق على الدعاية لنفسه واحدا من مليون من الأموال التى يبذلها المسيحيون » .

التبشير فى كل مكان

وقد مضت الفتح تواصل ضمن أبوابها المتعددة قضية التبشير لا تغفل منها فهى تشير فى أحد أعدادها الى التبشير فى بغداد فتقول : انهم جعلوا ٣٠ روبية شهريا لكل من يعتنق النصرانية فى لواء العمارة ، وقد سجل بعض الفقراء أسماءهم ليتقاضوا هذا الراتب بدون مقابل اللهم الا وقوفهم مدة خمسة دقائق ليصورهم المبشر ويرسل صورهم الى انحاء العالم وحضورهم كل يوم الى احد مراكز المبشرين لاستماع المواعظ .

خالد شلدريك يفحم قسيسا

ويقول الدكتور خالد شلدريك : كنت مسافرا فى باخرة متجهة الى الشرق وكان عليها مسافرون كثيرون من ملل مختلفة واتفق جلوسى فى أحد الأيام على مقربة من قسيس مسيحى رآنى انتقد امورا دينية عن المسيحيين فظن انى يهودى واخذ يقارن بين المسيحية واليهودية ورددت عليه قوله ثم اخذ يقارن بين المسيحية والبوذية فرددت عليه ، ومازال ينتقل من ديانة الى اخرى ليعلم دينى فصارحنى بالسؤال ودهش اذ علم انى كنت نصرانيا واسلمت واخذت افيض فى بيان محاسن الاسلام وفضله على جميع الأديان حتى الجمته ، وقال ان الذى يغير دينه لا شك امرؤ سوء ومنافق فقلت يا حضرة القسيس انت مسافر من أوربا الى الشرق لتدعو الشرقيين الى تغيير دينهم والدخول فى المسيحية فانت تدعو اذن كل شرقى لأن يكون امرؤ سوء ومنافقا فخجل جدا وضحك عليه الكثيرون » (م ١٣ الفتح) ١٩٣٨ .

واشارت الفتح الى ان المبشرين جعلوا من كتاب الشيخ على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) محاضرة ينتصرون فيها للسفاسف الواردة فى هذا الكتاب لانه مما يساعدهم على بلوغ مآربهم فى الاسلام وذلك بدار المبشرين (٣٣ شارع الفلكى أمام محطة باب اللوق) .

وذكرت الفتح نقلا عن جريدة (ازفستيا) موسكو — بتوقيع كانديدوف تحت عنوان البابا يتولى ادارة مدرسة للجاسوسية ان (الاب بيوس الحادى عشر) اقام مدرسة خاصة تدعى روسنكوم يدرب فيها العاملون من الحرس الأبيض على الجاسوسية ضد عددا من الدول المتاخمة لبلادها لحدود روسيا

الشرقية والغربية ظهر فى المحكمة العسكرية بموسكو أن للرهبان شركة فى استخدام الارهابيين والمجرمين وان الجواسيس الكاثوليك لا يقلون عن اخوانهم الأرثوزكس ومن محاكمات الكهنة البولنديين الارثوزكس والباتست اوضحت أن مكاتب الجاسوسية فى الدول المجاورة لروسيا كانت على اتصال مع المتهمين .

معاهدة مونترو لالغاء الامتيازات الأجنبية

ولما عقد مؤتمر مونترو لالغاء الامتيازات الأجنبية تعالى صوت معاهد الهيئات الدينية التبشيرية فى مصر من كاثوليكية وبروتستانتية تنذر بالخطر وتطالب بالحماية . وكتب السيد محب الدين الخطيب يقول : لم تكن معاهد الهيئات الدينية الأجنبية فى مصر فى حاجة الى من يحميها من مصر حكومة وشعبا ولكن مصر هى التى كانت ولا تزال فى حاجة الى الحماية من هذه المعاهد فالمسيحى واليهودى فى المدارس المصرية — حكومية واهلية — لا يفرض على احد ما يخالف دينه ولا يجبر على اداء عبادة أو القيام بطقوس ليست من دينه ولا يطلب اليه دراسة كتب شريعة أخرى غير شريعته ، وعلى العكس من ذلك مدارس هذه الهيئات الدينية الأجنبية التى تتسابق الدول فى مونترو الى طلب حمايتها فانها هى التى تدرس كتبا فيها وقاحة وقلة ادب ومخالفة للحق ، والواقع فيما يتعلق بالاسلام ورسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم كما رأينا فى كتاب التاريخ المقدس الذى يدرس فى مدارس الفرير والجزويت ، فضلا من أن هذه المعاهد تجبر من هو على غير دينها من تلاميذها على اداء صلاة وتلاوة ادعية لا يعتقد بصحتها وعلى درس كتب دينية تفسد عليه دينه وتجعله فى نظر نفسه وذويه وبنى وطنه كافرا ، وعلى كثرة ما صدر من هذه الهيئات التبشيرية من استعمال الأساليب ومنها التنويم المغناطيسى والاغراء والخطف والتهريب الى خارج أرض الوطن « مايو ١٩٣٧ » .

اليسوعيون ودورهم فى معركة التبشير

وكتب الأستاذ محمد روحى فاضل من جهود اليسوعيين فى التبشير فقال منذ نيف واربعمائة عام اجتمع سبعة أشخاص من أمم مختلفة فى زاوية من زوايا كنيسة مونمارتر فى باريس وبحثوا فى أمر دينى خطير ، اتفقوا على

ان يرحلوا الى فلسطين لتنصير المسلمين وان يطيعوا البابا فى كل ما يأمر به ، وكانت الكاثوليكية قد ضعفت وأخذ الأوربيون يدخلون فى البروتستانتية افواجا ، قرر هؤلاء السبعة القيام بحركة دينية بابوية تنصيرية يعيدون بها النفوذ القديم للكنيسة الكبرى ومن بينهم شخص اسمه (ايتيمياس دولويولا) اوسعهم علما الباعث الأكبر على هذا الاجتماع ، يعده المؤرخون الثقاة مؤسس الفرقة اليسوعية التى لعبت على مسرح العالم أدون دور وشغلت أرفع منصب وتفردت بين الفرق الدينية بصرامة نظمها وشدة اخلاصها وبعد غاياتها وقد حض فى القرن السادس عشر (عصر النهضة) على أن يقوموا بنهضة دينية تقاوم تيار البدع والهرطقة وينشئوا الجمعيات التبشيرية المنظمة ويوطدوا دعائم الكنيسة الكاثوليكية وينشروا اللغة اللاتينية فى الصلوات والأعياد بين الأمم كافة لتبقى حية يتدارسها الناس ويترنمون بها الأناجيل وقد ولد (دولوبولا) أبو اليسوعيين ١٤٩١ وترعرع فى بلاط فرديناند الكاثوليكى الملك المتعصب الماكر الذى أخرج من الأندلس البقية الباقية من المسلمين والمعروف بكراهيته للعرب والاسلام ، وقد توجه بعد أن ترك العسكرية الى خدمة المسيحية ، وقرر انشاء فرقة اليسوعية ، التى تقوم على الطاعة العمياء أول ما يجب على الأفراد ان يقوموا به والرؤساء محترمون لهم هيبة القادة فى نفوس الجند ، والسلاح الذى حمله اليسوعيون فى هذه الحرب هو العلم ، فقد اسسوا الجامعات العالية وربوا أبناء الأشراف والملوك فحببوا لهم الكاثوليكية وكان لهم أثر قوى فى صفوف المانيا وفى النمسا والبلجيك وجاءوا الى لبنان ومصر (واسسوا المعاهد والمدارس والارساليات التى حملت لواء الحرب الشديدة على الاسلام)

قاموس المنجد

وقد كان من أكبر اعمال اليسوعيين « قاموس المنجد » الذى تعرض له أكثر من كاتب من كتاب الفتح فى هذا الوقت الباكر فكشفوا من سمومه وأهدافه الخفية .

ففى مجلد الفتح السادس (١٩٣٢) يكتب محمود يس فيقول :

دس اليسوعيون الدسائس فى الكتب التى يضعونها او يؤلفونها بغية

الحط من الدين الحق الذي يريدون محاربته بنشر مبـــادىء دينهم ، هـــذا الكتاب (المنجد) الف ليكون معجما مدرسيا للغة العربية والعمل على اعلاء شأنها ونشر ثقافتها ، والمبرر لدس الدسائس من خلال سطوره ومعانيه ، وما هو وجه تفسير كلمة (الطلقاء) بأنهم الذين دخلوا فى الاســـلام كرها ، وهو تفسـير عار من الصحة لا يقصد به غير تشويه سمعة الاسلام مما هو منه برىء .

ما وجـــه تحقيقه كلمة النصرانية فى قوله : دان ودينا وديانة وندين بالنصرانية : اتخذها له دينا ، ما وجه قوله فى مادة ع. م د (وعمد الولد غسله بماء المعمودية وقوله فى هذه المـــادة (والمعمودية اول اسرار الدين المسيحى وباب النصرانية) مع أن الذى ذكره علماء اللغة فى هذه المـــادة هو أن لفظ المعمودية معرب ، من كلمة معموذيت بالذال المعجمة ومعنـــاها الطهارة وهو ماء أصفر للنصارى يغمسون فيه ولدهم معتقدين أنه تطهـــر له ، اما أن المعمودية اول اسرار الدين وأنها غسل الصبى بالماء باســـم الأب .. الخ . فهذا ما لا وجود له عند علماء اللغة ، وليس هو من موضوع الكتاب فى شىء ، وما وجه قوله فى مادة (جدف) جدف على الله تكلم عليـــه بالكفر والاهانة وهو اصطلاح كهنوتى لم يذكره اهل اللغة والذى ذكروه أن التجديف هو الكفر بالنعم أو استقلال عطاء الله تبارك وتعالى (من القلة) وحقيقة نسبه النعمة الى التقاصر ولم أر من ذكر ان التجديف يجمع عـــلى تجاديف ، ومادة (مسح) قال المسيح لقب الرب يسوع ابن الله المتجسد . ومادة قدس : قال : قدس الكاهن عند النصـــارى أم القـــداس ، وقـــوله (الروح القدس عند النصارى) الأقنوم الثالث من الاقانيم الالهيـــة . كل هذا ليس من اللغة العربية التى الف الكتاب لبيان مفرداتها فى شىء وانما هو اصطلاحات كنائسية ولو فعل هذا لخلص من وصمة التدليس » .

ويشـير الأستاذ محمد تقى الدين الهلالى الى خطر كتاب المنجد ويقول انه مثل على دســـــائس دعاة النصرانية وتحريفهم للكتب التى يطبعونها تحريف يفسد معناها . ويقول : ان المعجم المسمى بالمنجد مأخوذ من (أقرب الموارد) وفى كتاب المنجد أغلاطا وتحريفات كنت أحملها على قصور المؤلفا

الى الامس فبينا انا أراجع فى المنجد نقطة وقع نظرى على لفظ (الطلقاء) ماذا الأب الحنون على أولاده يقول : الطلقاء هم الذين دخلوا فى الاســـلام كرها . واستغربت هذا التفسير ولم اشك انها دسيسة لطيفة من هـــذا الاب ولفظ الطلقاء : الطليق الأسير اطلق عنه اساره وخلى سبيله كما ورد فى مختار الصحاح بالحرف .

ومرة أخرى تعرض الفتح لقاموس المنجد فيقول أحد كتابها :

ان كتاب المنجد المنتشر انتشارا هائلا على ما فيـــه من الاصطلاحات الكنائسية والألفاظ الفظيعة التى لا يجب أن تقع عليها انظـــار الأحداث ، الف فى خدمة التبشر واقحام مفاهيم كنسية على اللغة العربية ومن الكلمات التى دسها صاحب المنجد ليكون كالنموذج فقط .

مادة (انبثق) : وعند النصارى الروح القدس ينبثق من الأب والابن أى يصدر .

مادة (صعد) : وعند النصارى خميس الصعود ، اليوم الذى صعد فيه الرب المسيح على السماء .

مادة (صلب) : الصليب العود المكرم الذى صلب عليه السيد المسيح

مادة (دلى) : تعال الله دليك اى حافظك .

مادة (سدر) : وسدرة المنتهى عندهم شجرة من نبق عن يمين العرش

وهكذا يعبر اليسوعى عن معتقدات المســـلمين تارة بعبـــارات : (يزعمون أو بزعمهم ، أو يتقولوا ، وفق اعتقادهم) وغير خاف أن هـــذه الالفاظ لا تستعمل الا فى الأمور المشكوك فى صحتها وغرض المصنف فى ذلك تشكيك المسلمين فى عقائدهم .

الاســــــتشراق

كان الاستشراق جزء من حركة التبشير وكان دهاقنة التبشـــير هم الظاهرون فى هذه المرحلة ، وقد ظل الاستشراق يعمل من وراء ستار زمنا

طويلا ليقدم تلك (السموم) التى كان يذيعها المبشرون عن طريق المدارس والجامعات والصحافة ولكن هذا لا يمنع من القول بأن جميع الذين ذهبوا الى اوربا تلقوا تعليمهم على المستشرقين وان اغلبهم ادخل معهد الدراسات الشرقية الذى خصص لطهو عملاء الاستشراق ، وهؤلاء هم الذين عرفوا مخططات التبشير والاستشراق وخلفياته والوسائل التى يدخلوا بها مفاهيمه فى الفكر الاسلامى عن طريق تحقيق كتب معينة من التراث أو اثارة قضايا محددة فى اللغة والأدب وفق مفهومهم الذى يقول بأن الكاتب العربى يستطيع ان يكون موضع ثقة أهله ومن هنا فان كل القضايا التى أثارها التبشير لم تلبث أن انتقلت الى أيدى طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق واسماعيل ادهم احمد وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وهذا هو التبشير يلبس قفازا من حرير ويظهر من خلال كتابات لها ظاهر براق وباطن مسموم .

ولقد كان طه حسين هو اجرأ هؤلاء الكتاب على الدعوة الى كتابات المستشرقين واذاعة آرائهم والدفاع عنهم .

وقد أشارت الفتح الى مهمة الاستشراق حين قالت :

ان مهمة المستشرقين الحقيقية أن يكونوا عيون أوربا الناظرة الى عقول سكان الشرق الاسلامى ، والباحثة عن الثقافة المؤثرة فى قلوب المسلمين وان أهم أعمالهم تأليف دائرة المعارف الاسلامية ، ومدارس اللغات الشرقية لتخريج الساسة والقناصل والمستشرقين الذين يعملون فى بلاد تلك اللغات ولا تقوم أمة بعمل يتعلق بالاستشراق الا تبادر الأمم الأخرى الى مثله ، وهناك مجلات خاصة بالشرق وعلومه وأحواله والمكتبات الاستشراقية فى لندن وباريس والمتحف البريطانى ومكتبة الفاتيكان والاسكوريال ومن ابرز مظاهر خضوعها للاستشراق فلا يطلع مسلم عليها وكان أول الاستشراق ببسط سلطانهم على علوم العرب فى الأندلس والحروب الصليبية .

(٢)

وتحدث الأستاذ احمد عبد السلام بلافريج من المغرب الذى يدرس فى باريس عن كتاب (حياة محمد) لأميل دوركايم فقال : انه اقام مدة الحرب الوطنية بالريف كمراســـل لجريدة الالفورماسيون فتعرف فى فاس ببعض شبابنا وخالطهم ودرس بعض عاداتنا ، وهو مسيحى مغرق فى مسيحيته ، معجب بمتصوفينا ، واشار الكاتب الى ان كتابه يحتوى على اغلاط وهناك ما يخالفه فيه ، وقال : اوربا لم تعرف الا صورة للاسلام مشوهة مكذوبة عن طريق جماعة المبشرين او المتفنين الذين ينتسبون الى الاستشراق وأن الكتب التاريخية المقيدة فى مدارسهم محشـــوة بالخرافات والاباطيل فى كل ما يرجع للاسلام ، ومن ذلك قولهم عن محمد فى المدرسة الافرنسية انه كان محتالا وأن كتابه ملفق من التوراة والانجيل ، لذلك فان كتاب درمنجم سيكون له اثر حسن عند قرائه الفرنســـيين فى تصحيح بعض ما يتخيلونه عن سيرة النبى او فى مواطن كثيرة وغلط فيه كثير من المواطنين وقد لاحظت فى كتاب (حياة محمد) خطأين عظيمين :

(الأول) قوله أن محمد تأثر بمن عرفهم من المسيحيين دون أن يبرهن على شىء ومن المعلوم أن المسيحية فى عهد البعثة كانت فى حالة انحلال ، وكان المسيحيون مشتغلون بالسفاسف والمجادلات اللفظية وكان مســيحو انجزيرة أعرق المسيحيين فى الجهل ، فهم يجهلون كل شىء عن دينهم وغير دينهم ، وكانت صلتهم بالمسيحية واهنة جدا ، ونبينا كان أميا لا يقـرأ ولا يكتب ولذلك لا محل للقول بأنه رجع الى كتبهم بصرف النظر عن هذا فان آفاق القرآن فى ملكوت آخر .

اما (الخطأ الثانى) فهو ذهاب درمانجم الى أن الاسلام لا ينافى العقيدة الأساسية المسيحية (التثليث) وهو زعم غريب فى بيانه مع صراحة القرآن فى نفى ذلك . ان المؤلف يريد أن يفهم (روح الله وكلمته) فهما خاصا يخرج هذا القول من مدلوله فى البيان العربى ويخالف قول الله عز وجل فى صريح القـــرآن :

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

والحقيقة هى ان عيسى عليه السلام فى القرآن ليس الا عبداً أو نبيا ورسولا كسائر أنبياء الله مع ما هنالك من التفصيل المنصوص عليه وليس فى القرآن ما يرفعه فوق البشر . ومســــألة الصلب التى هى واضحة فى القرآن كل الوضوح ، يريد المؤلف أن يراها مبهمة ويريد أن يشكك فيها وما كان أغناه عن ذلك ، وأى اتهام أو غموض فى قــوله : (وما قتلوه وما صلبوه ولــكن شبه لهم) .

ولعل الحامل للمؤلف على هذا سعيه فى التوفيق بين الناس .

(٣)

وفى بحث آخر نشرته الفتح عن أميل درمنجم وكتابه تحت عنوان :

المستشرق أميل درمنجم الفرنسى يشهد بأن الاسلام دين عالمى :

قالت : بعد أن نشر أميل درمنجم بحوثا ، درس الاسلام ، بعد أن نظر فى كل ما صادفه من عادات المراكشيين وتقاليدهم الدينية وترجم همزية عمر بن الفارض وشرحها للشيخ عبد الغنى النابلسى ، ثم نشر (حيــــاة محمد) وهو الأصل الذى اعتمد عليه الدكتور محمد حســين هيكل فى كتابه (حياة محمد) .

ومما قاله درمنجم :

ان المسلمين باعتبار كونهم أمة وسطا بتسمية القرآن يلوح لى انهم معدون جغرافيا وروحيا لأن يكونوا جماعة اتصال بين الغــــرب والشرق وبين شعوب شمال البحر المتوسط وأفريقيا ، فهذا الارتباط الذى لابد منه دون شك لحفظ للتوازن الروحى للعالم ، وهذا الموضوع من قلب الكوكب الأرضى من جاوه والهند الى المغرب يظهر انه أضفى هذه الكتلة المؤلفة من (٣٠٠ مليون) من البشر ، ان يكونوا مركز الثقل للعــــالم القديم ، ولهذا السبب نجدها محل عناية العناصر المختلفة وقد صار ذلك أشــد وضوحا اليوم فى أوربا التى يمزق بعضها بعضا أمام نظرها الآن .

وعلق الكاتب على ذلك فقال : ننكر عليه صرف مدلوله آية (وكذلك

جعلناكم أمة وسطا) عن مرماها الدينى الى مرمى اجتماعى وخاصة فى موطن كبير الدلالة على مهمة الاسلام وعلى ميزته على سائر الأديان ، ليس معنى الآية أمة وسطا فى بلاد تصلح لأن تكون جماعة اتصال بين الشرق والغرب. ولكن معناه أمة هى فى عقائدها وأحوالها وآدابها على الصراط السوى بعيدة من الافراط والتفريط وهذه أمانة أدبية لم تحملها أمة غيرهم وخروجهم من سواء السبيل فى عقائدهم وتقاليدهم ليكونوا شهودا على غيرهم فى غلوهم وتعضيدهم : تلك هى الأمة الاسلامية .

وللمؤرخ ظاهرة فى هذا الموطن تفرض على تشخيصها وهى ان أساس التقليد التاريخى المشترك بين دول أوربا والعالم الاسلامى ، هو الوحى الذى أنزل الى ابراهيم ومن جاءوا بعده ومنهم موسى وغيره ، والثقافة اليونانية التى نقلها العرب الى الغرب من رياضييهم وفلاسفتهم : افلاطون وارسطو .. وفكرة القانون والنظام الشرعى الذى كان قائما فى روما ، فليس يدهشنا والحالة هذه أن الضمير الاسلامى يستنكر حربا على مبدئه وعزيرته كل مذهب يدعو الى العنصرية والنيتشية والى الفلسفة المادية لتاريخ البشرية والى اية حكومة استبدادية ذهابا الى أن الله قدس الشخصية الانسانية والهيئة الاجتماعية معا ..... الخ (م ١٥ الفتح) » .

(٤)

وتحدث الفتح عن ما كشفه الأستاذ مصطفى السباعى من افتراءات المستشرق اليهودى جولد زيهر على الامام محمد بن شهاب الزهرى (م ١٥ الفتح) حيث قال :

هؤلاء المستشرقون عكفوا على دراسة كتبنا دراسة واسعة ونزموا لذلك وتقاسموا التخصص بينهم الى حد عجيب فاذا أراد أحدهم ان يظهر للناس برأى جديد عزم عليه يلفق من هذا الكتاب رواية ومن هذا الأثر كلمة ومن هنا ومن هنا ثم يربط بعضها ببعض ويحورها كما يشتهى او يحاول فهمها كما يشاء مع ضعفه فى اللغة وقصوره بأمه منها ثم يستنتج منها المطلوب الذى يسعى جهده ويبثه بين الناس » .

وهدفهم من هذا التحريف وقلب الحقائق التاريخيـــة ، ومن هذا ما يتعلق بالامام محمد بن شهاب الزهرى ، فان الشيخ على حسن عبد القادر اثناء دراسته لتاريخ التشريع الاسلامى ، نقل من المستشرق المعروف جولد زيهر زعم ان الصحابة كانوا يكتبون الحديث كما يكتبون القرآن وقوله أن عبد الملك بن مروان وجد الزهرى مستعدا لأن يضع له أحاديث فى فضائل بت المقدس مع ان تصنيف التاريخ يقطع بأن الزهرى لم يكن يعرف عبد الملك ولا رآه بعد وأنه وفد على عبد الملك فى حدود سنة ثمانين اى كان بعد مقتل عبد الله بن الزبير ببضع سنوات وهذه قضـــية فصـلها الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه عن السنة ومكانها فى التشريع (م ١٤ الفتح ص ٩٢٦) .

(٥)

كذلك فقد عرض الأستاذ احمد عبد الســـــلام بلا فريح لخمرية ابن الفارض التى ترجمها المستشرق أميل درمنجم الى الفرنسية وصدرها ببحث سن التصوف عموما والتصوف الاسلامى خصوصا ، وقال انه تأثر بأستاذه ماســــــنيون الذى ينكر فى كثير من المواقف التأثير الفكرى ، ويخالف الكاتب درمنجم فى قوله ان التصوف المطلق هو غاية التدين فمن رايه انه ما يزال الانسان يتجهون الى أن يصير الى التصوف المطلق الذى يرمى الى فناء الفرد فى اللانهائية ويكتفى بالتجربة الباطنية وبالمكاشفة ـــ عما ظهر من العبادات وذلك عن مثله الأعلى ويقول : ونحن نرى ان التصوف بهذا الشكل ينـــافى كل دين ، فالدين وان يكن مبنيا على اعتقـــــاد باطنى واخلاص لله فى السر والعلانية فانه لابد فيه من اداء الفروض الظاهرة فهى دليل الخضوع والانتماء لقوانين شرعها الله أما الصوفية المطلقة فهى الثورة على كل قانون وذهب بعض المتصوفة الى القول بترك الشرائع كيلا تحول بين المرء والشرع وهو غلو يخرج صاحبه عن الطريق ، وكل ما ترمى اليه الصوفية من الانعزال والرهبانية والتوكل المجرد هو مناف لحكمة الاسلام العملية .

ولقد تعجب مسيو درمنجم من انكار علماء السلف الصالح افكار غلاة الصوفية وهو تعجب فى غير محله ، نعم ، الاسلام لا ينافى التصوف المبنى على مكارم الأخلاق والمثل الأعلى فى ذلك ما كان عليه رسول الله وأصحابه مـــن تواضع من غير خلوع وبساطة فى العيش لا تتجاوز فضيلة الاعتزال ومخافة

لعقاب الله مع رجاء في عفوه وثوابه ، وهذا مذهب المتصوفة الأولين مثل الحسن البصري ومالك بن دينار وانما فسد التصوف بدخول الفلسفة اليونانية والهندية عليه ، فبعد أن كان الغرض منه تطهير النفوس واعدادها لعبادة الخالق اصبح مذاهب ترمي الى فناء الفرد واتحاده مع معبوده وادعاء حلول الخالق في الكائنات الى غير ذلك مما هو مشهور عندهم . ويبدى مسيو دورمانجم تخوفه من اضمحلال الطرق الصوفية امام هجمات المصلحين عليها وخاصة في افريقيا ، ولقد اصبح كثير من المصلحين يرون ان الطرق الصوفية لازمة لمقاومة التبشير المسيحي ولدرء هجمات المبشرين وهكذا وجدت الكنيسة بين فريقين تكونت منهما جبهة واحدة امام هجوم الصليب واهله » .

الفصل الثانى

التغريب والغـــزو الفـكرى

يمكن أن يقال بغير مبالغة انه فى هذه الفترة تم انشـــاء هيئة للتغريب والغزو الفكرى اطلق عليها الشيخ رشيد رضا صاحب المنار جمعية الالحاد فى مصر واســماها الســيد محب الدين الخطيب (صاحب الفتح) حركة الالحاد . وقد كان مقرها الحقيقى : كلية الآداب حيث يوجد الدكتور طـه حسين ونفوذه واتباعه وجريدة السياسة حيث يوجد أئمة الحركة : وكانت الجريدة اليومية والمجلة الاسبوعية لسان حال هذه الدعوة الخطيرة ، وقد استمر هذا العمل سنوات طويلة — حتى بعد ان خرج الدكتور محمد حسين هيكل بكتابه حياة محمد عن هذه الزمرة ، فانها قد استمرت بزعامة طه حسين وأمين الخولى وحسين فوزى وسلامة موسى واسماعيل أدهم أحمد وتوفيق الحكيم وعبد العزيز فهمى الى أوائل الحرب العالمية الثانية فى صحف المجلة الجديدة ومجلة الرابطة الشرقية .

***

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا مطولا كاشفا لهذه القضية تحت عنوان : (الاستعمار الفكرى فى الشرق) المجلد الرابع من الفتح (٩ يناير ١٩٣٠) وهى أول طلائع الكلام من الغزو الفكرى وقد بدأت الفكرة فى مجلة فتى العرب الدمشقية (معروف الأرناؤط) وتلقفها السيد محب الدين الخطيب يقول :

الاستعمار الفكرى فى الشرق أعظم خطوا من الاســـتعمار الأرضى فالأرض يمكن استردادها أما اذا تمكنت القومية الغربية من استعمار قلوب الرجال والنساء فذلك هو الخسران الاكبر . انها طلائع الزحف الفــكرى الذى تزحفه أوربا الى قلوب الشرقيين بوجه عام والمسلمين بوجه خاص — الاستعمار الجديد الذى ينبه العرب على الدعاية عن طريق الكتب الأدبيـة وعن طريق الروايات القصصية والمسرحية ثم من طريق لوحة الصـــور

المتحركة ، الاهابة بنى قومنا ابناء الضاد وبنى ملتنا المسلمون ان يفتحوا عيونهم لهذا الجانب الخطر قبل أن يستفحل .

ويقول السيد محب الدين الخطيب : ان شـــبابنا يتعلمون فى جميع المدارس الحديثة لغات الغرب المختلفة فاذا اتموا دراستهم تنبهت فيهم الرغبة الى مطالعة ما يقع فى أيديهم من كتب ويومئذ يكون قلاعنا الحصينة وأعنى بها قلوب شـــبابنا مفتحة الأبواب لدخول جنود الفكر فيها وفيها جنود الحق وجنود الباطل ، هذا الاستعمار الجديد : الدعاية عن طريق الكتب .

الغاية من الزحف الفكرى ليست موجهة الى الفصل بين الشـــعوب الشرقية وبين حاضرها بل الغرض هو توسيع نطاق هذا الزحف ان يفصل بين هذه الشعوب وبين الماضى لأن أشد ما تخافه أوربا المستعمرة هو هذا الماضى الذى أخذ يستفيق فى قلب جزيرة العرب .

آن أوان اليقظة الحقيقية المبنية على العمل وعلى العمل باســاليب الجد من المراقبة الفكرية وسد الثغرة . ان زحف الغربالفكرى على الاسلام يعد من شر ما هوجمنا به فى كياننا القومى والوطنى لأن الاســــلام هو العاصم الأكبر لهذا الشرق من أن تتم فيه ارادة الاستعمار الغربى (م ٤ / ٤٨١) .

حركتان : التبشـــير والالحاد

اشارت الفتح الى الاهتمام الموجه الى جماعة التجديد بمؤازرة دعاة التبشير وان وليم ويلكوكس المهندس البريطانى الداعية الى العامية ، لــه كتاب انجيل للتبشير ترجمه فى مستشفى المبشرين البروتستانت فى مصـر القديمة واهتم به سلامة موسى .

كما اشارت الى ان جمعية التبشير الانجليزية اذاعت منشورا يحوى عددا من المثالب والقذائف فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، اســتنكرت الرابطة الشرقية هذا المنشور ، واستنكرت أمر الدفاع من الاسلام وحرصت على التوفيق بين الغرب والشرق فى المصالح والمنافع . (والرابطة الشرقية يشرف على صحيفتها على عبد الرازق) .

وهاجمت الفتح الرابطة الشرقية : لانها لو فهمت سياسة الغرب لما حرصت على التوفيق بين من يريد ابتلاع الشرق وجعل سكانه خولا وعبيدا لاسيادهم فى الغرب ، ان الغرب لم يحرص يوما على التوفيق بينه وبين الشرق فى المصالح والمنافع .

وان الغرب يهيء اكبر حملة صليبية لتنصير العرب وتعد لها اضخم الخزائن ويرسل معها اقدر الرجال ، فاذا ما فكر فى مقاومة تلك الحملة ارتفع صوت الرابطة تقول : دعوا المقاومة حرصا على التوفيق بين الغرب والشرق فى المصالح والمنافع .

وقال الشيخ عبد الباقى سرور نعيم (اول رئيس تحرير للفتح) فى المجلد الاول (١٩٢٧) ان الاسلام يواجه اليوم حركتين من أخطر الحركات الهدامة هما :

حركة المبشرين وحركة الملحدين .

الأولى : تتجه نحو تحويل المسلمين عن دينهم الى النصرانية والثانية ترمى الى تجريدهم من الدين ، تقوم بالحركة الأولى جمعيات منظمة تؤيدها شعوب متحمسة وتحكمها حكومات متعصبة ويباشرها رجال باعوا نفوسهم فى سبيل تأييد غايتهم والوصول الى مطلبهم ، ويقوم بالحركة الثانية رجال تعلموا فى الغرب وأحكموا طرق الدماية وتمرنوا على أساليب التمويه من ورائهم قوم أولوا نفوذ يحمون ظهورهم ويدفعون عنهم ما يصيبهم ، ولا غرض من وراء هذا أو ذاك سوى ان يفسحوا المجال لدعاة الالحاد كيما يباشرون مهمتهم بكل هدوء وطمأنينة ، لا يبالون بغضب الجماهير ولا بسخط الشعب، ولا بهيجان المتدينيين .

ولقد كان لخبر حملة التبشير على بلاد العرب من الضجة والاستياء ما يكفى لتكوين الجماعات واثارة التحمس الدينى وتنظيم دعوة قوية لمقاومة تلك الحملة التى لم ياتنا تاريخ البغض المسيحى باخطر ولا اجرأ منهـا ، انها حركة موجهة نحو بلاد العرب وهى قلب الاسلام ومهد الديانة المحمدية وفيها بيت الله والمشعر الحرام ومسجد رسوله .

ان واجب كل مسلم مستنير ان يعمل على بعث الشعور الاسلامى واثارته من مكامنه ، فان هذا الشعور هو الكفيل بحماية الدين ومقاومة خصومه ورد عادية المهاجمين عليه .

وأشار الكتاب الى الفرق بين حرية الراى والطعن فى الدين فقال :

هل دعاة الالحاد من انصار حرية الراى حينما يطعنون فى الأديان ولا يكونون من انصار هذا المبدأ فى السياسة أو الصناعة فيضغطون على أصحاب الاستقلال فى الرأى ثم يعمدون الى عقائد الناس التى يقدسونها فيؤذونهم فيها ويستعينون بالشيطان على استنباط اساليب الطعن فيها عملا بحرية الراي .

واشارت الفتح الى نشرات تبشيرية مرسلة من مدن لندن الى بلاد العرب تقول ان المسلمين يصلون صلاة كاذبة ويتوجهون الى مكة باغراء الشيطان وان القرآن كتاب مزيف اخترعه الشيطان وان مكة ولد فيها النبى الكاذب ، ويصدر هذا من رجل هو مستر شيلد رئيس الجمعية العالمية الصليبية للتنصير بمدينة لندن .

وقالت الفتح : هذه النشرة صادرة من سفهاء ومثل هؤلاء لا نخشى عداءهم ولا نعبأ بمساعيهم ولو كان هؤلاء صادقين فى الدعوة الى المسيح لكان اولى لهم أن يدعوا الى دينه ملاحدة بلادهم لأن الملحد سيىء الاعتقاد بالمسيح ومكذب له فى كل ما دعا اليه من الايمان بالله واليوم الآخر ، أما المسلم فانه اذا ذكر ابن مريم عليه السلام قال سيدنا عيسى وسيدتنا مريم

ونشرت الفتح (٢٩ الحجة ١٣٥٠) تحت عنوان :

جمعية للالحاد فى مصر تعلن الحرب على الاسلام وسائر الأديان واعتمدت فى ذلك على نصوص أربعة لطه حسين ولهيكل ولسلامة موسى ومصطفى عبد الرازق .

١ — قال طه حسين : ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية وما وصل اليه العلم من النظريات والقوانين فالدين حين يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء يثبت امرين لم يعترف بهما العلم فالمسلم الحديث ينظر الى

الدين كما ينظر الى اللغة وكما ينظر الى اللباس من حيث ان هــذه الاشياء ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة واذن نصل الى أن الدين فى نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى وانما خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها وقال : ارجو ان يكون بيننــا عبد كما ارجو أن يبلغه الحاضرون اخوانهم الا نؤمن الا بالعلم .

٢ — قال مصطفى عبد الرازق : ان علم الدين لم يقم الى يومنا هذا على خطة ثابتة ولا وضع له تعريف جامع ولا يزال الباحثون يحاولون أن يضعوا للأديان شجرة انساب كتلك التى وضعوها للغــات دون أن يوفقوا .

٣ — قال الدكتور محمد حسين هيكل : كنا نود ان يوقفنا مؤلف كتاب (آداب اللغة العربية) على الاصول التى استمد منها هذا الكتاب (القرآن) وجوده ، بل كنا نود أن يسرد شيئا عن (النبى) وحياته من جهتهـا الدينية والمصادر التى استمد منها وكيف وصل ليكون اسلوبه كمـا كان .

٤ — قال سلامة موسى : من القيود التى تغل الحرية الفكرية منع تمثيل أى درامة على المسرح ما لم تقرها المكرمات فاذا كان فيها اشياء تخالف ما يجب من أديان أو انظمة منعت الدرامة من التمثيــل ، ان الأديب يجب أن يكون حرا واذا خالف الأخلاق فليكن له ذلك .

رجل مسلم يقول : ان الدين لم يقم الى يومنا هذا على خطة ثابتــة وان الباحثين استطاعوا أن يعرفوا اللغات أصلا ولم يحددوا اصلا للدين يطمئن اليه . وان الدين فى نظر العلم ظاهرة كسائر الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى .

ومسلم آخر يقول : ان القرآن من وضع بشرى وان بيئات معينة تأثر بها رسول الله فعلمته البلاغة حتى وصل الى ما وصل اليه ، ثم زعم أنه من وضع سماوى ليؤثر على المؤمنين .

وآخر هو صوت الاباحية والتمرد على الأديان والأخلاق .

هذا قليل من كثير مما ينشر ويذاع فى الصــحف والمجلات وعلى منابر بعض الجمعيات لتهديم صرح الايمان وتمتلىء نفوس شباب الاسلام بغضا للدين وتعاليم الدين .

ان حلبة السياسية الحزبية أعمت الكثيرين فمكن ذلك غربان الالحاد من اعلان سمومهم ، ان دعاة التبشير ما نالوا شيئا لانهم جربوا فعلموا أنه من الصعب أن يخرج مسلم من دينه وعقيدته ، ينشرون آراءهم باسم المدنية وباسم التجديد والحرية وما هى الا السم يسرى فى نفوس الآلاف من شباب الاسلام ، وهم على اتفاق على هدم الاسلام وازالته من النفوس .

ان للقوم صحف والسنة مرنت على الضلال والمهاترة وسوف ترتفع متحدثة عن الدجل من تجار الدين ، ان لدى من المعلومات عن مقدار الصلة الفكرية الدائمة بين الجمعيات اللادينية فى روسيا وامريكا وبين فئة الالحاد فى مصر ما يجعلنى لا أتردد فى اذاعتها من قريب . (محمد محمود بدير) .

(٣)

ولم يتوقف الأستاذ محمد محمود بدير عند هذا بل انه عقد اجتماعا بحديقة يلدز مع نخبة من رجال الصحافة والعلم الذين يهتمون بشئون الاسلام وقال للمجتمعين : ان مصر بلد اسلامى والشعب المصرى من اشد الشعوب الاسلامية وفاء للاسلام ، رجال الأقلام والصحافة ، ما منكم الا من يمثل مصر بوفائها لعقيدة الاسلام وآدابه . ولكن هناك فئة هى فيكم اقلية ، لا اقول انها ملحدة ، ولا اقول انها تتعمد الشهرة ، ولكنها ولا ريب مستهترة بآداب الاسلام سالكة سبيل من لا يبالى به ، وهى مع ذلك نشيطة عاملة حتى يخيل الى من لا يعرف مصر أن ما تكتبه هذه الأقلية بعيد عن الروح الحقيقى فى مصر ، ان شبابنا امانة فى يد فئتين : المدرسين على اختلاف مظاهرهم والصحفيين ، فهاتان الفئتان هما اللتان تكونان الرأى العام وان مصر المسلمة يلائمها أن تسير فى طريق فكرى يتمشى مع اسلامها ، لعلكم ملبون طلبى وجاعلون الروح الاسلامية غرضكم الأول من الصحافة وعلى مقاعد التدريس معترفين معى أن مصر مسلمة ومسلمة قبل كل شىء .

وقال الدكتور منصور فهمى :

مسلمون قبل كل شىء .

عرب قبل كل شىء .

مصريون قبل كل شىء .

أن خدمة الاسلام والانتصار له لا يكون بالكلام بل بكون بالقدوة فعلى سادتى علماء الأزهر أن يكونوا قدوة للناس بسيرتهم وحينئذ يحسنون الى الاسلام ، ما لا يحسنون اليه بالكلام .

يقول محرر الفتح : وبعد أن كانت شكوى من أقلية تعمل على هدم حرمة الاسلام فى النفوس ، ومسألة تفكير فى التعاون على اظهار مصر بالمظهر الاسلامى اللائق بها فى صحفها وثقافتها تحولت أنظار الحاضرين بدعاية الدكتور منصور فهمى الى شكوى من أن علماء الأزهر لا يعنون فى أن يكونوا قدوة للناس والى ارشادهم بأن يتركوا تلك الأقلية تعمل عملها وحينئذ ترجع هى بنفسها الى الصراط المستقيم كما رجع الدكتور منصور بتأثير ذلك الحلم من الشيخ حسونة .

وقال الشيخ على محفوظ (من علماء الأزهر) ان المسئولية موزعة بيننا جميعا ، لأن أبناء الأمة أمانة تحت أيدينا ، عن الأزهر فى الازهر ، وتحت أيدى الدكتور منصور وزملائه مدرسى الجامعة فى الجامعة وعقول الأمة ورأيها العام كله أمانة تحت أسنة أقلام الصحفيين والمؤلفين فى كل ما يكتبونه ليبيسر على الناس ويؤثر فى عقولهم وقلوبهم . ان الاسلام ليس فيه رئاسة دينية وكل أبنائه عند الله سواء ، لا فرق بين أحدهم والآخر الا بالعمل الصالح فتطهير نفوس أبنائنا من أردان العداء للاسلام ليس من وظيفة الأزهر ، أنتم يا دكتور أصحاب التأثير اليوم فى عقول الناس ، أما نحن فعندنا بضاعة ولكن ليس لها مشترون وبنسبة اقبال الناس على ما عندكم وبنسبة استعداد الناس للتأثير بأقوالكم ، على نسبة ذلك ستكون مسئوليتكم غدا بين يدى الحكم ، اطلبوا الخير ، ولكن ما هو مقياس الخير ، وهل ترضى أن تقيس الخير بمقياسى أنا ، ان الله قد رحمنا فدلنا على الخير ولا خير الا فيما اختاره الله وبين لنا قواعده ومقاييسه ، هذه القواعد والمقاييس هى الاسلام ، الذى دعينا للتعاون على أن نكون أعوانا له وأن نكف عنه شر أقلية تسىء اليه والى نفسها من حيث تشعر أو لا تشعر .

وقال لطفى جمعة : ان أوربا لا تزال متمسكة بدينها بل متعصبة له وتتظاهر بأنها على غير ذلك وتخوفنا نحن بكلمة التعصب .

(٤)

ويتحدث الأستاذ عبد الباقى سرور نعيم (وهو من أرصن كتاب الفتح) عن هـذه الظاهرة فيقول : ان جماعة الالحاد ودعاته اذا استطاعوا أن يجدوا فى البوذية أو فى اليهودية أو فى المسيحية مطاعن ومغامز ، وأن يأخذوا على كتب تلك الديانات خوضها فى مباحث يخالفها العلم اليوم وذكرها أشياء متناقضة ما اكتشف وما أظهرته التجارب فـلا يستطيعون مهما اجهـدوا أنفسهم ومهما بلغوا بالممكن وغـير الممكن أن يجدوا فى القرآن مغمزا لغامز أو مطعنا لطاعن فانه لم يتعرض للمباحث التى يخوض فيها علماء طبقـات الأرض وعلماء الهيئة وعلماء الطبيعة وعلماء الكيمياء .

وما ذكره خاصا بالسماء والأرض ، والكواكب والسـحاب والرعد والبرق والجبل والبحار والأنهار لم يكن يقصد بذكره الخوض فى ماهيتـه أو فى كيفيته أو فى اوضاعه أو فى كمينه ، أو عد ذلك مما تتعرض له العلوم وتبحث فيه وانما أتى على ذكر ذلك من ناحية خاصة هى ارشاد العقول الى ما فيه تلك الأشياء من الدلالة عن جهة اتقان صنعها أو ايجادها من العدم أو موافقتها لحال البشر » .

وكان هـذا ردا على دعاوى الملاحدة واتهـام القرآن وانتقاصه . ومما يتصل بهذه الجماعة نرى حديثا فى الفتح عما أطلق عليه :

« نادى الفـكر الحر فى القـاهرة »

يقول : كل أعضائه من الكافرين بالله والأنبياء والأديان ، وكان منهم المنتسبون الى النصرانية واليهودية ، والاسـلام ، واذا أرادوا أن يسبوا النصرانية ندبوا خطيبا أبواه نصرانيان فيلقى محاضرة فى ذم النصرانية ، وكذلك الاسـلام ، وعلم جمهرة الشـبان الكاثوليك فى القاهرة أن أحـد الخواجات القى أو سيلقى محاضرة فى التشنيع على الكاثوليك فاجتمعوا وذهبوا الى نادى الفكر الحر فغسلوا بأيديهم هذه الاهانة التى لحقت بدينهم ثم ذهبوا الى القسـم واعترفوا للبوليس بما فعلوه . وذلك راجـع الى المدارس التى ربتهم تربية دينية وكانت لهم بيتا وكان رجالها لهم أهلا .

لابد من تربية اسلامية تقترن مع التعليم الدينى .

العمل بالتربية الاسلامية يحتاج الى اعـداد رجال يتولون القيـام على ذلك ويحتاج الى مناهج تهذيبية ترسم لهم بدقة .

يجب وضع حد لحركة الالحاد

ولما تعددت الأحداث التى تقوم بها كلية الآداب كتب الأمير عمر طوسون خطابا الى وزير المعارف جاء فيه :

كتب الينا رهط كبير يطلبون الينا أن نرفع صوتنا لايقاف تيار الالحاد فى الدين والخروج عن حدوده ، بمناسبة المناظرة التى وقعت فى كلية الحقوق بين الاستاذين محمود عزمى ورشيد رضا فى مسالة مساواة المرأة بالرجل وما كتبه أحمد الصاوى فى الأهرام ١٩٣٠/١/٩ يلفت النظر الى أن ترك الحبل على الغارب للمتناظرين واعطاء الحرية المطلقة للمحاضرين ، دون أن يراعى الشعور الدينى وما يجب من الحرمة للمعتقدات مما يلقى فى روع الأمة سوء الاعتقاد فى الحكومة وانها ترضى بالخروج عن الدين والاستهتار بنصوصه ، كيف يسوغ الجدل فى نصوص الاسـلام القطعية كمسألة نقص حظ المرأة فى الميراث عن الرجل فى معهد يتبع حكومة مصر الاسلامية ، على أن المرأة المسلمة لا ترى حظهـا فى الميراث قليلا بالنسبة لحظ الرجل الذى جعلت الشريعة الاسلامية عليه مغارم كثيرة بجانب هذا الحظ أعطيت النساء منها ولم نسمع لا فى القديم ولا فى الحديث من النساء المسلمات شكوى فى ذلك (م ٤ ص ٥٥٠) .

دعويان تسلطتا على مصر والعراق

واشار الفتح الى المخاطر التى نتجت عن التغريب والغزو الثقـافى على امتداد البلاد العربية فى مصر والعراق فاشار الى خط طه حسين فى مصر وساطع الحصرى فى العراق فقال : الأولى : دعاية طه حسين عن وجوب الانصراف عن الشرق الى الغرب وقطع الأواصر الجنسية بالشعوب العربية للأخذ بمدنية الغرب كاملة غير منقوصة على انها كل لا يتجزأ .

الدعاية الثانية التى انتشرت فى العراق فهى موبوءة عنيفة ولكنها

موبوءة بالجراثيم اللادينية التى كانت منتشرة فى تركيا وتويت فيها واستفحل خطرها أيام الاتحاد والترقى ثم تحولت فى القرن الأخير الى ما صار اليـه الكماليون وحامل لواء هـذه الدعاية الثانية هو الأستاذ ساطع الحصرى « دنلوب » القطر العراقى الشقيق ومؤسس معارفه فى العشرين سنة الاخيرة .

وقد تحولت ثقافة العراق تحت تأثيره من روحهـا القـوى الخالد وهو الاسلام ونحن نستطيع أن نتصور تجرد اى ثقافة عربية ما من روح الاسلام لأن العروبة والاسلام شيء واحد وماضيهما ماض مشترك ومتلازم وأية قوى تبقى للعروبة اذا تحررت من الاسلام فكما ان الدعاية التى تبث فى مصر وكان الدكتور طه حسـين يحمـل لواءها سارت فى طريق التباعد عن العروبة والاسـلام والشغف بانتحال مدنية اوربا بجمالها وقذراتهـا فان الدعاية التى تبث فى معارف العراق وكان ساطع الحصرى يحمل لواءها سارت فى طريق العصبية العنيفة للعروبة مشوبة بجراثيم الالحاد التى سرت عدواها من تركيا الى مصر (م ١٤ الفتح ١٩٤١) .

تركيا الكمالية هى المثـل الأعلى

وقد دارت هذه الحركة التغريبية التى صورتها الفتح فى اطار المؤامرة التى قام بهـا كمال أتاتورك فى تركيا بالغـاء الخلافة الاسلامية والحروف العربية والشريعة الاسلامية وهى التى رفعت رءوس دعاة الالحاد والتغريب واتخذوا منها منطلقا ومثلا .

وقد نقلت الفتح عن مجلة فتى العرب فى دمشق مقالا تحت عنوان :

بوادر خطيرة : هل تقتفى مصر اثر تركيا ؟

جاء فيـه :

أستعملت السياسة الغربيـة الغاشمة السيف والمدفع فى سـبيل توطيـد اركان استعمارها فى الشرق فلم يجدها السيف والمدفع نفعـا ، وجربت النفى والتعسف والارهاق فلم يعـد كل ذلك عليهـا بفائدة وعمدت ألى التقسيم الاقليمى سياسيا فباءت باندحار فاضـح وكان أن عملت على فصم عرى الائتـلاف بين العالم الاسلامى والترك وذلك باحـلال الأحرف

اللاتينية الغربية مكان الأحرف العربية عملا على انسحاب تركيا النهائى من عصبة الاتحاد الاسلامى العام ، ثم راى القوم أن مصر تبوأت فى الآونة الأخيرة منصب الزعامة العربية نباتت قبلة الأنظار فى العالم العربى بما يقوم به كبار مفكريها فراحوا يفتلون لها فى الخفاء شباك التفريق والتخاذل .

الذين يسافرون الى أوربا يعودون مشبعون بروح الكراهة الأدب العرب ومدنية الاسلام ، وتبين أن الجامعة المصرية تبث الآراء الشاذة التى يريدها الاستعمار الأوربى . وانما اتخذت آلة هدامة للكيان العربى عن طريق الادب والعلوم .

والسؤال هو : هل تتبع مصر تركيا أم تصطبغ بالادب الفرعونى كما اصطبغت تلك بالنزعة الطوانية ، لقد واصلت مجلة (السياسة الأسبوعية) نشر كلمات حية من اللغة المصرية ، بقصد اذابة مصر فى بوتقة المدنية الغربية والفرعونية .

لقد تعالت صيحتهم : ان مصر فرعونية بحتة ، والآداب العربية واللغة العربية دخيلة ، السياسة الهيكليتية (نسبة الى هيكل)اتخذتْ تكئة حربية ترابط بها مجاهدوا القومية الفرعونية .

ليس بامكان العروبة والعربية التخلى بتلك السهولة التى يتصوروها هيكل وسلامة موسى واذنابهم .

تركيا المثل الأعلى

وكتب الأمير شكيب أرسلان يقول : ان الميسر والخمر ولحم الخنزير ثلاثة من أركان الترقى عند انقرة ، طالما ذكرت الصحف التركية أن المقامرة والمعاقرة هما من ضرورات المدنية الحديثة ، وانه لا مندوحة للأمة التركية اذا شاءت أن تعلو فى درجات الرقى العصرى من أن تسوق أبناءها الى الملعب والشرب وتهزأ بالأوهام والخرافات القديمة التى معناها أن لعب القمار وشرب العقار هما من الرزائل ، وأعد قصر يلدز الفسيح بجميع مغانيه ومرابقه لجعله مقامرا شهيرا تضارع به مونت كارلو ، وان بعض المطاعم

فى انقرة لا تطبخ من اللحوم الا لحم الخنزير ولا تستعمل لسائر الأطعمة سوى دهن الخنزير ، ويذهب عشاق الرقى المصرى عمدا الى هناك لياكلوا لحم الخنزير لا تلذذا به بل ليبرهنوا للغازى (اتاتورك) أن عقولهم قد أطلقت من عقال التقليد ، فاكل لحم الخنزير فى أنقرة صار رمزا للترقى وحتى على الخلاص من الهمجية » .

وكشفت الفتح من عناصر التحرر والتغريب التى خطت اليها تركيا بعد خروجها من اهابها الاسلامى بعد التحول الكمالى (م ١٢ الفتح ص ٧٧٥ — ١٩٣٩) تحت عنوان تركيا وموقفها من الاسلام :

أولا : كشفت من الصلبان والصور الدينية المسيحية فى جدران ومبانى أعظم مسجد فى استانبول وهو مسجد اياصوفيا بحيث صارت هذه الصلبان قائمة وظاهرة فى هذا الوقت لكل من يدخل جامع أياصوفيا الذى عطلت فيه الشعائر الاسلامية واتخذ متحفا للآثار النصرانية وغيرها .

ثانيا : ابطال العمل فى محاكمها الشرعية وألغت مجلة الأحكام العدلية المأخوذة من فقه الامام الأعظم ابو حنيفة النعمان واحلت محلها القانون السويسرى حتى فيما يتعلق بالزواج والطلاق والميراث وما الى ذلك من الأحوال الشخصية الداخلة فى صميم أحكام الدين الاسلامى .

ثالثا : اباحت زواج المسلمة بالدرزى والنصرانى وجعلت نصيب الأنثى كنصيب الذكر .

رابعا : الانحراف عن الشرق والاتجاه نحو الغرب .

خامسا : معاقبة المؤذن اذا اذن للصلاة بالألفاظ التى كان يؤذن بها مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم والتى يفهمها كل تركى على وجه الأرض .

سادسا : منع مطابع استانبول من طبع المصحف واعتبار طبعه جريمة .

سابعا : لا يحق الأبناء العرب الذين يعيشون فى اطنة ومرسية ومرعش وعين بات وغيرها أن يقرأوا كتاب الله بلغتهم العربية .

الفصل الثالث

قضايا الغزو الفكرى

تناولت حركة التغريب والغزو الفكرى قضايا متعددة من أبرزها قضية الفرعونية التى ركزت عليها القوى الشعوبية وحمل لواءها عدد كبير من الكتاب .

وقد حملت الفتح لواء التصدى للكتابات المسمومة التى توالت على صفحات جريدة السياسة ومن كتاب التغريب . ففى المجلد الخامس (رجب ١٣٤٩) ١٩٣١ قالت : ان محاولة اقناع مصر بأنها غير عربية ليست الا دسيسة دستها يد من مصلحتها أن تتمزق الشعوب العربية وان تتقاطع وان لا تتعاون بعضها مع بعض ، انها دعوة الى أن يكون لوادى النيل قومية منفصلة عن كيان القومية العربية ، لقد حمل لواء هذه الفكرة بعض الأقباط والملاحدة بما سموه الفكرة الفرعونية ، وقد تبين أن ثلاثة أرباع الكلمات التى ينطق بها قدماء المصريين توجد فى لغتنا العربية الحديثة ما يقابلها لفظا ومعنى فيكون اعتقاد جازم بأن العرب والمصريين من أصل واحد .

وقد اقيمت مناظرة فى الجامعة المصرية : هل من مصلحة مصر أن تأخذ بالحضارة الغربية أو أن تحيى الحضارة الفرعونية (بين رشيد رضا ولطفى جمعة) .

وفى بحث آخر تحت عنوان (الفكرة الفرعونية فى مصر فكرة عقيمة) قالت : من مصلحة مصر أن تهمل عبادة الحجارة الميتة وتستعطف القلوب الحية (محمد على علوبة) أن تركيا ببعدها عن الاسلام تخلت عن مركز القيادة فى الشرق وان الشرق العربى ينشد ذلك فى مصر وان مصر مقصرة فى تحقيق فكرة الرابطة بين الأقطار العربية .

وأشارت الفتح الى أن محمد على علوبة زار فلسطين بمناسبة مسألة البراق وبدأت الدعوة الى الوطن العربى الكبير ، ان السياسة التى

قد فرقت بين أوطاننا فانها بالرغم من ذلك وطن واحد تجمعه خريطة واحدة وهى لغة القرآن من حدود فارس الى أقصى بلاد المغرب ومن سيف البحر فى حضرموت الى البلاد التى تندفع فيها نيران الثورة الآن فى تركيا .

وقال : علينا أن نسعى سعيا حثيثا لانتزاع الفكرة الفرعونية من مصر لأنهـــا فكرة عقيمة لا يمكن تحقيقها ، ومن المصلحة الأدبية والمـــادية لمصر ان تهجر عبادة الحجارة الميتة وتستنطق القلوب الحية فى الشرق العربى وعقب مواجهة أخطار اختلاف اللهجات ومحاولة المستعمرين افساد اللغـــة وتقطيع أوصالها أو الاستعاضة عنهـــا بلغات دخيلة كما هو الحال فى بلاد الجزائر حيث تشجع هنالك اللغة البربرية .

وقد علق السيد محب الدين الخطيب فقال : ما دام الشرق العربى من القرآن أمام خالد فان هـــذا مستحيل ، حاول الكثيرون من ملاحدة مصر أن يتخلصوا من سلطان لغة القرآن فأخذوا يبتكرون الفاظ وتراكيب يزعمون أنهم يمصرون بهـــا اللغة وقد مات ذلك قبل أن يصل الى الاقطار الأخرى وستبقى العربيـــة ، ملك الاتحاديين الناطقين بالضاد الى أبد الآبدين .

من أخبار الفراعنة

ونشرت الفتح (م ١٤) بحثا عن فساد تاريخ الفراعنة .

قال الدكتور سليم حسن ان رمسيس الثانى كان يأخذ آثار الملوك الذين سبقوه ويكتب عنها اسمه ثم أتى ابنه منفتاح ومحا اسم والده ونقش اسمه بدلا منه ، وانتهز الملك نسخيو فرصة نقله موميات فراعنـــة الدولة الحديثة من مراقدها الأصلية فى طيبة الى مخبأ سرى بمعبد الملكة حتشبسوت المعروف بالدير البحرى غرب الأقصر فجرد هو هذه الموميات من ذخائرها الذهبية ووضعها فى مقبرته الخاصة لتنسب اليه وكانوا يزيلون آثار وحلى السابقين أسماء أصحابها ويكتبون عليهـــا أسماءهم وكانوا يزيلون أسماء مدائن الأولين ويطلقون عليها أسماء جديدة منتحلة .

ولم تتوقف الفتح عن الكشف عن فساد دعوة الفرعونية (م ١٥) ٤ ١٩٤٢) .

فاشارت الى احد الكتاب الذين كانوا يجاهرون بالدعوة الفرعونية ، ثم تحول عنها .

قالت : كان ينطق تقليدا بمثل ما ينطق به غيره من أكذوبة الأمجاد الفرعونية وبعث الاله — فى كتابه (كاهن آمون) ثم اتجه الى الفهم الاسلامى فاصدر (قناع الفرعونية) — حاول فى كاهن آمون أن يوفق بين نقيضين لا يتفقان ، وهما الاسلام والفرعونية ، وانتصرت اسلامية الفطرة على الأخطاء المكتسبة ، فرعون ليس الا رمزا لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة فالفرعونية هى نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، وهذا النظام يقترن بما يليق به من الأوضاع الاجتماعية والصور العقلية التى تبرر الظلم وتستطيب الخنوع وتساعد على الترفع من الطبقية المحدودة الحاكمة التى تستند الى ما تحدثه من أسانيد الحقوق المقدسة .

ويتساءل : هل يجد المصرى المسوق للحياة الصحيحة أن يجد فى شعار الفرعونية من قوة الدفع الى الحرية والمساواة ما يجبه المسلم فى كلمة الاسلام ومن تاريخ هذه الفكرة ، عقد المؤلف فصلا لمصادر التاريخ الفرعونى وفصلا لدور الانتقال من الفرعونية الى النصرانية فى مصر وفصلا لخرافة التوحيد المزعوم عند الفراعنة .

تحرير المرأة

وشغلت قصة تحرير المراة جانبا كبيرا من اهتمام مجلة الفتح وذلك حين عقدت كلية الآداب مناظرة حول المراة احد طرفاها توفيق دياب الذى نادى بالسفور والحرية المطلقة للمراة وكان فى الطرف الآخر الشيخ رشيد رضا الذى تحدث عن حقوق المراة فى الاسلام .

وأشار الفتح (م ١٠ ، ١٩٣٥) الى ضرورة مقاومة تيار « هدى شعراوى وسيزا نبراوى » وقولهم بخطأ الشريعة فى الزوجات الاربع والسخرية بقطع يد السارق ورجم الزانى ، وأشارت الفتح الى أن الاتحاد النسائى صاحب الولاء الغربى والمشبوه ، وقد قابلت احداهن رئيس الوزراء « توفيق نسيم » وطلبت سن تشريع ينسخ حكم الله فى تعدد الزوجات تنفيذا لما قرره مؤتمر سنوى عقد على ضفاف البسفور فى خلال حكم أتاتورك باقتراح من مندوبات الهند (م ١٠ — ١٩٣٥) .

وكتب محمد محمود شاكر فقال : ان البلاء الذى أصاب بلادنا فى ملابس حشمتها انما أصابها بواسطة رجال سموا أنفسهم السفوريين فجعلوا يخادعون المرأة المصرية ويستفزونها لهتك الحجاب حتى ثارت على ملابس الحشمة وبرزت للجماهير فى أطيب الروائح العطرية وفى الشفاف الهفهاف من الملابس حاسرة الوجه مزججة الحواجب عارية الصدر مكشوفة الساعد .

وعندما تقدم الشيخ محمود أبو العينين رحمه الله بمقترحات اسلامية لتنظيم الشواطىء والحيلولة دون الفساد الذى استشرى فى المصايف .

كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق يقول : انه لا يقر الشيخ أبو العينين على مقترحاته بخصوص الآداب على الشواطىء ولا يذهب مذهبه . وقالت مجلة النذير (الاخوان المسلمون) فيما نقلته عنها (الفتح) :

لقد عودنا الشيخ مصطفى عبد الرازق أمثال هذه الأحاديث والمواقف التى تبعد عن الاسلام أحيانا فما عدنا ندهش مما يقول أو يفعل . ولقد عرف الناس جميعا عصريته التى قد تخالف الحياة الاسلامية الصحيحة وخروجه وتسامحه فيها ، ولكن أدهشنا أننا ما كنا نتصور أن يذهب الشيخ مصطفى عبد الرازق الى هذا الجواب الملتوى ، كنا نتصور أنه موافق على اختلاط الجنسين فى الجامعة وكنا نتصور مثلا انه داعية من دعاة حرية الفكر كما يفهم هذه الحرية ولكنا ما كنا نتصور مطلقا أن الشيخ مصطفى لا يقر الشيخ أبا العيون على اقتراح من مقترحات ترمى الى القضاء على الزنا العلنى الذى يرتكب فى الشواطىء أمام بصر الحكومة وسمعها ، وما كنا نظن مطلقا أن الشيخ مصطفى عبد الرازق خريج الأزهر الأغر يسكت عن ابداء رأيه فى مقترحات الشيخ أبو العيون بما يفهم عدم رضاه منها .

اليونسكو وتآلف الثقافات

ولم يفت السيد محب الدين الخطيب خطورة اليونسكو ومحاولاته فكتب فى المجلد ١٨ (١٩٤٥) يقول : الذى افهمه أنا ان اليونسكو للثقافات الغربية كالاسبرنتو للغات الأوربية ، فكما أن الاسبرنتو على ما فيه من تصنع لا يمكن أن يخرج من دائرة اللغات الأوربية التى تكتب بالحروف

اللاتينية . كذلك اليونسكو لا يصلح الا لثقافات الغرب ، العلم عالمى بما فى ذلك شك (الطب والهندسة والكيمياء) وأمثال ذلك من العلوم لا تتفاوت الأمم فى تعلمها وتعليمها . أما الثقافة فستبقى للصين والهند ثقافتهما التى لا تنسجم مع ثقافة أمريكا وسيبقى للعرب والترك والفرس ثقافتها التى لا تنسجم مع ثقافة أوربا .

ذلك لأن ثقافات الأمم قوام كيانها ومادة تاريخها وكل ذلك غذاء دائم للوعى القومى وقد تفاوتت ثقافات الألمان والانجليز ، وثقافتا الايطاليين والفرنسيين ، أما ثقافة العرب فستبقى ثقافة عربية ومهما استفادت من حيوية الثقافات الأخرى ومختلف نشاطها فمن الواجب أن تظل مستقلة بنفسها ، وأن لا يكون لغيرها سلطان عليها ، اذا كان الدافع لليونسكو الحد من سلطان الاثرة والجشع فى بعض القوميات فان ثقافة العرب انسانية فى أساسها واهدافها ، ونحن نترقب اليوم الذى تخلص فيه ثقافتنا من القيود التى كبلها بها الاستعمار فى مناهج التعليم ولا مصلحة لنا فى أن نمد أيدينا وأرجلنا لقيود حديدية تجر ثقافتنا داخل المدارس وخارجها الى فخ آخر باسم اليونسكو بعد الفخ الذى فرضه علينا دنلوب فى مصر وأمثاله فى العراق والشام .

علامات كثيرة فى أفق التغريب

ولم يتوقف السيد محب الدين الخطيب عن رصد كل العلامات التى تكشف عن مخطط التغريب ومن ذلك ما سجله فى (المجلد ٢ — ١٩٢٨) .

قال رئيس وزراء مصر لمحرر ديلى ميل فى لندن :

لم تعد مصر جزءا من بلاد المشرق فكل ما فيها يصطبغ بصبغة الغرب وقد أخذ أهلها يشعرون بقيمة الآداب الانجليزية ووجوب التعلم وقبول مصر يتمثل فى قول الخديو : ان بلادى لم تعد جزءا من أفريقيا بل صارت قطعة من أوربا ، لقد مضى أكثر من مائة عام وهو يعمل على جعل انظمتها طبقا للأنظمة الحديثة ونحن ننهج منهج الغرب دون أن نفقد تقاليدنا القديمة وخير مثال حالة النساء الحاضرة فان عددا كبيرا من بناتنا يتمم دروسه الآن فى انجلترا ونجد المراة المصرية تتمتع بكل ما تتمتع به المراة الأوربية ويتلقى النشء الحديث عندنا علومه طبقا للقواعد الانجليزية .

كذلك فقد أشار الى ظهور مجلة فى القاهرة (مجلة التطور) تحرص على الغاء الأزهر وتزعم ان الله هو الطبيعة وأن الانسان هو الذى اخترع الالوهية ، كما الف أحد الدعاة الاباحيين كتابا فى غضون ١٩٣٦ دعا فيه الى الاباحـــة المطلقة ، والتجرد من الأديان والتخلص من الفضيلة والطهر فى سبيل انتصار الشهوات الجسدية .

كتاب فجر الاسلام وتحريف الحقائق

نالت الكتب التى اصدرها المجددون اهتماما كبيرا من الفتح فقد عرضت لكتب طه حسين : الشـــعر الجاهلى ومستقبل الثقـــافة ، وكتاب على عبد الرازق : الاسلام واصول الحكم وعرض الأســـتاذ مصطفى السباعى لكتاب فجر الاسلام لاحمد امين وكشف أخطائه (م ١٥ الفتح) .

يرى القارىء فى بحوثه (اولا) تأثره الى درجة كبيرة ببحوث المستشرقين وكتاباتهم فى علم الحديث . (ثانيا) تأثره بآراء رءوس المعتزلة وطوائف الشيعة من صحابة رسول الله . (ثالثا) استنتج من عنده بعض آراء ليس لها اســـاس علمى ولا مستند تاريخى صحيح . (رابعا) لم يلتزم الأمانة ولا الدقة فيما نقله من النصوص والآثار . (خامسا) لم يعتمـــد فى تاريخ الحديث على كتب الحديث بل على كتب الأصول وقد كان يستطيع الرجوع الى معرفة هذه النصوص الى مراجعها الحقيقية لولا انه يسعى الى غرض معين فهو يتصيد الأدلة من هنا ومن هناك من غير تحقيق ولا تدقيق .

٢ ـــ للأستاذ احمد امين أسلوب خاص فى بث آرائه التى يخالف فيها الجمهور متبعا فيها بعض ذوى الأهواء من المسلمين أو من ذوى الأغراض من المستشرقين ومن خصائص هـــذا الأسلوب انه يأتى بالفكرة فلا يلقيها اليك فى كتابه دفعة واحدة ولا يظهرها لك على انها راى لمبتدع او لمستشرق ولكنه يوزع شيئا منها هنـــا وشيئا هنـــاك متلطفا فى الأسلوب متظاهرا بالبحث والتحقيق ولا ينسى أن يستند فى خلال ذلك الى نص محرف أو حديث ضعيف أو الى رأى هزيل أو ينسب الى العلماء قولا لم يقولوه ، والى بعض المذاهب آراء لم يذهبوا اليها فلا ينتهى من بحثـــه حتى يكون قد أحكم بث الفكرة فى ثنايا كتابه من غير ازعاج للقارىء ولا استفزاز لشعوره ، وبهذا

الاسلوب استطاع الاستاذ أن ينجو مما لحق بزملائه من سخط الجمهور وأن ينال ثقته باخلاصه وتجرده للحق والعلم .

وكان الأستاذ بارعا فى التشكيك بأحاديث السنة مما يدل دلالة قوية على أنه كان يشك فيهـا جملة كما يقول كثير من المستشرقين ، وكما قال من قبل بعض رؤساء المعتزلة والفرق الضالة المبتدعة .

وهناك موقفه من اسماعيل ادهم احمد وتأييده لرايه المسموم .

ملاحظة : (وهكذا نرى ان طه حسين سلط زبانيته كل على ناحية : أمين الخولى : القرآن . أحمد امين : السنة . احمد الشايب : الأدب) .

الفصل الرابع

دعـــاة التغـــريب

لقد وقفت مجلة الفتح بالمرصاد لدعاة التغريب وأخذت تحصى عليهم أعمالهم ، ووالت بالمتابعة خطواتهم ، سواء فى الصحف التى كانوا يكتبون فيها أم فى الأندية التى كانت حافلة بمحاضراتهم ومساجلاتهم .

لطفى الســيد والقــرآن

قالت الفتح (م ٢ ص ٦٢٨ — ١٩٢٩) :

تولى دار الكتب أحمد لطفى السيد شيخ ملاحدة مصر واقتضى الحال أن يشرف على طبع المصحف فى مصلحة المساحة فطلب الى أحــد الموظفين الانجليز أن يطلعــه على صفحات من المصحف فامتنع الانجليزى من مس صفحات المصحف وكلف بذلك أحد الموظفين المسلمين فعجب شيخ الملاحدة من هذا الأمر ولما علم السيد قال للانجليزى : لا تبالى بما قيــل لك ومس المصحف كما تشـــاء واستعمله لكل ما تريد ، ويقول بعض الواقفين على الحقائق ان كتاب الله قد ناله بعد ذلك من الاهانة ما لا نستطيع أن نذكره هنا .

ســـلامة مــوسى

قالت الفتح : انه يدعو الى شيوعية النساء ويقول ان هــذه الدعوة ينشأ منها أدب نزيه خلو من القيود (فيوحى) الى الكتاب والأدباء روح الفكر النزيه الحر الجرىء ، ويكتب محمــد على ثروت فى مجلة الحــديث عن سلامة موسى ان له عظمة النبوة .

وفى كتاب (أحلام الفلاسفة) يدعو سلامة موسى الى نظام تعــدد الأزواج ويقول ان نظام تعدد الأزواج موافق للطبيعة البشرية اذ يستريح الأبنـــاء من الاستبداد فلا يكون للولد أب معين فتنتفى المنفعــة الشخصية والاثرة الأبوية ..

توفيـــق الحـــــكيم

واشارت الفتح الى اخطاء توفيق الحكيم :

وفى مقال لمحمود ابو رية اشـــار الى مقال (نجم أحمد) الذى نشره توفيق الحكيم فى الرسـالة وقد عرف الاسـلام والأديان تعريفا لم نجـد له من قبل مثيلا وقال ان كل الأديان تتحـد فى الجوهر وتختلف فى المظهر ، وقال ما معناه : وهـل تجوز المفاضلة بين الأثواب وكلها من صنع الخالق المعصوم ، أما الأسلوب الذى يعرض على الناس فهو من شأن الرسـل والأنبيـاء .

ومعنى هذا الكلام انه ما دامت الأديان تختلف فى المظهر فان هـذا الاختلاف لا يكون من الله وانما مصدره الرسل ، والاسلوب الذى يعرض به الأديان على الناس هو من شأن الرســل فقط ، وكل شىء خاضع لطبع الرسول ومزاجه وخلقه .

هذا هو الاسلام فى نظر توفيق الحكيم فليس هو وحى من الله وليس هو منزل من عند الله وان محمدا هو الذى وضع شكله وصنع قالبه ثم خرج يدعو الناس اليه .

وهذا الراى بدع جديد فى تعريف الاسلام وقد اتى به غيره من علماء الغرب والحقيقة أن الدين الاســلامى ليس من طبع النبى ولا من مزاجـه ولا خلقـه ولا من شخصه ولا من ظروف عيشة عاشـها ، انما هو وحى نزل عليه وأوجب الله عليه اتباعه والدعوة به وتبيينه للناس ، والاختلاف فى الأديان لم يتناول أصولها ولم يمتد الى أركانها وانما كان هذا الاختلاف فى بعض الأحكام والتكاليف أما أصول الأديان هى الايمان بالله واليوم الآخر والعمـل الصالح (م ١١ الفتح) .

حسـين فـوزى

وتحدث الفتح عن دعوة حسين فوزى لاعادة مجد الفراعنة والروح الفرعونية ودعواه أن العرب دخلاء على مصر ، شأنهم فى ذلك شأن الرومان والانجليز ، والاشادة بحكم الفراعنــة بما أسماه الزمن الذهبى أو عصر

النور الذى شمل مصر ، وتقديم أمجاد الفراعنة فى ثوب زاه فى كتابه السندباد المصرى لكى يعيد تلك الحضارة الى الحياة فى نفوسنا ، انها محاولات للعمل على اعادة الروح الى مومياء الفراعنة .

عبد العزيز فهمى

ويفتتح الفتح صفحات مطولة لتلك السقطة الشديدة التى سقطها عبد العزيز فهمى فى دعوته الى كتابة العربية بالحروف اللاتينية (م ١٧ — ابريل ١٩٤٤) وكيف كشف عبد العزيز فهمى عن عدوانه للعربية وقوله : ان حل كل مشاكل اللغة العربية ينتهى الى طريقة واحدة هى اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .

نشرت الفتح أبحاثا فى الرد عليه (عدد ٨١٦ ، ٨١٧ ، شوال ١٣٦٣) .

ونشرت مثل ذلك « الترك وحروف الكتابة » عدد ٧٤٢ (المحرم ١٣٦٠) وفى العدد ٨١١ من الفتح (جمادى الأولى ١٣٦٣) عن حكمة اصطفاء الله تبارك وتعالى للعرب ليكونوا أصحاب نبيه الأولين واختيار اللغة العربية لينزل بها القرآن ، اقرا مقال السيد محب الدين الخطيب (القرآن معجزة بين معجزتين) .

ميشيل عفلق

كما حاصرت الفتح ميشيل عفلق فى هجومه على الاسلام وهو يعمل كمدرس للتاريخ فى ثانويات دمشق (م ١٢ الفتح ١٩٣٨ ، ص ٧١٨) .

خليفة ميشيل عفلق « عارف العارف » (م ١٢ ص ١٩٥٠) .

يفصل أخطاء ميشيل عفلق (الفتح م ١٢ ص ٧٠٤) على الطنطاوى .

تعليق آخر ص ٧٥١ لمحب الدين الخطيب وتعليق آخر لعلى الطنطاوى ٨٠٢ .

وخلاصة القول : تقول الفتح : ان المطاعن والأباطيل التى يوردها ميشيل عفلق فى شعبة الآداب للصف الأول التمهيدى أثناء القائه ما مهد اليه من دروس الحضارة الاسلامية ، ما لقنه للطلاب من طعن فى القرآن الكريم وجرح للأحاديث الشريفة واخراجها من صفتها المقدسة الى صفة وضعية

مجردة من كل المجاز وليس أمام الطلبة من قدرة تساعدهم على رد هجماته على الدين الحنيف فيصدوا بالبرهان مطاعنه فى كتاب الله وسنة رسوله ، ومن ذلك تعريض شباب الاسلام للتبشير بمذاهب الشيوعية والاشتراكية .

حديث مع ملحد يكتم الحاده

فى المجلد التاسع (١٩٣٦) ص ٦٩٦ يورد الفتح حوارا جرى بين على أحمد باكثير وأحد كبار أدباء العصر لم يرد أن يذكر اسمه وقال انه كان جالس أمام المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على ، قال :

وصلنا الى موضوع الدين واثره فى تهذيب الأمة وخطر الالحاد عليها ونحو ذلك فكان مما قاله باكثير : انه يجب على وزارة المعارف بمصر أن تعنى العناية الكافية بتربية النشء تربية اسلامية صحيحة تعصمه من فتن المدنية الأوربية ورزاتها ويجعل له ميزانا يأخذ به فضائلها ومزاياها النافعة حتى تكون النهضة المصرية تامة من جميع الوجوه .

فقال : أن الأمة ليست بحاجة الى الدين ولكنها بحاجة الى الأخلاق ، فالأخلاق وحدها هى التى ترفع الأمة الى مستوى الأمم الراقية وليس الدين .

قلت : اننى لا افهم فارقا بين الدين والأخلاق ، فالدين الذى نتحدث عنه هو الدين الإسلامى الذى هو دين الأخلاق فى أسمى مظاهرها وأصدق مدلولاتها ، وحسبك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل : انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، قال : هذا الأزهر وهؤلاء علماؤه قضوا حياتهم بين جدرانه فى دراسة الدين فما بالهم لم ينهضوا بالأمة .

قلت : اننى قلت تربية اسلامية صحيحة ، ولم اقل دراسة عيون الكتب وشروحها وحواشيها ، فان سبب التأخر هو النظام العقيم فى دراسة الدين الذى يمسك بالقشور ويفتت الألباب ، يجب تربية الناشئة على المثل العليا فى الاسلام وتاريخه فى التضحية والصبر والشجاعة والكرم والايثار والصراحة ونكران الذات وتنشئتهم تنشئة عملية على الطهارة والصلاة .

قال : ان أوربا العظيمة لم تنهض نهضتها الجبارة الا بالأخلاق بعد أن عاشت قرونا بدينها فى الظلام .

قلت : لا قياس مع الفارق ولا أظنك تجهل الفارق العظيم بين الدين الاسلامى والنصرانية ، ولعلك تذكر جمال الدين حين قال : ترك النصارى دينهم فتقدموا وترك المسلمون دينهم فتأخروا ، على أن أوربا لم تترك العصبية الدينية بل هى على العكس من ذلك تتحمس لها اكثر من تحمسنا لديننا وتجعل دراسته فى مدارسها من المواد الأولية وما ينفقونه من الوف الجنيهات للتبشير بدينهم فى مختلف أصقاع العالم .

محمود عزمى

واشارت الفتح فى المجلد العاشر (١٩٣٥) الى مذكرات محمود عزمى التى بدأ بنشرها فى جريدة روز اليوسف وكيف كشف عن دعوته الالحادية فأشار الى اشتراكه فى جماعة السفور التى تشرف على تحرير جريدة السفور لصاحبها عبد الحميد حمدى مع منصور فهمى ومصطفى عبد الرازق والى محاولة انشاء حزب اشتراكى .

يقول عزمى : كنت عاكفا على قراءة كتاب فى الديمقراطية الحديثة لمفكر غربى معروف ، وقد عدل صديقى منصور فهمى عن تسمية المولود بالحزب الاشتراكى الى تسميته بالحزب الديمقراطى ، ويقول : قد انتهزت فرصة عرض المجتمعين لمبدأ توحيد الشريعة فى مصر ، قلت للمشايخ : هل تفهمون كل ما لهذا المبدأ من مدى ؟ فأجابوا بالايجاب ، معناه تطبيق التشريع الواحد على المصريين والاجانب فحسب ، بل معناه قبل هذا وفوق هذا تطبيق التشريع على جميع المصريين مهما تكن أديانهم ومعتقداتهم ، بمعنى أن تكون للمصريين كلهم احكام زواج وطلاق واحدة ، بمعنى انه اذا رغبت مسلمة ولتكن احدى اخواتنا مثلا أن تتزوج من قبطى فلا يكون هناك مانع ولا اعتراض ، وسكت المطربشون وهاج المعممون وقالوا : بل التوحيد فى كل شىء الا احكام الأحوال الشخصية ، فقلت : ليس هذا من الديمقراطية فى شىء ، فانسحبوا واستراحوا وأراحوا ، هذا هو حزب محمود عزمى ، الذى اجتمع فى بيت مصطفى عبد الرازق والسكرتير عزيز ميرهم ، وكلهم جماعة من تعلموا فى باريس وليون ١٩٠٨ (وعزيز ميرهم من كبار الماسون فى مصر) .

اسماعيل ادهم احمد

وتنبهت الفتح الى دعاية اسماعيل ادهم احمد الخبيثة ، في اثارة الشبهات حول الاسلام وتأليفه كتابا عنوانه « لماذا أنا ملحد » وكتابه عن الحديث النبوى حيث يطعن فى الحديث وفى رواته وجمع مصادره ويرميها بالكذب وينكر السنة بتاتا ، وقد جمع فى ذلك مذكرات مصدرها المستشرقون والمبشرون تحوى هذه الطعون والانكارات ، وقد كشفت الفتح دعاواه واشار الذين تناولوا آثاره بدعوته الى اختلاق القول وتهويله وتحكيم الهوى فضلا عن بغضه الواضح للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ومحاولة نطح صخرة الاسلام وقد وصفه بشر فارس فى مجلة الرسالة بأنه الداعية الى البولشفية والعلمية والمتشرد الفكرى (م ١٥ الفتح) .

وقالت الفتح : انه تركى من تلاميذ الروس الشيوعيين له دعاية خبيثة يبثها فى جنبات وادى النيل للنيل من الاسلام وايقاظ روح الشعوبية فيه ، ولما نشرت الفتح هذا تحت عنوان خطر آخر على الشريعة الاسلامية العدد ٤٩٢ (١٧ محرم ١٣٥٥) تلقت منه رسالة اشارت اليها فى العدد ٤٩٤ (٢ صفر ١٣٥٥) قالت : تلقت الفتح رسالة من المتطاول على سنة رسول الله ، هذا الشيوعى يدافع عن نفسه ، وقد اعلن أمره بعد أن أخذ مصطفى السباعى ينبه الناس الى ما فى كتاب فجر الاسلام من تحريف للحقائق الاسلامية فيما يتعلق بتاريخ السنة النبوية (اشار اليها فى العدد ٧١٢) اشار الى سخافات هذا المسكين ، وقد أشار بشر فارس فى مقالته التهكمية البليغة التى نشرها فى الرسالة لاقتناع هذا الشعوبى بأنه جاهل وقالت الأهرام انه كان يميل فى أدبه الى الفلسفة اللادينية وكان ينتمى الى جماعة نشر الثقافة ، وكتب الصحفى العجوز فى الأهرام (أغسطس ١٩٤٠) فوصفه بالداعية الى البولشفية العلمية ، وقال مصطفى السباعى : ان أحد المنتسبين الى الاسلام فى مصر ممن تلقوا علومهم فى جامعات روسيا الشيوعية .

الفصل الخامس

تفـريب الجامعـة

ولما كانت الجامعة هى المركز الثانى للتغريب بعـد جريدة السياسة فقد كانت هناك عصابة طه حسين ، أمين الخولى ، أحمد أمين ... الخ . وكان كل واحد له اختصاصه فكان امين الخولى يتحدث عن القرآن على أنه كتاب بشرى ، وكان مصطفى عبد الرازق يحتفل بذكرى رينان الذى لم يهاجم الاسلام بمثل ما واجهه به هذا الفيلسوف الملحد ، وكان العمـل الخطير قد بدأ بكتاب (فى الشـعر الجاهلى) ثم (مستقبل الثقـافة) وبما نشره فى السياسـة عن أن القرن الثـانى الهجرى كان عصر شـك وفجور ، الى غير ذلك مما واصله الدكتور طه حسين .

وقد أشـار الفتح (م ١٣ ــ ١٩٣٩) الى أن رواية انجليزية اسمها « سان جوان » تدرس فى كلية الدكتور طه حسين تحمل الطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى محاورة بين شخصين يعرض فيها للنبى صلى الله عليه وسلم بعبارات غير لائقة ، وقد طير الجامعيون برقيات الى الصحف يشكون فيها من وضع هذا الكتاب بين أيديهم ، وقال طه حسين فى الرد على ذلك : نحن نعلم آداب اللغة الانجليزية فهل من أجـل عبارات طعن فى الاسلام نمنع تدريس هـذه الرواية وليس الدين الاسلامى من الضعف الى حـد عدم احتماله مثل هـذه العبارات ، وقد طالب طلبة كلية الآداب عدم الخلط بين حرية الفكر وحرية الفحش والاجرام فى حق اقدس شخصية فى العالم وقالوا : لسنا نريد أن يحيا العلم الزائف على حسـاب الكرامة ولكننا نريد أن تحيا الكرامة فى ظلال العلم .

واشارت الفتح الى موقف الشباب المسلم فى الجامعة بالنسبة لأخطاء طه حسين فقد تقدم طلبة وطالبات كلية الحقوق بالجامعة المصرية الى مدير الجامعة مذكرة يطلبون فيها عدة طلبات اهمها :

أولا : ادخال الدراسة الدينية فى جميع الكليات .

ثانيا : توحيد زى الطلبة فى الجامعة مع تمييز طلبة كل كلية عن الأخرى باشارة خاصة .

ثالثا : توحيـــد زى الطالبات .

رابعا : تحـــديد دراسة خاصة للطالبات فى كلية الآداب .

وقد أفاضت مذكرة الطلبة فى هذا المعنى فقالت :

طالما تاقت نفوس النشء الى التعليم الذى حرم منه فى مراحل التعليم الابتدائى والثانوى وقد نص الدستور فى المادة ٤٩ على أن الاسلام الدين الرسمى للدولة والمشرع ابعـــد أن يحشوا الدستور بمواد لا يريد معناها ونتائجها ومن المسلم به أن مصر للشرق كله نبراس يضىء تعلمها ودينهـــا ، والجامعة المصرية تنتهى بها مراحل التعليم فى بلادنا ويتخرج منها أكبر عدد ، وكان من الواجب أن يلم فى هـــذا الميـدان الآخر بشىء من دينه القويم ، حتى لا يقضى حياته جاهلا بأصوله مخالفا لقواعده وقوانينه ، بعد أن استوعب فلسفة أرســـطو وأحاط بنظريات ديكارت ولا تأتى معرفة الدين وأصوله الا عن طريق ادخال الدراسة الدينية ضمن منهاج الدراسـة فى جميع الكليات ففى الدين نجـــد الوازع الأكبر للشباب فى مرحلته الأخـيرة التى تتصادف وساعات الطيش ، وتتقابل وفترات النزق والرعونة ، ويرجع طبعا كل ذلك الى عامل السن فى هذه المرحلة ، ومن شديد الأسف أن تنتهى مراحل العلم فى بلد اسلامى اشتهر بين بلاد العالم بالدين وما يعلمه الطالب فيها من أمر دينه شيئا ، واننا لا نجد عوضا لنا عن هـــذا الاهمال بين جدران منازلنا اذ أن من مر الحقائق أن سواد الشعب أعرض عن الدين وانغمس فيما نهى الله عنه ولا شك أن خير طريق للسعادة هو الدين فبدراسته يتحقق قوله تعـــالى : ((**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخـــير ويأمرون بالمعروف وينهـــون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**)) .

ان ترك الحيـــاة الدينية والقاءها ظهريا ســـوف يجر علينـــا الويل لعصياننا أمر الله ورسوله ((**ومن يعص الله ورسوله فقد ضـــل ضلالا مبينا**)) ان الطريق المعبد لاصـــلاح الحال السير على الطريق الســـوى والتعلق بأهـــداب الدين فيرفع الله سخطه عنـــا ((**وما كان ربك ليهـــلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**)) .

تحديد دراسة خاصة للبنات فى كلية الآداب :

وقد يمكنكم أن تجدوا للفتاة فى كلية الآداب دراسة خاصة بها لأنه مهما يكن من الأمر فليس كل المواد التى تدرس فى كلية الآداب تتفق ومستقبل الفتاة ونعنى بصراحة القول أن نجد لهن دراسة تتفق وكونهن امهات المستقبل . ان الاختلاط بصورته الحالية فى جميع الكليات يتنافى والشرع الاسلامى ، ان فى الدراسة الخاصة بالفتاة لخير تحديد لمصيرها وخير معين على حياتها المستقبلة التى خلقت من اجلها » ا. هـ .

كذلك فقد جرت مناظرة : هل الأفضل للفتاة أن تتعلم تعليما جامعيا أو تنفرد بثقافة خاصة بها ؟ ورجحت كفة الثقافة الخاصة .

وكتب عمر بهاء الأميرى الطالب فى كلية الحقوق بباريس يقول : ان الأساتذة فى جامعة باريس شعروا بأن الاختلاط له اخطاره العملية وكيف أنه يجر الى فساد فى الأخلاق وتعطيل الدروس وصرف الطلاب الى ضروب اللهو وافانين الاستهتار حتى ان أستاذ القانون الدستورى جوزيف بارتلمى ترك قاعة الدرس عدة مرات لاستحالة القاء محاضراته فى جو دراسى ملائم ثم وضع اخيرا فاصلا بين مقاعد الطلاب ومقاعد الطالبات وهكذا فصل الجنسان واخذ كل منهما ناحية من المقاعد .

موقف طه حسين من الحجاب

وما كاد الدكتور طه حسين يعرف بشأن هذه المذكرة حتى كبر عليه أن يجرؤ أولئك على تقديمها الى مدير الجامعة ، ثم هاله تأييد رجال الأزهر وعلى رأسهم الأستاذ الاكبر لاخوانهم الجامعيين ، قال الدكتور طه :

انا لا أعلم فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول استاذ يعلمهم العلم والأدب والفن .

وقد ووجه طه حسين بعشرات من الرسائل التى تدحض مفهومه الخاطىء .

وأولت الفتح اهتمامها بالرد على الدكتور طه ، قال الكاتب :

اذا كان الدكتور طه لا يعرف ذلك النص فهل معناه أنه غير موجود ،

وهل يلزم من عدم معرفة الدكتور على شيء عدم وجوده ، واذا لم تر الهلال تسلم لاناس رأوه بالابصار .

ومن قال هل الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيه من فقهاء المسلمين حتى يقام لرأيه وزن فى الشئون الدينية ، وبعد فنحن نتولى تعريف الدكتور ما جهله حتى يعلم انه تطفل وتدخل فيما لا يحسن الكلام فيه :

وقال الباحث ان الادلة الشرعية ليست محصورة فى الكتاب والسنة ولا مقصورة عليهما فحسب بل الأدلة الشرعية المتفق عليها هى الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع والقياس الصحيح وانه مما امتاز به الاسلام فى قواعده العامة انه جعل درء المفسدة اساسا للأمور الأدبية الشرعية فاختلاط الجنسين وهو ينبوع المفاسد ومصدر الشرور محرم بهذه القاعدة الشرعية وان القرآن اورد آيات كثيرة حول هذا المعنى وهذه الآيات واضحة المعنى دالة على تحريم الاختلاط : اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات مطلقا اذ الأمر بالشيء نهى عن ضده ولا ننسى أن العبرة بمفهوم اللفظ أما حكمة التشريع فى تحريم الاختلاط فهى أن الشريعة الاسلامية تريد للمراة المسلمة أن تحيا حياة الطهر والعفاف والصيانة والفضيلة والدكتور طه بهذا يصادم شعور المسلمين وحرية آرائهم .

وقال الكاتب : لماذا أثار الدكتور طه هذه العاصفة فى وجه المطالبين بعدم اختلاط الجنسين وتخصيص فصول للبنات فى الجامعة المصرية .

وقال : ان السر فى ذلك انه رجل تلقى العلم فى فرنسا بعد الأزهر وانه متزوج من فرنسية وقد خبرها طبعا وأعجبته نتيجة الاختبار فلابد من تعميم ما أعجبه وما استحسنه ... الخ (محمد اسماعيل عبد النبى) .

مشكلة المتعلمين فى مصر

وأشار الفتح الى رأى طه حسين الذى أبداه للكاتب الفرنسى (روم لاندو) من أن الشباب المسلم فى مصر لا يهتم بالدين وان الاسلام لم يعد عاملا هاما فى حياتهم . قال روم لاندو : لقد أعرب لى الدكتور طه حسين وهو على الأرجح يعرف روح مصر الحديثة أكثر من أى رجل آخر عن ارتيابه الشديد

فى هل للاسلام نفوذ انشائى ما فى شباب اليوم مما يدل على انهم يجدون أنفسهم فى الهواء تماما .

قال الكاتب محمد اسماعيل عبد النبى الذى تصدى له :

اما أن الدكتور طه حسين يعرف أكثر من غيره روح مصر الحديثة على الأرجح فهو نظريا أمر مرجوح فان الدكتور طه له هوى خاص فى هذه الأمور وقد عرفه المسلمون فى جميع انحاء الأرض بانه فى جميع الحقائق الاسلامية لا يصدر عن حكمة واتزان وانما يفاخر بالتعصب لرأيه ويعاند الناس جميعا ، ويعتقد أن تلك الخطة هى طريق شهرته وسبيل ظهوره ولا يبالى ما يكون بعد ذلك فها هو يقرر للمستر لاندو أنه شديد الارتياب فى أن للاسلام نفوذا انشائيا فى نفوس شباب اليوم ، ثم هو يعلن فى نفس الوقت انه حسن الظن جدا باخلاق الشبان المصريين فتيانا وفتيات ، فانظر الى عقيدة الدكتور فى شباب اليوم ، يشك ويرتاب فى مسلكهم وفى نفوذ الاسلام الانشائى منهم ، ويحسن الظن جدا بأخلاقهم ولا يشك فيها وفى رشدهم فاذا قام الشباب يطالب بالتعليم الدينى حتى يكون للاسلام نفوذ انشائى فى نفسه غضب عليهم الدكتور ورماهم بالسخف فيا ضيعة الشباب بين غضب الدكتور ورضاه وبين حسن ظنه باخلاقهم وشدة ارتيابه فى نفوذ الاسلام الانشائى بينهم (مجلة الفتح م ١١ — ١٩٣٧) .

* * *

كما اشارت الفتح الى احتفال الجامعة برئاسة طه حسين بذكرى الفيلسوف الملحد ريتان .

قالت الفتح : لقد عقدوا الراى على أن يقيموا للفرنسى رينان حفلا تذكاريا يدرسون فيه مآرب اخرى ، وزينوا للشيخ مصطفى عبد الرازق أن يكون نصيبه فى هذه الحفلة القاء كتاب يقال أن الشيخ جمال الدين الافغانى بعث به الى رينان ، ذلك لأن هذا الكتاب الذى توجد فيه نسخة باللسان الالمانى يحتوى على أن الشيخ جمال الدين يرى أن بين الاسلام والعلم خلافا ، ولقد فهم الناس من صيغ الشيخ مصطفى انه يقصد الى اساءة سمعة الاسلام بما يعزى الى الشيخ جمال الدين من أن الاسلام والعلم قد يختلفان ولو ذهب ذاهب الى ان مقصدهم من حفلة التذكار يدور على

اشاعة هذا الكتاب لم يكن ظنه اسما وبعض الذين فهموا من الشيخ مصطفى هذه النبذة كتبوا فى دفع أن الاسـلام والعلم الصحيح قد يختلفان وعادوا على هذا الباحث المدقق بالملام (م ٢ الفتح — ١٩٢٩) .

(٢)

واوردت الفتح رأى زكى مبارك فى كلية الآداب (الفتح م ٦ ص ٣٠٨) .

قال : اننا فى كلية الآداب نعالج بنفس الطريقة التى يعالجها الأساتذة فى كلية الطب هم يسمون عملهم التشريح ونحن نسميه التحليـل والفرق بيننا وبينهم أنهم يشرحون الأجسـام ونحن نشرح الأمراض وهم يشرحون اجساما نانية ونحن نشرح اعراضا غالية كان ينبغى لهـا الصون التـام فى ظـلال الحلوق ، وليس شق جسم الميت فى كلية الطب بأقسى واقطـع من اهتمام أساتذة كلية الآداب باثبات ان أبا نواس كان سيىء الأخـلاق وأن البحترى كان قذر الثيـاب وان المعرى كان من الملحدين وان المتنبى كان صعلوكا يتصيد المال وهو يدعى سمو الملوك ، ولو مضيت فى دراسته لصرت مع الزمن طبيبا يحترمه الانسان ولكنك حين تمضى فى دراسة الأدب تصبح أديبا والعياذ بالله ورجال الأدب قوم يعيشون فى ظلمات بعضها فوق بعض ولا ينجح من بينهم الا من يحسن القيـل والقال وجوهم فى الغالب جو فتن ودسـائس ونذالات يندى لها الجبين والبارز منهم هو الرجل الوقح الذى يعرف كيف يخلق الأكاذيب للنكاية بزملائه الأبرياء (يقصد طه حسين) (الفتح م ٦ ص ٣٠٨) .

وفى كلمة أخرى لزكى مبارك عن كلية الآداب اوردتها الفتح قال :

سـأل سائل بما معناه : « لو أراد الله أن ينزل قرآنا فى زماننا هـذا فبأى لغـة كان يمكن نزوله ان كان بالعربية امكان نزوله بالنسـخ الذى نزل به » .

من سوء نيـة الانسان أن ترك الجواب للطلبة أنفسهم حتى يضـل من يضل وتحدث الفتنة وهو من عبثها متخل وعنها بعيـد ، فقال انه كان ينزل بالفرنسية لأنها هى اللغة العامة لحسن لفظهـا وقرب مأخذه ودقة تركيبه ، وقال آخر انه كان ينزل بلغة احسن من التى نزل بها وهى العربية التى نستعمل نحن فى كتابه .

وقال ثالث : ان القرآن نزل فى بيئة جاهلة فنزل بلفظه هـذا الذى يروى عليه اليوم وانه لو نزل فى ايامنا هـذه فلا شك فى نزوله بصـورة مغايرة للتى نزل بها وبنى على هـذا أن القرآن لا يوافق كل العصـور بل يوافق العصر الذى نزل فيـه ».

ولقد سمعت من بعض الطلبة أن مثل هذه الأسئلة توضع قبل الدخول الى الدرس ويلقيها تابع من اتباعهم ليعلنها أثناء الدرس حتى تزيغ العقائد فالطلبة ليسوا من التمكن فى الدين بحيث يدققون هذا لأول نظرة : الهـدف هو التشكيك وزكى مبارك يقصد طه حسين وجماعته فى كلية الآداب .

من أين أخـذ المسلمون

وكتب الأسـتاذ محمد حامد الفقى فى المجلد الأول من الفتح يقـول :

كثر التهجم على المسلمين وعقائدهم وكتابهم من الصحف بتلك الأقوال الآثمة والجامعة المصرية ترفع صوتها بالتشكيك من بعض أساتذتها بالطعن فى القرآن وفى اخباره وعظاته وارشاده . والبلاء منبعث ايضا من العراق على لسان الزهاوى وزميله الرصافى ولم تبق بلدة اسلامية الا وقد أمطرها أولئك الملاحدة بآسن افكارهم وفاسد مبادئهم المبنية على قواعد الاباحة .. وكان للصحف السيارة فى هـذا الشر الأثر العظيم فهم لا يفترون ساعة من العمـل الجاد لنشر مبادئهم التى لحمتها وسداها كره كل دين سماوى وبغض كل تشريع الهى ولا سيما الاسلام ، من العار أن لا يكون الاسـلام أمام هذه الصحف التى هى السنة طاعنة فيه الا الاصمعيان (الأخبار والفتح) المتدينون فى غفلة بينما ترى الطائفـة الأخرى جادة فى مقاومة صـحفها ونشرياتهـا ».

ما سر الغفلة ، تبين لى اننا لم نعن أولا بتشخيص المرض تشخيصا صحيحا بطريقة يمكن لكل مريض أن يعلمه ويصل الى مقره فى نفسه ».

كتب ضـد الاسـلام فى الجامعة

فى سنة ١٩٣٩ وزعت الجامعـة كتابا لبرناردشو الكاتب الانجليزى على طلبتها ليدرس لهم وقدم على لسـان قسيس معاصر لجان دارك سب قبيح فى رسول الله ، وليس محل العجب ان شو أو غير شو يوجه فى كتبه

الطعن الى رسول الله ولكن محل العجب أن وزارة المعارف فى مصر تعجز عن أن تجد فى كتب الأدب الانجليزى كتابا خاليا من الطعن فى رسول الله يقرأه طلبة الجامعة .

ورأيت العجب العجاب عندما اثير هـذا الامر فى مجلس النـواب بجلسة ٥ يونية ١٩٣٩ فقد رأينا بعض النواب المحترمين يدافعون عن ذلك الكتاب بطرق مختلفة ويبررون بها شتم شو لرسول الله .

م ١٣٤ الفتح (١٩٣٩)

حماية الدين الاسلامى فى الجامعة وكلية الآداب

قال الدكتور عبد الحميد سعيد (رئيس جماعة الشـبان المسلمين) الهين الذى يكفى للاهتمام به تقديم سؤال واستجواب والقاء رد ثم يهمـل ويركن فى زوايا النسيان ، ولكن الأمر اعظم من ذلك لانه يتعلق بأمر ديننا وشرفنا وعقائدنا وعقائد أبنائنـا وأهلينا وذرياتنا ، ان الأمر أمر دستورنا المحترم الذى ينص على أن الاسلام هو دين الدولة الرسمى وليست نظرية فصل الدين عن التعليم الا ستارا للالحاد والاباحة والخروج على الآداب والأخلاق والتقاليد الدينية والقومية ، ولهـذه النظرية قال أولئك المخربون المدمرون انه يجب تحرير العلم من سلطان الدين ، كأن الدين نير ثقيـل أو حاجز منيع فى وجه العـلم ، انما الدين هو كل شىء ، لا نريد أن نسـمع بعد اليوم تلك الدعوة الفاسـدة : دعوة حرية الفكر التى فى ظلها تنتشر الكتب التى تدعو الى الكفر والتى تطعن فى سيد الأنبيـاء والمرسلين والتى فى ظلها تهـدم الفضيلة والاخلاق والعقائد ، انا لا أريد الحجر على حرية الرأى بحال لاشـكو ممن ينشر الالحاد فى الجامعـة ولكنى اشـكو منهم ان يتخذوا من الجامعة حصنا يقذفون المجتمع من وراء اسواره بالقنابل المفرقعة المدمرة ويصيبون من الأخلاق مقتلا ، وليس الفساد كان قاصرا على الجامعة بل تعداها الى سائر المدارس المصرية ، ان ما يقوم به المبشرون وما يرموننا به من شر وبلاء لا يقـاس مطلقـا بجانب ما أصابنا مما يلقى من دروس فى الالحاد والاباحة ، ان الجامعـة تسلم هؤلاء الشـبان الذين لم يتعلموا شيئا من أصول دينهم الى رجـل يلقى فى نفوسهم الزندقة والكفر فيفسد عقائدهم وأخلاقهم ووزارة المعارف هى المسئولة عن ذلك لانهـا لم تعلمهم

اصول دينهم وتقاليــده والله لو كان هــذا الرجل فى بلاد أخرى لما عاش ليــلة واحــدة .

وقف كثيرون فى وجه هــذا التيار : عبد الخالق عطيــة ، الأستاذ الفاياتى ، السيد خشبة ، عبد الحميد البنــان ، عبد العزيز الصــوفانى ، وكان دور النيابة الذى اثبت التهمة على المعتدى والمسفه لآرائه الفاسدة النجسة ، ومع ذلك لا يزال الرجل على رأس كلية الآداب ولا يزال صاحب هذا التاريخ الدنس ينشر آراءه الفاسدة المنحرفة فى الجامعة المصرية .

مضى على ذلك ثلاثة عشر عاما (١٩٢٦ — ١٩٣٩) .

ان صاحب هــذا التاريخ لا يزال يلقى على ابناء الجامعــة تعاليمه الخبيثة ، فى ظل هذه الاباحة وتحت ستار حرية الفكر ينشر المبادىء الضارة المخربة ، ويجندون ما يسمونه بحرية المرأة واختلاط الجنسين ، ان ما يحدث فى كلية الآداب لا يستطيع مسلم أن يهضمه ، كما لا يستطيع انسان له ذرة من العقل والفضيلة والايمان ان يسكت عنه ، وقد اثبتت اللجان التى الفت لبحث كتب طه حسين واعماله أن كتبه ملأى بالكفر والالحاد .

واجب الجامعة نحو البيئة التى نشأت فيها
محب الدين الخطيب فى الرد على توفيق الحكيم
(م ١١ ص ٩٩٤)

الجامعة المصرية مطالبة وكل جامعة فى الدنيا مطالبة من البيئة التى نشأت فيها بأمرين : (الاول) أن يتنزه القائمون بهــا عن كل موجــدة نحو دين البلاد ومقدساتها وحقوقها فلا يتخذوا من البحث العلمى وحرية الرأى وسائل لتوهين رابطــة النشء المثقف بدينه وقوميته ومقدساته لاســيما اذا كان دينهم صديقا للعلم وداعيا الى الحق وآخذا بيــد المعرفة ينشطها ويرفع مقامهــا .

وهل يجهل احــد أن فى مصر ناسا نعرفهم بأعيانهم ونعرف اتباعهم بسيماهم لا يفتأون يعملون على توهين رابطــة النشء بالدين وتهوين أمره عليهم وتشكيكهم فيــه وتنفيرهم منه وقطع سلسلته من أن نجــد قط سبيلا الى تفاهم وما فتئوا يحاولون اقناعهم بأن الحقائق تضالفسه ، وانه واقف حجر عثرة فى طريقها .

والأمر الثانى : الذى تطالب به كل جامعـــة فى بيئتها أن تقوم بمهمة البحث لمفاخر تلك البيئة وان تجـــدد صلتها المعنوية ، فالجامعات الايطالية تنحو اليوم بالفعل نحو احياء مجد الرومانيين والجامعات الألمانية تعلم أن لها طبيعة روحيـــة .

ان واجب الجامعة المصرية للاسلام الذى هو دين المصريين وللعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنها وامجادها كما تحمل لواء العلم المجرد والعقل الحر والفكر المطلق ، كما أن الاسلام لا يقف فى طريق المسلم الذى يريد أن ينشئه مسلما عربيا .

الفصل السادس

مطاعن طه حسين فى الاسلام

كانت أكبر أخطــاء طـــه حسين هو كتابه (فى الشـــعر الجاهلى) وقد اثيرت قضيته مرة أخــرى عام ١٩٣٢ فى البرلمان واشـارت الفتـح الى أن قرار النيابة ينص على أن الكتاب خطا محصن فى مادته وفى أسلوبه وفى معانيه وفى غاية مؤلفه . وعلق الأستاذ حسن البنا على الحادث فقال : لم يقل احـــد ان معنى حرية الفـــكر ابطال الحق واحقـــاق الباطل وخرق النواميس وانتهاك حرمات الشرائع والقوانين والاســاءة الى الصحابة ، وطالب بضرورة مصادرة الكتاب الثـــانى (الادب الجاهلى) لأنه لا يخالف سابقه الا فى التسمية ، أما اقصاء الدكتور طه عن التدريس فى الجامعـــة فامر حتم يقتضيه واجب الوزارة فى المحافظة على عقائد الطلبـــة وأخلاقهم فان المدرس ينظر اليه من ثلاث جهات : (١) من مواهبه الخاصة فى المـــادة التى يدرسها . (٢) وفى مادته التى يقدمها لتلاميــــذه . (٣) وفى طريقتـــه فى التفكير وما يبثه فى نفوس طلبته من أخلاقه وطبائعه ، والدكتور طه حسين متهم فى ذلك جميعـــا فهو لا يحسن الشـــعر وان حاول ذلك فأتى بالغث المتكلف الذى يمجه الطبع ويستثقله السمع على نمط لاميته التى يقول فيها :

ومالى وما للبـــــدر أطلب رده

بل ما لا ملاك السـماء ومالى

الى آخر ما قال من هذا النظم المهلهل النسيج المتنافر اللفظ والضئيل الغاية وهو لا يجيد اسلوب الكتابة اذا حاكمته الى الذوق العربى والبلاغة اللغوية وقسته بما وصفه الائمة من أوزان البيان ومقاييسه ، أما فى حشو القول والاتســاع به واطالته بالتشدق والتفهيق فالرجل فى ذلك لا يشق له غبار واعتبر ذلك بما كان فى قضية المعلمين وقصتهم التى كتب عنها فى السياسة فاعيدت القصة وذكرت القصة بضع مرات مما لا يزيد على عشرة أســـطر من أسطر الجريدة .

وما هو بالناقد الذى يحسن النقـــد الصــــحيح فى الشـــعر والنثر ،

وان أحسن التهجين والتجريح والرزاية على غيره من الأوباء والكتاب وان الذى يقرأ بيت شوقى فى ميميته التى يقرظ فيها كتاب الاخلاق :

بالطف انت هو الصدى لن ذلك الصوت الرخيم

فنفهم أن الشاعر يقول ان أرسطو كان ذا صوت رخيم ولو رد على ذلك انه لا هو ولا شوقى سمع هذا الصوت ثم لا يدرك ما فى هذه الاشارة البليغة من عذوبة وجمال وتناسب احرى به أن يدع النقد لأهله وأن يعلم أن دعواه فيه كدعوى آل حرب فى زياد .

وبعد فليس الدكتور متخصصا بدراسة تاريخ العرب لم يتلقه عن أستاذ ولم يلم به فى مدرسة ولما علم من ذلك ما يعلق بذهنه من مطالعة كتب الأدب لا ليدرسها ولكن ليراها ، وما سأل الدكتور اجازته فى تاريخ اليونان أو تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده أقوى الدعائم التى يستند اليها الكاتب اذا أراد أن يكتب فى الأدب العربى فمن فاته روايته ودرايته فقد فاته اس البحث ونبراسه وسار على غير هدى .

وعرضت الفتح لاستجواب مجلس النواب لكتاب الشعر الجاهلى (قدمه مصطفى القاياتى) ومأرب الكتاب والباحثين وما نشرت الصحف من مقالات فى الرد عليه استمرت فى جريدة كوكب الشرق ثلاثة شهور : كتب فيها مصطفى صادق الرافعى ويوسف الدجوى ومحمد حامد وأحمد خيرى سعيد وألف الخضر حسين ولطفى جمعة وفريد وجدى والرافعى كتبا قائمة بذاتها .

وقال الشيخ يوسف الدجوى : ما فى الكتاب من مسألة ابراهيم واسماعيل مسروق من كلام جهلة المبشرين كصاحب مقالة فى الاسلام ، وما ذكر عن الشعر الجاهلى مسروق من كلام متعصبى المستشرقين لمرجليوث فالفكرة على سخافتها ليست له فى الموضعين . وقال ان ما قرره ديكارت هو مذهب الاسلام والمسلمين قبل ديكارت بمئات السنين ، الا ليجعله آلة لهدم الأديان والطعن فى التوراة والقرآن والا فهو أول من خالفه .

وفى المجلد الثالث اشار باحث الى نظرية ديكارت فى الشك فقال : ان الشك لأجل الانتقال منه الى اليقين ، سبقه الى ذلك الغزالى وهو اخذ من الغزالى ، هذه النظرية اساء فهمها طه حسين وكشف ذلك محمد احمد

الغمراوى ، وترجم الخضيرى كتاب المنهج لديكارت ليثبت كذب طه حسين ؟ لقد نسب طه حسين نوعا آخر من الشك السخيف ، كذب طه حسين قسيس يوسف سلام وخطب في الجمعية الخلدونية فى تونس (الفتح ٢٨ مارس ١٩٢٩) .

(٢)

وموقف طه حسين امام النيابة جرى حوله حوار كثير المت به الفتح في اكثر من مقال :

قال : فانا كمسلم اعلن انى لا أرتاب فى شىء مما اشتمل عليه القرآن ولكنى كعالم اسلك الى البحث مناهجه العلمية ، قال ذلك امام النيابة العامة (٢٨ اكتوبر ١٩٢٦ جريدة السياسة) بصدد دفعه عن نفسه تهمة انكار وجود ابراهيم واسماعيل وانكار أن تكون الكعبة من بنائهما وانكار هجرتهما الى مكة مع وجود ذلك في القرآن ، اذن فهو لا يرتاب اذا كان الأمر كذلك فكيف ذكر فى كتابه (للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ولكن ذلك لا يكفى لوجودهما ، ان ما ورد عنهما فى القرآن أسطورة حدثت قبل الاسلام احدثها اليهود لغرض سياسى واستغلها الاسلام لغرض آخر، كل هذا يفيد تكذيبه لوجودهما ولبنائهما الكعبة ولهجرتهما الى مكة ، وهكذا دافع عن نفسه الدكتور بأن يعتقد الشىء وضده ويجمع بين المتناقضين فى الاعتقاد ففى عقائده اعتقاد بوجود ابراهيم واسماعيل واعتقاد بعدم وجودهما وعدم بنيانهما الكعبة ، هل رأى الناس اهدارا للعقول وجناية على البديهيات اكبر من هذا، ان بديهيات العقول تقول ان النقيضين لا يجتمعان فى الواقع ولا فى الاعتقاد والقائل بامكان اجتماعهما فى الواقع أو فى الاعتقاد بمنزلة من ينكر أن الواحد نصف الاثنين هم يبنون دفاعهم عن أنفسهم على انكارهم للبديهيات التى هى حاصلة للصبيان والبله ثم هم بعد ذلك علماء يسلكون للبحث مناهجه العلمية (محمد عرفه) .

طه حسين يكذب القرآن بين يدى النيابة

(نقلا عن الأهرام — ٢٩ اكتوبر ١٩٢٦) سئل طه حسين عما اذا كان يعتقد أن القرآن وحده كافيا لاثبات الوقائع التى وردت فيه فأجاب :

الحوادث المعاصرة لنزول القرآن وهو صحيح، أما الحوادث التى حدثت قبل نزول القرآن فهى عبارة عن قصص أراد الله بها اقناع عبيده وهدايتهم بها وهى تنطبق على مسألة الهجرة وخلافها من المسائل .

وعلقت الفتح : وهـذا اعتراف صريح من الدكتور طه بأن القـرآن لا يعتد به ولا يقام له وزن فى اثبات ما يخبر به ، ويصرح بأنه موجود وواقع فاذا أخبر الله بأنه ارسـل ابراهيم الى قومه ، وارسل نوحا الى قومه ، اذا بين فى محكم تنزيله أن هؤلاء كانوا رجالا أوحى اليهم وانهم كانوا موجودين فى الدنيا ولهم وقائع وكتب وآثار ، واذا أخبر فى القرآن تلك الأخبار ساغ للباحث العلمى أن يقول له ان هؤلاء الأشـخاص لم يوجـدوا فى الدنيـا ولم يعرفهم التـاريخ ، لانهم لم يثبتوا بما يقتنع الباحث العلمى وتسـلم به المناهج العلمية الحديثة .

ما هى المناهج العلمية فى البحث التاريخى — يراد بالمفاهيم العلمية ما يراه بعض الباحثين فى التاريخ من انه يجب أن يقـام على اساس مادى فلا تثبت حوادثه الا بالأدلة المحسوسة كالآثار والنقوش ، فما لم يثبت بالآثار أو تشهد بصحته النقوش لا يعترف التاريخ بوجوده ولا يسلم بصحته نزولا على حـكم تلك المناهج ، اذا ففى القرآن على زعمه وقائع غـير صحيحة ووقائع كاذبة ذكرها الله بقصص مكذوب اقناعا لعباده ورغبة فى هدايتهم ، وسجل على نفسه انه يرى أن القرآن يشتمل على الكذب ويحتـوى على غير الواقع والصحيح من الأخبار مخالف ما أجمع عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها من أن القـرآن كلام الله وأن كلام الله صـادق (م ١ — ٤ نوفمبر ١٩٢٦) .

اتهـــام دامـــغ

قال محمد بك نور رئيس نيابة مصر فى صلب التحقيق مع طه حسين ما يلى :

حيث انه بالرجوع الى الوقائع التى ذكرها الدكتور طه حسين والتى تكلمت عنها تفصيلا وتطبيقا على القانون يتضح أن كلامه الذى بحثناه تحت عنوان الأمر الأول فيه تعد على الدين الاسلامى لأنه انتهك حرمة هذا الدين بأن نسب للاسـلام انه استغل قصة ملفقـة هى قصـة هجرة اسماعيل

ابن ابراهيم الى مكة وبناء ابراهيم واسماعيل الكعبة واعتبار هـذه القصة اسطورة وانها من تلفيق اليهود وانها حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام ... وهو بكلامه هـذا يرمى الدين الاسلامى بانه مضلل فى أمور هى عقائد فى القرآن باعتبار انها حقائق لا مرية فيهـا » .

واشارت الفتح ٢٥ نوفمبر ١٩٢٦ فيما أسمته مراجعـة ما قاله طه حسين أمام النيابة :

[ان الله يستعمل فى كتابه قصصا مكذوبة لهداية عبيده] .

ان العلماء لا يرضوا أن يهان كتاب مثل تلك الاهانة مهما وجد فى مصر من الكتاب من ينتصر لها أو يحاول ان يسميها حركة تجديد ، ان فى مصر حركة ترمى الى بذر بذور الشك فى القرآن ونشر الشكوك فيما جاء فيـه والحملة على تعاليم الاسلام وانظمته .

قال بين يدى النيابة : ان الحوادث الواردة فى القرآن تنقسم قسمين :

ما كان منها معاصرا لنزول القرآن فهو صحيح ، وما كان منها متقدما على نزول القرآن فغير مأذون له بالدخول فى حرم التاريخ .

بلاغ النيـابة

واوردت الفتح بلاغ النائب عبد الحميد البنان الذى رفعه الى النيابة بشأن كتاب (فى الشعر الجاهلى) جاء فيـه :

لم يكن تسمية ذلك الكتاب بالشعر الجاهلى الا سترا لما وراءه من غرض شنيع وهو :

١ — مهاجمـة القـرآن الشريف وارادة المساس بمقداره فى نظـر المسـلمين .

٢ — المساس بالنبى صلى الله عليـه وسـلم حيث اتهمـه بالكذب وقال انه أورد هذه الوقائع التى كانت للعرب والفرس (والتى تحدث النبى عن بعضها وهو يوم ذى قار) ومع اعترافه بأن النبى صلى الله عليه وسلم تحدث عن بعضها يدعى انها أيام مكذوبة والواقع انه لم يكن للعرب على الفرس قبل الاسلام الا هذا اليوم الذى قال فيه عليه السلام :

هذا أول يوم انتصر فيه العرب على العجم وبى نصروا .

٣ — انه جعل الاسلام مما حمل المسلمين على الكذب ليؤيدوا اخباره وذلك كثير جدا من الكتاب فانه طعن فى علمائهم ومفسريهم ورواتهم ولم يترك منهم أحدا الا سدد اليه ذلك السهم غير مستند الى دليل ولا شبهة بل الى فروض لا قيمة لهـا .

٤ — اراد ان يثبت أنه كان فى الجاهلية تغاير بين لغتى قحطان وعدنان، هذه النظرية يمكن اثباتها بالمقدمات العلمية المبنية على المقارنة بين اللغتين فى الألفاظ او الأساليب اذا وجـد ولا يقف فى سـبيل ذلك حادث ابراهيم واسماعيل الذى ينص عليه القـرآن ولكن المؤلف تعرض للقرآن تعرضـا قبيحا فان المسلمين جميعا يعتقدون فى القرآن أنه من عنـد الله وانه حق وصدق وان ما اتى به من الأخبار يدل قطعا على صحة مضمونه ولكن المؤلف حاصرهم بطعن هذه العقيدة حيث قال فى نص القرآن على حديث ابراهيم واسماعيل انه لا يدل على اثبات ما تضمنه .

ولم يكن هذا التكذيب الصريح مقدمة لنظرية تتوقف عليـه صحتها ولا نتيجة لازمة لتلك النظرية حتى يقال ان البحث العلمى اضطره الى ذلك وانما هى النية السيئة وارادة مصادرة المسـلمين فى عقيدتهم والطعن فى كتابهم .

كما اوردت الفتح وقائع النيابة وتحقيقها مع طه حسين : هذا التحقيق الذى انتهى الى الحفظ وعلق على ذلك الشيخ يوسف الدجوى فقال :

ينكر طه حسين وجود ابراهيم واسماعيل ويطعن فى القرآن والتوراة طعنا مرا فلا يقدم للقضاء بل تحفظ قضيته أمام النيابة فى مصر التى دينها الاسلام ، وينكر رجل فى بولونيا وجود الشيطان فيعاقب بالسجن ثمانين يوما وبالغرامة ، افلا ينفطر قلب من يحب مصر ويغار على شرفها وسمعتها مما وصلنا اليه ويعجب الانسان كل العجب عندما تقرأ قرار النيابة فى قضية الدكتور طه حسين : ذلك القرار الذى آلم احساس الأمة وصادم شعورها ، يا وزير المعارف ان طه حسين قد افسد التاريخ والعلم والأدب فكان يجب عليك ان لم تخرجه من الجامعة مراعاة للدين ان تخرجه منها صيانة للعـلم ومحافظة على التاريخ والأدب .

(٣)

واشارت الفتح الى ما يتصل بحادث كتاب (فى الأدب الجاهلى) (١٣ سبتمبر عام ١٩٢٦) فى مجلس النواب ، ثم دعوة المجلس فى مايو ١٩٢٧ ، (محمود رشاد) ٢٩ يونيو ١٩٢٧ (عبد الحميد سعيد) ثم دعونه مرة اخرى ٥ مايو ١٩٣٠ (عبد العزيز الصوفانى) .

وقالت الفتح : لا ريب أن طه حسين جاء شؤما على الملاحدة والعاملين على الكيد للاسلام فأفسد عليهم فى ست سنوات ما بنوه فى اكثر من ستين سنة ونبه الروح الاسلامى الى مراقد كل حركة وسكنة يكاد بهما للاسلام فى مصر وغير مصر .

واشارت الفتح (ديسمبر ١٩٢٦) الى أن رئيس تحرير اكبر جريدة تصدر فىالصباح (يعنى الأهرام) انه ورد اليه ما يزيد على خمسمائة مقالة كلها فىالرد علىالدكتور على اعترافاته أمام النيابة ، وان جريدة السياسة هى وحدها التى انفردت بالدفاع عن الدكتور وعن آرائه لأنها تدعو الى مثل ما دعا اليه فهما شريكان فى الدعوة متعاونان ومتناحران .

واشارت الفتح الى أن محمود رشاد باشا ١٩٢٨/٥/٢٩ وجه الى وزير المعارف سؤالا فى مجلس الشيوخ عما نسب الى طه حسين من تعرضه للقرآن الكريم بكلية الآداب قال ان الصحف نشرت ملخصا لمحاضرات القاها طه حسين فى الجامعة واتى فيهما بما يمس المسلمين فى شعورهم اذ قال فيها صراحة ان القرآن منقول عن كتاب كان موجودا فى ذلك العهد وقال : نحن منذ ثلاث سنوات نئن من عبث طه حسين المسلم بالدين الاسلامى فى الدولة التى دينها الاسلام ، وقد طرح هذا الموضوع من ثلاث سنوات على مجلس النواب فوعدت الحكومة بتشكيل لجنة ثم ثانية ثم ثالثة ولكنا لم نر نتيجة لأعمال هذه اللجان ولا يزال الدكتور طه يقول ان القرآن منقول عن كتاب آخر ، انهم يبشرون بالمسيحية فى الأزهر وينتهكون حرمة الاسلام فى الجامعة (اشار الى اقتحام القس زويمر الأزهر الشريف فى ١٩ ابريل ١٩٢٨) .

(٤)

لم يلبث الدكتور طه بعد مصادرة كتاب الشعر الجاهلى ان أصدره بصورة اخرى تحت عنوان (فى الادب الجاهلى) بعد أن رفع منه بعض الفصول التى حوت كلماته الخاطئة .

ولكن الباحثين تعقبوه مرة اخرى وكشفوا حقيقته فكتب فى الفتح (٢٤ نوفمبر ١٩٢٧) السيد عبد الرازق الحسنى من علماء العراق يقول :

حسب أن العبث القليل الذى عبثه طه حسين بكتاب فى الشعر الجاهلى منذ تحويله الى كتاب الأدب الجاهلى يسدل على عيون الناس غشاوة تحول بينهم وبين ما فيه من دسائس ، كنت ممن يحترمون طه حسين وممن يعدونه سائرا فى طريق يؤدى به الى منزلة المعرى وبشار وملتون ، وسرعان ما استحالت هذه الحرمة الى عكسها يوم قذف بتلك القنبلة التى تناثرت شظاياها فى انحاء البلاد الضادية واحدثت هذا الدوى الهائل . اجل قرأت كتابه المملوء سما ناقعا وهو الادب الجاهلى فبان لى طه حسين رجلا مغرضا هداما يريد الشهرة ويحلق وراءها فى فضاء الحياة فحجبته منه انواره وقد ظهر لى ان الرجل يراوغ روغانا فلا هو بالصريح ولا هو بالمتكتم، واذا كان قد طوى فى الطبعة الجديدة بعض الخزى الذى كان فى الطبعة القديمة كزعمه أن ما ورد فى القرآن عن ابراهيم واسماعيل هو اسطورة فان فى الطبعة الجديدة من العداء للاسلام والعرب ومن السفسطة المستورة والمكشوفة شيئا كثيرا . أراد أن يستدل على ان الشعر الجاهلى مكذوب وان المسلمين اخترعوه فأخذ يبحث عن ادلة فرأى ان العرب امة جود وكرم فأراد أن ينفى ذلك عن مجموع تلك الأمة فاستدل على انها غير جوادة ولا كريمة لقوله تعالى : ((**ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**)) والطفل الصغير لا يخطر على باله أن هذه الآية تنفى عن تلك الأمة الكريمة فضيلة الجود والكرم الخالدة بخلود شعرها وبيانها . وما غاظنى بعد ذلك كما غاظنى انكاره وقعة كليب وجساس وجليلة ولعمرى ما أراد بذلك الا القضاء على فضيلة يفخر بها ابناء هذا العصر من العرب ، ومن راجع هذا العصر علم ان مغزاها الوحيد هو حفظ الجوار وقد كان من أخزى الأمور نكران هذه المكرمة بلا دليل

او برهان جلى أو حجة ناصـــعة والكتاب مشـــحون بالأغلاط والفضائح التى لا تدل على سلامة نية كاتبها ..

(٥)

وتصدت الفتح لشبهات اخرى أثارها الدكتور طه حسين عند مقارنته بين العلم والدين .

قالت : أثار طه حسين قصة جديدة : هى قصة الدين والعلم فزعم أن العلم لا يثبت وجود الله وان ما لا يثبته العلم لا يسوغ اعتقاده ، ولا يمكن الجزم به ورد على ذلك عبد الباقى سرور فقال : ان وجود الله تشـــهد به الدلائل الكونيـــة ، فالموجـــودات من قبـــل فاعـــل قاض لذلك مريد له اذ من المستحيل أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

وكتب الشيخ محمـــد عرفة (الفتح م ١ — ١٣ يناير ١٩٢٧) يقول :

منهج الدكتور فى البحث ضلالات ومغالطات ، ليس يسلك هذا المنهج الا الذين لم يتمرســـوا بضاعة المنطق ، ولم يمرنوا على صناعة البرهان وكانوا سطحيين فى نجدتهم ولم يتعمقوا الى الغور وعرضنا فى أمور ثلاثة :

اولهما : أن تسقط دعوى الدكتور طه بأن ما سلكه فى البحث منهـــج علمى حديث وانه بذلك يحشر نفسه فى زمرة العلماء حشرا فى عداد المخترعين والمفكرين ، وليس يعلم الا الله ما ينال هؤلاء العلماء من الأذى فى مضاجعهم بانتساب الدكتور اليهم .

ثانيا : أن أحمى شباب مصر من عدوى ذلك المنهج ومن ان يتابعوا الدكتور فى طريقه الفكرى فان مستوى البحث فى مصر لما ينقح بعد .

ثالثــا : ان يعلم الذين يؤمنون بالاسلام فى مصر ان دينهم لم يصادمه علم ولا عقل وحاشا الاسلام أن يصادمه علم أو عقل،وان كان ثم لم يصادمه فليس العلم والعقل وانما هو الجهل المخزى والباطل الشائن .

وليس يدخل فى عرضى أن يقتنع الدكتور طه حسين فانه ليس ممن يرجى منهم اقتناع .

وأشار الى مقاله عن العلم والدين ، قال : ذكر أن بين العلم والدين تناقضات فى أمور منها خلق الانسان وصورته ومادته وخلق الســـموات

والأرض وذكر أن العلم يخالف الدين فى هذين الأمرين وغيرهما خلافا لا يمكن معه أن يتفقا الا ان ينزل احدهما للآخر عن شخصه . وذكر أن العلم يتناول الدين بالبحث والنقد والتحليل ويرى الدين ظاهرة كاللغة واللباس لم ينزل من السماء ولم يهبط من الوحى وانما خرج من الأرض .

وقد كتب الشيخ محمــــد عرفة وعبد الباقى سرور نعيم مفندين فكرة الدكتور طه وكاشفين عن أن العلم التجريبى والدين لا تنافر بينهما ولا تنازع وأما هذه النظريات الفلسفية التى هى عبارة عن فروض يراد خداع الناس بتسميتها باسم العــلم فانها ليست علما فى الحقيقة . وان هـــذا التوسع فى اطلاق اسم العلم على الآراء الالحادية لبعض أصحاب النبــات الفاسدة فانه يتنافر مع الدين لأنه ينقصه ويبطله ، ولأن الدين ينهى عن اتبـــــاع مثل هذا النوع من الوهم والضلال .

(٦)

ومن مطاعنه ما كتبه فى مجلة الحديث (حلب) يتذمر من النص الموجود فى الدستور المصرى على ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام ويذكر ما لحق الالحاد من ضرر بسبب هذا النص الذى جعل رجال الدين يحرصون على ان يكون معمولا به ، وقال : ان دستورنا قد نص فى صراحة على أن الاسلام دين الدولة ، وكان هذا النص مصدر فرقة ، لا نقول بين المسلمين وغير المسلمين من أهــل مصر ، فقد رضيت القــلة المسيحية وغــير المسيحية هذا النص ، ولم تر فيه مضاضة أو خطرا وانما نقول انه كان مصــدر فرقة بين المسلمين أنفسهم فهم لم يفهموه على وجه واحد ولم يتفقوا على تحقيق النتــائج .

وأشار الى بيان اقرار هذا النص فى الدستور والاعتراض على وجوده وزعم أن القصد منه هو الاحتفال بالمحمل وعدم اغلاق المساجد .

(٧)

ومن شبهاته ما أثاره حول زعمــــه أن القسم المكى من القرآن يمتاز بالهروب من المناقشة وأن القسم المدنى قد ارتقى ارتقاء فجائيا لاتصــــال النبى بالبيئة اليهودية فى المدينة وان القســـم المكى يمتاز بميزات الأوساط

المنحطة بالعنف والقسوة والسباب والتهديد . اما القسم المدنى فهادىء وديع مسالم . وان القسم المكى يمتاز بتقطع الفكرة واقتصار المعانى وقص الآيات والخلو التام من التشريع والقوانين وان القسم المدنى على خلاف ذلك .

وقد نقض الشيخ محمد عرفة هذه الشبهات جميعا ورد عليها الكثيرون وزيفوها .

وكان رد الفتح فى هذه القضايا بالغ الأهمية فقد وجدت صحافة اسلامية (المنار والفتح) تواجه هذا التيار التغريبى بقوة وظهر مجموعة من الكتاب يردون عنه وينقدون آراءه فى مقدمتهم محمد أحمد الغمراوى ، مصطفى صادق الرافعى ، عبد الباقى سرور نعيم ، محمد على غريب محمد محمود الخضيرى الذى زيف انتسابه الى ديكارت ، وكانت جريدة السياسة هى التى تحمل لواء هذه الحملة التغريبية وتدافع عن على عبد الرازق وطه حسين .

(٨)

ولم يتوقف طه حسين عن بث سمومه فقد ذهب الى المدرسة اليهودية و الاسكندرية واشاد بدور كاذب لليهود ، فى الأدب العربى .

وفى مؤتمر المستشرقين الثامن عشر (١٩٣١ — ١٩٣٢) تحدث عن تاثير بيان اليونان فى البيان العربى وذهب الى أضاليله فى اخضاع البيان العربى لليونان وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين بمحاضرات قيمة نشرها فى مجلة الهداية (مجلد ١٣٥٠ هـ) .

وحين يقول طه حسين فى محاضراته فى المدرسة اليهودية (السياسة ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٨) : ولكن سائر العرب أسلموا اما رغبة أو اما رهبة خوف السيف أو محبة المال حتى كان الرسول يتألف القلوب بالمال ، فانه لا يتصدى أن يردد ما نشره المبشرون وما أذاعوه من أكاذيب حول انتشار الاسلام بالسيف وأن الناس أسلموا خوفا على حياتهم .

(٩)

وقد صدق زميل دربه الدكتور زكى مبارك الذى رافقه فى مطالع حياته الادبية حين قال عنه (م ١١ الفتح — ١٩٢٨) : انى أراه قليل الصلاحية للأستاذية فى الأدب العربى لان اطلاعه على الادب اطلاع ضئيل جـداً ويعرف انى اشهد له بالبراعة فى تأليف الحكايات ، ومن العجب أن يكون طه حسين أستاذ الادب العربى فى الجامعة وهو لم يقرأ غير فصول من كتاب الأغانى وفصول من سيرة ابن هشام .

وهذا هو الرأى الذى أبداه الأستاذ حسن البنا قبـل ذلك بسنوات طـوال .

وكتب زكى مبارك فيما نقله الفتح (م ١٠ — ١٩٣٥) ان طه حسين شعوبى مقلد ولكنه متقلب حائر ، يختطف كل ما يراه فى طريقه من الآراء لاسيما الآراء التى تصـله من بلد بعيد ، فهو اليوم تلميذ فلان وغـداً تلميذ علان وكان بالأمس تلميذ ترتان ونستطيع أن نجزم بأنه لا يتشـيع لأية فكرة الا وهو فيها تبع لشخصية يتوهم أنها مستورة عن الناس .

(١٠)

وقد وجد طه حسين دائما من يزيف آراءه المسمومة ويكشف وجهة نظره المبطلة .

وعندما ألقى محاضرته (الغذاء العقلى والروحى للشباب) واجهـه محمود محمـد شاكر (م ١٤ الفتح — ١٩٤١) قال : اذا أردنا أن نجعـل النظام الاجتماعى الاسلامى فى العمـل والتشريع والسياسة هو النظـام فمن الخطأ الذاهب فى الفسـاد أن نخضعه لتطور مدنية أخرى قد بنى اجتماعها على المسيحية فى التشريع والسياسة والأخلاق فمصر والشرق الاسلامى اذا أراد أن يستعد وينهض فلابد أن يستمد نهضته من أصول الاجتمـاع الذى يربطه به التاريخ والدم والوطن واللسان والدين والوراثة واذا ساير فانما يساير فى فكره النهضة والحضارة والمدنيـة الاسلامية على الطريق الذى يوافق طبيعة هـذا الاجتماع ، أما المدنيـة الحديثة فقد بنيت على غير ذلك ، وقد تطورت على أصوله ، ولقد قال جورج الخامس ملك بريطانيا

(ديسمبر ١٩٣٩) : انى أؤمن من اعماق قلبى بأن القضية التى تربط شعوبنا معا وتربطنا بحلفائنا المخلصين الأمجاد هى قضية المدنية المسيحية وليس ثم قاعدة أخرى يمكن تبنى عليها مدنية صحيحة .

وكلام الملك جورج هو أدق التصوير لحقيقة الحضارة الأوربية فى نظر كل باحث نصرانى او يهودى أو مسلم فاذا أردنا أن نتابع تطور هذا الضرب من المدنية بتبديل اجتماعنا الذى دعا اليه الدكتور طه فى حديثه ليطابقه فكانما ندعو الى تنصير الاسلام ، والعجب ان يذكر الدكتور طه الحضارة الأوربية الحديثة فلا يدعو الى الأخذ بشىء فيما فيها دعوة صريحة الا فى الذى يتصل بالخلق . الا ان أخلاق المدنية الأوربية قد استعلنت جميعها فى هذا البغى المتفجر فى الحرب ، واذا أردنا أن نأخذ — اى ان نقلد — فلنأخذ من تاريخنا ومن ديننا ومن أخلاق رجالنا .

* * *

واولى طه حسين اهتماما بالغا بالفرعونية مقال فى محاضرته : (م ١٤ الفتح) .

من حق مصر أن تعنى بالفن الفرعونى كالتصوير والتمثيل وغيرهما فتحييه وتيسره وتلقنه لأبنائها وشبابها ، وفى الحضارة الاسلامية أمور كثيرة يمكننا أن نقيسها ونهذبها ونأخذ منها ما يوافق أذواقنا ومقتضيات عصرنا . ان الذين يستنكرون الأخذ بحضارة أوربا اناس يكذبون على أنفسهم لأنهم يستفيدون من ثمار هذه الحضارة فاستنكارهم لحضارة أوربا مع استفادتهم من ثمراتها يعد من النفاق .

وعلق السيد محب الدين الخطيب على هذه الوجهة فقال :

يريد الدكتور طه أن تأخذ مصر من حضارة الفراعنة شيئا وأن تدع اشياء وأن تأخذ من حضارة العرب والاسلام شيئا وأن تدع أشياء ، أما حضارة أوربا فهى عنده كل لا يتجزأ ويجب أن تبدأ منها بالخلق والغذاء الروحى فنربى ناشئتنا عليه واذا ذكره أهل الذكر ورثته مصر من تراث الاسلام ما يكفيها من ناحية الخلق وغذاء الروح وانها انما تحتاج من أوربا الى العلوم التى تتقدم بها الصناعات وتضطلع بأسباب القوة قال لهم : انكم منافقون .

ان الخلاف القديم بين الدكتور طه حسين وبين جميع الذين عارضوه منذ بضعة عشر عاما الى الآن يدور حول هذه النقطة . وهو يريد ان يكون النشء الاسلامى كالنشء الأوربى فى كل شىء ، ثم يتحلى بمظاهر من حضارة الفراعنة وحضارة الاسلام والذين عارضوه يريدون أن يكون ننشئنا تنشأ اسلاميا وان يتحلى بعلوم أوربا التى يتوقف علمها أسباب القوة والتقدم العلمى والاقتصادى والعمرانى .

وهو يرى ان الحضارة الأوربية كل لا يجوز ان يتجزأ ويجب ان نبدأ منه بالغذاء الروحى ومعارضوه يرون أن المعارف تراث انسانى ليس خاصا بالغرب . دون الشرق ، ولأوربا دون آسيا وأفريقيا ، وكما أخذت الحضارة الاسلامية من معارف اليونان أو غيرها من الأمم القديمة وبقيت أسلامية . وكما اخذت أوربا من معارف المسلمين وبقيت غربية مسيحية ، كذلك نحن فى هذا العصر يجب أن نأخذ هذا العلم العالمى المشاع الذى هو تراث الانسانية فنستفيد منه ونقوى ونبقى مع ذلك عربا شرقيين مسلمين والغذاء الروحى فى الاسلام أنقى وأمتع من الغذاء الروحى فى الغرب وان فى غذاء أوربا الروحى ما تمنى الأستاذ هكسلى أن يكتسحه مذنب عظيم فيريح الانسانية من شروره .

مستقبل الثقافة

ولا أظن أن كتابا أثار نقدا شديدا بعد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين كما أثاره كتاب مستقبل الثقافة الذى يدعو فيه أن ننصهر فى الحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب ، وقد ألقى الأستاذ حسن البنا محاضرة فى نقد هذا الكتاب فى جمعية الشبان المسلمين ولخصت الفتح بعض ما جاء بها (م ١٤ — ١٩٤١) .

قال : ان تاريخ كل أمة يكسبها آخر الأمر مزاجا خاصا لا فكاك لها منه وقد ظلت مصر أربعة عشر قرنا اسلامية التاريخ والسياسة والمجتمع والثقافة الى أن جاءت نظم التربية الحديثة فأرادت أن تنتزع منها هذا اللون المميز لتميل بمزاجها الى الشيوع فى جميع الثقافات الأخرى ، ولما كانت التربية الاسلامية على ضوء المنطق وصوت العلم الحديث تشتمل فى جميع أحكامها ومنابعها الثقافية والاجتماعية على جميع عناصر التربية

الكاملة اصـــبح لزاما انه تخلص من هـــذا الخلط فى سياستها التعليميـــة وان تشرع فى ايجاد سياسـة جديدة أساسـها هذا المزاج الاسلامى ودعامتها هذا الروح الاسلامى . وللمزاج الاسلامى قابليته الفريدة من نوعهـــا لكل تطور واحتفالها بالعلم وتقديسه ، لا تقبل العقلية المصرية البديل على طابعها الاسلامى من حيث المزاج والتصور ولا فرق فى ذلك بين المتدين من المصريين وغير المتدين . ان مصر بتاريخها الاسلامى الباهر تدحض كل زعم بتأثرها بغير هـــذه العقلية ولعـــل تاريخهـــا الحديث ونهضتها الحاضرة بين الأمم التى قامت على دعامة من فكرها الاسلامى وثقافتها الاسلامية خـــير دليل لمن يريدون الميل بها عن الينبوع الذى استمدت منه مئات السنين مادة قوتها وتماسكها واشراقها الخاص بين دول الشرق والغرب .

الفصل السابع

الفـرق الضـــــالة

واجهت الفتح فى قوة واصالة الفرق الضالة التى كانت تعمل فى مختلف اجزاء العالم الاســــلامى فى هذه الفترة (١٩٢٧ — ١٩٤٧) وفى مقدمتهـــا البهائية والقاديانية منذ المجلد الاول ، بدأت هذه المتابعة اليقظة لكشـــف زيف هذه الدعوات فقالت الفتح : هذه النحلة من ولائد الباطنية تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ثم اخترعت لنفســـــها صورة من الباطل وخرجت تزعم انها وحى سماوى ، تقوم دعوة الباطنية على ابطـــال الشريعة الاسلامية ، اصلها طائفة من المجوس راموا عند شــــــوكة الاسلام بتأويل الشريعة على وجوه تعود الى قواعد اســــــلافهم ، وقالوا لا سبيل الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واســـتيلائهم على الممالك ولكننا نحتال بتأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ويستدرج الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم وعمدوا الى امرين :

(١) التشكيك فى اصول الدين ، (٢) اسقاط الأعمال البدنية وتظاهر هؤلاء بانهم من شـــــيعة أهل البيت وهم لا يؤمنون بنبى من الانبياء ، ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من أدعى النبوة ، ومنهم فرقة كفرقة الاسماعيلية ، وقالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، والف الغـــزالى فى الرد عليهم (فضائح الباطنية) ولأبى بكر بن العربى مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها فى كتابه (العواصم من القواصم) وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية ورد على بعض فرقهم فى بعض مؤلفاته والباطنية يستدلون بكلام النبوة ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه .

ودعاة هذا المذهب قد استهووا فريقا من ابناء المسلمين ، واصــــبحوا يدعون الى مذهبهم فى النوادى والصـــــحف والفوا كتبا تقع فى ايدى بعض الشــــبان وقد نهجوا مقتفين اثر اخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل

ليدخلوا منه الى العبث فى تفسير القرآن والحديث وصرفهما عما يراد بهما .

وتحدث الفتح عن مجموعة كبيرة من الفرق منهم الاسـماعيلية ، والبكتاشية واليزيدية :

قال عن الاسماعيلية أن مؤسسها ميمون بن ديصان وابنه عبد الله بن ميمون القداح ، أسلاف أغا خان من عهد الحسن بن الصباح شيخ الجبل ، لا يجرءون على دعوى الألوهية ، بل ولم يكونوا يجرؤون على انكار القرآن ومنهم من كانوا يقولون أن باطن القرآن غير ظاهره .

وجاء أغا خان يكلف الاسـماعيلية بأن يعبدوه باعتباره الههم ، بينما هم ينظرون اليه فيرونه عبدا لحاكم الهند البريطانى ويزعم أنه يعمل كتـابا كالقرآن فى ست سنين ، وقد أسرف أغا خان فى ارهاقهم واستعبادهم وابتزاز أموالهم ، وقد تنبه الخوجات الذين يمثلون اهل الفضل وتشجعوا اخيرا وخرجوا فى وجه صاحب السمو بكتاب مفتوح هو الأول من نوعه منذ احد عشر قرنا « ان انصاركم هم فى الظاهر من الطوائف الاسلامية ولـكن المبـادىء التى تسربت اليهم الآن انتهكت حرمة الأركان الاسـلامية الجوهرية وقد جاء هذا من الاختلاط القديم بالطوائف التى اشرنا اليهـا ، ومن البديهى أن الاسلام يوجب على معتنقيه أن يعتقدوا باله واحد ويؤدوا ما فرض عليهم من صلاة وصوم وحج فكيف يستطيع انصاركم ان يعملوا بالوصية الأولى الهامة فى حين أن مرسليكم ينادون فى الناس ان سموكم الاله القدير الذى يجب أن تقدم اليه كل عبادة وصلاة .

الفرقان الذى وجهتموه الى انصاركم منذ بضع سـنين وفحواه أن القرآن الحالى ليس صحيحا ، اخواننا الفقراء يرغمون على أن يعطوا نصف دخلهم لله فى شخص سموكم وتدفع أهل كراتشى وحدهم ٢٠ الف روبية ...

وهناك فصل مطول فى الفتح عن الاسـماعيلية والباطنية (م ١٠ ، ٨٠٦ ، ٨١٦ — ١٩٣٧) من شاء فليرجع اليه .

كذلك أولت الفتح اهتمامها بالطريقة البكتاشية للغموض الشديد الذى أحيط بها ولعل كشف هذه الحقائق يمكن ان يلقى الضوء على الخطة التى كان يسير عليها امثال احمد رامى فى عمله لاشاعة أغانى الحب والعامية ومن ذلك اهتمامه بشعر عمر الخيام . ففى الفتح م ١١ (١٩٣٨ — ص ٦٩٢)

تحدث سليمان عبد الرحمن عن هذه الطريقة ويقول انها طريقــــة باطنية ويرمى كثير من رجالها بالاباحية الفها أحمد سرى باشا الأشمى، هذه الطريقة فرع من فروع الرافضة الباطنية التى انخذت من الأناضول فى العصـــــور الغابرة مرتعا خصيبا لبث روح الضلالة وبذر بذور التواكل والمسكنة والذلة والاباحية بين اتباعها من شرب الخمر ، والتوقيع على الأناشيد المثيرة ، وفى البكتاشية مذاهب متطرفة على درجة كبيرة من الاباحية واطفاء الشموع فى ليالى خاصة حيث تكون الساحة حافلة بالرجال والنساء فيخلع الكل العذار تحت جنح الظلام .

وبين البكتاشية ومذاهب الأرثوذكس فى النصرانية شىء من المشابهة، يقولون أن الله وعليا ومحمد شىء واحد ويحضرون الألوهية فيهم جميعـــا ، وهم يعتقدون بعقيدة التناســــخ فيقولون ان أرواح الحواريين الاثنى عشر لسيدنا المسيح تناسخت بعد الاسلام فى أرواح الأئمة الاثنى عشر وآخرهم محمد المهدى بن الحسن العسكرى ..

وتحدث الفتح عن اليزيدية (عبدة الشـــيطان) ومحــــاولة دعاة البروتستانتية والكاثولوكية استمالة بعض افرادهم وكانوا قد طلبـــوا الى الدولة العثمانية ١٢٨٩ اعفاءهم من الخدمة العسكرية لأن ديانتهم تمنعهـــم من الاختلاط بغيرهم فى الأكل والشرب والملبس .

القاديانيـــــة ...

أما نحلة القاديانية فقد كانت موضع اهتمام كبير على صفحات الفتح حيث كان دعاتها يشرعون اسهمهم المسمومة فى وجوه المسلمين فى قارة الهند وفى غيرها وكان لها أولياء فى مصر هداهم الله وكشف عنهم الغمامة فأصبحوا جنودا للاسلام يحاربونها ويكشفون زيفها وفى مقدمتهم الدكتور السيد احمد الشريف وعبد الحميد الســـــيد . ويمكن القول بأن المجلد الرابع عشر من الفتح (١٩٤١) قد حوى تفاصيل واسعة وأحاديث متصلة ورســــائل هامة من الهند .

ومنذ المجلد الخامس (١٩٣٣) وقد بدأت الفتح تكشف عن القاديانية وأضاليلها « ادعى ميرزا غلام احمد النبوة وأنه هو المسيح الموعود ، وبعد

ان ادعى النبوة وانه اوحى اليه من الله تعالى بدا يدعو الناس لاتباعه فلم يعدم انصارا بسبب الجهل من جهة وبفضل اولياء أمره وامر تابعيه من جهة ثانية وقد تمكن من ايجاد جماعة سماها الأحمدية يقولون باستمرار النبوة غير التشريعية وبعدم انقطاع الوحى » .

وقد كتب (مسعود الندوى) من لكنو بالهند بكشف ما اخفاه الاحمدية من انهم فرقة مختلفة عن القاديانية فقال : (م ٧) :

« مما لا ريب فيه أن الأحمدية القاديانية التى رئيسها الميرزا بشير الدين محمود هم من نحلة الكذاب الميرزا غلام احمد (والأحمدية اللاهورية ، واليها ينتمى الخواجة كمال الدين السيد عبد المجيد امام مسجد ووكنج وغيرها التى يرأسها محمد على اللاهورى (والذى ترجم القرآن فافسد الترجمة) كلاهما متحدة فى المبدأ والغاية وان تظاهر اصحاب التالد الذكر بالبراءة من اعمال الأحمدية القاديانية .

سؤال جريدة النور : لسان الاحمدية اللاهورية :

س : أى فرق بينكم وبين القاديانية الأحمدية فى الفكر ؟.

ج : اخواننا القاديانيون يعتقدون بنبوة مؤسس هذه الحركة اى الأحمدية ويكفرون الذين لا يتلقون نبوته بالقبول ونحن نعتقد انه مجدد مصلح أتى لخدمة الاسلام ونفخ روح الحياة فى جيل عصره المنحط وكل من يقول لا اله الا الله نرى أنه مسلم غير مبالين باعتقاداته الفرعية الخاصة » .

وقد اشارت الفتح الى الدعاية القاديانية فى مصر ، ورصد مبلغ من المال لصرفه على الديانة وانهم دفعوا لمجلة معروفة تنشر الآراء الشاذة .

وقد دعا الى مقاومتهم والتحذير من دعايتهم الشيخ محمد الخضر حسين وكشف عن خطر دعوة جماعة لاهور التى تعلن ان غلام احمد مصلح ومجدد لا دينى فقطن الناس انهم دعاة للاسلام بحق وربما اثنوا على سعيهم وعاتبوا من يكتب فى تحذير المسلمين من اباطيلهم ، وهدفهم صرف الناس الى الاعتقاد برسالة غلام أحمد وما يتبعها من ضلالات ،

وقد بعثوا بدعاتهم الى سوريا وفلسطين ومصر وجـدة والعراق ، وقد وجدت دعايتهم صدى ؛ ونحذر من هـذه الطائفة حذرنا من الطائفـة البهائيـة .

وكتب السيد محب الدين الخطيب تحت عنوان :

((القاديانية دين يخالف دين المسلمين)) .

تصـدى للرد على من يحاول التأثير على المسلمين ويلبس عليهم دينهم .

وقال : ان الذى عليه القاديانية هو أن مجنونهم السخيف غلام احمد مسيح محمدى ، كما ان عيسى بن مريم مسيح موسوى ، ويقولون عن دجالهم انه ما جاء لينقص الاسلام بل يكمله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« سيكون فى أمتى ثلاثون كذابا كلهم يدعى انه نبى وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعـدى » .

انتم أيها القاديانيون لستم مسلمين لأنكم تكذبون اقوالا ثابتة عن نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم مع علمكم اليقينى انها خرجت من فمه الشريف ، اسلامنا مبنى على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه فيما جاء به واسلامكم مبنى على مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبه فيما جاء به .

وقال الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامى : ان هذه الفئة فتحوا لهم مركزا فى شارع محمد على توشك اذا التف بعض الزعانف حولهم ان تأخذ رجال الدين الاسلامى فى الاجماع بهم للدفاع عن الاسلام .

وقال شكيب أرسـلان انه دجال من كبار الدجالين وهو من جملة المتنبئين الكاذبين ليحصل له الرئاسة .

وكتب محمد تقى الدين الهلال (م ٧ الفتح) : تحت عنوان القاديانيون بعض ما لهم وما عليهم ، قال :

هل يستفيد الاسلام من الحركة القاديانية ؟ وجوابى ان الاسـلام يستفيد وينتصر في وقت واحد من اعمال هذه الفرقة ، اما ضرره فمن العقائد

الباطلة التي ينشرونها ، أما نفعه واستفادته فلأن أهـل أوربا وامريكا وكثير من أهل الشرق غير المسلمين لا يعرفون من دين الاسلام وسيرة النبى الا اساطير خلقها تعصب القسيسين الأعمى ورددتهـا الحروب الصليبية التى لا تزال آثارها تهدم صرح الاسلام حتى الآن ولا ينبغى ان نهمل حركة القاديانيين بأن نتبعها باهتمام فنقر منها ما كان حقا ونهدم ما كان باطلا »

ويبدو أن الأستاذ الهلالى كان فى هذه المرحلة حسن الظن بدورهم فى نشر الاسـلام فى أوربا وأفريقيا ولكن الكتابات توالت فى الفتح تنقض خططهم وتكشف زيفهم وكان مقال الشيخ محمد الخضر حسين الذى انتشر من بعد من أهم المراجع فى كشف حقيقتها التاريخيـة كذلك فان جماعة فى مصر من الشباب المثقف فى مقدمتهم (عبد الحميد السيد) قد استطاع السيد محب الدين الخطيب اطلاعهم على المرامى الخطيرة وراء القاديانية وخاصة فى المرحلة الثانية التى تصدرها محمد على اللاهورى والتى ادعى أصحابها انهم أحمديون وليسوا قاديانيون فانصرفوا عنهـا وحاربوها حربا عنيفة ومن ذلك ما كتبه (م ١٤) تحت عنوان :

« محمد على اللاهورى : والدور الذى يمثله فى العالم الاسلامى » .

جاء فيه أن ترجمة القرآن التى كتبها اللاهورى تخالف مفاهيم القرآن فى موضعين :

١ — ادعى امكان نزول الوحى على غير الأنبياء عليهم السـلام .

٢ — أنكر معجزة شق القمر .

هـذا فضلا عن أنه انتهز فرصة ترجمة القرآن باللغـة الانجليزية ليدخل فيها مفاهيم العقائد القاديانية فى مواضع كثيرة بذكاء ومكر شديدين وقال ان جماعة الأحمـدية اللاهورية يقولون للمسلمين ما لا يعتقـدون ويظهرون لهم ما لا يبطنون ، وهم فى نفس الأمر متفقـون مع القاديانيين الغلاة فى جميع عقائدهم الفاسدة فقالوا انهم يؤمنون بأن المسيح الموعود والمهدى المعهود هو المرزا غلام أحمد القاديانى وهم يؤمنون بأن المسيح الموعود القاديانى كان رسـولا صادقا ونبى زمنه بعث لهداية الدنيـا . ولكن محمد على اللاهورى عندما يتوجه الى عامة المسلمين يتظاهر باتهام

جديد لتلبيس الأمر عليهم فيقول انهم يعتقدون أن المسيح الموعود معهود اليه ومأمور من الله وملهم ومجدد ومحدث وامام زمانه غاية ما يعتقد أنه نبى وبر ورأى ولا تقول انه نبى كامل وصاحب شرع جديد .

ويقول أبو الحسنات محمد محيى الدين الهندى : ونحن معشر مسلمى الهند قد اختبرنا دسائس الجماعة وجاهدنا حق الجهاد فى صدها ولكنا تحت استعمار الانجليز بعد أن كنا نملك الهند كلها فاصبحنا لا ناقة لنا فى الحكم ولا جمل لذلك لا توجد فى يدنا القوة لقمع هذه النحلة فى أصلها بعد أن رفعنا منذ عهد بعيد راية الاسلام وعلم الفتح فى جميع انحاء الهند .

وقد كشف عبد الحميد السيد اضاليل محمد على اللاهورى فى تفسيره للقرآن .

فقد قال عن الآية (**واطيعوا الله والرسول واولى الأمر منكم**) قال : ان القرآن لا يمنع المسلم من اطاعة الحاكم غير المسلم ، هذا ما كتبه خوجة كمال الدين اللاهورى عن مركز الانجليز فى الهند وخطته فى ضرورة الاخلاص والولاء للحكم البريطانى دواما ثم تأويله آيات الجهاد فى القرآن وآيات الحكم والتشريع مخالفا بذلك ما فقهه المسلمون من عهد محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا .

لقد كان خوجة كمال الدين هو المدافع الاكبر عن ترهات غلام احمد فى حياته والمساعد الأيمن لمحمد على اللاهورى والناشر لآرائهما فى انجلترا وسواها من البلاد .

وأشار الى قول المبشرين الأوربيين للمسلمين : كيف لا تعتقدون بالوهية المسيح وقرآنكم يقرر انه ولد من غير اب ، لقد رد القرآن على هذا فقال : **(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)** وعلى المسلمين الاذعان لحكم القرآن والتمسك بالرد الحاسم القاطع المعجز الذى ذكره الله (تبارك وتعالى) فى كتابه ولا يتراجع امام النصارى والمبشرين ويقرر عقائد ليست من الاسلام فى شىء .

كذلك فقد أشارت الفتح الى نشاط الأحمدية والقاديانية فى بريطانيا وانشاء مسجد ووكنج حيث كان امثال خواجة كمال الدين وغيره فقالت :

هنـــاك شبهة دعوة الأحمديين فى انجلترا الى الاحمدية تحت ســتار الدعوة الى الاسلام ، واشارت الى المجلة الاسلامية الانجليزية التى يحررها خوجة كمال الدين امام مســجد ووكنج وزعيم المبشرين الاسلاميين هنــاك والذى اعتنق بواسطة الدكتور خالد شلدريك الاسلام ، ومن بينهم لورد هدلى وكانت المرحومة ملكة بهوبال هى التى انشأت مسجد ووكنج ووالدها صديق حسن خان ملك بهوبال من اكبر علماء الســنة ، والمسجد الجـديد دفع له اللورد هدلى ستون الفا من الجنيهات لشراء ارض المسجد .

وقد دعاهم الســيد محب الدين الخطيب الى أن يعلنوا تبرئهم كتابة من غــلام احمد القاديانى .

ومن المعروف أن جريدة الأهرام — وغيرها من الصحف — كانت تؤيد دعواهم وتنشر فصولا فى الدفاع عنهم (بعنوان الأحمدية وعقائدهم) بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٢٣ وما بعدها تحاول الاستدلال على بعض عقائدهم بتفسير المنار وبكلام بعض الصوفية وقد رد السيد رشيد رضا على هــذا الزيف وهكذا قامت فى الفتح عصبة كريمة فى مواجهة هذا الخطر الذى كان يزحف زحفا شديدا فى هذه الفترة على البـــلاد العربية حيث يوجد فى المجلد ١٤ (عام ١٩٤٠ — ١٩٤١) تفاصيل واســـعة واحاديث مفصلة عن المســيح الدجال غلام القاديانى وبين احمدية لاهور واحمدية قاديان ، والنبوة والوحى والدعاية اللاهورية ورسائل عديدة من اهل الغيرة على الاسلام من الهند وغــيرها نشرت مفصلة فى الفتح وكان الدكتور السيد احمــد الشريف وعبد الحميد السيد هما اللذان فضـــحا النحلة القاديانية فى مصر وكشــفا زيفها وقد كتبا مفصلا فى جريدة وادى النيل (الاسكندرية) ومجلة الفتح .

وقد نبه الرجلان الامة المصرية الى خطر هؤلاء الدعاة وكان بعض دعاتهم قد مر بالقاهرة ، فكتب الشريف عدة مقالات كان لها الفضل العظيم فى ايقاظ المسلمين مما جعل أذناب الاستعمار يتراجعون الى الوراء وحوت مقالاته معلومات فريدة من الخدمات الاستعمارية التى اداها غــلام أحمــد

القاديانى (المتنبىء الكذاب) وأذنابه من بعده سواء كانوا قاديانيين أو لاهوريين .

وقال انهم يقولون : ان من يرفع السيف فى وجه بريطانيا حرام وكذلك الجهاد (م ١٣ — ١٩٣٩) .

وقد كان التركيز واضحا على أن الأحمدية مثل القاديانية كلاهما مذهب اقحم على الدين الاسلامى فى هذا العصر اقحاما ، وانتج الشر بين المسلمين فى غير جانب من جوانب الأرض والذين يدعون لهذين المذهبين هم من أنشط الدعاة يجمعون الى الالحاح على الدعوة ضروبا من البراعة التى تستاهل كبحها وازاحة اثرها من الجماهير وقد تمكنوا من تركيز دعايتهم بين جمهرة المسلمين فى انجلترا والمانيا وامريكا وافريقيا عن طريق انشاء المساجد وبعث البعوث .

الباب الثالث

قضايا العالم الإسلامى الكبرى

(١٩٢٧ – ١٩٤٧)

الفصل الأول

تطويق العالم الاسلامي وهدم الوحدة الاسلامية

لا ريب أن قضايا العالم الاسلامي فى حياة مجلة الفتح (١٩٢٧ ــ ١٩٤٧) كانت تمر بأخطر مراحلها بين نهاية الحرب العالمية الأولى وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وكان أعظم ما تمخضت منه الحرب الأولى هو تمزيق الدولة العثمانية والقضاء على الوحدة بين الترك والعرب ، ثم سقوط الخلافة الاسلامية الذى كان من اخطر الاحداث التى زلزلت كيان الأقطار العربية وعرضتها للغزو الاستعمارى والعثمانى على السواء ، وقد ظهرت الفتح عام ١٩٢٧ فى ابان الخطر الذى نشأ من اسقاط الخلافة وتمزيق الدولة العثمانية وتغريب تركيا وتحولها عن الاسلام الى الغرب ، وتصديرها هذا التغريب الى البلاد الاسلامية والعربية وفى مقدمتها مصر ثم كانت قضية فلسطين التى بدأت تظهر ملامحها الخطيرة بعد تطبيق وعد بلفور على فلسطين وكيف بدأت القرى الصهيونية فى انتزاع فلسطين من أبنائها وتداعى العرب بعد سقوط الخلافة الى وحده عربية لمقاومة الخطر ، وكيف اتسع خطر التغريب الى ايران وافغانستان ، كما برزت خطة التبشير الواسعة التى حملت لوائها الفاتيكان والتى وصلت الى القاهرة عن طريق جمعية الشبان المسيحية والجامعة الأمريكية وبروز جمعيات اسلامية كثيرة لمقاومة الخطر فى مقدمتها الشبان والاخوان والهدى الاسلامى وغيرها وفى نفس الوقت بدأت أقطار المغرب العربى (ليبيا) الواقعة تحت نفوذ ايطاليا والأقطار الثلاثة الواقعة تحت نفوذ فرنسا (تونس والجزائر ومراكش) وكانت أخطر المجاهدات هى جهاد الجزائر التى كانت فرنسا تعتبرها جزءا منها وتنص فى دستورها على انها بمثابة فرنسا الجنوبية .

جاهدت هذه الأقطار وقاومت أعنف المقاومة ، وكانت الفتح هى الصدر الرحب لكل صيحاتها ، وكانت هناك الى جوار حركة التبشير

حركة الماسونية ومحاولة تطويق جزيرة العرب ومحاولات النفوذ الأجنبى فى مصر والبــلاد العربية لفرض الاقليمية والقوميــة والتجزئة والتبعية للاستعمار والولاء له والارتداد الى الحضارات القديمة باحياء الفرعونية ى مصر والفينيقية فى لبنان ودعوات أخرى كالآشوريه والبابلية ، وكانت هنالك موجات خطيرة لتمكين النفوذ الاجنبى من السيطرة وفتــح الطريق لاسرائيل لاقامة دولتها فى فلسطين .

وفى ابان هذا الجو المضطرب كانت أضواء الحق ونور الايمان لا تلبث ان تبرز حيث تلاقت العواطف والمشاعر على أن يلمس المسلمون منهج الله الذى هو وحـــده القـادر على كشف الغمة وقد اجتمعت آراء المخلصين من المصلحين على ان الطريق الوحيد لخروج المسلمين من محنتهم هى العودة الى كتاب الله والتماس منهج الله الحق : الاسلام نظام مجتمع ، وعلى هذا الطريق مضى السيد رشيد رضـــا فى المنار حتى غاية ١٩٢٦ ، ووســـع السيد محب الدين الخطيب هذه البابة ودرس الوسائل الى الغاية الكبرى على هذا النحو الملح المتصل اسبوعا بعد اسبوع خلال اكثر من عشرين عاما لا يتوقف ولا يلين ولا يغفـــل عن التحديات التى تواجه المسلمين ، وعلى نفس الطريق ســارت صحف الاخوان ، ومجلة الشبان ومجلة الأزهر ، وكانت كلها تواجه الخطر وتدحض الشبهات وتكشف خطط التآمر وتدعو الى الوحدة الجامعة فى مواجهـــة زحف الصهيونية على بلاد المسلمين .

وفى هذا المجال ننشر الفنح ما يقوله برناردشـو (م ٧ — ١٦٥) — ١٩٣٤ الاسلام لا نستيقظ الا اذا عمـــل المسلمون بصفتهم مسلمين فقط وتجنبوا ما نسميه الروح الوطنيه والغلو فى القوميـــة ؛ الاســـلام شىء والمسلمون شىء آخر ، الاســـلام حسن ولكن اين المسلمون ، ليس فيما اعرف من الاديان نظام اجتماعى صالح كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الاسـلامية .

ويقول المستشرق هاملتون جب : لاشك فى أن البلاد العربية المتجانســة (كمصر والجزيرة وفلسطين وســـوريا والعراق) ستلعب دورا يكون له الشأن الأول فى مصير الاسلام ولهذه البلاد المتجانســة ثقافة راقية تتقـــدم

يوما فيوما بفضل اللغة العربية الفصحى وسهولة المواصلات . أن يقظة الاسلام فى مصر وفلسطين والجزيرة والعراق وسوريا حقيقة لا تنكر ، ولن تقف فى سبيل هذه اليقظة عقبة خصوصا وانه من المستحيل أن يجرى فى البلاد العربيه ما جرى فى بلاد الاتراك . العرب متمسكون بلغتهم وأدبهم ويتغنون بمجد الاسلام ، ولم تقم فى بلادهم اية حركة وطنية الا وكانت الروح الاسلامية اساسها ، فهل يفكر العرب بعد هذا بابدال حروف لغتهم بالحروف اللاتينية أو ان ينحوا عن لغة القرآن التى تربطهم بالعالم الاسلامى كافه . هذا مستحيل ، وتبقى الروح الاسلاميه تسود بلادهم وتتقدم ابدا بلا كلل ولا ملل ولن يطرأ عليها أى ضعف أو وهن » .

— ٢ —

كان التركيز على سلخ مصر من العروبة والاسلام بدعوات الاقليمية الضيقة والفرعونية وقد عاشت اقلام كثيرة فى هذه الفترة تحاول احياء هذا التراث الميت واخراجه من قبور الفراعنة ونفخ الروح فيه والادعاء بأن لهم لغة وتراثا وثقافة ، ولكن مصر كانت أصيلة العروبة والاسلام .

وكتب السيد محب الدين الخطيب (م ١٥ الفتح ص ٦٥٧ — ١٩٤١ م) روج فريق من الكتاب دسيسة روجها الاستعمار وجازت على البسطاء انهم اذا ارادوا أن يستعرضوا تاريخ مصر قالوا انها كانت مستقلة ثم احتلها الاغريق والفرس ثم البطالمة والرومان ثم احتلها بعدهم العرب فالكرد والترك والجركس ، ومضى المستعمرون الانجليز من هذه الدسيسة أن يقولوا للمصريين انكم فقدتم ملكة الاستقلال منذ عهد طويل فاذا خرجنا من هذه الديار فسيحتلها غيرنا من الدول الأخرى ، فنحن خير لكم من غيرنا .

وقال جرجى عنايت فى المقطم : ليس المصريون عربا .

هذه الدعوة الى أن تترك مصر مدنية الاسلام حالا وترجع فرعونية فى قوميتها الزنجية فى انتمائها وثقافتها .. هل توافق مصر على هذه الرغبة تخلع عن جسمها ثوب الاسلام حالا لتكون متفرنجة فى ايمانها ومذاهبها ، معرفتى بمصر كافية لاقتناعى بأن الاسلام روحها الذى يحيى بها ،

وانها نعتبر انتزاع هذه الروح شرا عليها من الانتحار . مصر عربيه بقدر ما العراق عربية وبقدر ما الشام عربية وهذا امر واقع ليس فى يد احـــد تغييره . ان الرابطة بين الشعرب الناطقه بالضاد موجوده بالفعل .

كذلك فان (قضية الوطنيه) التى كانت مؤامره لقطع مصر عن الوحده الاســلامية الجامعة لم تلبث ان ننكشف فقد ورد الزعيم محمد على الهندى الى مصر والقى محاضره فى جمعية الشبان المسلمين عقدت امام السيد محب الدين الخطيب باب الفهم لخطورة الامر يقول (١٤ يونيو ١٩٢٨) عندما رسم الغرب لنفسه خطـــه اكتساح الشرق فى القرنين الاخيرين اكتفى بالاستبداد العسكرى والدهاء السياسى . استعد القوم لغزونا بمصنوعاتهم وملاهيهم وخمورهم ومخـــدراتهم ثم بالمكر السياسى بعـــد ذلك الناهب الحربى . أما استاعنا عن ان نكون مغلوبين لهم بشهواتنا فيما نحمله مراكبهم الى بلادنا من صنوف الخمر وانواع المخدرات .

اطل الغرب على الشرق بعد فشل الحملات الصليبيه فراى الشرق متماسكا بعروة الله الوثقى التى لا انفصام لها وهى العروة التى شعارها فى القرآن : **(انما المؤمنون اخوه)** فحكم بانه لا يستطيع ان يكتسح الشرق وان يفتحه وان يجعـــله تحت تصرف الغربيين ، الا اذا توصل الى حـــل هده العروة والى أن يفرق بين المسلمين فتزول عنهم نعمة الله التى جعلتهم اخـــوانا .

لقد اخترع الغرب طريقة للوصول الى هـــذه الغـــاية .

قال للترك سلالتك عربية وقال للمصرى مالك وللعرب انظر الى اثار الفراعنـــه وتاريخ قدماء المصريين . اســـاليب التعليم المؤيدة من السلطة الخاضعة للادارة الأجنبيـــة جعلت الصـــوت الاسلامى يخفت والدعاية الغربيـــة تعلو .

بعد أن كان شعار المسلمين انما المؤمنون اخوه ، صارت وحـــده العالم الاسلامى منقطعة ومتوزعة على اجزاء كثيرة ، وبعد أن كان الاتحاد قوة صار التفرق ضعفا ، والقضاء على الاخاء بين المسلمين .

جاءوا الى لبنان فقالوا : أنتم سلالة الفينيقيين والعراقيين قالوا لهم أنتم وارثوا الكلدانيين والآشوريين وجاءوا الى المغاربة فقالوا لهم ان البربر أصلهم كذا وكذا ونجح الغرب بعض لنجاح فى دعايته الاجتماعية فاستعصان على الشرق الاسلامى الضعيف بما زاده ارتكاسا فى ضعفه .

قال محمد على الهندى : ان الاسلام رابطة عقدها الله فيما بيننا ومهما تهاونا فى امرها فسنعود اليها ، اما الوطنيات فانها رابطة دعانا اليها الشيطان ومهما خدعنا بها فسننتبه عما قريب الى ان الغرض منها هو تمزيقنا وتفريق قوانا .

وما من حق الا ويشوبه باطل ، وما من باطل الا ويشوبه حق ، وانما يحكم العاقل على الأمور بما يغلب عليها ، نحن قبلنا مبدأ الوطنيات لحق كان مطليا به . وهذا الحق هو الاقربون أولى بالمعروف .

الوطن الاسلامى : وطن واحد لكل مسلم وعلى المسلم ان يكون جنديا فى هذا الوطن الأعظم حينما ننتقل اليه هذه الوطنية التى كانت معروفة فى التاريخ الاسلامى . وكل معنى آخر للوطنية فهو من دعاية الشيطان وقد كنا مسوقين الى هذه الوطنية الشيطانية باليد التى رسمت خطة واسعة النطاق لتمزيق وحدتنا وتوهين قوتنا وقد كمانا ما حل بنا الى الآن .

ويمضى صاحب الفتح ليتحدث عن عبرة التاريخ (الفتح صفر ١٣٦٥) كيف أضعنا من حياتنا القومية اكثر من مائة سنة :

اولا — نعتبر لغة الدولة السلامية واحد من الأحداث الذميمة التى وقعت فى تاريخ الدولة الاسلامية وترتبت عليها نتائج خطيرة .

ثانيا — التعامى عن نهضة أوربا عندما كانت فى بدايتها كان من اعظم الجنايات على الاسلام ، لان المساهم فى هذه النهضة من أوجهها العلمية والصناعية كانت ميسورة لولاة امر المسلمين ، وكان اللحاق بها بعد بدايتها بعشرات قليلة من السنين سهلا على امم لها فى العلوم والصناعات تراث وسابقة عظيم شأنها .

لقد عمل محمد على بطلب القوة لبلاده بتيسير أسبابها وأول أسبابها النهوض بالصناعات وتعليم الأذكياء .

ان قوة الامة الاسلامية فى كل زمان ومكان بشيئين :

اولا — فهم الدين الاسلامى فهما صحيحا وتخلق الامة بأخلاقه النبيلة التى لابد منها للسعادة .

ثانيا — الاستمساك بأسباب القوة والقوة فى هذه العصور قائمة على الصناعات .

وفى مراجعة هذه القضية كتب الأستاذ عبد الرحمن عزام (م ١٧ سنة ١٩٤٢) تحت عنوان علل النظام العالمى الحالى قال :

لما كان اقتناع البشر بالنظام الاسلامى العالمى لا يتم الا بعد معرفة علل النظام الحالى والايمان بفساده : فهناك الاجماع على فساد الراسمالية الحالية وخطر الراسمالية الآن ، لانهـا مادية لا سند لهـا من الروح ، وحيث رجال الكنيسة الانجليزية الآن يتحولون الى اليسار .

« فلابد للمسلمين الذين اندفعوا على غير هدى الى تقليد الغرب من الرجوع الى الاخاء والزكاة والتوازن بين الطبقات : ذلك التوازن الذى اقام شريعتهم على اساس أن البر حق معلوم فى اموال الأغنياء ، والى ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وعلى مسئولية الامام وسلطته الواسعة فى النظر الى حاجات المسلمين . **فلابد من نظام اقتصادى جديد يحل محل النظام الحالى** ، فان السيطرة الاستعمارية على العالم باسم الحضارة انما تسعى لاشباع شهوات الراسمالية الحديثة فى الأسواق والموارد العامة .

وقد وضعت الراسمالية والاستعمار متساندين اسس هذا الاضطراب العالمى الذى قد يقضى على الحضارة كلها » .

ويذهب السيد محب الدين الخطيب فى مجال عرض وجهات النظر الى تقديم ما كتب عن مستقبل الامبراطورية البريطانية المظلم (م ١٢ ص ٩٨٤) حيث كتب الجنرال لودندرون مقالا عنوانه (فخامة الانحطاط الانجليزى) قال :

ان الامبراطورية البريطانية كناية عن اجهاض يهودى ماسونى ،

فمنذ عهد قريب كانت لانكلترا أقوى امبراطورية فى العالم شادتها فى خلال القرون على انقاض الامبراطورية الكاثوليكية التى نشأت بعد اكتشاف امريكا على يد كولمبس اليهودى ، وكذا كان اليهود ينوون مقاسمة انجلترا السلطة وفى اواسط القرن الماضى تشبعت انجلترا بالروح اليهودية حتى صار دزرائيلى يملى ارادته على السياسة البريطانية وقد دفعت سياسة اليهود والماسون انجلترا الى خوض غمرات الحرب العالمية وبعد الحرب ظن اليهود انهم وجدوا الفرص سانحة لانشاء جمهورية عالمية فيودوا قوى الشعب البريطانية بحملته على التمسك بالنصرانية والآن اخذوا يخضمونه بقوة الكنيسة العليا التى ليست سوى انبثاق من التعاليم الكاثوليكية واليهودية وبعد سنين رأينا المبراطورية الرومانية الفاشية تظهر للعيان وتقرر نفوذها فى شبه جزيرة اسبانيا حيث الاسطول البريطانى يمنع من دخول البحر المتوسط » .

كما نقلت مجلة الفتح (م ١٣ ص ٧٦٧ سنة ١٩٣٩ م) من جريدة العلم الاخضر التى تصدر فى الاسكندرية أنبا تلفت نظر يهود مصر الى اجتماعاتهم الصهيونية المستترة فى محافل البناية الحرة فى غفلة من الماسون والى ما يقررونه فى هذه الاجتماعات المحرمة على غيرهم والتى لا يقصد بها الا محاربة الاسلام والعرب والقضاء على فلسطين وانا نسأل زعيمهم المستر بولى لما قرره اخيرا وهو يتفق مع حسن نيتهم وتبرئهم من الصهيونية وهل هو شخصيا يوافق على اقوال قطاوى باشا والدكتور زكى عريبى .

وأشارت (العلم الأخضر) الى اليهود الأربع العالميين فى تاريخ مصر (فرو هنيم دوش ، أوبنهايم ، روتشيلد ، دزرائيلى) الذين اقرضوا اسماعيل ١٢٥ مليونا من الجنيهات لم يصل اليه سوى ٥٤ مليونا ، وقد أغفل المؤرخون حقيقة هذه الديون ولم يذكروا أسماء الدائنين مع أن صندوق الدين من عمل هؤلاء اليهود المرابين الذين قبضوا أكثر من ٦٥ فى المائة أرباحا وسمسرة ، وفضلا عن ذلك فالماليون اليهود هم الذين ارتهنوا أموال الدولة واشتروا ممتلكات اسماعيل واسمائهم لا تزال مسجلة : سوارى ، موصيرى ، شملا ، بلاكشى ، شكوريل ، مكاوى ، كوهين ، ليفى ... » .

وهكذا مضت مجلة الفتح فى توعية المثقف المسلم وكشف ابعاد القضية الاسلامية والمؤامرات التى تواجهها .

— ٣ —

وفى فصـــل مطول عن الماسونية (٧ نوفمبر ١٩٢٩ م ، ص ٣٣٧) تقول الفتـــح :

« ان جل نبغاء المسلمين المستوريين كانوا يدينون بالماسونية اكثر مما يتظاهرون بالاسلام ، والماسونية بنيت قواعدها على صرح سليمان لانها ظاهرا انسانية وباطنا صهيونية محضة ، والدليل على ذلك أنها اليوم لم تتظاهر بعاطفة نحو ضحايا اليهود وانما تظهر الجمود وتعمل سرا لقمع التعصب الاسلامى ابتغاء حماية اليهود ، فكان المسلمون يخافون من كلمة التخويف (التعصب الاسلامى) التى كان يلقيها الأوربيون لارهاب العالم فلذلك اجتنبوا كل سعى شريف ارضـــاء للأجانب لكيلا يكونوا متعصبين فى نظرهم وما رماهم الأجانب بالتعصب الا لكونهم هم المتعصبين ، اذ لولا التعصب ما رأوا غيرهم ومخالفهم بعين الاحتقار ولا رموهم بنقيصة .

اخافوا المسلمين من لفظة (تعصب) فأهملوا أمرهم وتذللوا حتى صاروا عبيـــد أرقاء وتلاعب بهم أعداؤهم فصاروا الى ما هم فيـــه اليوم فى فلسطين والشام وغيرهما فهم العقـــلاء الذين اثاروا مسألة فلسطين عام ١٩٠٥ ونهوا عنها .

(أعلن عاقل هذه المسألة عام ١٩٠٥ فى الجرائد الافريقية والمصرية وتحدث فيها مع رفيق النظم ولم يحصل على طائل) ولكن صحف عربيـــة اسلامية فى مصر والعالم كان يمدها ليفى وشالوم ويكتبون فيهـــا المقالات لانشـــاء دولة يهودية والمسلمون يقولون لا نهتم بأقوال اناس ضـــعفاء وهم يعلمون قوتهم الفعلية ، كانهم كانوا يخاذلون الناس بأقوالهم بل منهم من اعانهم .

واذا كان رجل فى اقصى المغرب كتب كتابا فى المسألة عام ١٩١٦ أيام الحرب وقد قرأته وفى تفاصيل المســـألة ونهـــاية الحرب ونتيجتها فكيف

بالمشـــارقة والسوريين لا يعلمون أن الكتاب وبالأسف لم يطبـــع ولكنه موجود .

وملخص ما اقوله الآن هو ان خلع عبد العزيز السلطان العثمانى (خلع صهيونى) وان انقـلاب ١٩٠٨ فى تركيا انقـلاب صهيونى وخلع عبد الحميد صهيونى ، ويكفيك ان الذين خلعوه اثنان من اليهود ، اكبرهم (كاراسو) النائب العام عن الصهيونية فى تركيا والخبير الخطير لطائفـة اسرائيل ، اما أنور وشوكت ... الخ فكانا العوبة .

وحروب البلقان فى عصر الوزارة اليهودية التى كانت ترسل قصـــدا العطـــور والصابون فى صناديق الزخائر الحربية هى حروب صهيونية ، والحرب الكبرى هى حرب صهيونية يهودية ومنتجاتها يهودية لأن السلاح لا تأثير له امام المال ، فاذا علمتم هذا تعلمون المسألة الصهيونية وتلفتون مثلى الذين تغافلوا عنها ولم يعملوا فى أول الأمر لابعادها خشية ان يرموا بالتعصب . والسبب الاساسى هو ان المسلمين كانوا ماسونيين اكثر مما هم مسلمون بخـــلاف اليهود (مع كون الماسونية صهيونية اصـــلا) فكانوا فى كل الأحوال يهودا اكثر مما هم ماسونيون .

قلتم انه ينبغى للمسلمين ان يتبصروا ويعملوا ، الم يكن بين ايدى المسلمين كتاب الله ونصائحه وقد اطلع عليه الغالب من المسلمين وسمعه ملكهم لأنه يتلى على الأموات فلماذا لم يعملوا به ولم يصغوا الى ارشاداته .

المسلمون اليوم بلا اسلام ، ويكفيك أنهم يفرون منه كأنه العار .

يقول الله تعالى : ((**ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود**)) ومع ذلك فان من المسلمين من يحترمون ســـياستهم ودسائسهم ويعملون لرضائكم فاين الاسـلام . (افريقى حزين) .

— ٤ —

واشارت الى ما اطلق عليه (خطر الحلف اللاتينى اليهودى) والذى تحدث عنـــه الدكتور خالد شلدريك وهو من كبار المثقفين الغربيين الذين اعتنقوا الاســـلام بعـــد بحث ودراسة مستفيضة وقبل تطأ ديار الانجليز

الارساليات التبشيرية الاسلامية وقد أعلن الاســـلام ونطق بالشـــهادتين (١٣٢١ هـ ١٩٣٠ م) فى حضور الدكتور عبد الله السهدوردى أول داعية للاسلام فى الغرب فهو رئيس الجمعية الغربية الاسلامية ، ورئيس المسلمين البريطانيين حيث انتخبه ٣٠ الف من المســـلمين المقيمين فى انجلترا من انجليز وعرب وهنسود لعرض مســـالة العـــرب وفلسطين امام الحكومة البريطانية .

قال : يهدد العالم اليوم (حلف) هو الأول من نوعه فى التاريخ ، اذا استمر سيبعث المسلمين ويوقظهم من سباتهم ويشعرهم بواجبهم . لا مزاء فى أن سياسة الشعوب اللاتينية اليوم (فرنسا وايطاليا واسبانيا) متفقة ازاء الشعوب الاسلامية وازاء الثقافة الاسلامية أيضا . لقد وقعت طرابلس والجزائر وتونس فى يد اولئك الذين طالما تاقوا الى صبغ شمال أفريقيا صبغة لاتينية . وحوادث المغرب القريبة العهد تشعرنا بأن شبح روما كان يعمل من وراء الستار ، لقـــد حلت بركات البابا على الحكومة اللادينية وستكون قوى الكنيسة بأجمعها مساعدة على تنفيـــذ رغبـــات الايطاليين وقد استغلت فرنسا اسمها القديم (حامية المسيحية فى الشرق) حامية حمى روما وابنة الكنيســـة البكر فزعمت ان البرابرة (فى المغرب) من أصل أوربى واتخذت من ذلك مبررا فى جعل هذا الشعب فريسة سائغة للدعاية الكاثوليكية واعانت الحكومة هذه الدعاية بكل ما اوتيت من قوة .

واصبحت مسالة فلسطين عاملا جديدا وادخل تصريح بلفور اليهود فى صف أعداء الاسلام وشغلت الصهيونية افكار اليهود من امريكا الى روسيا فجعلتهم ينسون اضطهادهم وتشتتهم على يد الشعوب اللاتينية .

والصهيونية جعلت اليهود يساهمون فى المؤامرة الكاثوليكية التى ترمى الى اذلال شعوب الاسلام واحلال الثقافة اللاتينية مكان الاســـلامية ، وأقفلت الصحافة الغربية بابها فى وجه كل من أراد ان يدافع عن مسألة فلسطين ، ذكر بعضهم ان اسم موسيلينى مشتق من اسم اجـــداد كانوا مسلمين استوطنوا شبه الجزيرة الايطالية ردحا من الزمن ثم ارغمـــوا على اعتناق المسيحية ، والظهير الذى يرغم البربر فى المغرب على اعتبار

انهم لاتينيين ، هو جزء من هذه الحرب الصليبية اللاتينية ، ويسير اليهود أمور العالم المالية اليوم ولو ذكرنا كم اذل الغرب اليهود لعجبنا كيف اتخذ اليهود والنصارى للنكاية بالاسلام ومن السهل أن نفهم ذلك ، وأن نقف على سر هذا الاتحاد الذى لم يسمع بمثله فى التاريخ ، ففى الساعة التى تمكن فيها نفوذ الكثلكة وغيرها من الفروع النصرانية فى أرض الاسلام يسهل على اليهودى ان ينفذ رغباته فى المسلمين ايضا ، ليس فى يد اليهودى سلاح ولا جيش اللهم الا سلاح المال وقد استعملوه أحسن استعمال (ترجمة يوسف عليوة ابو الخير) م ٦ ص ٥٣١ الفتح سنة ١٩٣٣ .

— ٥ —

وتعددت اشارات الفتح الى مؤامرات الاستعمار عن طريق التبشير على امتداد العالم الاسلامى وكان أخطر هذه الاشارات تحت عنوان :

« تطويق جزيرة العرب »

قالت : كان الانجليز قد انتهزوا فى المائة سنة الماضية غفلة الدولة العثمانية فأخذوا منها ثغر عدن ليجعلوه مخزن فحم يمولون منه سفائنهم التى تسافر الى الهند ثم تمكنوا من ايجاد علاقة لهم مع سلطنة مسقط ثم وسعوا نفوذهم من مسقط الى الكويت والمحمرة والبحرين وما بين ذلك والآن انتقلوا من دور العقود والعهود الى دور التطويق باسم سهولة المواصلات ، الضالع ، بلاد الفوزال ، حضرموت ، ظفار ، ضرب الانجليز حصارا اقتصاديا على هذه المنطقة « عدن » التى أخذها الانجليز من سلاطين آل عثمان ليجعلوها مخزن فحم (م ٧ — ١٩٣٤ ص ٧٩٢) .

٢ — ومن الجزيرة العربية الى السودان : (م ٣ — ١٩٣٠ ص ٧٠٤) السودان طريق النصرانية « بدأت الغزوات الدينية المسيحية تنفذ الى أشهر رقاع العالم الاسلامى دينا وايمانا وهو السودان . حاكم السودان ينادى ابناء وطنه لتشييد الكنائس فى اهم مدن السودان احياء لذكرى غوردون ، جريدة التيمس تستثير الهمم لتلبية النداء ، تصرح التيمس بأن « غردون » بذل نفسه فى سبيل تنصير السودان وعلى نغمتها تضرب سائر الصحف الانجليزية ، واخيرا ها هى جنود المسيحية تهاجم الاسلام فى القطر المصرى الذى كان من أحصن معاقله .

وهناك من اكتتب فى السودان لمساعدة الارسالية الانجليزية ومن بينهم ابن أحد زعماء الدين .

٣ — وتشير الفتح الى جمعية الشبان المسيحية فى القدس وتقول انها احدى معاقل الحركة الاستعمارية ، ومعقد الحركة التبشيرية العالمية المجهزة ببرنامج اجتماعى خطير للعمل فى حقل المجتمع الاسلامى فى بلاد اسلامية خاضعة للحكم البريطانى ، هذه الجمعية رائدة لهذا الاستعمار وممهدة له حتى يقع العراك بين اهل البلاد والمستعمر الأجنبى وجها لوجه . وتغزو هذه الجمعية ضعاف الشباب العربى غزوة روحية شنيعة تتمثل باساليبها الخادعة على تخدير روح التراث العربى الاسلامى باغراق نفسية الشباب العصرى فى ضروب الالاهى والتسلية الاجتماعية مع توفير ما يمكن توفيره من أبواب المغريات ، حتى يصبح صاحب آراء فى الوطنية والوطن ثم لا يلبث أن تجهر بكل وقاحة برأيه ايضا بان الانجليز فى بلادنا يملكون ارقى طراز من مدنية الانسانية ، وأن لا علاقة بين مدنية الانجليز وبين اقدامهم على جرم ابادة العرب ، الا أن السياسة فى نظرهم شيء والمدنية شيء آخر ، هذا الاسلوب من التبشير الاجتماعى هو أحدث الأساليب التى قررتها المؤتمرات الاستعمارية العالمية (مؤتمر أدنبرج ١٩١٠) .

٤ — وتربط الفتح بين الخطة التغريبية الخطيرة التى قام بها اتاتورك فى تركيا المسلمة وبين خطط أخرى تجرى فى نفس الوقت فى ايران وافغانستان فكتبت تحت عنوان ((**ايران بعد تركيا**)) (م ١٠ الفتح ص ٧١١ سنة ١٩٣٦) : بالأمس قامت تركيا بمحو كل اثر للاسلام وتقاليده فى ديارها ولم تتورع عن اعلان جفائها للاسلام والشرق وانحيازها للغرب تعيش فى ازيائه وتشريعه ولغته وتقاليده ، وما زالت تمعن فى التنكر للاسلام وما يتصل به حتى انقلبت عليها كثير ممن كانوا يتطوعون للدفاع عنها وأراد ضعاف الاحلام فى بلاد الافغان أن يتتفوا آثرها فى ذلك المسلك الأعوج الا أن الله أراد بالأفغان خيرا فعصمها من الانزلاق فى تلك الهوة السحيقة ، كان لعمل الترك الأثر السيىء فى غيرهم من الأمم فقد بدا اعتزام ايران على ابدال الحروف العربية باللاتينية وتنقية اللغة الفارسية من الكلمات العربية والغاء الحجاب وتعميم القبعة ، ان الحركة الجديدة

فى ايران ترمى الى الغاء الحجاب ومعنى هذا أن ايران مقبلة على انقلاب خطير ينذر بشر عظيم ، فلن تقف عند الغاء الحجاب وابدال الحروف بل سيتعدى ذلك الى ابدال الشريعة الاسلامية واحلال قوانين الغرب محلها والذى يظهر أن بعض من بيدهم الأمر فى ايران قد تشبع بأفكار الكماليين واستحسن خطتهم ، اما بغضا فى الاسلام او جهلا بأسراره ، ان هؤلاء لم يتشبعوا بروح الاسلام ولم يتذوقوا من ثقافته فأنكروا على الاسلام امورا هى من ابرز محاسنه .

ولكن مجلة الفتح عادت فاشارت (م ٣ — ١٩٣٠) الى أن الحكومة الايرانية بدأت تسير على سياسة لادينية بحتة فى مشروعات القوانين الجديدة . وقد وضعت قانونا مدنيا اقتبسته من القوانين الاوربية كما فعلت تركيا .

٥ — وعرضت لموقف أفغانستان التى عارضت الغزوة التغريبية فقالت :« ليس امان الله هو الذى يخشى مقاومته لثورة الاسلام الحق على التجديد الكاذب فى الأفغان فان النتائج التى وصل اليها ابانت له وعورة ذلك المسلك وجعلت الافغانيين على بينة من أمرهم مهما تطورت الأحوال ، وانما المقاومة التى لا تهدأ ولا يعتريها الملل هى دسائس جماعات من الشرق والغرب لهم هوى فى انتصار التجديد الكاذب على الاسلام الحق فما برحوا يحاربون الافغانيين جميعا ومن هنا كانت ثورة الاسلام فى كابل على التجديد الكاذب فى الأفغان فان النتائج التى وصل اليها أبانت له دعوة فهم يحاسبون من يكذب عليهم ويسمون عمله بالاسم الموضوع له فى معاجم اللغة ، كل خبر يخالف هذه الحقائق الجوهرية فهو مصنوع فى مصنع الأكاذيب التى يذيعها فى العالم الاسلامى صحفيون يرغبون فى تقليص ظل الاسلام حاسبين ان من الممكن هدم أركانه بهذا التجديد الكاذب وجريدة الفتح هى الجريدة الوحيدة التى استطاعت الا تقع فى أحابيل هذه الأكاذيب .

٦ — ومن ناحية أخرى أولت الفتح اهتماما بأخبار انتشار الاسلام فى انجلترا وما كتبه القس اسحق تيلور عن الاسلام ونشرته جريدة التيمس

اللندنية كما عرضت لتوسع الاسلام فى افريقيا (م ٧ — ١٩٣٤) قالت :

« لما كان الاسلام داعيا الى نفسه فقد انتشر فى قسم كبير من الدنيـا ، وفاق النصرانية فى النجاح ، وليس تفوق الاسلام منحصرا فى أن الداخلين فيه اكثر عددا من الداخلين فى النصرانية من الوثنيين ، بل ان النصرانية فى بعض الأقاليم تتقهقر تقهقرا حقيقيا أمام الاسـلام فى حين ان التجارب التى أجريت لتنصير المسلمين قد حققت اخفاقا تاما ، لقد امتد دين الاسلام من المغرب الى جاوة ومن زنجبار الى الصين ثم هو ينتشر فى افريقيـا بخطوات العباقرة فقد استولى على قسم من كونغو وزامبيس فى حين ان أوغندة وهى أقوى دول الزنوج قد صارت محمدية منـذ عهـد قريب والتمدن الذى هو جاد فى هدم الوثنية الهندية انما هو يمهد السبيل للاسلام (٥٠ مليون من ٢٥٥ نسمه) هم اليوم مسلمون أى خمس أهـل الهنـد تقريبا واكثر من نصف سـكان افريقيا هم اليوم مسلمون . ان الاسـلام متى رفع فى كفه أحد قبض عليه أبدا بيد من حديد فلا يفلته ومتى دخلت قبيلة من السودان فى الاسـلام اختفت عنها فى الحين الوثنية وعبادة الشيطان وعبادة البشر وأكل لحم الانسان وتقديم الضحايا البشرية وقتل الأولاد والسحر وصارت طهارة العرض من أعظم الفرائض وذهبت البطالة والكسل وحل العمل والكد محلهما وانتزعت الدعارة وحل الانهماك بالانقياد للشرع ويغلب النظام والرزانة على الشقاق .

فالاسلام أقوى واكمل دين اجتماعى .. القناعة والاعتدال فى تداول اللذات ولكن كلما امتدت واتسعت التجارة الأوروبيـة يمتـد معها السكر والرذيلة واحتقار الناس ، أما الاسلام فان تمدنه خال من غمطهم واحتقارهم وحاض على تعلم الكتابة والقراءة ولبس الثياب اللائقـة وعزة النفس ، ان تمدن الاسلام وتقويمه للنفوس لعجيب ، ماذا ربحناه من انفاق الأموال الطائلة والنفوس التى صنعناها فى افريقيا ، اذا عددنا المتنصر من الوثنيين بالآلاف نرى الداخلين فى الاسـلام يعـدون بالملايين ، يجب أن نأخـذ فى الاعتراف بالحقيقة وهى أن الاسلام ليس عدوا للنصرانية بل هو نصف النصرانيـة ، الاسـلام نسخة طبق الأصـل من دين ابراهيم وموسى أما اليهودية فهى دين خاص ، اما الاسـلام فهو دين عام لجميع الأقوام ليس منحصرا فى شعب واحـد مثل اليهودية بل عام شامل لجميع أهـل

الأرض وليس فى تعاليم محمد شىء يعـــادى النصرانية أو يضـادها . جاء الاسلام فجرف ذلك الكوم من الخرافات الفاسدة وجاء بعقيدة الدين الأول القائم على توحيد الله وتعظيمه ، وابدال التبتل والرهبانية بالرجولة وفتح باب الأمل للرقيق وباب أخوة النوع الانسانى واعتراف بالحقائق الجوهرية للطبيعة البشرية » .

٧ — ويطالب السيد محب الدين الخطيب بعد انشاء الجامعة العربية بانشاء الجامعة الاسلامية ويقول بعد أن تكتلنا فى جامعة اللغـــة والدم نستطيع أن نخطو خطوة أخرى بتكتل جديد فى جامعـــة أوسـع من الأولى ونعنى بها الأمم الاسلامية المتمتعة بنعمة الاستقلال مثل حكومات باكستان وأفغانستان وايران وتركيا واندونيسـيا فان الرابطة الاسلامية التى أوجدها الله بين هذه الشعوب تنطوى على محبة صادقة فطر عليها المســلمون بعضهم البعض .

الفصل الثانى

تغريب تركيا وسقوط الخلافة الاسلامية

— ١ —

كانت قضية الدور الذى قامت به تركيا الكمالية فى تغريب تركيا وآثارها البعيدة فى البلاد العربية والأقطار الاسلامية ، من اهم القضايا التى أولت (الفتح) اهتمامها البالغ وتابعت احداثها يوما بعد يوم فقد سقطت الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ولما ظهرت الفتح ١٩٢٧ كان الكماليون يمضون فى مغامرتهم الشديدة فى ضرب الاسلام فى الدولة العثمانية التى كانت تحمل لواء الخلافة ولقد تابعت الفتح احداث التغريب التى قام بها أتاتورك وقد تكشفت لها حقائق كثيرة .

يقول السيد محب الدين الخطيب م ٣ (١٨ يونيو ١٩٢٨) :

« رجل من ضباط الجيش زعم ان سلاطين آل عثمان مستعبدونه فجاء لينقذ الترك من استعبادهم ولكن ما لبث ان جاءهم بشر استبداد على وجه الأرض وهو استبداد ديوان التفتيش الاسبانى الذى يجيز للبشر أن يتحكموا بايمان اخوانهم البشر ويستعملوا قوة الحكومة فى حملهم على تغيير عبادة العباد ، وقد عمد الى تحويل المساجد الى شكل الكنائس لأن مصطفى كمال يريد أن تكون المعابد مقاعد يكتفى المصلون بالجلوس عليها وتلاوة بعض الرطانات التركية مصحوبة بالموسيقى ، لا يسجدون على الأرض لأن مصطفى كمال لا يريد ذلك . فاذا اراد التركى أن لا يضع على راسه هذه البرنيطة لأن يراها شعار أمم اذلت الاسلام والمسلمين يجد أن مصطفى كمال الذين يزعمونه محررا للترك ، قد نصب له جنودا فى الطريق يأخذونه الى بيوت العقاب جزاء استعمال حقه فى الحرية بابسط مظاهرها وهو يعيد الى اياصوفيا عزف الآلات الموسيقية كما كان أيام البطاركة البيزنطيين باعتبار انه عبادة ويبطل من يحب فيه اياصوفيا السجود لله .

ويشير الأمير شكيب ارسلان الى أن مصطفى كمال يحث الأمة التركية على السكر ويرى فى الخمر احدى وسائل المدنيــة ويطعن حسب عادته على سلاطين آل عثمان ويجعل من جملة سيادتكم ان منعوا الترك من شرب الخمر ، وكذلك محاربته للغة العربية ، وظنه ان الغـاء مادة الاسـلام وهو الدين الرسمى يدر عليه ملايين الدولارات من أمريكا حسبما وعده المبشرون كالمبشر برد والجامعة الأمريكية .

ويشــير السيد محب الدين الخطيب الى تواطؤ مصــطفى كمال مع صاحبى ايران والأفغــان فى المشرق الاوســط وعلى القوة الشيوعية فى آفاق روسيا لأداء مهمة معلومة فى أوربا ، ومحاولة نقل هــذه الفكرة المسمومة الى بلاد البوسنة والهرسك .

وقد أعلن مراسل المقطم فى تركيا ان اقتباس المدنية الأوربية فى المدن هو الذى قذف بهؤلاء النسـاء المستحدثات الى هذه الهاوية بسبب انتقالهن الفجائى من نعمة الايمان الى شــقوة الكفر والالحاد . ومن ذلك انتحار النساء فى تركيا عندما فرض عليها بيع عفافها .

— ٣ —

وقد أشــار السيد محب الدين الخطيب الى خطــة مصطفى كمال أتاتورك فى خداع المسلمين حيث بقى الى حين عقد معاهدة لوزان يتظاهر بالدين والقيم شعاره وينشر المنشورات الرسمية بأن هذه الحرب هى جهاد فى سبيل الاسلام وعمل بالكتاب والسنة ، وليس بصحيح ان أوربا نبذت الدين وأنهــا خرجت عن النصرانية كما يريد مصطفى كمال اخراج تركيا عن الاسلام فكل يوم عندنا شواهد على تمســك أوربا بالدين المسيحى ، ولو لم يكن من برهان ساطع على كون هذا الدين لا يزال عمدتها سوى قصة كتاب الصلاة فى انجلترا لكان ذلك كافيا على دفع دعوى مصطفى كمال . ان هدف مصطفى كمال لا يزال هو هدم قواعد الاسلام والحيلولة بين الشعب التركى وبين التعليم الاسلامى كما هو جار الآن ، حتى لا تمضى بضع عشر سنة الا كان النشء الجديد فى تركيا ، أملس من الاسلام خاليا من العقيدة القرآنية بالمرة ، ولما كان غير ممكن أن يبقى شعب بدون عقيدة ،

فمن بعد أن يطمس آثار الاسلام فى تركيا لا يعود صعبا أن يميل الأهالى الى دين من أديان الأمم الغربية ، لو أعلن مصطفى كمال هدفه لثارت عليه تلك الأمم فى أربع وعشرين ساعة ، أما اذا تلاشى الاسلام تدريجيا من تركيا فسد منابعه عنها وأعلن بعد ذلك قوم من الأتراك اتخاذهم أحد الأديان التى يدين بها أهل أوربا لم يتولد عن ذلك هذه الهزاهز ، وقيل ان بعض جمعيات التبشير الأمريكية التى فيها المستر برد الأمريكانى كان لهـا يد فى حمل انقرة على القرار الأخير من جهة الغاء كون الاسلام دين الدولة وتسويته فى نظر الحكومة بالنصرانية واليهودية (م ٢ / ٧٢٢) .

— ٣ —

وكشفت الفتح عن اهـداف الاتحاديين الذين لوثهم الفهم العنصرى للطورانيـة والدسيسة الماسونية بولائهم للدونمة ، ويقول الأمـير شكيب ارسلان : هـذه العصبية التركية التى ذابت فى الدين الاسلامى ، لقـاء جريمة العـداوة التى تتأجج فى قلوبهم للعرب هى من العوامل الخطـيرة فى تحولهم عن الاسلام لأنهم يرون الاسلام دينا عربيا ، ولو تأملوا قليلا ، وتقصوا الكبر الذى فى رؤوسهم لراوا أن الأمم الأوربيـة التى هى نحو سبعمائة مليون من أرقى أمم لم تأنف ان تنتمى الى رسول كريم ، ولما عقدوا معاهدة لوزان مع الحلفاء والتمسنا منهم أن ينزلوا عن حقوق السياسة العثمانية على البلاد العربية لأهل البلاد الخاصة جعلوا لدول الحلفـاء مدخلا احتقار العرب ، وعامل آخر فى كرههم للشريعة لا يتفطن له الذين لم يعاشروهم ولم يقفوا على حقائق أمورهم ، فبينما الشعب التركى متمسك بالاسلام ، فهم يفكون العقائد تدريجيا وهذا ما يسمونه بسياسة المراحل ومنهم من يقول : تحوله تركيا ، فاما اسلام يبقى لسانه عربيا فلا سبيل الى قبوله ، وصاحب هذا المذهب ضياكوك الب ومن هنا جاء مشروع ترجمة القرآن الى التركى وخطبة الجمعة بالتركية .

— ٤ —

وأشار شيخ الاسـلام مصطفى صبرى الى خطر الحروف الجديدة فى تركيا (الفتح ٣ — ١٩٢٨/١١/٨) فقـال ان الحروف اللاتينية أمكن

ان يعتبروها تركية بين عشية وضحاها أما الحروف العربية التى استعملها الترك ألف سنة فيرون ان ذلك غير كاف لكى تصير تركية ، ومعنى هذا أنه ليس فى الدنيـــا شىء اجنبى عن الترك بقــدر ما العــرب أجانب عنهم كيف لا واتراك اليوم ينتحلون كل شىء لكل امة أخرى ما لم يكن عربيا ، ان عداوة الترك الحديثين للقومية العربيـــة هى عداوة دينية ليس الا ، وبهــذا الشعور لجأوا الى الحروف الأفرنجية واعتبروها حروفا تركية ، وقالوا بالتخلص من الحروب العربية ثم ليكن بعد ذلك ما يكون .

يجب على مفتونى انقره (الذين ناصـــبناهم العداوة الـــكبرى أولا وآخرا لأجل عداوتهم للاسلام ولغة العرب) أن يعلموا علم اليقين واذا كانوا لا يعلمون فيجب على كل عاقل أن يفهمهم بأن مسألة الكتابة لا تنتهى بترك الحروف العربيـــة ، فالذين يريدون أن يتخلصوا من العـــرب يجب عليهم أن يخرجوا الكلمات العربيـــة من اللسان التركى واذا هم فعلوا فلا يبقى حينئذ شىء اسمه لغة تركية ، لأن اللغـــة التركية تشهر فى ذلك الحين افلاسها فيمتنع على الترك النطق والبيـــان .

وقد أنذرهم السير ادوار رينسون روس مدير مدرســـة اللغـــات الشرقية فى لندن فقال حذار من استعمال الحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية لأن الحروف العربية هى حروف لغة القران واذا مســستم الحروف العربية مســستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة الاسلام. ان الاسلام أساسه اللغة العربية فاذا ضاعت ضاع الاسلام .

واشارت الفتـــح الى أن استعمال الحروف اللاتينية حول اللغـــة التركية الى لغة غير مفهومة ، مما يستدعى أن يتعلم التلاميذ لغة أوربية كلغة اساســـية ليطلعوا على مآثر أجدادهم الغابرين وآبائهم الآخرين .

اتخذت حرف S للدلالة على الثـاء والسين والصاد وحرف Z للدلالة على الذاى والزال والظاء وابدلت حرف الذاى بحرف التاء وابدلت حرف الخاء والحاء والهاء بحرف H فقط فتحولت كلمة ضـالين الى دالين ، وعاملين الى آملين وصراط الى سرات وساعد الى ساعت » .

ومن ناحيـــة أخرى اشارت الفتح الى ان الشيوعية اخـــذت تنتشر فى تركيا وأن وفدا تركيا اشترك فى مؤتمر الكومنترن السادس السرى ، من الاتحاديين وقد عملت كشوف بأسماء لاتينية وطورانية لاجبـــار جميع افراد الأمة على تسمية أولادهم بهـــذه الأسماء .

وقال مراسل التيمس فى تركيا : ان الاسلام مات فى الدولة التركية ومع أن الشعائر الدينية غير ممنوعة الا انها لا تجد مشجعا لها ، ولم يعد الاسلام الا دينـــا لرجال الدين ، وتساءل السيد محب الدين الخطيب : هل حقا مات الاسلام فى تركيا ، أو قتل وان كان قد قتل فمن هم قاتلوه ، وقال الكاتب أحمد حلمى : ان هناك علاقة بين الأعمال ذات العلاقة بالاسلام التى تجرى فى تركيا منذ انتهت حرب الأناضول ، وبين انسحاب الخلفاء العجيب الغريب من مياه الآستانة .

— ٥ —

وكشفت الفتح فى ذكرى الغاء الخلافة عن جناية الكماليين فى مارس سنة ١٩٢٤ قالت : لقد انخدع المسلمون بذلك الرجل ، وأول من انخدع عامة الأناضول ، فيـــه وفيمن معـــه ، ان كان هو وقواده حين حاربوا لم يحاربوا الا بدافع الوطنيـــة فلا والله ما حارب الجنـــدى الأناضولى الا بدافع الدين الاســـلامى ولولا جامعة هـــذا الدين ، ما انتصر ، ووالله ما نصره اليهود والأفغان ولا دعا اليه المؤيدون ولولا ثورة الهنـــود غيرة على هذه الخلافة التى خلع مصطفى كمال طوقها ولوى بيده عنقها ما رأى مصطفى كمال الفوز الذى رأى ولا نال المركز الذى نال . لقد كانت بعض الألسنة تتحـــدث بأن الرجل يشرب الخمر فكانت القلوب تأبى التصديق وكان بعض الناس يطعن فيه وفى زمرته باللادينية فكانت النفوس تسرع جازمة الى التكذيب ولكن كان حديث حقـــا ونذير الخطر كان صـــدقا ، وما أظن ذلك الرجل ومن معه الا كانوا مبيتين لذلك حين قاموا بحركتهم الأولى ضد وحيد الدين ولعمرى لقد كان فى بعض ما نطقوا به من وجوب التفرنج وما فعلوه من اباحة الخمر بعد منعها ، ومن اكراههم النســـاء على مخالطة الرجال برفعهم الحواجز عن محال النساء وغيرها فى عربات

الترام ، كل ذلك دل على دليل فى نفس الرجل ، وقد أدى اطلاق الحرية الاجتماعية والاباحة فى تركيا الى خطر انحلال عظيم فقد انتشرت الفاحشة فيها انتشارا مؤسفا ومخيفا ونشا السفاح فتساقطت عشرات على الطريق .

— ٦ —

وتكشفت حقائق كثيرة عن البطولة الحقيقية فى حرب الأناضـــول وانها لم تكن بطولة مصطفى كمال وانما هى بطولة كاظم قره بكير وزملائه الذين خدعهم مصطفى كمال وابعدهم ونسب النصر لنفسه كذبا وزورا .

وقد قال (كاظم قره بكير) فى تصريح له : اننا نحن الأتراك لم نتمكن من طرد العدو من بلادنا الا بانضوائنا تحت لواء الاســلام ، وقد تحدث الأمير شكيب أرسلان (م ٥ ص ٥٧٨) عن هذا الأمر فقال : كانت تركيا قدرت أن تطرد اليونانيين الذين كانوا شنوا الغارة عليها واســتباحوا حماها مدة أربع ســنوات وما كان ذلك الا بقوة الرابطــة الاسلامية ، وقد اعترف بهذه الحقيقة كاظم قره بكير على أثر خلاص تركيا وعقد معاهدة لوزان ، فقال يومئذ : لولا انضوائنا تحت لواء الاسلام ما أمكننا أن نخلص تركيا من الاستعباد . وكاظم باشا قره بكير هو فى الحقيقة منقــذ تركيا وهو الذى بدأ بالثورة فى أرضروم على الحلفاء الذين وضعوا لتركيا معاهدة سيفر وجمع المجامع وعقــد المؤتمرات ورفض تسليم الســلاح على حين أن مصطفى كمال كان يحميه السلطان وحيد الدين فى الآستانة ولولا قره بكير وفتحه أريفان واستيلائه على الأسلحة الكثيرة والمواقع الكبيرة التى كان الحلفــاء أعطوها للأرمن ليقاوموا بهــا الأتراك ما كان هؤلاء قدروا أن يحاربوا يوما واحدا فضلا من أن ينتصروا : فكاظم قره بكير هو أصل المقــاومة وهو البادىء بحركة الاستقلال والباقون انما انضووا اليــه ، وسيعرف التاريخ له ذلك وهو مقر بان الأتراك لم يكونوا ليخرجوا العــدو لولا حمية الاســلام » .

والمعروف أن الموقف تحول بعد ذلك وأن مصطفى كمال حقق للغرب وللصهيونية كل ما تريد وأنهم استعانوا بالحاخام اليهودى (حايم ناحوم) من أجــل تسلمهم السلطة وموافقتهم على مطالب النفوذ الأجنبى الصريح

فى خلع الاسلام ولغة قرآنه ورجاله من تركيا وذلك امتدادا لتبعية الاتحاديين للمحافل الماسونية التى استطاعت من قبل اسقاط السلطان عبد الحميد ففى مقال للفتح (م ٨٨٩/٩ سنة ١٩٣٥) يقول :

ان مسيو ليون قره صو مدير المصرف المعروف باسم ابن النائب اليهودى فى مجلس المبعوثان فى زمن الاتحاديين (نوئيل قره صو) هو الذى مثل دورا خطيرا فى السياسة العثمانية وتقويض خلافة السلطان عبد الحميد ، وعندما اشتدت الحالة فى الروملى ورأى أركان جمعية الاتحاد والترقى أن موقفهم بات خطيرا لجأوا الى مانوئيل قره صو أفندى المثرى اليهودى فساعدهم بأمواله وضمهم الى المحافل الماسونية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت تحت الحماية الايطالية ، فأخذوا يعقدون فيها اجتماعاتهم دون أن يتمكن السلطان عبد الحميد من الاطلاع على اسرارهم ومقاومة تدابيرهم ، وكان من جراء ذلك ان نجحوا فى مساعيهم واعلنوا الانقلاب المزعوم ، وفى اليوم الثالث والعشرين من أبريل ١٩٠٩ عندما الف الاتحاديون وفدهم لمقابلة عبد الحميد وابلاغه قرار خلعه رأسوا الوفد مانيوئيل مره صو افندى ليكافئوه على عمله وليحتروا الخليفة بارسالهم يهوديا لابلاغه قرار الخلع ، وقد ادرك عبد الحميد ذلك ولهذا رفض أن يحدث قره صو قائلا : ان يهوديا لا يمكنه أن يبلغ خليفة المسلمين قرار خلعه ، هذا ما نشرته صحف بيروت بمناسبة اسناد احدى مناصب الدولة العثمانية لابن قره صو.

— ٧ —

واشارت الفتح الى تسرب الدعاية الكمالية الى سوريا فكتب الاستاذ مصطفى السباعى يشير الى ما يقوم به الكماليون فى سوريا وتخصيص مبالغ طائلة لنشر الدعاية القوية لمبادئهم فى نفس ضعفاء الدين والوطن من السوريين وتحبيب حكمهم اليهم وتأويل كل ما يعرفه الناس فيما يتعلق بموقفهم من الاسلام ، واشار الى ان الجهود التى يقوم بها الكماليون فى الدعاية لخطتهم تستهدف سوريا فى دينها ووطنها وقوميتها ؛ وقد قامت الصحف السورية بوظيفة الدعايه الكمالية بمناسبة موت اتاتورك يؤيد ذلك تغريبيون أمثال عبد الرحمن شهبندر وقال : « انهم يفكرون

فى غزونا وازالة الصبغة الاسلامية عن وطننـا وعلى الأمة ان تتبين مبلغ اساءتهم الى الاسـلام وعملهم على تقويض أركانه لئـلا ينخـدع بهم »
(م ١٣ الفتح) .

واشار الأمير شكيب ارسلان الى موقف الأتراك من مؤتمر القدس الذى عقد عام ١٩٣٢ من أجل فلسطين فقال : ان مؤتمر القـدس كشف عن أن العالم الاسلامى موجود سواء حضرت أنقرة ام غابت ، العـالم الاسلامى ليس بسائر وراء انقرة ، ولن يسير وراءها بالرغم من ملاحدة مصر ، والعالم المسيحى فى أوربا وامريكا غير سـائر فى محاربة الأديان على الخطة لتى تسير عليها انقرة بل كما قلنا مرارا ان الأمم المسيحية لا تزال متمسكة بنصرانيتها واليهود لا يزالون متمسكين بيهوديتهم ، واهالى الصين والهند واليابان لا يزالون متمسكين كل امة بعقيدتها ، هذا ببراهما وهـذا ببوذا ، وهلم جرا ولا يشذ فى الدنيا عن هـذه القاعدة الا ثلاث حكومات البلشفيك ، المكسيك ، وانقرة .

— ٨ —

وكتب السيد محب الدين الخطيب فى الفتـح م ٦ (١٩٣٢) يقول فى مواجهـة موقف تركيا من الاسـلام : ان الخلافة ستعود ان شاء الله والمسلمون لن يبقوا بغير خليفـة ، بل ان من أهم ما فى ميثاق الشـبان المسلمين الذى يعاهد الشـاب المسلم ربه عليه أن يكون عاملا مجاهدا فى سبيل احياء مجد الاسلام باعادة تشريعه وامامته الكبرى ، وما من مسلم الا عاهد ربه على العمل لذلك ، ولكن هذا الأمر الخطير يحتاج الى استعداد خطير ، وما دامت هذه الأمنية محفوظة فى قرارة نفس المسلم وقد عاهد ربه على السعى لهـا فلا ريب أن الله عز وجـل سيكافىء المسلمين بتحقيقها على اتم وجه متى هيأ اسبابها » .

وتحدث كثير من الكتاب عن التحديات التى واجهت تركيا : فاشار بعضهم الى أن جامع أياصوفيا تحول الى ما كان عليه باعطائه للكنيسـة ، فتنزع منه آيات القرآن وتعاد صور القديسين والصلبان وتنزع منه آيات القرآن ، ويجرى الكشف عن الآثار النصرانية وصـور الصلبان والرموز الدينية لتكون هى الظاهرة فى الجامع .

واشار الشيخ الزواوى : الى البدع السائدة فى الدولة التركية الجديدة بمخالفة نصوص الشرع فى الميراث والحجاب والزواج والاسراف فى الخمر ورقص الأجنبى مع الأجنبية فى المحافل ومخاطبة الأنبياء كما كتبوا تحت عنوان « الى حضرة محمد » .

وقال ان الحكومة التركية قد نخر فى عظامها النفاق والالحاد والفسق ، وان أهالى الأناضول مؤمنون مسلمون بمعنى الكلمة لولا جهلهم بالعربية وهم الذين قاموا بالجهاد فى سبيل تحرير البلاد .

واشارت الفتح (م ١٣ — يناير ١٩٣٩) الى موت أتاتورك وقالت ان المعجبين به فى مصر من أصحاب الاقلام والصحف راحوا يعددون مناقبه ويترحمون عليه وسودوا صفحاتهم بما سموه مآثره وحسناته ، اولئك هم اعداء الاسلام وقد سرهم ما نال دين محمد صلى الله عليه وسلم على يديه من ظلم وانه أطلق للشهوات العنان ، هؤلاء المتفرنجين الذين يجب أن نحاربهم بكل قوة ، ونمزق ما على وجوههم من قناع فهم يستترون وراء نغمة القومية ويفرقون بين الدين والدولة ، ويفصلون بين الحياة الشخصية والحياة العامة ، حتى يهزموا الاسلام ويرتكبوا كل منكر ، وها هو زويمر يقول : ان انتصار الاستعمار الحقيقى هو هدم الوحدة الاسلامية واحلال القومية محلها وما علينا الا أن ننفخ فى بوق القومية فينقاد لها الشعب وهذا هو الانتصار العظيم » .

الفصل الثالث

الصهيونية والقضية الفلسطينية

- ١ -

واولت الفتح اهتماما واســعا ضخما لقضية فلسطين فقد عاشت هذه المراحل الأولى من المؤامرة الصهيونية منذ ١٩٢٧ تقريبا الى مؤامرة التقسيم ١٩٤٦ ومنذ ذلك الوقت الباكر أخــذتنا الفتــح تكشف فى جرأة مع ابعــاد المؤامرة وخطرها والمخطط الصهيونى ، فقد نشرت فى المجلد الثالث (اكتوبر ١٩٢٨) البرنامج الصــهيونى واطلعت القارىء المسلم على هذه المحاولة الخطيرة فى الوقت الذى كانت فيــه الصحف السياسية والحزبية خالية الذهن تماما من القضية أو موالية لهــا على النحو الذى عرفنا من بعض كتاب جريدة السياسة .

« البرنامج الصــهيونى »

قالت الفتح : ان اصبع اليهودى هى التى وضعت نظــام الماسونية ورســمت برنامج البلشفية وكتبت قانون الاتحــاد والترقى . والاصبع اليهودية تزخرف الأزياء الاباحية للسيدة المصرية فى القاهرة والاسكندرية وفى باريس وفى واشنطون (شكوريل ، اوروزدى باك ، وتيرنج ، الون مارشــيه ، موروم) فالدعوة الى رفــع الحجاب الاســلامى الصــادرة من دار الهلال بقلم سلامة موسى ، والتى يكتب عنها محمود عزمى والتى يخطب فيها خطباء جمعية الشبان المسيحية والتى تشجعها جريدة الأهرام كل ذلك ليس بشىء فى جانب الوسائل التى يتخذها اليهود فى محل شكوريل ليجعلوكم ايهــا المسلمين امام أمر واقع فى مسألة الســفور والحجاب ، تقول التيمس : ان لليهود برنامجا أوله التساهل الواسع وآخره الاباحة والفوضى وكما يعمل اليهود لهذه الغاية سياسيا واجتماعيا فان متاجرهم الجميلة تعمل لذلك باسم التجارة والذوق والموضة . هل يعرف المسلمون الى أين هم مسوقون وما هى الأيدى التى تسوقهم ، عليك ان تعرف مركز المسلمين الحقيقى وان تعرف ما يحيط بهم .

ولما كنت اعلم ان شراء الكماليات من عنـد شـكوريل لا معنى له غير التفريط بالمـال ، كنت اشاهده فى ذلك ولكنى لمـا علمت من الجريدة التى لا تلقى الكلام على عواهنه فى مثل هـذه الأمور ان اليهـود يجرون الشعوب الى الاباحية ، ووقفت فى محل شكوريل والبون مارشـيه اتأمل ما فيهما من ذرائع الاباحية ورأيت شيئا كثيرا ، فعلمت ان شراء الكماليات من مثل هذه المحـلات اليهودية تبديد من جهة ووقوع الأمة كلها فى كمين الاباحية من جهـة اخرى » .

واشارت الفتح الى خطط اليهود الشريرة حيث عثر اخيرا على مستند يفضح برنامجهم مكتوب بلغة (الأبديش) هـذا نصه :

ايها اليهود : لقد دنت ساعة انتصارنا العـام ونحن الآن فى عصر استلامنا قيادة العالم ، لقد استولينا على ازمة الاحكام فى روسيا وانجزنا خطتنا الاولى ، لقد كان الروس بالامس اسيادنا فاصبحوا اليوم عبيدنا ، انزعوا من قلوبكم كل ذرة من الاشـفاق على اعدائنـا ، افصـلوا عنهم زعماءهم ، واوجدوا البغض من طبقـات العمال وبقية الشعب ، حاربوا فى سبيل الوصول الى غايتنا القصوى .

اللجنة المركزية للاتحاد اليهودى الدولى (لينينجراد)

— ٢ —

وعلى ذكر حـوادث فلسطين ١٩٢٩ بدأت الفتـح فى نشر كتاب (اليهـودى الدولى) تاليف هنرى فورد وترجمـة الدكتور على مظهـر (٢٤ اكتوبر ١٩٢٩ م ٤ ص ٣١٣) وقد نشرت اولى فصـوله فى صحيفة اسبوعية فى أمريكا (ذى درتورن أند نبداك) مايو ١٩٢٠ ووصـل بيعها الى ٣٠٠ الف — كتاب يخاطب الناس ، ترجم الى الألمانيـة وطبع خمسا وعشرين مرة فى آلاف كثيرة ، وقد جمع الكتاب كل ما يمكن أن يقال عن اليهود وعن حركاتهم واشتغالهم بالمسائل الاقتصادية والمالية وتدخلهم فى شئون غيرهم من البشر سياسيا واجتماعيا ووضعهم يدهم على كل مرافق الحياة ووسائل النشر والاذاعـة وتحكمهم فى الأسـواق واشتغالهم جواسيس لحسـاب بعض الدول الأخرى .

كما يتهمهم بذلك الألمان اثناء الحرب الأخيرة ، نصف مليون يهودى منبثون فى انحاء المانيا وهو عدد جميع اليهود الموجودين فى المانيا فى السنوات الأخيرة ، وهذه المعلومات التى قدمها هنرى فورد برهن عليها برهانا قاطعا.

واشـــد متطرفى الصهيونية يعترفون بانه العصر الذهبى فى تاريخ اليهـــود ، كان أيام أن كان للمسلمين العز والسلطان فى بلاد أســـبانيا والبرتغال ، وقد رأى اليهود أنه بمجرد أن زالت سيادة العرب عن تلك البلاد وجلاء المسلمون عن ذلك الفردوس المفقود ذاق اليهود الذل والهوان وضربت عليهم الذلة والمسكنة وطردوا وحوربوا فى معتقـــداتهم الدينيـــة وصودرت أملاكهم وعذبوا العذاب الأليم فى تحريق وتشريد وهتك أعراض ونفى وقتـــل ووحشية محاكم التفتيش معروفة للنـــاس . ومن ثم تفرقوا فى بلاد العالم مرة أخرى ولكنهم لم يجـــدوا من الطمأنينة مثـــل ما وجدوا حين لجأوا لبلاد السلطنة العثمانية فانزلوا على الرحب والسعة وسمح لهم بمباشرة طقوسهم الدينية وبمزاولة تجارتهم وأعفوا من الخدمة العسكرية ».

— ٣ —

وفى عام ١٩٣٥ المجلد العاشر من الفتح وقد ملت صيحة (تهـــويد فلسطين) يقول : ان القضية قد اتضحت ابعادها تماما ، وهى أنها حرب بين بنى اسرائيل وبنى اسماعيل وحـــرب على مربط البراق الاســـلامى وجدار الهيكل اليهودى حيث أن بنو اسرائيل يريدون امتلاك غربى الأردن وشرقى الأردن والعراق وبقية الشام وقد تمتد ضغوطهم الى خيبر ويثرب ليقيموا على هذه البقاع دولة بالتمركز على هيكل سليمان وتملى ارادتهـــا بعد قرن أو قرنين على دول الأرض جهرة على نحو ما يعبثون الآن باتجاهات أمم الأرض وحكوماتها من وراء ستار .

ويعتمـــد اليهود فى اقامة المملكة التى ستتمركز فى هيـــكل سليمان على غفلة العـــرب وتنافسهم على الجاه الكاذب واخـــلادهم الى الأرض وعلى شربهم اللذات والكماليات من اليهـــود بالنقـــود التى يبيعون بهـــا الأراضى ، وقالت ان سلاح بنى اسرائيل سلاح مزدوج ، شطره الأضعف فى خزائن أغنيائهم وأمخاخ رجالهم الفضـــلاء المخلصين لمملكة اسرائيـــل

المنتظرة ، وشطره الاقوى فى يد العرب من تشتيت وتحاسد وبخل واختلال قيادة ونقص فى التنظيم . وأشارت الفتح الى ان ادارة المعارف فى فلسطين جعلت اكثريتها مسيحية حتى لا تخرج البلاد بشر مسلم فى عقيدته ونفسيته ، اما دار المعلمات فتراسها انجليزية ، واصبحت مدارس البنات وصمة عار فى أيدى لا تخشى الله من مسيحيين وأجانب ، ومن ثم تدفقت الهجرة وتسلح اليهود واقاموا الاستحكامات .

ومضت الفتح فى كشف صفحات خطط الصهيونية فاصدرت عددا خاصا من الفتح عن وعد بلفور (شعبان ١٣٥٤) كتب فيه عبد الرحمن عزام ، وشهبندر ومحمد على علوبة ، واسعد داغر وعبد الوهاب النجار .

— ٤ —

وفى مجلد الفتح (ص ٦٠٨) بدا الحديث عن بروتوكولات صهيون عن بحث للدكتور روزنبرج رئيس محكمة النازى الخاص بالشئون الخارجية ، فقد بحث ما يسمونه بروتوكولات صهيون التى كانت موضوعا للقضية الخطيرة التى نظرت أخيرا فى مدينة برن ، فقد نشر مقالا مطولا فى جريدة فولكشتر برنجيز أراد به أن يبرهن على صحة هذه البروتوكولات وأشارت الفتح الى مأساة انتزاع أراضى فلسطين من أصحابها العرب بوسائل الاغراء المختلفة ، وذلك نتيجة لانشاء صندوق رأس المال القومى اليهودى فاصبحت هذه الأراضى التى اشتروها قطعة مستقلة عن البلاد ولم يعد فى وسع العربى ان يجنى منها أية منفعة سواء فى الوقت الحاضر أو المستقبل ، ولم يقتصر الأمر على انه لم يبق للعربى اى أمل استئجارها وفلاحتها فحسب ، بل جعلت العربى مضطرا الى الاشتغال فى هذه الأراضى كعامل .

وفى عام ١٩٣٥ (م ٨) أولت الفتح اهتماما واسعا للهجرة اليهودية الى فلسطين فقالت اذا كان عدد من ينزل فلسطين من اليهود كل عام ٢٥ الفا فى كل سنة ففى ١٩٤٧ اى بعد أربعة عشر سنة يتساوى العرب واليهود فى فلسطين ثم يصير العرب بعد ذلك اقلية ، وهذه حقيقة مخيفة جدا والمسلم الفلسطينى اذا استخف بنتائجها فليتهم نفسه بالخيانة العظمى

بدون تردد والمسلم من اى جنس ان لم يعاون المسلم الفلسطينى على ابقاء فلسطين عربية اسلامية فليعلم ان علاقته بجامعة الاسلام قد طرأ عليهـا وهن فهى فى حاجة الى معالجة واصلاح . ان تهويد فلسطين يرجع الى عاملين : عامل خارجى وهو السياسة الصهيونية التى سعى اليها اليهود واقرها الانجليز ، وعامل داخلى وهو ضعف عرب فلسطين ، ومما لا ريب فيـه ان العامل الخارجى يعتمد على العامل الداخلى ، ويرى أنه أمضى اسلحته ولولا عامل الضعف هذا فى المسلمين لكانت السياسة الصهيونية اقـل اثرا .

ان فلسطين ستكون يهودية بعد اربعة عشر عاما ان لم يغير عرب فلسطين ما هم فيه ٪ ما دامت هذه الاحن العائلية موجودة ، فليبدأوا أولا بازالة الاحن وهى لا تزول الا بالتحرر من دنس الشـــهوات ثم مباشرة عمليـة الانقـاذ .

— ٥ —

تناولت الفتح قضية البراق التى اثارها العرب والتى حكم لهم فيهـا حكما واضـحا بانهـا ارض اسلامية عن طريق لجنـة البراق الدوليـة قالت الفتـح :

البراق بقعة اسلامية يجب أن تبقى كما كانت ، ان البراق الشريف مكان له قدسية فى نظر المسلمين وهو فوق ذلك السور الغربى للمسجد الاقصى المبارك الذى هو القبلة الأولى وثالث الحرمين الشريفين فاذا كان المسلمون سمحوا لليهود بزيارة هـذا المكان فبفضل منهم ، وليس لليهود ان يحولوا هذا المكان الاسلامى المحض الى كنيس يهودى وليس للحكومة البريطانية ان تساعدهم على هذا التحويل الذى يضطرب له العالم الاسلامى ولا يقبله باى صورة من الصور اما موقف الحكومة البريطانية فهو موقف ضـائع .

وقد اعترفت الحكومة البريطانية فى الكتاب الأبيض بملكية المسلمين القطعية للبراق الشريف ، والوثائق التى أبرزتها السلطات الاسلامية تؤكد بانه ليس فى استطاعة اليهـود ابراز أى شىء مثلها يؤيد أى ادعاء لهم

ونرى ان بريطانيا قد انقلبت على عقبيها امام هجمات اليهود واعلنت أنها تشكل لجنة جديدة دولية لحل مسألة البراق .

وتحدثت الفتح عن ما دار فى لجنة البراق الدولية عند انعقادها :

وكان خلاصة ما تقدم به الشهود المسلمون هو الآتى :

« لا جدال أن الجدار الغربى هو جزء من المسجد الأقصى وهو مقدس عندنا معاشر المسلمين وان الممر الذى بجانبه هو ملك المسلمين وهو وقف مقدس فكلاهما — اى الجدار والممر — يؤلفان مكانا مقدسا يدعى البراق له فى نظرنا من الحرمة والقداسة ما لكل مقام دينى وان المسلمين تسامحوا بأن يزور اليهود وغير اليهود ، ذلك الجدار لا اكثر وان ليس لليهود أن يدعوا أن لهم من الحقوق اكثر من ذلك » .

وقد أصدرت اللجنة قرارها الحاسم القاضى على آمال اليهود فى البراق :

« مكان البراق والممر المجاور له وقف اسلامى منذ ٢٤ رجب ٦٦٦ هـ الى الآن وقد جاء رئيس المحكمة الشرعية فى القدس يحمل الى لجنة جمعية الأمم حجة الوقف الصادرة من الملك الأفضل أكبر انجال السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ومستند آخر وقعه سيدى ابى مدين شعيب فى ٢٩ رمضان ٧٢٠ هـ (الفتح م ٥ ص ٩٧ المحرم ١٣٤٩ هـ) .

— ٦ —

وكشف الفتح عن بروز الدعوة الى العروبة سنة ١٩٣٩ بعد حوادث فلسطين والدعوة الى بعث التاريخ العربى فى مواجهة القومية اليهودية التى برزت فى السيطرة على فلسطين ، وتحدث فى هذا الكثيرون منهم محمد على علوبة وعبد الرحمن عزام وكثيرون : يقول محرر الفتح :

وكان للعروبة قبل الحرب العظمى الماضية رجال يترفعون عن حظوظ النفس وشهواتها ويدوسون باقدامهم لذائذ الظهور ورغبات الرفعة والجاه ، ويوجهون قوى النفس كلها نحو الأمل الأعظم ، نحو الأمل المعلق من قبة السماء فيما وراء السهى ، أما الآن فخلفاء هؤلاء مشغولون بالاختلاف على الكراسى ، والمطلوب استلال اسباب الفرقة من قلوب العاملين ،

نحن الآن أمام كيان هيأه الله لقوميتنا ، كنا نتمنى قبل الحرب العظمى أن نرى بعضه ولو فى الحلم ومن واجب الشكر لله عز وجل على هذه النعمة أن نحسن التصرف فيها والاستفادة منها ولا يكون ذلك الا بتوحيد الصفوف ».

وفى نفس الوقت أخذت الفتح تكشف الستار عن مخططات الصهيونية وخاصة فيما يتعلق بتاريخ مملكة اسرائيل التى كانت مملكة أشرار وعبادة العجل — وهى حجة اليهود فى فلسطين — وتمكن اليهود من كنوز فلسطين العربية من تاريخ وعود بلفور ، ودفاع العرب الاقتصادى لبقاء فلسطين عربية كما نشرت وثيقة هامة عن تضحية فلسطين القاها محمد على علوبة فى مؤتمر القاهرة البرلمانى للبلاد العربية والاسلامية (الفتح م ١٣ ص٥٦٤) .

وقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا مطولا عن مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل كما تحدثت عنهما التوراة وأورد نصا للامام ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والاهواء والنحل حيث يقول : والله ما أخذت الأمم قط يعقوب ولا من بعده ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالى اخوانهم، بل بنو اسرائيل خدموا الأمم فى كل بلد وفى كل أمة ، وهم صنعوا للشعوب قديما وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها ، فان قالوا سيكون هذا قلنا لهم :

قد حصلتم على الصغار يقينا والأمانى بضائع السخفاء

ونقل الفتح من حديث خليل ثابت رئيس تحرير المقطم الى الدكتور وايزمان زعيم الصهيونية (١٩٤٠ م ١٤) قوله أن مشروع الصهيونية فى فلسطين مقضى عليه بالحبوط مهما يصيب من النجاح المبدئى ، لانه مناقض لنواميس الاجتماع والعمران وان قومه عجزوا عن البقاء فى فلسطين لما كانوا يسودونها ولهم فيها ملك ودولة وجيش فلا يعقل ان يصلحوا حيثما فشل الصليبيون وهم جيوش اعظم دول أوربا فى القرون الوسطى وان الحكم الصهيونى فى فلسطين مصيره الى التلاشى سواء لقى الصهيونيين تأييد دول أوربا وامريكا أم لم يلقوا ، فسيكون حبوط مشروع الصهيونية هذا مما يسجله التاريخ فى ذلك النصر عينه ، ويصبح وعد بلفور ذكرى تاريخية تدل على قصر النظر وعظم نفوذ اليهود فى أوربا وامريكا واستخفاف أقطاب السياسة الأوربيين والأمريكيين بمصير شعوب الشرق الناهضين .

— ٧ —

ثم توالى الفتح أحداث فلسطين حتى تصل الى عام ١٩٤٦م/١٣٦٥هـ حيث تصل قضية فلسطين الى طورها الحاسم .

تقول : فى يونيـة ١٩٢٢ وقف اللورد بلفـور فى مجلس اللوردات البريطانى وقال :

ان الوطن القومى اليهودى تجربة خطـيرة ولكن الرحمة المسيحية تقضى بهذه المجازفة ، وصرح حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية ١٩١٩ فقال : ان فرضنا ان نؤسس لوقت قصـير الأمد ، أوضاعا فى فلسطين نصبح معها البلاد يهودية كما هى بلاد الانجليز انجليزية وامريكا امريكية ، ويتحـدث من حكومة الانتـداب والصهيونية ، وانتزاع وتمليك الأراضى المملوكة ، كنوز البحر الميت ، وتسليح سـكان المسـتعمرات اليهـودية وما زالت السفن تقذف الى سواحل فلسطين بشذاذ الأرض من اليهود حتى قفزت نسبتهم العددية من العشر او أقل الى الثلث فاكثر .

وقالت لجنة التحقيق المختلطة : ان فلسطين ليست بلادا عربيـة وهى تعلم أن سكانها المولودون فيها أبا عن جد هم سلالة سكانها فى تاريخ الاسلام وقبل الاسلام وقبل اسرائيل واسحق وقبل نزوح ابراهيم من اور الكلدانيين فهم السكان الأصليون وهم الورثة الشرعيون لاجدادهم من عرب الاسماعيليين ومن كنعانيين أو اراميين ، أما اليهود الأقدمون فهم أجانب نزلاء ، والأوربيون الحديثين اجانب نزلاء . وعلى المسلمين من سور الصين وجزائر أندونيسـيا الى سواحل بحـر الظلمات ان ينظموا دفاعهم من فلسطين » .

ثم تحدث عن الأحداث بعد قرار التقسيم وقال : ان أمريكا تسعى الى فرض تقسيم فلسطين وقدم حقائق عن اليهود بدأت تنكشف فى هذه الفترة :

من هـذه الحقائق ان اليهـود عامة ويهود أوربا وأمريكا ليسوا من بنى اسرائيل وانهم بشهادة علماء الأخبار وابناء الاقطار لا ينتمون اليهـا

ويبعدون كل البعد من نسل ذلك الشعب القليل العدد الذى جاء ذكره فى الكتب المقدسة . اورد قول وليمز نوميسون : استطيع أن اقرر ان الصهيونية كالنازية سواء بسواء ، ليس من المعقول أن نتحيز للقضاء على النازية فى المانيا ونؤيد الصهيونية فى فلسطين . واورد السير ادور سيزر : لقد اثبتت الصهيونية انها كارثة تهدد البشرية وقد فتحت الأبواب لتغلغل الشيوعية فى الشرق الأوسط مما قد ينتج عنه حلول كارثة لا يعلم احد مدى نتائجها فيما يتعلق بحضارة العرب .

وأشارت الفتح الى قرار التقسيم الظالم : الذى يقر قيام دولة صهيونية فى قلب بلاد العرب لا تنال فلسطين وحدها ولكنه يتمداها الى كل وطن عربى آخر بجوارها الى الأوطان الاسلامية ، فاليهود لا يخفون مقاصدهم ولكنهم يجاهرون بها ويهتفون بأن ملك اسرائيل من الفرات الى النيل ، ثم انهم ليحلمون بيثرب موطن بنى قريظة وبنى النضير سابقا ومهوى قلوب المسلمين وافئدتهم جميعا اليوم ومستقر اكرم انسان عرفته الانسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » .

ثم تناولت الفتح بالحديث : الجهاد فى سبيل تحرير فلسطين .

وتحدثت عن تاريخه فى شريعة الاسلام « لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم الا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله وأين هم قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، وقال تقتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء حجر فيقول الحجر يا عبد الله » .

وتحدثت الفتح عن انشاء جامعة الدول العربية ولجوء امين الحسينى الى مصر (رجب ١٣٩٥) والدعوة الى بعث الاسلام من جديد ، وهو مصدر بعث العرب من جديد « أعظم مطالب الحق ان تقوم لتراث الاسلام وأماناته دولة — او دول — من أهله يحنو عليهما وتجدد من شبابهما ويبعث فيهما الحياة وتدفع بهما الى ميدان العمل .

الفصل الرابع

قضية شـمال افريقيـا

- ١ -

لقد اولت الفتح اهتماما لقضايا شمال افريقيا على نحو ضخم بالغ الاهمية والخطورة فعنيت بالتفاصيل الدقيقة لحركات الاستقلال في الاقطار الاربعة : ليبيا وتونس والجزائر والمغرب (مراكش) وكان أكبر اهتمامها لقضيتين :

اولا — قضية التنصير التى قامت بها القوى الاستعمارية فى تونس (والمؤتمر الافخارستى) .

ثانيـا — قضية الظهير الدبرى التى قامت بهـا القوى الاستعمارية فى المغرب .

ثالثـا — احتفال الاستعمار الفرنسى بمرور مائة سنة على احتلال الجـزائر .

وقد كشفت الأحداث ان هنالك حملة لاتينية مدبرة من ايطاليا وفرنسا واسبانيا على شمال افريقيا وكان الدكتور خالد شلدريك أول من كشف هذه المؤامرة ثم جاء الأمير شكيب أرسلان فكتب فى الفتح فى رمضان ١٣٤٩ بحثا مطولا جاء فيه :

الآن نجد الدول اللاتينية الثلاث (فرنسا وايطاليا واسبانيا) مماالئات على الاسـلام يهضمنه من كل ناحية برغم ما بينهن من خلاف . فرنسـا قد عملت عملتها فى مسالة البربر ولم تزل مصرة على سياستها البربرية التى تستعد لها منذ زمن طويل وهى (فرنسة) هذا الشعب وتنصيره ، وقد خاطبت الحكومـة الأسبانية سرا ولم تلبث ان ظهرت نتيجـة تكامل هاتين الدولتين فى الضغط الذى شرعت به اسبانيا فى منطقة الريف بعدم

الاذن لأحد به السفر الى خارج المنطقة الاسبانولية ، وبوضع العراقيل في طريق التعليم الدينى الاسلامى وبغير ذلك من التدابير والأوامر القهرية التى جاءت بها أسبانية ملبية لداعى فرنسته . لقد اتحدت فرنسا وأسبانيا على (عبد الكريم) والأسبان برغم عدم ميلهم للفرنسيين يلبون مطالب هؤلاء في تضييق الخناق على اهل الريف وكذلك عمل الجنرال الطلياني في برقة من اجلاء ٨٠ ألف من عرب الجبل الأخضر الى صحراء (سرت) وحصرهم ضمن أسلاك شائكة في منطقة مجدبة يهلكون فيها من قلة الماء والكلأ حتى يبيدهم بهذه الوسيلة ، ويحل محلهم المستعمرين الطليان . اذن الدول اللاتينية الثلاث حاملة على الاسلام كدين بعد أن حملت عليه كدنيا وطالما أعلنا وذكرنا أنه من لم يكن له دين وان من لم يكن له سلطان فليس له قرآن هذا يدل على ان المستعمرين الجغرافيين يكذبون عليك أفظع الكذب ويضللونك أشنع التضليل عندما يقولون لك ان الدول الأوروبية قد نبذت الدين المسيحى وانها لا تقيم له وزنا ، وانها فصلت الدين عن السياسة ولذلك فقد فازت هذا الفوز العظيم ، وان المسلمين انما تأخروا وتقهقروا من جراء استمساكهم بدينهم وتلاوة قرآنهم » .

وأشارت الفتح الى مخطط الحرب الصليبية في المغرب م ٦ (١٩٣١ — ١٩٣٢) وأنه من رباط الفتح في المغرب أعلنت هذه الحرب ، من اصرار فرنسا على سياستها التبشيرية ، واطلاق أيدى المبشرين والمبشرات في صميم بلاد البربر ، حيث يوجد ٨٠ مركزا للتبشير في مختلف المدن الكبرى في المغرب ، وان جهود البشرين احتلت سهول المغرب وجباله ومناطقه الخاضعة والثائرة ، ويعاود الأمير شكيب أرسلان الحديث عن الحرب الصليبية الجديدة فيقول : ان هذه الحرب ليست قاصرة على الأمم اللاتينية بل ان جميع الأوربيين الا افرادا قلائل هم يكرهون الاسلام ، المبشرون والقسوس سواء كانوا من البروتستانت او من الكاثوليك هم أشد عداوة للاسلام من كل البشر ، دعا شيخ ايطالى : (ايطاليا وفرنسا وانجلترا وأسبانيا) لعقد حلف يكون به هذه الدولة كتلة ضد العرب ، كذلك فعل مورامى الكاتب الفرنسى المشهور . ان فرنسا تسمى مراكش والجزائر وتونس بفرنسة الأفريقية وتفكر في مستقبل هذه البلدان ومستقبل الاسلام بها ، ويبحث الفرنسيس في وسائل محو الاسلام منها

ولو تدريجيــا ، ان محاولة اخراج البربر من الاسلام هو من جملة آمال الفرنسيس ، لزيادة توطيد اقدامهم فى شمالى افريقية ويرون ان شمال افريقيا يبقى تحت خطر الانسلاخ عن فرنسا ما دام أهله مسلمين لأن الاسلام لا يسمح بان يقبل ابناؤه سلطة الاجانب عليهم ، لذلك وجب تحويل مسلمى المغرب ولو بالتدريج الى المسيحية .

وكتب الحسن أبو عياد موضوعا من قصة اخراج البربر من الاسلام.

وأشارت الفتح الى مقاصد ايطاليا وفرنسا وأسبانيا فى شمال افريقيا (م ٦ الفتح ص ٣٥٤) فقالت : لم تعد هذه الدول مقتنعة بالفتح والاستيلاء وضرب الذلة على السكان المسلمين فى هذه الأقطار ولكنها آخذة فى طرق نشر ثقافة وديانة فرنسا وايطاليا وبالاختصار قلع الدين الاسلامى من تلك الاقطار لتحل محله النصرانية وبالأخص الدين الكاثوليكى .

— ٢ —

تنصـــير البربر :

وأولت الفتح اهتمامها بقضية تنصير البربر فكتبت فى المجلد السابع (ص ٧٠٤) فصلا مطولا اشارت فيــه الى سياسة فرنسا التى تعمــل على احياء الأعراف (جمع عرف وهى العادة) البربرية القديمة قبــل الاسلام وادماجها فى القانون الفرنسى وتكوين خليط منها تفرضه على المغاربة حتى يتحاكموا اليه بدلا من القانون الاسلامى ، وقد بدأت فرنسا بتطبيق هذه السياسة ١٢٧٦ هـ — ١٨٥٩ م فبعد ان كانت أحكام الشرع الاسلامى هى مرجع البربر وجميع المغاربة فى اقضيتهم ، أصدرت فرنســـــا قانونا فى الجزائر يحرم القبـــائل البربرية من احكام الشريعة الاسلامية وزعمت ان مسلمى البربر هم الذين طلبوا احياء أعرافهم الجاهلية وتأليف انظمة قضائية واحلالها محل الشريعة الاسلامية ولم يأت عام ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م حتى قامت هذه القبائل بثورة مسلحة تحت قيادة سيدى المقرانى وحاصرت حصون الفرنسيين ومعسكراتهم وأخيرا فرضت فرنسا على هذه القبائل غرامة حربية بلغت ٣٦ مليون فرنك فرنسى وضبطت جميع أملاكها ووزعتها على مهاجرى الالزاس واللورين (نصف مليون هكتار) وأصدرت فرنسا

أمرا جديدا ١٨٧٤ م — ١٢٩١ هـ يقضى بالغاء الجماعات البربرية وابطال اختصاصاتها القضائية وفرض على القبائل البربرية أن تحاكم الى قضاة فرنسيين يتولون الحكم بين افرادها وفق العادات البربرية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية ، فضلا عن القيود المدنية والأملاك العقارية ، ثم نزعت قضاتهم وأصبح قاضى الصلح فرنسيا ثم اوكلت جميع أعمال المحاكم الاسلامية الى محاكم الصلح الفرنسية وجاءت فرنسا الى المغرب ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م على اساس معاهدة أطلقت عليها معاهدة الحماية التزمت فيها بأن جميع الاصلاحات التى تقوم بها داخل المغرب الأقصى لا تمس الدين الاسلامى بسوء فى قليل ولا كثير ولكن فرنسا لم تلبث أن بسطت سلطانها على المغرب الأقصى تحت ستار معاهدة الحماية وقد جاءت فرنسا الى المغرب الأقصى غارقة فى حلم الامبراطورية الفرنسية بأفريقيا ومشروع انشاء فرنسا أفريقية على ضفة البحر المتوسط مقابل فرنسا الأوربية على الضفة الأخرى ، وتحمل معها منهجا استعماريا خطير التحقيق : ذلك المشروع هو منهج السياسة البربرية حيث يصبح المغرب الأقصى كالهند لانجلترا .

وكان القائد ليوتى هو واضع برنامج الاستيلاء على المغرب تكملة للجزائر ولم تكن حكومة الحماية لتستقر فى الرباط حتى انشئت مدرسة اللغة العربية واللهجات البربرية ١٣١٣ تمهيدا للسياسة البربرية فى المغرب الأقصى ، وقد استصدر (ليوتى) ظهيرا لم يسبق له نظير فى تاريخ المغرب كله منذ دخل الاسلام ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م قرر فى مقدمته نفس النظرية الفرنسية فى السياسة البربرية بحذافيرها بينما علماء الانثربولوجيا يعترفون بأن الغرب الأقصى ليس فيه اليوم الا عنصر واحد هو وليد العنصرين العربى القديم والبربرى والأندلسى المعاصر المكون منهما وان القبائل البربرية هى التى لا تزال اللهجات القديمة شائعة بينها وان القبائل العربية هى التى لا تعرف تلك اللهجات بينما علماء الابتوغرافيون يسجلون ان القبائل المغربية — بربرية وعربية — قد التحم بعضها ببعض وخضعت جميعها لظروف واحدة ، ويسجلون كون القبائل المغربية اليوم انما هى قبائل جديدة تكونت تكوينا جديدا تحت تأثير الاسلام والعروبة ويثبتون

صعوبة التميز بين القبائل من أصل عربي أو بربري ، الأمر الذي له تمام الدلالة على أن الأمة المغربية أمة متوحدة ذابت فيها العناصر المختلفة ونشأت نشأة جديدة ولا يوجد الا جنس واحد هو الجنس المغربي المسلم ، اذ فرنسا تجنت على التاريخ والحقيقة الواقعة بدعواها انه لا يزال يوجد في المغرب جنس خاص يحمل خصائص معينة هو الجنس البربري لتتخذ من ذلك تكأة تتكيء عليها في تنفيذ سياستها البربرية وتفتات على الحقائق بأن هنـاك الى جانب القوانين الاسلامية المغربية قوانين بربرية تختلف عن قوانين الاسلام تمام المخالفة كما تختلف أعراف الجاهلية عن تعـاليم الاسلام ، وقد عملت فرنسا على جعل اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للجماعات البربرية وأقامت جهات قضـائية يتحاكمون فيها على أسـاس أعراف البربر القديمة (محمد المكي الناصري — ص ٧٠٧ م ٧ سنة ١٩٣٣).

— ٣ —

ووالت الفتح اهتمامها فتحدثت عن الظهير البربري (١٦ مايو ١٩٣٠ م ١٣٤٨ هـ) الذي تنازل فيه ملك المغرب للحكومة الفرنسية عن حق التدخل في شئون البربر الدينية والمقرون بانشاء محاكم عرفية للبربر تنظر في كل شئونهم المدنية والجنائية وقالت الفتح ان هذا الحادث حلقة من سلسـلة يتألف منها خطة مرسومة لتنصير المغرب الأقصى ، وكان الابتداء به من البربر لأنهم يتألف منهم الأكثرية الساحقـة ، ولأن سـوادهم الأعظم ليس لهم من التهذيب الديني ما يكون لهم من المناعة الكافية لدرء خطر التنصـير .

وأشار الى دعوى الفرنسيين من أنهم جاءوا المغرب لينقذوا البربر وينتقموا لهم من العـرب الذين احتلوهم وسلبوهم المسيحية من أفئـدتهم وانهم عاملون على ارجاعهم الى حظيرة الكثلكة والصليب ومما يدل على ذلك افتتاح الفرنسيين مدارس في أوساط البربر خالية من كل ما يذكر بالعربية والاسلام ، وهذه المدارس منها ما هو للبنين وما هو للبنات ، تومىء بالبنات على خلاف رضى أبنائهم ، ينقلون مبادىء الفرنسية والدروس المسيحية في كتب المطالعة تمجيد للمسيحية وتأليه لفرنسا وشتم للعرب وانتقـاص من كرامة المسلمين .

واشار الى لجوء المغاربة الى بيوت الله وضراعتهم الى الله اللطيف ان يكشف عنهم البلاء العظيم ، هذا الظهير يحظر على البربر أن يتحاكموا الى الشرع الاسلامى وقد منعت الادارة فى تطبيقه بناء المساجد وقراءة القرآن والتعليم باللغة العربية .

وقد وجه السيد محب الدين الخطيب نداء قويا الى المسلمين بهذه المناسبة يدعوهم الى مؤازرة اخوانهم فى شمال أفريقيا فقال :

ايها المسلمون : أنتم تستقبلون حربا صليبية لا تعد حروب زمن صلاح الدين فى جانبها شيئا مذكورا ، ان الحرب الصليبية الماضية كانت بالسيف والترس ، أما الحرب الصليبية العصرية فانها بالمدارس والمؤلفات والدسائس والدعايات ، وكل ذلك يرمى الى هدم الاسلام من قلوب المسلمين .

وقد وجه النداء من القاهرةالى ملوك الاسلام ونداء من الأزهر فى مصر الى الزيتونة فى تونس الى القروين فى فارس الى تيولند فى الهند ومعهد النجف فى العراق وجمعيات دلهى واندونيسيا وسومطرة وجاوا وجاكارتا والقدس وبيروت والصين وقع عليه : عبد الحميد سعيد ، رشيد رضا ، الزنكلونى ، ابو العيون ، شلتوت ، الربيعى ، الدرديرى ، الهلباوى ، محب الدين الخطيب ، الحسنى ، دراز ، الفخراوى ، جودت ، طنطاوى جوهرى ، الفاروقى ، يونس الأندونسى . تحت عنوان : محاولة تنصير ٧ ملايين من المسلمين واخراجهم عن دينهم بالقوة .

وكشفت الفتح عن مدى رد الفعل فى المغرب والثورة الفكرية القائمة على سياسة تنصير المسلمين ، وكتبت جمعية المحافظة على القرآن وجمعية الهداية وجمعية الشبان وجمعية اللواء الاسلامى برقيات احتجاج على التنصير الاجبارى وسياسة فرنسا المكشوفة بالمغرب الأقصى ، وفى نفس الوقت تتابعت الأحداث واعلان أنقرة اغلاقها لثمانين مسجدا ، واستيلاء ايطاليا على بعض زوايا السنوسية واخراج فرنسا البربر من الاسلام بحجة أنهم نصارى وأنهم عرق أوربى وتتابعت الأحداث فكتبت الفتح

عن « الحملة الصليبية التاسعة فى المؤتمر الافخارستى فى قرطاجنه فى تونس » .

قالت : أعلن البربر سخطهم على الخطة الدميمة التى سلكتها فرنسا بقصد ابعاد الأحكام الاسلامية عن الحياة البربرية ، وبلغ عدد المعتنقين من أبناء القبائل البربرية أربعة آلاف رجل ، رغم كل الوسائل التى اتخذت لاظهارهم مظهر الراضين ، عن الظهير المشئوم كاف لاعلان ان تلك المزاعم كاذبة ، فهم لا يفضلون عاداتهم الجاهلية على احكام الاسلام وتحدثت الفتح عن ثورة قبائل البربر فى سبيل الاسلام (حزيقة ، وخيفزة ، وابت شمر وشين ووادى أم الربيع ، واولاد عمران) كلهم ثائرون على فرنسا .

— ٤ —

وأولت الفتح اهتمامها بمرور مائة سنة على استعمار الجزائر (الفتح م ٤ ص ٧٨١) ١٣٤٨ هـ — واشارت الى صرخة احمد زكى باشا شيخ العروبة الى حجاج بيت الله والى جميع العرب والمسلمين بمناسبة احتفال المسيطرين عليها بمضى مائة عام على استعمارهم لهذه الأقطار العربية ونحو اخوانهم فى طرابلس الغرب ، قال : الله ينظر لكم ، الرسول يتقاضاكم ، الاسلام يطالبكم بدعوة الحجاج الدعاء لله مخلصين لرحمة اخواننا ، لنرحم اخواننا بالمشرقين والمغربين وخاصة بالجزائر وطرابلس فقد نزلوا بتخاذلهم وبتغاضينا عنهم الى أقصى دركات المذلة والهوان واليوم يحتفل الغاصبون للجزائر فى الجزائر برسوخ قدمهم على أعناق العنصر الوطنى ويتشدد المفترون على طرابلس ، فى طرابلس لازهاق الروح العربى ، وكلاهما قد جعل اهل المغرب فى بلادهم عبيدا فى ديارهم ، تولوا للحجيج بكل لسان وبكل وسائل النشر والاذاعة والاعلان ، ان الفريضة ليست مقصورة على هرولات وحركات بل لهـا ذلك المعنى السامى البعيد المرامى الذى اراد به القرآن فى ذلك الميقات السنوى تعرض الجهود لتوحيد الصفوف لتعود الأمة الى سيرتها الأولى وتقيم صرح عظمتها الجديد على قواعد الوطن والأخلاق والدين » .

وتحدثت الفتـح عن عمل فرنسا في الجزائر في مائة سنة فقالت :

احتفلت فرنســا بمرور مائة سـنة على احتلالها للجزائر ، وقالت الصحف اننا نود للجزائريين أن يصيروا مثلنا وان يتأدبوا بآدابنا وحينئـذ ينهضون من الدرك الذى وضعوا فيه أنفسهم ، بمحافظتهم على تقاليدهم واحوالهم .

● وتحدثت الفتح (م ٦/٩٧) عن خطر التيجانية وولائها للاستعمار الفرنسى ، وقالت ان صاحب السـجادة الكبرى التى خطـابا بين يدى الكونتول سيكلونى الفرنسى تحـدث فيها عن الخدمات الجليلة الصالحة التى قامت بهـا الطائفـة التيجانية لفرنسـا فى توطيد الاستعمار الفرنسى وفى سبيل تسهيل مهمة الاحتـلال على الفرنسيين وفى اشارات التعقل التى كانت تسببها هذه الطريقة الصوفية لمريديها .

وتحدث الفتح عن ما اسمته عيد الرقى المئوى للمسلمين فى الجزائر : جاء فيها ان الجزائريين طالما احتجوا على هـذا التحكم لما وقع فى ثورة السيد سليمان بن صندة الأباسنجى ١٢٨١ وثورة السيد المقرانى والشيخ الحـداد ١٢٨٨ ثم ثورة أبى زيالة العلمى ١٣٧٨ لان المسـلم الجزائرى غريب فى وطنه الى حد انه لا يتمتع بالحقوق القضائية والمدنية والسياسية التى يتمع بها اليهود والأجانب المقيمون فى الجزائر ، فضـلا عن انشاء الخمارات ودور الفسق وتدمير مآذن المساجد وقبابها بالمدافع .

● وتحدثت الفتـح (م ٣/٣٥٤) عن الجراء وطن عربى تقطنـه خمسة ملايين عربى وبربرى مسلمون منذ اربعة عشر قرنا كاملة ، والأحكام كلها فرنسية ، منها قضاة الصلح الافرنسيس ومجلس القوانين الفرنسية والتعاليم كلها فرنسية اجبارية وبقيت كلمات الأهالى كلها فرنسية ينطقونها عربيـة .

● واشارت الفتح الى انه صدر فى باريس كتاب عنوانه (فتح الجزائر الدينى) الفه شانوان حول تورنيه ٢٦٠ صفحة تكلم فيه عن تقدم الدعوة النصرانية فى بلاد الجزائر رغم صلابة اهلها في الاسلام ونفرتهم من الاتصال

بالرهبان والراهبات وان العالم الكاثوليكي يرى ان فتح الجزائر الدينى أدعى الى الفخر من فتحها السياسي والعسكرى ».

— ٥ —

● وتحدثت الفتح عن طرابلس الغرب وقالت ان أمتها امة مسلمة تساق الى الفناء فأين المسلمون ، وقالت انه منذ سبعة سنوات اعــدم عمر المختار وفى هذا العام (ديسمبر ١٩٣٦ - م ١٣ الفتح) أعدم فرحات السعدى ، منذ قضى الايطاليون على حركة السيد عمر انصرفوا الى تنفيذ ما رسموه من خطط لافنــاء الشعب الطرابلسي ، ان برقة الآن اصبحت ملكا للايطاليين وهم يمهدون لاسكان خمسة عشر الف ايطالى ».

● ونشرت الفتح (م ٥/٧٢٢ ، ١٩٣١ م - ١٣٤٩ هـ) مقالا عن مطامع الطليان فى طرابلس الغرب ، بقلم شكيب ارسلان جاء فيه : ان نية ايطاليا حمل الطرابلسيين على النصرانية تدريجيا غير خافية ، وسياســة ايطاليا فى طرابلس الغرب وبرقة ، سياسة اصطدام واستئصال لمسلمى هاتيــك البلدين ، ونزع املاك القبائل السياسية وزحف الايطاليين على الكفرة ، وقد جعلوا زاوية السنوسي الكبير خمارة سكروا فيها وشربوا تحت أفناء مسيحى طرابلس وبرقة وداسوا على المصاحف الشريفة والقوها بين سنابك الخيل واشعلوها تحت القدور ، وقد قتل من أهل الكفرة ٢٠٠ شــهيد ، ومثل بأعراض ٧٠ عائلة من عائلات الاشراف ، وأن ٨٠ الف عربى نزعوا من ايديهم بلاد الجبل الأخضر ، وأرسلوهم الى بادية (سرت) القاحلة ».

— ٦ —

● وتحدثت الفتح عن الاستعمار الأوربى فى المغرب (م ١٢ ص ٦٤٦) قالت : ان الاستعمار الأوربى يقف مندهشا امام التطور العجيب الذى يرافق حركة الجامعة العربية فانه بعد توغل الفرنسيين فى شمال أفريقيا واحتفالهم بذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر كان يظن ان الشمال الافريقى سيظل فى عزلة عن الشعور القومى الذى يلهب العالم العربى فى آسيا ، ولكن الحوادث الأخيرة التى وقعت فى الجزائر وتونس ، والثورة المشتعلة فى المغرب التى اضطرت فرنســا الى الاستغناء عن عميــدها فى باريس

جاءت دليلا على ان الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر وصبغها بالصباغ الفرنسى ، كان مرتكزا على خطأ ، ففى الواقع ان نفحة من نفحات الوطنية فى العراق وسوريا ، كانت كافية لاثارة الاحساسات القائمة فى الصدور ، ثم جاءت حوادث فلسطين وثورتها فاشتعلت النار فى جميع افريقية حتى اصبح الذين لم يكونوا يحلمون قط بالخروج على ما الفوه من حياتهم يتظاهرون بالرغبة فى اخراج الفرنسيين ليس من الجزائر وتونس فقط بل ومن جميع افريقية الشمالية وسرت العدوى الى البربر الذين حاولت فرنسا ان توجد لهم كيانا خاصا فان هؤلاء بمجرد سماعهم بانباء النضال بين الاستعمار الانجليزى والفرنسى وبين العنصر العربى قاموا يؤيدون الحركة الرامية الى استقلال البلاد الافريقية فهم يجاهرون علنا بان لا مندوحة من تأسيس امبراطورية عربية تشمل جميع مقاطعات واقاليم افريقيا الشمالية ويراس هذه الحركة الجديدة التى نبهت فرنسا الى الخطر المحدق بها شباب تعلموا العلوم الحديثة فى باريس تحت مراقبة اساتذة فرنسيين واول ثمرات هذا التعليم كانت محاولة جريئة الى تحطيم الاستعمار الفرنسى .

— توجد دراسات هامة عن البربر وشمال افريقيا .

(م ١٣ الفتح ص ١٢١٨/١١٩٨/١١٦٨) .

الفصل الخامس

قضية مسلمي الهند وقيام باكستان

فى اطار اهتمام الفتح بقضايا العالم الاسلامى كان اهتمامها البالغ بقضية مسلمى الهند وموقف الهندوس منهم وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب (م ٦ الفتح ١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م) تحت عنوان « الهند ومطالب المسلمين » قال فيه : نحن حذرنا ولا نزال نحذر اخواننا المسلمين من السير مع الهنادك بدون قيد ولا شرط . وقال : ان سير بعض المسلمين فى الهند مع الهنادك فى سبيل الوطن راضين ان يكونوا عبيدا غير مشترطين على ابناء وطنهم شروطا تؤمن مستقبلهم منذ الآن لا يكون من ورائه الا الندم والندامة ، على ما فات والوقوع فى القتال والنضال والأهوال الثقال . ولما كانت الكلمة العليا للمسلمين فى الهند فى الماضى كانوا يخوفون الهنادك يقولون لهم ان المسلمين سيعودون الى سلطنة الهند ويتولونها استئنافا لما تولوها بداية ، وبهذا كان يشقون الهنادك على المسلمين ويصدمون الوحدة الهندية والآن عندما صار الهنادك من ذوى الكلمة العليا فى الهند أخذ الانجليز يخوفون المسلمين من مشروع استقلال يصير فيه الحكم بأيدى الهنادك على حين لا يبقى للمسلمين ملجأ يلجأون اليه اذا عسفتهم الأكثرية المجوسية . نحن نظن أن التوفيق بين الفريقين غير مستحيل لو خففت الهنادك من غلوائها وذلك بأن يكون لأهالى البنجاب والبنغال والسند حق فى أن يرتضوا من قرارات المجلس الهندى العام ما يرونه ماسا بمصالحهم وأن يقبلوا ما يوافقهم ، وأن تكون تلك البلاد مستقلة بحكمها الا اذا هجم عليها عدو اجنبى عن الهند من الخارج يتحتم على جيوش جميع البلدان الانضمام الى الجيش الهندى لدفع العدو » .

● وتحدث الشاعر الاسلامى محمد اقبال عن تاثير المسالة الهندية على مسلمى الهند (م ٦) اشار فيها الى موقف مسلمى الهنـد من حركة

تحرير الهند ، ففى حركة عدم التعاون التى بدأت سنة ١٩٢٠ كان من الذين قاموا بها وقبض عليهم وزجوا فى غياهب السجون فى أثناء القيام بهذه الحركة ٨٠٪ من المسلمين رحاول المسلمون جهد طاقتهم ١٩٢٣ — ١٩٢٧ ان يتفاهموا مع الهندوس فعقدت جملة مؤتمرات وكان موضوع الاغلبية الاسلامية فى مقاطعتى البنجاب والبنغال هى الصخرة التى تتكسر عندها هذه الاجتماعات »

وكتب السيد محب الدين الخطيب (م ٦ سنة ١٩٣٣ ص ٥١٣) مقالا هاما عن وضع المسلمين فقال : فى الهند فكرة خبيثة يسعى لنشرها عباد البقر ويتنمون انفسهم بصحتها وضرورة تحقيقها وهى ان البرهمية هى دين الهند الوطنى وان مسلمى الهند صبأوا عن ملة آبائهم الاولين فيجب ردهم اليه بكل وسيلة واذا كان الحكم البريطانى الحاضر يحول دون استعمال أساليب القسوة فى تحقيق هذا الغرض فيجب أن يكون تحقيقه من غايات الاستقلال ، وقال ان نجاح الهنادك فى تكفير ١٧٠ مليون مسلم وارجاعهم الى عبادة البقر لولا أن انقذهم الله وتمكن من هدايتهم ، كتب راجيال الهندى كتابا من الرسول (صلى الله عليه وسلم) هاج له مسلمو الهند وغضبوا وقدموه الى المحكمة ، وقامت المعارك الدموية فى المدن الكبرى بين المسلمين وعباد البقر » واشارت الفتح الى مبلغ الظلم الذى حاق بمسلمى الهند وليعتبر بما جرى عليهم فى كشمير فى المدة الأخيرة ، اغلبية مسلمة والقيادة هندوكية فهم يمنعونهم من خطبة العيد فى المسجد الجامع ، ويحكمون على من يذبح منهم بقرة بالسجن سبع سنوات ، ومن اراد ان يدخل فى الاسلام من الوثنيين تصادر الحكومة أمواله وتنتزع منه زوجته وأولاده »

ومن ذلك كانوا يلقون المصاحف على الأرض ويطؤونها بنعالهم ، تلك هى امة غاندى التى يطلب منها المسلمون ضمانات على حريتهم الدينية ويقولون بكل صراحة انهم لا يأتمنونها على مستقبلهم . وتتالف الهند من ١٤ ايالة ، تسع منها مسكونة بأكثر من مبدأ الهنادك وخمس مسكونة باكثرية المسلمين فالمسلمون يريدون ان يكون لهم الأمر فى الايالات الخمسة الاسلامية مدة يتموا فيها لملتهم محاكم شرعية ومدارس ذات مفاهيم مستمدة

من الثقافة الاسلامية ، بينما يكون للهنادك مثل هذا الحق فى الايالات التسع ، ومن الثابت ان الهنادك يراوغون ويخادعون للتخلص من اتفاق صريح فى هذا البلد ».

عقد مؤتمر سملا ١٩٢٧ وقد شهد العالم بأجمعه على غاندى فى مؤتمر المائدة المستديرة انه هو الذى رفض الاعتراف للمسلمين بحقوقهم ، ولما وفق المسلمون بين الاقليات الهندية كلها فاجتمعت كلمتها وجاءت تطالب الاكثرية الهندوكية بحقوق الاقليات حاول الناسك غاندى ان يلقى بذور الشقاق بين المسلمين والاقليات الأخرى ، ان غاندى أحد الهنادك وهو على رأيهم فى الخطة التى اختطوها لأنفسهم نحو الاسلام زعم ماقدون العزم على العمل بالوسائل المشروعة وغير المشروعة لحمل الاجيال الآتية من مسلمى الهند على العودة الى عبادة البقر وهم يظنون ان هذا فى مقدور أيديهم ويغريهم باعتقاد هذا الظن ما يرون من انخداع بعض شباب المسلمين بهم » .

وتداولت الفتح قصصا كثيرة لأحداث حدثت فى اضطهاد المسلمين ، ومن ذلك ينعقد حكم الاعدام فى المسلم الغيور عبد القيوم الذى قتل فى المحكمة الهندوكى البذىء الذى الف كتابا شتم فيه سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأى عبد القيوم ان انظمة الهند لا تعاقب هذا الهندوكى الملعون بعقوبة الاعدام وهى اقل ما يستحقه ، ضحى بنفسه وقتله فى قاعة المحكمة على مرأى من الجميع .

● واشارت الفتح الى تعصب الوثنيين وقيام المسلمين بتأليف جبهة اهلية للدفاع عن انفسهم كما اشارت الى الاضطرابات الطائفية التى لا تنقطع بين المسلمين والوثنيين فى الهند ، وخروج الوثنيين بمظاهرات عدائية بموسيقاهم وقرودهم بمسجد المسلمين فى وقت الصلاة لمضايقتهم والتشويش عليهم واشار رئيس حكومة كانبور الوطنية الوثنية بما قام به البوليس لكبت عواطف المسلمين ولم تشر الصحف الوثنية على بكرة ابيها بكلمة واحدة الى هذا الحادث الذى ادمى قلوب المسلمين جميعا فى كانبور وهم يسامون فيها أشد انواع الذل والهوان » .

وكانت هذه الأحداث مدعاة الى اعلان المسلمين اقامة كيان مستقل لهم هو دولة باكستان .

● واشارت الفتح (م ١٧ سنة ١٩٤٦) الى أن مسلمو الهند يتقدمون نحو أهدافهم السياسية ، فقالت ان فكرة باكستان كانت أملا من الآمال النظرية قبل الحرب الأخيرة ولكن ثبات مولانا محمد على جناح وشدة ايمانه بهذه الفكرة أدى الى تجميع مسلمى الهند من حوله ، وما زالت الرابطة الاسلامية تتسع وتقوى شوكتها حتى صارت ممثلة لمسلمى الهند بأكثريتهم الساحقة مائة مليون من مسلمى الهند فى صف زعيمهم جناح ، وتحدثت الفتح عن العقبات المثارة فى طريق تحقيق فكرة تأسيس دولة باكستان الاسلامية .

● وقالت الفتح : ان باكستان معناها (الوطن الطاهر) حروف الكلمة منتزعة من أسماء الأقطار الاسلامية الخمسة التى يراد تأليف المملكة الجديدة منها (بنجاب ، بشاور ، كشمير ، السند ، بلوجستان) أكثرية اسلامية تتمثل فى ٩٠٪ + مناطق ٥٥٪ .

● وتحدثت الفتح عن قيام دولة باكستان التى انفردت الفتح من دون الصحف الاسلامية فى خارج الهند بنشر البيانات عنها قبل الحرب وفى خلال الحرب وفى كل مناسبة ، وقالت ان هناك مائة مليون من مسلمى الهند وراء محمد على جناح ، المسلمون ينادون بأنهم أمة استكملت عناصر الحياة ، واسباب الوجود الملى والدولى وانهم يأبون أن يكونوا أقلية فى كيان تغلب عليه الوثنية ، وقالت ان الأقطار التى للمسلمين فيها اكثرية متجاورة ومتصلة ببعضها مع بعض فهى صالحة لأن تقوم فيها الدولة المنشودة » .

الفصل السادس

مسلموا اندونيسيا

- ١ -

اولت الفتح اهتمامها الواسع بقضية مسلمى اندونيسيا وجهادهم فى سبيل الحرية وكشفت عن الصراع بين دعاة القومية وبين دعاة الاسلام ، وقد تحدثت الفتح عن (النضال) بين الحركة الدينية والوطنية الحرة ، وتقهقر الملاحدة أمام الاسلام ، وقد كتب عبدالله نوح (م ١٥/١٩٣١) وقال:

فكرتان احداهما تقول بوجوب انهاض قومية اسلامية مثبتا يكون جزءا مهما فى بناء الجامعة الاسلامية التى هى الوسيلة الوحيدة لاعلاء كلمة الله ، ونيل سعادة الدارين . والأخرى تعمل على تأسيس قومية محلية لها ميزانها الخاصة وامانيها الخاصة على أن الفكرتين يتفقان فى نقطة واحدة هى استقلال اندونيسيا . الفكرة الأولى قام بهما رجال نفخ الله فى نفوسهم روح العزة والايمان ومع نشاط الحركة التبشيرية فقد عرفوا ان الاسلام هو القوة الفعالة فى انهاض الامم المستضعفة فعملوا لاجل هذه الفكرة الى تاسيس جمعيات عدة منتشرة فى الجزائر الاندونيسية تعنى بكل ما من شانه حفظ الاسلام واظهار محاسنه من اصدار جرائد والقاء محاضرات وتأسيس مدارس وبناء مستشفيات وايجاد ملاجىء للأيتام وتاليف فرق للكشافة ، واهم هذه الجمعيات :

- شوكت اسلام : الحاج عمر سعيد واقوس سالم والدكتور سوكيمان .

- الجمعية المحمدية التى كان لها من المدارس ما يزيد على خمسمائة مدرسة بين ابتدائية وثانوية وجرائد ومطابع ومستشفيات وملاجىء للأيتام .

- الجمعية الأحمدية .

وقد زادت الجرائد عن ست عشرة جريدة (شهرية واسبوعية) ومن المنتظر صدور جريدتين يوميتين .

الفكرة الثانية : تعد رءوس المتعلمين الذين تخرجوا من مدارس خالية من روح الاسلام محجوبة عن نور الايمان فتولدت منها جمعيات وطنية ، وهم يعلنون الحياد بين الأديان في سبيل توحيد الأمة الأندونيسية التي أكثريتها مسلمون .

وتتكون أيضا من ملتقى الديانتين البوذية والنصرانية ، وقد تبين أن الزعماء المتظاهرين بالحياد واحترام الأديان ملاحدة يسعون في هدم الاسلام الذي هو دين الأكثرية .

- ٢ -

وفي مؤتمر الاستشراق في ليدن ١٩٣٢ ألقى أحمد بلافريج خطابا قال فيه : أن وزير معارف هولندة قال : ان هولندة لم تقصد في التبسط بأطراف آسيا التجارة والمكاسب المادية فقط ، بل قصدت بذلك نشر حسنات الدين المسيحي ومن حيث أن الوزير تلا خطابه بالفرنسية فقد اعجبت جدا بهذه الجملة لأنها دالة على صراحة وشهامة وأنفة وابتعاد من الرياء وقصد الى الغرض على سواء وبروزها من فم رجل رسمي كهذا من رجال الدولة الهولندية في محفل عظيم كهذا له معناه ولا سيما اذا كان الفعل مرافقا للقول فان البعثات الدينية التبشيرية مالئة الجزائر الأندونيسية من أقصاها الى أقصاها ، وقد نصرت الى الآن عددا كبيرا من المسلمين ولاسيما من فقرائهم وأيتامهم أقل ما قدروه به مائة ألف نسمة ولا شك أن الحكومة الهندية تحمي هذه الرسالات الدينية وتنجدها فلا عجب ان وجدت الرسالات التبشيرية تحت جناحها النجاح الذي نرجوه ، ان وزير حكومة هولندة يجاهر بعمل حكومته لخدمة الدين المسيحي أمام محفل انتظم فيه ألف أستاذ في جميع أمم الأرض من بينهم ٢٠ مسلما وذلك في ٦ سبتمبر ١٩٣١ في القرون الوسطى وما كانت هولندة دولة رجعية ولا متأخرة عن المانيا وانجلترا وفرنسا بل هي ممن الكشف مع الكشف .

● وتحدثت الفتح (المجلد السادس) عن اضطهاد الدين الاسلامي تحت حكم هولندا في أندونيسيا ، قال : تعصب الهولنديين على الدين الاسلامي فهم يكفرون بمبدأ حرية الأديان بل انهم يفضلون دين بوذا الجاحد

لأنبياء التوراة على نبي محمد المنزل لهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد مضوا فتاقصونية بوذية من ان تكون مسلمة واعادوها الى المحكمة ليسمعوا قولها واقوال البوذية في استلابها وحلولها ثم نقلتها الى الصين ومنعها من تحقيق رغبتها ومن اعتناقها ... وانصرفوا وحكمت المحكمة بالسجن على المسلم الذى اهتدت الفتاة الى الاسلام بارشاداته ولو ان هذه الصينية أرادت أن تتنصر على يد قسيس من دعاة النصرانية لحموها ولتبجحوا بكلمة حرية الأديان وكانت تنهال عليها الهدايا والمكافآت ».

— ٣ —

وتحدث الامير شكيب ارسلان عن القومية والاسلام في اندونيسيا (م ٥٧٨/٥) فقال: ان المبادىء القومية الأندونيسية التى ستنهض بذلك الوطن بزعمهم هى غاية ما تبتغيه هولندا هناك وان هذه هى الأمنية التى تحلم بها من قديم الزمان حتى تتصدع قوة هؤلاء الخمسة والاربعين مليون مسلم ، الذين تحت سلطانها وتتفكك روابطهم ، ولو كان هؤلاء على شىء من الاطلاع لكانوا قرأوا كلام المستشرق الشهير والسياسى التعريسى : سنوك هرونجه الهولندى ، أشهر الهولنديين بسياسة أندونيسيا والاسلام الذى يحذر بها على هولندة من خطر هذه الرابطة الاسلامية ولا يجد لهما علاجا الا احياء القومية الأندونيسية بازاء الاسلام ، فالقومية الاندونيسية لا تؤلف خطرا اكيدا على هولندة الا اذا كانت راجعة الى الجامعة الاسلامية ولهذا نجد الطبيب السياسى الهولندى يبشر بقومية أندونيسية مجردة من الاسلام بل مقاومة له ». وقال : اذا ارتفعت العقيدة الاسلامية من الوسط ماية قوة معنوية بقيت للوطنية الاندونيسية وأى مرجح لمدنيـة الجاوى على مدنية هولندة ».

واذا ارتفع الاسلام من الميدان يعود من العبث استبدال الوطنية الأندونيسية بالوطنية الهولندية ويصير الاندماج في الهولنديين .. تماما هو أصح الآراء فالاسلام وحده لكل هذه الشعوب هو الحصن الحصين المانع من الانهيار واعادة الوحدة المانعة من الذوبان لذلك دول الاستعمار لا تكره شيئا ولا تخشى شيئا كالقرآن ».

● وأشارت الفتح الى ان الأمة الأندونيسية أمة تلقت دين الاسلام على يد دعاته من عرب الجنوب وأخذت بمذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي فاغتبطت به ونبغ من علمائها الائمة في الشريعة والاتقياء الصالحون المؤمنون بان هذه الأمة لن تقوم دولتها الا على العطاء للاسلام وتحرى سننه واحياء شريعته دولته في أدوار قوته والتعاون مع أهله .

● وأشارت الفتح الى المخاطر التي تواجه الاسلام في أندونيسيا (م ٥ الفتح ص ٤٤) فكتبت تحت عنوان « الاسلام في أندونيسيا مهدد من أبنائه وبناته » لاحد كتاب أندونيسيا : فقالت ان الاسلام أصبح عرضة لهجمات متواصلة وانتقاد من أبناء وطننا أنفسهم ، الذين يدعون أنهم زعماء وطنيون ليطعنون هذا الدين على ملأ من الجماهير وعلى صفحات الجرائد ، ومن قولهم ان كل محتويات الدين لا تناسب العصر الحاضر وعلى المسلمين الأندونيسيين الا يتخذوا من بلاد العرب قبلة لهم وان المرأة الاندونيسية صارت مهانة بعد دخول الاسلام الى بلادنا ، وقال ان زعماء الحزب الوطني الأندونيسي بزعامة سوكارنو يطلبون اليه احتواء الجمعية المحمدية ليسهل اتحادها اليهم ، وقال ان سوكارنو يعلن تعظيم رؤساء ديانات الشرك مثل كرشنا وبوذا .

● وتحدثت الفتح من حادثة الحاد كبرى في أندونيسيا (م ٤٦٧/٥) واشارت الى المقالات التي نشرت في صحيفة سوارا عموم بسوربايا وفيها طعن صريح على الاسلام .

واشار الى انهم يدعون الى قومية محررة من الأديان ، وقال ان الوطنية تحتم اقتران ذلك بالدين الاسلامي حيث انه دين غالبية الأمة الأندونيسية وترمى الى تطبيقه على الحياة تطبيقا عمليا .

وقال ان هذان المبدآن يسودان البلاد ولكل منهما انصار واعوان ولكن هنالك الغلو في فهم النظرية القومية والتهجم على الدين ، وهو ناتج من أسلوب التربية التي نشرها الدول الاستعمارية على أبناء كل بلاد

مستقرة ، وقال : ومع احترامنا للاحزاب الوطنية فى اندونيسيا وتقديرنا لجهودها وعملها على انها ضد البلاد والسعى لتخليصها من الاستعمار لا نوافقها على ما قد يصدر من بعضها من نهجم على الدين الاسلامى .

وقال ان هناك ناحية من نواحى الضعف موجودة فى زعماء جمعية « سوربايا » انهم يجهلون تعاليم الدين الاسلامى الحقيقى ، مع انهم مسلمون وابناء مسلمون ، وذلك راجع الى تخرجهم من المدارس الهولندية الحكومية ومن ذلك هجومهم على مكة والحج ووصفه بالصنم العربى .

الفصل السابع

حول قضايا العالم الاسلامي

ولقد عملت الفتح على الاهتمام بمختلف قضايا العالم الاسلامي، وقدمت فى ذلك الشأن حصيلة ضخمة تناولت مناطق متعددة ومن ذلك انها اولت اهتماما بمسلمي تركستان وعلاقتهم بالصين (م ١١/٧٥٦) كما أشارت الى محاربة الاديان فى روسيا وقيام حكومة السوفيت (م ٤/ ١٩٢٩) باغلاق ١٨ مسجدا اسلاميا فى حملة لمحاربة الأديان ، وقد أصدرت قانونا ينظم العمل على مقاومة الأديان ويبيح الدعاية للالحاد فى حين انه يحرم كل دعوة وثنية ويعاقب من يقوم بها وبهذا القانون أصبح من حق الحكومة ان تسحب الأطفال من والديهم اذا علمت انهم يلقنونهم مبادىء الدين ، واغلاق المعابد وتحويلها الى قاعات للسينما ونوادى للملحدين .

● وتحدثت من مسلمي المجر (م ١٩٣١) وقالت ان بلاد المجر كانت جزءا من الدولة العثمانية وكانت بودابست مركزا اسلاميا عظيما وكان فيها مساجد ومدارس وعلماء ومدرسون وشيخ اسلام ، غير ان معاهدة تريانون التى فرقت وحدة المجر مزقت وحدة المسلمين المجريين حيث أصبح اكثرهم فى الخطة التى خرجت من نصيب صربيا والتحق منهم عدد قليل بالنمسا وبقى نحوا من ٣٥٠٠ نسمة فى مملكة المجر ، وقد انقطع الاذان فى بوادبست بعد مرور ٢٥٠ سنة وتجدد الآن لأول مرة فى ٢ اغسطس سنة ١٩٣١ .

● وتحدثت الفتح عن أحوال المسلمين فى جزائر الفليبين (م ٤/ ص ٤٢٢ / ١٩٢٩) وأشارت الى ظاهرة اضمحلال لغة العرب بين اهالى جاوة وسومطرة (م ١٢) وقالت ان هناك ٨٠ الفا من سلالة عدنان وقحطان ، وان هناك عوامل سياسية واجتماعية تتضافر وتتدافع على مهاجمة اللغة العربية وبدا غلبة اللغة الملاوية واللغة الانجليزية على المسلمين واشارت الى وثيقة خاصة بالعراق فقالت تحت عنوان :

ثمن الغاء الانتداب فى العراق :

قالت : طلبت جمعية الأمم ان يضاف الى المعاهدة كل ما يكفل راحة المبشرين ويضمن تبسيط الأجانب ويحفظ لهم استمرار استعبادهم للوطنيين بالامتيازات الأجنبية كما تضمن لطوائف الأقليات استمرار تفوقها على الاكثرية :

١ — حماية الأقليات الجنسية واللغوية والمذهبية حماية فعلية .

٢ — الحقوق والامتيازات الممنوحة للأجانب فى بلاد الشرق الأدنى وحمايتها القضاء القنصلى والحماية كما كانا مقررين فى عهد السلطة العثمانية وفقا للامتيازات الأجنبية والعادات المرعية .

٣ — حماية المصالح الأجنبية من جميع الوجوه القضائية والمدنية .

٤ — حرية الفكر وحرية المذهب وحرية التعلم الدينى والمدنى وحرية البعثات من جميع المذاهب .

٥ — الحقوق التى نالها أصحابها فى عهد الانتداب بأى طريقة مشروعة (م ٦) .

● واشارت الفتح الى مشروع سوريا الكبرى الذى كان مطروحا عام ١٩٤٦ وقالت انه بشكله الذى يتقدمون به الينا معناه تثبيت اقدام اليهود فى فلسطين سياسيا وعسكريا باقامة دولة لهم فى شطر منها وهو الشطر الخصيب ومعناه ايضا اتمام مهمة الحروب الصليبية باستقرار انجلترا فى مدينة بيت المقدس والبقاع التى جندت حملات الصليبيين القديمة لاجلها ثم الضحك علينا باضافة بعض الجبال الحجرية من فلسطين الى المستعمرة البريطانية التى تسمى شرق الأردن وشغل افكار المسلمين والعرب عن هذه النغمة الخائنة القائلة باقامة مملكة تسرى فيها أحكام مستعمرة الاردن شرقية وغربية على جمهورية سوريا بعد أن انعم الله عليها بالاستقلال .

● وتحدثت الفتح عن فرقة النصيرية ، حيث ورد أول ذكر لها فى (مجلد ٧) سنة ١٩٣٣ يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : انه ما وقعت حرب بين الصليبيين والمسلمين او بين الكفار - كالتتار - والمسلمين الا كان النصيرية فى جانب اعداء الاسلام يحاربون معهم ويدلونهم على عورات

المسلمين » وفى الصحيفة ان النصيرية كذلك كانوا منذ وجد مذهبهم الى اليوم لم يشذ عنهم الا الشيخ صالح العلى فى أيام استقلال سوريا بين زمن الهدنة ودخول غورو مدينة دمشق ، وفى ظروف المعاهدة التى تحل محل الانتداب بين سوريا وفرنسا فان السنيين من سكان اللاذقية واطرافها كانوا يميلون الى الانضمام للوحدة السورية ولكن النصيرية الذين كانوا دائما البا على الاسلام مع كل من ينقض سلطانه كما رآهم ابن تيمية فى الحروب الصليبية وكارثة التتار ما زالوا سائرين على خطتهم القديمة وفى موضع آخر قالت ان النفوذ الاجنبى فى سوريا يمنع خطباء المساجد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ».

● وفى فصل موسع تحدثت الفتح عن أن النصيرية : لا يزالون كما كانوا فى حروب الصليبيين قالت : المتتبع لتاريخ النصيرية فى سوريا يرى منهم اعوانا لكل من يشنأ الاسلام من اهل الديانات الأخرى ومن لا دين لهم فعندما طغى سيل التتار من جند هولاكو على العراق والشام وبلاد الشرق الأدنى وصار بهم العمران خرابا كان بعض النصيرية من أعوانهم وفى حروب الصليبيين كانت جماعة من النصيرية فى صفوفهم تناوىء معهم الاسلام واهله ولم نرهم خالفوا هذه السنة الا مرة واحدة ايام الحكم القنصلى فى الشام حيث ثار الشيخ صالح العلى ثورته المشهورة على الاحتلال الفرنسى فحمد له مواطنوه السوريون هذه الهبة وسجلوها فى ديوان المآثر وتمنوا أن يستمر القوم على هذه الخطة ليكون ذلك بدء عهد جديد تتضامن فيه جميع القوى لدفع اذى الغرب عن الشرق ولكن هذا الشذوذ المحمود من الشيخ صالح العلى ما لبث أن انقضى امره وعاد اكثر النصيريين او العلويين الى موالاة الأغيار والانحياز الى جانبهم فى كل ما يؤذى الملة ويشق عصا الجماعة ويثبت قدم الاحتلال الأجنبى فى البلاد ، يتول هذا عشية ظهور اله جديد فى النصيرية وضع نفسه فى خدمة دسائس الاستعمار الفرنسى مؤتمرا بالاشارات الصادرة اليه من الكابتن « بلوذديل » رئيس الاستخبارات الفرنسى الذى حرك الاشوريين قبله للأذى والفساد ، وهذا الاله النصيرى الجديد هو سليمان المرشد الذى سرعان ما وجد عبيدا فى طائفة يهولونه ويوقنون جانب الأشرار من اعوانه هم ملائكة

ونحواربوه ؟ هذه الخطة التى اتبعها الأشرار من أبناء الطائفة النصيرية أطمعت فيه كل عدو للعروبة والاسلام .

اذا أنت لم ينفع مضر فانما   يرجى الفتى كيما يضر وينفع

● وتحدثت الفتح عن التيجانية الطريقة الصوفية واشارت الى ما نسب للشيخ محمد الحافظ التيجانى فى عين ماضى وما نشرته الصحيفة الفرنسية من التعاون مع الفرنسيين وقالت : نتمنى ان لا يوجد على وجه الأرض مسلم واحد يفتخر بالمعاونة على تقليص ظل الحكم الاسلامى من وطن أسلامى .

ولو أن قومى انطقتنى رماحهم   نطقت ولكن الرماح أجرت

● وأشارت الفتح (أغسطس ١٩٣٩) م ١٤ — الى ان الملك عبد العزيز آل سعود منح استغلال الزيت فى منطقة ٨٩ الف ميل مربع فى الاحساء لشركة استندر أويل فى كاليفورنيا مقابل ٢٣٠ الف جنيه فضلا عن مبلغ اضافى كل عام (٥٣ الف جنيه) ورفض اعطاء هذا الامتياز للدول الأوربية وفضل الشركة الأمريكية لانها ليست لها خطط سياسية فى المملكة العربية السعودية .

● واشارت الفتح (م ١٢) الى ان « عبد الله فيلبى » الجاسوس الذى أعلن دخوله الاسلام لما صدر تقرير اللجنة الملكية البريطانية فى تحقيق قضية فلسطين واعلن فيه جنوح بريطانيا الى اعطاء اليهود سيادة وملكا على جزء من البلاد المقدسة التى يملكها المسلمون وهى وطن طبيعى لهم من أحقاب أعرق فى القدم مما للانجليز فى الجزائر البريطانية جنح الحاج عبد الله فيلبى الى الجانب الذى فيه العصبية للانجليز على الجانب الذى فيه العصبية للمسلمين فاعلن استحسان اعطاء اليهود هذه السيادة على ذلك الجزء من الوطن العربى الاسلامى وقال ان بريطانيا فى فلسطين مثل ايطاليا فى الحبشة تماما بحق الفتح . لقد تعارضت بريطانية فيلبى مع اسلاميته فى هذه الموجة .

● وفى مواضع كثيرة دافعت الفتح عن الاسلام :

وجهت نداء عام الى المسلمين فى المجلس الأعلى فى القدس عن ضرر المدارس الأجنبية وضرورة التعليم الاسلامى .

ودعت الى توحيد الرأى الاسلامى بتوحيد التربية والتعليم وقالت ان توحيد الدين والتعليم يكون المسلمين تكوينا اسلاميا محمديا قرآنيا كما كان سلفنا الصالح .

وكتب فى محاربة دعوى التصوف الكاذب باسقاط التكاليف الشرعية ثم التأويل ، والقول بأن للقرآن ظواهر وبواطن .

وكتبت يقول : ان البلاشفة والقيصرون الروس متدابرون فى كل شىء الا فى خنق العناصر الاسلامية .

واشار الى ان كل قطر من اقطار العالم العربى فيه صراع بين الوطنية والاسلامية ، وقال ان موطن الضعف فى الوطنية المصرية انهما لا تستند الى تراث الشرق والاسلام .

واشارت الى ان الغرب اعتمد على حضارة الاسلام فى اشياء كثيرة فاعتمد نابليون على فقه الامام مالك فى قانونه الذى خلده اكثر مما خلدته انتصاراته والحبشة مع ما هو معروف من حالتها المذهبية اقتبست قانونها « فتانفوسى » المعمول به الآن من كتاب « التنبيه » فى فقه الشافعى لأبى اسحق الشيرازى والذى قام به القسيس القبطى اسعدى السنتال وكلمة فتنا الموجودة فى اسم القانون ماخوذة من كلمة فتاوى .

واشارت الفتح فى بحوث مطولة الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى القدس رجب ١٣٥٠ والذى ضم مندوبو ٢٢ قطرا اسلاميا هى تركستان الصينية ، تركيا ، تونس ، جاوة ، الجزائر ، الحجاز ، روسيا ، سوريا ، سيلان ، شرق الأردن ، طرابلس الغرب ، العراق ، فارس ، فلسطين ، قفقاسيا ، لبنان ، مصر ، المغرب الأقصى ، نيجيريا ، الهند ، اليمن ، يوغسلافيا .

● واشارت الفتح الى جامع كتشاوة : احد الجوامع الاسلامية فى الجزائر العاصمة الذى حوله الاستعمار الفرنسى الى كنيسة ورفع الصليب على مآذنه ويسمى الآن كاتدرائية (م ٦ — ١٩٣٦) .

ومن حسن الحظ ان هذا المسجد عاد مرة أخرى الى الصلاة والأذان بعد استقلال الجزائر وقد أدى كاتب هذه السطور الصلاة به عام ١٩٧٢ كما عادت كل مساجد الجزائر .

الباب الرابع

قضايا الإسلام الكبرى

الفصل الأول

التشريع الاســـلامى

– ١ –

اولى الســـيد محب الخطيب اهتمامه الواضـــح والاكبر بالتشريع الاسلامى فى ظروف مليئة بالظلمات والتبعية والدعوة الى الحكم بكتاب الله ولكنه كان رفيقا فى الدعوة متأنيا ، ينتهز الفرص للتعليق على الأحـــداث ويحاول ان يفسح مجالا لما أسماه (الاســـلام الاجتماعى) وكانت احداث تركيا فى هذه الفترة (١٩٢٨ وما بعـــدها) هى الحافز على الدفاع عن الشريعة الاســـلامية بعد ان حجبت فى دولة الخلافة وحل محلها القـــانون الوضعى ، وكانت مصر قد سبقت الى ذلك قبل ثلاثين عاما وبعد الاحتلال البريطانى وانشاء المحاكم الأهلية على نمط المحاكم المختلطة وكان الهجوم على ما قامت به تركيا من العنف فى مهاجمة الشريعة الاسلامية واعداد قانون مدنى عرفى يبطـــل حكم الله فى كل شىء حتى فى الميراث والزواج وغيرها ، دافعا الى التعريف بعظمة الشريعـــة الاسلامية ، ورحمتها ، وقد توالت الأحـــداث ففتحت الأبواب أمام النضـــال من اجل الشريعـــة الاسلامية ، ففى المجلد الأول يتحدث عن خطوات تركيا ويرد عليها ويفند الأخطاء التى تتردى فيها بابطال الشريعة الاسلامية وفى المجلد الثـــانى يتحـــدث عن (صلاحية الشريعـــة الاسلامية لكل زمان ومكان) ويقول ان العدل لا يختص به زمان دون زمان واقامته لا تتوقف على وقت دون وقت .

ثم لا يلبث أن يتحدث عن الدين والدولة فى أنظمة الحكومات الحديثة (١٩٢٨/١١/٢٠) فيقول : ان المسيحية بالمعنى الذى دعا اليها المسيح لا يوجد فى أوربا وامريكا من يستطيع أن يتقيد بها وأن يزعم صادقا انه تابع لها ، أما الاسلام فهو دين السعادتين : سعادة الدنيا والآخرة ، ولما كانت ،يه هذه المزية التى يفترق بها عن النصرانية كان من الطبيعى أن يمتاز أيضا

بأن تشريعه قائم على أساس مبادىء الدنيا والآخرة ومن هنا كان التشريع الاسلامى متصلا بشئون المسلمين الدنيوية كما هو متصل بشئونهم الاخروية ، ومن هنا كان الاسلام دين وعقيدة وعبادة وحكم وهذا ما قام على عبد الرازق لانكاره ، زاعما أن الجهاد ليس عبادة اخروية ومن ثم ليس هو من الاسلام وزعم أن الحكم الاسلامى ليس عبادة ومن ثم لم تكن الامامة من الاسلام وزعم أن نظام الارث ليس عبادة ومن ثم ليس هو من الاسلام وهو بين أمرين ، اما أن يكون لا يعرف الاسلام فلا يستحق اسم عالم او أن يكون الامر أكبر من ذلك ، فالدول المسيحية اذا جعلت الدين متصورا على العقائد والعبادات لم تجعل لذلك علاقة بالحكومة ، بعد ان علمنا ان المسيحية جاءت للآخرة فقط لا للدنيا ، ولكن الدول المسيحية نفسها لم تقطع علاقتها الحكومية بالدين كما يريد القوم فى تركيا والأفغان ان يعملوا . ان الحكومة الفرنسية ادخلت فى ميزانيتها اعتمادات مالية للجمعيات الدينية المسيحية ، ولاسيما الكاثوليكية التى تقوم بالتبشير فى البلاد الشرقية مثل الفرير واليسوعيين » .

— ٢ —

ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن نظام الاسلام (ربيع الأول ١٣٦٥) فيقول : ان الذين يقولون الاسلام دين ديمقراطى ، الاسلام دين اشتراكى ، يلوكون بالسنتهم هذه الكلمة او تلك ولا يعرفون من الاسلام الا اسمه لأنهم يعيشون فى عصر غلبت عليه صحافته ومطبوعاته ومدارسه ومعاهد يملكها الاقوياء من أمم الغرب ، فثقفت أزكياء العصر بثقافة أجنبية عن الاسلام وتاريخه وسننه وأهدافه وغلبت على محاكم المسلمين وأساليب حكمهم ضواغط الاستعمار فى عشرات السنين الماضية فلجأوا الى مذاهب الأمم اللاتينية فى فقهها ومعاملاتها ومماطلاتها وغلبت على سجايا المسلمين عوامل الفاقة والحرمان بسبب انحطاطهم الاقتصادى والصناعى فتشربوا بمساوىء الأخلاق .

ويتساءل السيد محب الدين الخطيب : كيف يتبين ابناؤنا المبتعثون فى جامعاتنا حقيقة الاسلام وهو غريب فى بلاده من البيوت الى الأندية

والاســواق والصحافة والدواوين والمحاكم والجامعات والمساجم بل والجوامع !.

واذا كان هذا حال المثقفين فى الجامعات ومبلغ علمهم بنظام الاسلام ، فالذين هم ابعد منهم من حقائق القيم أكثر منهم بعدا عن حقائق الاسلام .

ان الاسلام نظام قام بذاته ، ومن سننه أنه لا يشاب بغــيره وانه لا يمذق محضة ولا يخلط مع الاسلام .

فى الدنيا الآن ثلاثة أنظمة : النظام الديمقراطى ، والنظام الشيوعى والنظام الاسلامى ، وكل نظام من هذه الأنظمة (كل) لا يقبل التجزىء ، والاسلام دين الحق والخير يعمل أهله بكل أسلوب من أساليب الخــير اذا كان لا يتنافى مع أساليب الاسلام وسننه وأهدافه .

— ٣ —

ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن النظام الاجتماعى الاسلامى فيفرد فصلا عن نظام الاســلام الاقتصادى : ويبداه بالحديث عما أورده الامام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة فى أوائل كتاب (الاكتساب) قوله ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقــدم درجة الكسب على درجة الجهاد فيقول لأن أموت بين شــعبى رجل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أقتل مجاهدا فى سبيل الله ، لأن الله تعالى قدم الذين يضربون فى الأرض يبتغون من فضــل الله على المجاهدين (**وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضــل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله**) سورة المزمل .

فالاسلام يحض على العمل والكسب ويفضله على الشهادة فى سبيل الله وكان ابا بكر بزازا يبيع الأقمشة ويعمــل فى الأدم (الجلود) وعثمان كان تاجرا يجلب اليه الطعام فيبيعه (وعلى) أجر نفسه غير مرة فطلب الكسب فريضة على كل مسلم ، فريضة الكسب وطلب العلم .

والاسلام بنى نظامه على العدل بادق معانيه ، والتعاون بين أهل المال وأصحاب الأيدى العاملة ، فصاحب المال مشــاركا لصاحب العمل

على أن يكون لكل منهما نصيب فى الربح اذا نجح العمل وعلى كل منهما مثل ذلك النصيب من الخسارة اذا فشل العمل .

ويتحدث السيد محب الدين الخطيب : عن الاقتباس من الغرب .

فيشير الى أن المسلمين لا يقتبسون نظما وانما يقتبسون أساليب وتجارب ، ولابد من هضم تلك الأساليب متمشية مع امثالها من أساليبنا القومية وسننا الملية فالاسلام لا يقبل ابدا أن يقوم الى جانبه وتحت سلطانه نظام غير نظامه لا فى الاقتصاد ولا فى التربية ولا فى الآداب ولا فى أى شأن آخر ، كما أن الشيوعية لا تقبل ذلك . فالاسلام اشد نفرة من أن يقوم الى جنبه نظام غيره يبسط على المسلمين احكاما غير احكامه ، فى الملكية الشخصية والمواريث وحركة العمل ، ان العالم الاسلامى يتحلل الآن من قيود الاستعمار وسبيله بعد ذلك ان يرجع الى أنظمته الاسلامية فى تاريخه ودواوين أحكامه وفى وثائقه الأدبية وتراثه العلمى وذخائره ، ثم حمل الأمة على احياء هذه الأنظمة بالعمل فيها يوما فيوما .

وان نظرة الى ما حدث من أن عمر بن الخطاب لم تعرض عليه قضية من اثنين فى أكثر من سنة ، يكشف اى معنى للسعادة الاجتماعية من هذا المعنى وافصح واوضح ، تلك حال لا تحتمل على الصدفة ولا يمكن ان توجد لها نظير فى أن من الأمم فى حواضرها وبدوها وأرياضها ولا يستطيع مشرع ولا اجتماعى أن ينكر أن نظامنا الاجتماعى كان نظاما سعيدا .

ويتحدث السيد محب الدين الخطيب عن انشاء معاهد للفقه الاسلامى لدراسة الشريعة الاسلامية ، فقال : منذ استعجم الاسلام وسارت حكوماته فى غير طريق الصدر الأول توسع المسلمون فيما يختص بشئون الفرد من احكام الفقه واهملوا ما يتعلق بحياة الجماعة وحياة الدولة ، وقد آن لنا أن نعود الى احياء ما كاد يموت من تراثنا بالاهمال ، وأشار الى خزائن الفقه والمعرفة لعشرات الألوان من مجلدات التشريع الاسلامى الجامعة لأحكام لا يراد منها التزامها بالتراث فى غير عصورها ، ولكن يراد منها تعيين المناهج لاستنباط الأحكام وتوجيهها فيما بين قواعد العدل التى

دل عليها الكتاب والسنة وبين أهداف المصلحة والخير التى ترمى اليهـا رسالة الاسـلام .

— ٤ —

فى هذه الفترة جاءت اضــواء كثيرة تفتح الطريق أمام الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية منها :

١ — تطبيق الحدود فى المملكة السعودية .

٢ — كتابات بعض المسلمين فى الغرب .

٣ — اعداد القانون المدنى العراقى وادخال الشريعـة الاسلامية كمصــدر ثالث .

فتحدثت الفتح عن ذلك كله وأشارت تحت عنوان الحدود الاسلامية : الى تجربة المملكة السعودية قال : شىء آخر برهنت عليه التجربة فى الحجاز حتى لا يرتاب فيه المكابر هو أن الملك ابن السعود لم يحتج الى تنفيذ حدود الله الا مرة واحدة او مرتين فيما رأى المجرمون ذلك وعرفوا نصحهم ولى الأمر على اقامة ما أمره الله باقامته من حدود كفوا عن اجرامهم .

وأشارت الفتــح الى اطروحة الدكتور نجيب الارمنازى فى باريس تحت عنوان :

« المبادىء الاسلامية والعلاقات الدولية فى حالتى السلم والحرب » .

تكلم فيها عن التشريع الاسلامى المتعلق بقاعد حقوق الدول وفى ربط الأمة الاسلامية بالأمم الأخرى فى العهود والحروب فى سائر الأنظمة الاسلامية وكيف أن هذا كشف الحقيقة أمام اساتذة الحقوق الفرنسيين الذين كانوا يسيئون الاعتقاد فى الاسلام من هذه الناحية فقد اعترفوا بسبق الاسلام الى أهم المبادىء الانسانية فى العلاقات بين الأمم .

وفى المجلد الرابع من الفتح (١٠ أكتوبر ١٩٢٩) عن (الاسلام قوة اجتماعية) فقال :

يجتهد المستعمرون فى الأقطار الاسلامية ويعاونهم متفرنجة المسلمين والمولون وجوههم شطر أوربا ، لجعل قوانين الاسلام الاجتماعية الكبرى

مماتة ، متعطلة عن العمل حتى لا يتحسس المسلمون بهـا ولا يمنعونها وهى تنكمش الشعور الاسلامى العام فى مناطق اقليمية تابعـة الحـدود للتقسيمات السياسية المصطنعة ، وحتى تتقلص رغبات المسلمين فى التعاون والتشارك والتعاطف الى دوائر ضيقة ، وبهذا يخسر الاسـلام الشطر الأكبر من راس ماله الاجتماعى فتنقلب الأمم الاسلامية الى أمم متـدابرة بعد التعارف وتتراخى صلات الأخوة العامة فى الاسلام ويغدو ذلك النوع من التآخى الاسلامى الانسانى النزيه الصادق ، تراخيا يعلوه الصـدأ والجفاء . وبعد هـذا يهون على المستعمرين غلاب المسلمين وتسخيرهم لمصلحة اثنين أو ثلاث من الأمم الأوربية تسخيرا يورث المسلمين الذل والدمار ويقطع الأوصال ويكسب الأمم الثلاث أو الأربع القوة على التنعم فى أطايب الحياة ولذائذها ، حين يربح متفرنجة المسلمين شرف القربة من المستعمر وفخر الاقتداء بهم وانتحال نحلتهم فى طراز التفكير . لماذا لا نرى فى متهذبة العرب الذين نالوا من العلوم التاريخية والاجتماعيـة فى المعاهد الغربية الراقية خطا صالحا رغبة فى درس الاسـلام الاجتماعى درسـا صحيحا مكينا مقرونا بروح العلم الاجتماعى ، وبهـذا الحال يكون هؤلاء المهذبة من أولى الناس اتباعا لسنن الاسلام وحضا على الاستمساك والعمل بها لأنهم انما عرفوا معرفة حق عن الطريق الذين يعتقدون صوابها . ان هناك قوى فى أوربا منها وزارات المستعمرات عاملة على الدوام لمناصبة الاسلام الاجتماعى العداء لأن الاسلام هو خصمتها الواقف فى وجهه والمانع لهـا فى كل زمان ومكان من بلاغ ماربها عن تمزيق الأخوة العامة التى يرتبط بها المسلمون .

— ٥ —

وفى عام ١٣٥١ — ١٩٣٢ اتسع نطاق البحث فى الشريعة الاسلامية عندما حان الحديث عن تعديل القانون المصرى (المجلد السادس) فأشارت الفتح الى فكرة تنظيم الأحكام للعمل بها فى محاكم مدنية فى عهد اسماعيل باشا ، وكان القائمون بالأمر يذهب أكبرهم الى ضرورة نقـل القوانين الفرنسية الى اللغة العربية والعمـل بأحكامها فى المحاكم المدنية التى يراد تأسيسها ومن هؤلاء نوبار باشا وكان يرى بعضهم أن يكون القضاء الأهلى

مستمدا من الفقه الاسلامى وكانت الدولة العثمانية قد قامت بتجربة موفقة بانشاء قانون مدنى مستمد من الاقوال الراجحة فى مذهب أبى حنيفـــة فنشأت فى مصر فكرة سن قانون أوسع واشمل مما تم فى الدولة العثمانية ، وأن تؤخذ أحكام القانون المدنى المصرى من أوفق الأحوال فى جميع المذاهب الفقهية الاسلامية ، وعرض اسماعيل باشا الفكرة على العلماء فاستنكروها لانها قائمة على أساس (التلفيق) بين المذاهب لما فيه من محذور الأخـذ بالرخص فى مختلف المذاهب ولأنه يحول بين المفكر ومن تقليد امام بعينه ، وكان نوبار باشا قد مهد فى ذلك الى مسيو (مونورى) المحامى بالاسكندرية بأن يترجم للمحاكم المختلطة قوانين فرنسا المدنية والجنائية والتجارية فلما انقطع الرجاء من جعل قوانين المحاكم الاهلية مستمدة أحكامها من الفقـه الاسلامى جرى وضع هذه القوانين بلجنة مؤلفة من حسن نخرى ، بطرس غالى ، مسيولو ومســـيو موريوندو فوضعت لنا القانون المدنى الأهلى باللغة الفرنسية فأخذوا القانون الفرنسى بقليل من التعديل ثم قام بطرس غالى بنقله من الفرنسية الى العربية .

وقد عاب علينا المستشرق المجرى (وامبرى) هذه الغلطة الكبرى وقال :

كيف يكون عندكم فقهكم الذى ليس له آخر وتعدلون به الى غيره ، أن خطاهم هذا لا يقع فى أمة من الأمم ، وقد فاته أن العالم الاسلامى لمــا أراد أن يجدد ثوبه كانت تحت تأثير ارادة أمم اخرى ولكنه ســيرجع الى الصواب فى أول فرصة وستتوجه أنظار بنيه الى الارتواء من تشريعـــه الاسلامى الذى هو فى الحقيقة تشريعه الوطنى القومى .

وقال السيد محب الدين الخطيب : ان قانون الأمة يجب أن ينبع من روح الأمة وان ينمو بتجارب الامة وان يسير مع حاجة الأمة وان تنطوى جوانح الأمة على حرمته وجلالته ، وكل هذه الصفات بالغة حد الكمال فى الفقه الاسلامى لو أننا صنعنا منه قانوننا المدنى على الأقل وخدمناه كخدمة أوربا لفقهها وقانونها . الفقه الاسلامى بحر خضم زاخر بالأحكام فى كل معنى يمكن أن يخطر على بال اى رجل من رجال القانون وما بين حـــكم

اصدرته محكمة من محاكم الأرض وافق غرض العدالة الا وسبق الى القول بمثابة فقيه مسلم، سواء كان هذا الفقه من علماء المذاهب الأربعة أو من ائمة المذاهب التى بطل العمل بها. وان امة يكون بين يديها هذا البحر العظيم المليء بالدرر ويكون له فيها الحرمة القدسية التى للفقه الاسلامى فى نفوس المسلمين ، وهو فوق ذلك مجموع جهود نوابغ هذه الأمة فى أربعة عشر قرنا ثم هى تزهد به هذا الزهد ، وتعدل عنه الى ترجمة قانون اجنبى عنها ، أى أمة تعدل عن هذا الى هذا لعجيب أمرها ما لم يكن لها عذر عرض لها ثم يزول فترجع الى الصواب .

اقسم بالله العلى الأعلى لو كان للانجليز او للفرنسيين او للالمان او للأمريكان أو لأية امة من الأمم اعلام فى التشريع والقضاء ، لا أقول كأعلام الأمة الاسلامية ، بل أقول كالأعلام الذين نبغوا فى بلاد مصر وحدها لما بالى اكثرهم فى التشريع بقوانين الرومان ولأقاموا لهؤلاء العظماء جميع أسباب الذكرى ولدونوا أحكامهم وعلومهم الفقهية فى معاجم ومعالم (جمع معلم أى دائرة معارف) ولوصلوا ماضى فقههم بحاضره وسابق تشريعهم بآتيه وكان يكون الفقه الاسلامى وفقهاء المسلمين هم كل شيء فى عالم التشريع.

ويواصل الفتح اهتمامه بالشريعة الاسلامية فنجد الأستاذ حسن البنا فى عام ١٣٥٥ (١٤ يونيه ١٩٣٦) خطابا الى رئيس الحكومة مصطفى النحاس باشا برسالة بمناسبة تصريحاته عن الاعجاب بلا تحفظ بكمال أتاتورك الذى قال :

(ولست أعجب فحسب لعبقريته السياسية بل أعجب أيضا لعبقريته الخالقة وفهمه لمفهوم الدولة الحديثة التى تستطيع وحدها فى الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وتنمو) .

فقال الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين :

ان موقف الحكومة التركية الحديثة من الاسلام واحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف فى العالم كله لا لبس فيه فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة الى الجمهورية وحذفت القانون الاسلامى وحكمت بالقانون السويسرى مع قوله تعالى :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وصرحت فى دستورها أنها حكومة لا دينية وأجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة غير المسلم وأن ترث المرأة مثل الرجل . أما موقفها من الشرق فقد صرحت فى وقت من الأوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية وقد قطعت صلتها بالشرق حتى فى شكل حروفه وأزيائه وعاداته وفى كل ما يتعلق به ؛ لذلك وقع تصريح دولتكم من أنكم معجبون بكمال أتاتورك غريبا على الذين لم يعرفوا دولتكم الا زعيما شرقيا مسلما مخورا بشرقيته متمسكا باسلامه قائدا لأمة تعتبر زعيمة أمم الشرق جميعا ، وقد أخذ كثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون : هل يفهم من هذا أن دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على أن يكون الأخذ بعد الانتهاء من القصة السياسية ببرنامج كالبرنامج الكمالى يبدل كل الأوضاع فيها ويقصيها عن الشرق والاسلام ويسقط من يدها لواء الزعامة ، لقد كان من أعز الأمانى أن يؤيدكم الله فيؤيد بكم الدين والأخلاق وتسلكون بالأمة مسلكا يعيد اليها ما فقدته من استقلالها السياسى وتشريعها الاسلامى وخلقها الاجتماعى .

٢ — وفى هذا المجلد الحادى عشر فى هذا العام الحاسم (١٩٣٦) الذى وقعت فيه الاتفاقية المصرية البريطانية اعلان على بدء عهد جديد من الاستقلال يتحدث الفتح عن الفقه الاسلامى والتشريع حيث أخذ رجال القانون وأساتذة كليات الحقوق فى مصر والشام والعراق يتنبهون الى أن الاستقلال لا يكون حقيقيا فى الشرق العربى ما لم تتحرر ممالك الشرق من الاحتلال المعنوى ولا سيما فى تشريعنا ، ومن ثم فقد نقلت من مجلة المحاماة الشرعية الذى نشرته ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ يقول :

طالما عنى هؤلاء العماء والباحثون بدرس هذه التصريحات التى اعلنها غير المسلمين حين اعترفوا للفقه الاسلامى بأنه البحر انه قسطاس العدل وأنه مجموعة انطوت على ما يسد حاجة الناس الى التشريع ومن ذلك ما كتبه القانونى الغربى المنصف (سانتلانا) فى الفقه الاسلامى ولاسيما كتابه المطبوع فى تونس ١٨٩٩ وأبحاثه كافية للحكم بأن فى فقهنا ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل أن فى ذلك كفاء للانسانية

كلها ولا تزال كلمة المستشرق المجرى الأستاذ فمبرى أن فقهكم الاسلامى واسع جدا ، الى درجة أنى أقضى العجب كلها فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لبلادكم (جريدة وقت ـ القسطنطينية ١٣٤٢) .

ومن الذين وقفوا حياتهم على دراسته من غير المسلمين كالأستاذ سليم باز المسيحى اللبنانى (شارح مجلة الاحكام الشرعية) يعتقدون بكل اطمئنان أن فى هذا الفقه كل حاجة البشر فى عقودهم ومعاملاتهم واقضيتهم والتزاماتهم .

وما احتوته خزائن دور الكتب الغربية فى ليدن فى هولندا ، الى روما وبرلين وباريس والمتحف البريطانى الى المكتة البابوية فى قصر الفاتيكان ، ثمرة جهود الألوف الكثيرة من فحول علمائنا منذ بضعة قرون ما يعد شاهدا قائما خالدا على أن هذا الفقه بحر لا ساحل له وانه لا يوجد معنى من معانى الأحكام المنشود فيها العدل الا ويتقدم لفقه مسلم قول فيه يوافق حاجة من حاجات البشر فى التشريع .

وقد صار هذا التراث الينا نحن الجاهلين بقيمة التركة التى تحت ايدينا فلم نحسن القيام عليه ولم نبرهن على اننا أهل للاستفادة منه ، كذلك انصرفت الحكومات الاسلامية الى القوانين الأجنبية كالقانون المدنى الفرنسى أو المدنى السويسرى ، أين هذا من الشريعة الاسلامية التى انس بها المسلمون ومازجت أرواحهم مدة أربعة عشر قرنا وفيها مرآة مشاعرهم وعلاجات امراضهم الاجتماعية ، فالفقه الاسلامى على سعة تراثه وشموله العجيب قادر على تقديم أصدق منهج لو كانت الحكومات العربية والاسلامية جادة فى السعى الى استنباط قوانينها وأنظمتها منهـا

* * *

وتواصل الفتح (م ١١ ص ٦٢٣) الدعوة الى سن تشريع مدنى اسلامى لمصر والشرق العربى حيث قدمت اقتراحا لعقد مؤتمر حكومى أو جامعى يمثل مصر والاقطار الشقيقة بتوقيع « جوستنيان » ديسمبر ١٩٣٦ قال لما كنت بمدينة ليون طالبا فى قسمى الدكتوراه ١٩١١/١٩٢٠ كان

أستاذنا لامبير يشير دائما على المصريين أن يعنوا بوضع رسائل الدكتوراه فى الشريعة الاسلامية ، ويرى ان الشريعة الاسلامية فى المعاملات كنز لا يفنى ومنبع لا ينضب واثمرت النصيحة عن أول طالب مصرى أخذ عنه القانون هو المرحوم الدكتور محمود فتحى اذ وضع رسالة فى الدكتوراه فى مذهب (الاعتساف) فى استعمال الحق والخروج عن حدود الحق فى غير ما شرع له الحق وذلك عند فقهاء الاسلام فظهر ١٩١١ وأشارت الصحف الألمانية بالمنظمة القانونية للاسلام ، وكان المصرى الآخر هو الدكتور محمد صادق فهمى الذى أخرج رسالته فى (الاثبات) باللغة الفرنسية ١٩٢٣ وارصد الجزء الأهم فيها لما قرره علماء الشريعة الاسلامية وعلى راسهم (شمس الدين بن قيم الجوزيه) فى كتابه (أعلام الموقعين) ، كما قدم احد المصريين ١٩١٤ رسالة فى مسئولية الدولة بكلية الحقوق فى ليون ،

وواصلت الفتح اهتمامها فنشرت اربع ابحاث هامة عن الشريعة الاسلامية فى المجلد الحادى عشر صفحات (٦٣٣ — ٦٣٧) كما نشرت فصلا للدكتور زكى على عن التشريع الاسلامى وسن القوانين (ص ٧٣٠) ونشرت محاضرة للدكتور عبد الرازق السنهورى تحت عنوان (واجبنا نحو الفقه القانونى والتشريع) ص ٧٣١ .

وقد رد السيد الخضر حسين على مهاجمة جريدة السياسة للشريعة الاسلامية ص ٩٤٥ .

كما نشرت فصولا فى صفحات ٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٨٦٣ عن صلاحية الشريعة الاسلامية .

وقدمت الفتح كتبا نفيسة فى التشريع الاسلامى :

— أحمد بك ابراهيم : أحكام الوقف والمواريث .

— دكتور شفيق شحاته : النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الاسلامية .

— حسن أحمد الخطيب : التشريع الاسلامى : مصادره وقواعده العامة .

* * *

ونشرت الفتح فصلا مطولا فى المجلد (الحادي عشر) عن الشريعة الاسلامية لصاحب الفتح

قال : ان أكثر الأديان تقوم على عنصرى العقيدة والعبـــادة فقط ولا شأن له بنظام المجتمع والاشراف عليه ، ان الاسلام يقوم على عناصر العقيدة والعبادة والحكم ، ولا يبيح لأتباعه أن يخضعوا الا لأحكام دينهم وقد سن اليهم الهجرة من البيئة التى تضـــطهد احكام دينهم ولا تمكنهم من السيادة والاعلاء . ويوم كانت أحكام الاسلام ومبادئه واخلاقه ســـائدة فى زمن الصحابة بادر سكان مصر والشام والعراق وشـــــمال افريقيا الى اعتناقها بشغف واقبال لا نظير لهما فى التاريخ لانهم لمسوا يومئذ بأيديهـــم وآمنوا بقلوبهم وعقولهم ، وان احكام هذا الدين الفطرى المســـلم المنزل الأحكام وأن مبادئه انظف المبادىء وأن أهدافه أسمى الأهداف ولو أن دفة الاسلام بقيت فى أيدى أهله الأولين ولم ينتقل الى ايدى قواد جيوشهم من المماليك والمغول واحزابهم وأكثرهم لم تتهذب نفوسهم بمبادىء الاســـلام ولبقى لأحكام الاســـلام جمالا تبصره العيون فلا نبحث عنه فى الكتب لبقى لاخلاق الاسلام سلطانها يذعن له الناس فى بيوتهم وأسواقهم فالاسلام دين جماعة ودين حكم والمسلم الذى يتحرى أحكام دينه ومبـــادئه يتحراها فى عبادته الفردية من صلاة وصيام ويتحراها فى أحواله الشخصية من زواج وميراث ويتحراها فى جماعة الاسلام بالحرص على اقامة شعائر الاســـلام وتوخى العزة له ولأهله .

— ٦ —

ثم جاءت مرحلة ما بعد الاستقلال واتصل الحديث من طابع الاسلام فى التشريع (١٩٣٨ — م ٩٢٢/١٣) حيث دعا السيد محب الدين الخطيب الى اعادة النظر فى التشريع الذى يتعلق بتجارة الخمور والبغـــاء وقال : لقد كانت مصر ايام اللورد كرومر متجهة الى أن تكون بلدا مشاعا لكل الأمم وكانت انظمتها وروح الادارة فى حكومتها ترمى الى استغلال مصر لفائدة الاغيار ، والحماية القانونية التى تتمتع بها الحانات وبيوت الدعارة فى مصر لا نظير لها حتى فى البلاد العريقة فى الاباحية والفوضى ، انما هى وليـــدة

سياسة الاحتلال البائد ـ الذى كانت ترمى الى جعل مصر بلدا شعوبيا (International) .

اما وقد عرف لمصر الآن بانها لأهلها فمن حق اهلها ان يعيدوا النظر فى نواحى التشريع التى لهـا تأثير فى معنويات الشعب المصري واخلاقه وأحكام دينه .

ان فى الشباب المسلم روحا قويا لا يرضى بشىء قدر ما يرضيه توفيق التشريع المصرى مع نصوع الشرع الاسلامى وتؤكد ان الجامعة المصرية مليئة بهذا الصنف من الشباب المتعلم ، من شباب مصر الفتاة والجمعيات الاسلامية وجمعية الاخوان المسلمين ليس الا صدى لطور جديد ينبغى ان يلاحظ جانبه وان يحسب حسابه وفى ذلك الخير كل الخير لمصر .

وتعنى الفتح بالاقتراح الذى تقدم به عضوين من مجلس النواب هما الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ محمد عبد اللطيف دراز بشأن صلاحية الشريعة الاسلامية لتشريع جديد .

ففى م ١٣ (ديسمبر ١٩٣٨) يقول الاقتراح :

نظرا لأن الشريعة الغراء تصلح اساسا لأى تشريع جديد بل لقد اقر علماء الدول الغربية وفقهاؤها مجتمعين فى مؤتمر القانون المقارن فى لاهاى (اغسطس ١٩٣٧) حيث مثل الأزهر تمثيلا قويا :

ان الشريعة الاسلامية تتلاءم وتطورات المدنية الحديثة ، وقد تبين ان فى جعل الشريعة الاسلامية اساسا لتشريع ما يغنينا عن النقل من الشرائع الأخرى او تقليدها ، فان اتخاذ الشريعة الاسلامية اساسا لتشريع فى مصر ما يشجع على التعمق فى البحث فيها ومقارنة فى احكامها بأحكام الشرائع الأخرى وبذلك تبرز محاسنها للعالم كله .

ومن هنا نقترح أن يكون الأساس الأول لأى تعديل فى القانون القائم هو الشريعة الاسلامية الغراء وأن يراعى درس ما يدخل من تعديل فى القوانين الحالية للوصول الى تحقيق هـذا الغرض وأن ترد الأحكام الجديدة بقدر الامكان الى قواعد الشريعة الاسلامية وآراء فقهائها التى

تتمشى مع مقتضيات الحياة فى العصر الحاضر ودعت المذكرة الى تشكيل لجنة من علماء الفقه تنضم الى لجنة تعديل القوانين .

● وكتب عبد المنعم الصدة تحت عنوان (الشريعة الاسلامية فى القانون المدنى المصرى) يقول : دعوى باطلة تلك التى يقول أصحابها ان الشريعة التى كانت صالحة بالأمس لم تعد تصلح لأن يؤخذ منها اليوم ، وقد تكفل بالتصدى للرد على هذا الزعم : محمد كامل مرسى وسيد مصطفى فى كتابهما (أصول القوانين) ، على بدوى فى كتابه (تاريخ القانون) حيث أوضحوا بجلاء أن الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان وأن ما يتوهم البعض من أن أحكام الشريعة الاسلامية ثابتة غير مغيرة ، وأنها بذلك تتنافى مع التمدن الحديث وتقدم الأمم ، انما يقوم على اعتقاد غير صحيح ، ذلك لأن السلطة الحاكمة لها أن تضع احكاما بشروط خاصة تواجه بها الحاجات والحوادث الجديدة وما يصدره من أحكام يكون مشروعا ويجب العمل به شرعا ما دام انه صادر وفقا للأصول العامة الشرعية وبذلك يمكن ان تصدر كل الاحكام التى تصبح لازمة بحسب الزمان والمكان ، كذلك نوجه انظمة شرعية كثيرة لا تختلف فى شىء عن الأنظمة الوضعية فى سائر الأمم ، كما أن الشريعة الاسلامية ليست كسائر القوانين الالهية الأخرى فان أحكامها لم تكن مقصورة على علاقة المخلوقين بالخالق بل نفذت بذلك وشملت كل الأحكام التى شملتها القوانين الوضعية فى البلاد الأخرى من أحوال شخصية ومعاملات وعقوبات ومرافعات .

واشار الكاتب الى ما يورده الدكتور عبد الرازق السنهورى فى كتابه (نظرية العقد) :

والشريعة الاسلامية شريعة الشرق ووحى الهامه وعصارة أذهان مفكريه نبتت فى صحرائه وترعرعت فى سهوله ووديانه فهى قبس من نور الاسلام يلتقى عندها الشرق والاسلام ، فيض ذلك بنور هذا ويسرى هذا فى روح ذلك حتى يمتزجا ويصيرا شيئا واحدا ، هذه هى الشريعة الاسلامية ولو وطئت اكنافها وعبدت سبلها لكان لنا من ذلك للتراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وقضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرقت تطالع العالم بهذا النور الجديد فيضىء جانبا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون .

— ٧ —

ويواصل الفتح اهتمامه الوافر بالشريعة الاسلامية ففى المجلد (١٤ — ١٩٣٩) اشارت الى ان الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وجه كتابا الى الملك التمس فيه أمورا كثيرة مما يرى فى تحقيقه صلاح مصر وترجع كلها الى ضرورة تربية روح الدين فى كيان الأمة وفى جملة الأمور التى التمسها العمل بالتشريع الاسلامى قال :

« لقد حانت الساعة التى نراجع فيهسا مجموعة قوانيننا ونجعل اساسها الشريعة الاسلامية لأنها الأساس الواحد الثابت المضطرد الذى يتفق مع مزاجنا وتقاليدنا وبيئتنا وان مجموعة القوانين فى كل امة التى تكيف هذه الأمم وتطبعها بطابع مخصوص ، وهى التى تحكم نشاطها وتغذى معنويتها فينتظم معاشها ، لذلك يجب أن يكون مصدر القوانين واحدا لتتناسق وتتساند وتتكافل وتلتقى كلها عند نقطة واحدة وهدف واحد . لقد اصبحت قوانيننا خليطا من قوانين الأمم ، ومثل هذه الفوضى لا يمكن ان تؤدى الا الى فوضى اجتماعية خطيرة بينما تسود البلاد كاثر من آثار الشريعة الاسلامية تقاليد اسلامية وعادات اسلامية بحتة ، اذا بقانون العقوبات يناقض هذه التقاليد والعادات ويحاربها أو يسخر منها فاصبح المصرى حائرا مرتبكا لا يعرف أيرضى عاداته وتقاليده التى يمليها عليه دينه أم يخضع للقانون ويدع دينه وتقاليده ، هذا النزاع النفسى هو الذى انتهى بالمصريين جميعا الى التحلل من الاثنين . لقد حانت الساعة لكى نضع حدا لهذه الفوضى باتخاذ الشريعة الاسلامية الأول والأخير لكل قوانيننا .

— ٨ —

واتسع نطاق صيحة العودة الى الشريعة الاسلامية ففى المجلد السادس عشر (١٩٤١) أشارت الفتح الى هذه الخطوات فقالت :

لما احتاجت مصر فى القرن الماضى الى تشريع منظم يلائم حاجتها القضائية اراد بعض ولاة الأمور فى مصر أن يكون استمدادا للتشريع المطلوب لمصر من الفكر الاسلامى مشترطين عدم التقيد بمذهب فقهى واحد فعارض المشايخ يومئذ بأن هذا (تلفيق) لا يقرونه ولا يرضون به واجبروا على

ذلك حتى بعد العلم بأن القوانين المصرية ان لم يؤخذ من المذاهب الفقهية الاسلامية على اختلافها فانها ستؤخذ من القانون الفرنسى ، ثم انتهى الأمر بانشاء المحاكم المختلطة والعمل فيها بالقانون الفرنسى ثم ينتقل هذا القانون الى القضاء الأهلى الذى انشىء عقب ذلك » .

وفى ضوء التصريح المشترك الذى اعلنته المملكة المتحدة البريطانية والولايات المتحدة الأمريكية من انهما يحترمان حقوق جميع الشعوب فى اختيار شكل الحكومة أو تدبير شئونها وقالت الفتح أنه تصريح صريح فى أن الشعوب الاسلامية اذا شاءت أن تختار لادارة شئونها شكلا اسلاميا من اشكال الحكم فان ذلك من حق تلك الشعوب والدولتان الديمقراطيتان تعترفان بهذا الحق وتحترمانه ، فهل فكر علماؤنا ورجال أزهرنا بأنهم اصبحوا — متى سمعوا هذا التصريح — امام واجب يقتضى عليهم بأن يرسموا خطة العمل لتنظيم التشريع الاسلامى تنظيما قضائيا تتجلى به جماع وسمو أغراضه ودقة شموله وبحرية العدل والاحسان فى جميع علاقات البشر المدنية والاجتماعية والجنائية حتى يظهر فيه للأبصار والأغيار ما كان خافيا على الكثيرين من محاسنه التى لا تضارعه فيها غيره فيعود الانسان الى تحكيم أحكامه والاقتباس منه والتعويل على جماعة كبار العلماء فى الأزهر لعقد جلسة رسمية خاصة بهذا الأمر (م ١٦ — ص ٣٣٢)

٢ — ويواصل الفتح مدافعاته فى هذه القضية الأساسية فيقول :

طالما كتبنا فى أعداد الفتح فى سنواته الست عشر الماضية آيات الثناء على ما تأخذه حكوماتنا عن الغرب من اسباب القوة والمعرفة واساليب الاستثمار والتنظيم ولكنا ما برحنا نقبح الانغماس فى اناء الغرب وندعو المسلمين — حكومات وشعوبا — الى أن يكونوا كالنحل يأخذ من كل زهرة ما يطيب لها وتأخذه لتنهض ويكون لها منه مثل ما يكون النحلة من العسل فى حلاوته ومنافعه . أما الانسلاخ عن رابطة الاسلام للاندماج فى بؤرة التفرنج على قاعدة أن النوع كل لا يمكن أن يتجزأ ، وأن ثقافة اوربا يجب أن تؤخذ بحزافيرها ، وهذا ما كان يتجاهر بالدعوة اليه كثيرون فى تركيا وايران فهذا ما كنا نحذر اخواننا المسلمين منه ونقول لهم انه يقطع صلتهم بتاريخهم ولا يسلكهم فى حبل غيرهم وانه هو الذى ينطبق

عليه القول المشهور ، مثل النعامة لا طير ولا جمل ، وكنا نقول أن الغربيين انفسهم لا يأخذ بعضهم من بعض الا انتقاء واختيارا ليهضموه ويستخرجوا منــه منافع لهــم وشر أنواع الاتصـــال بالاندماج ، وشر أنواع الاندماج الاقتصار على فريق واحد من الغربيين لا يفترف الا من اناثه ولا يتعـــامل الا مع ابنائه والحكومات الاسلامية المستقلة الرشيدة هي التى تحافظ على الصيغة المصرية الاسلامية لامتها وتقتبس لها الأنظمة والمعارف ووسائل النهوض من كل أمة (م ١٦ — ٣٤٨) .

٣ — والقى الشيخ عبد الوهاب خلاف محاضرة فى مؤتمر الاســـلام والاصلاح الاجتماعى تحت عنوان :

(لماذا أخذت قوانين مصر من التشريع الفرنسى)

ولقد لخصتها الفتح م ١٦ سنة ١٩٤٢ ومما جاء فيها :

ان سبب هذا هو الامتيازات الأجنبية وذلك ان نوبار باشا لما فكر فى عهد الخديو اسماعيل فى انشاء المحاكم المختلطة اتخذ كل الوسائل التى ترضى الأجانب عن هذه المحاكم وتكسب ثقتهم وكانت أولى هذه الوسائل أن يأخذ قوانينها من القوانين الفرنسية والقضاء الفرنسى فعهد الى الأستاذ (مانور) أحد المحامين الفرنسيين أن يضع قوانين المحاكم المختلطة من قوانين فرنسا وقضائها فوضع القوانين الستة :

(المدنى — التجارى — البحرى — العقوبات — تحقيق الجنايات — المرافعات)

وبدأت المحاكم المختلطة تقضى بهذه القوانين من عام ١٨٧٥ فى أرض مصر وفى خصومات أحد الطرفين فيها مصرى ، ولكن اهملت مصر والطرف المصرى لمصلحة هذا الطرف الأجنبى ورضاه ، ولما فكرت الحكومة فى عهد الخديو اسماعيل فى انشاء المحاكم الأهلية قررت انها لو اخذت القوانين الستة التى تقضى بها المحاكم المختلطة للقضاء بها فى المحاكم الاهلية لكان هذا وسيلة الى رضاء الأجانب باحلالها محل المحاكم المختلطة وتوحيــــد القضاء فقررت أخذها وعهد الى مترجمين فترجموها باللغـــة العربيـــة ترجمة حرفية فى اكثر مواردها وبدأت المحاكم الاهلية تقضى بهذه القوانين

الفرنسية على المصريين الذين اهمل جانبهم فى التعيين لهم ، وما روعيت فيه معتقداتهم ولا عاداتهم ولا تقاليدهم ، بل فرضت عليهم قوانين غيرهم فرضا وقسروا على أن يلبسوا ما لا يصلح لهم ؛ وارغموا على ان يرضوا بما ينافى دينهم وشعورهم وفقدوا استقلالهم التشريعى وعاشوا عالة على قوانين فرنسا وشروحها واقضيتها وصارت هذه المجموعة مرجع القضاة والمحامين المصريين للقضاء بين المصريين فى أرض مصر ، ومن هذا يتبين ان حق التقنين لنا ما درست شريعتنا وتبين انها غير صالحة لا يكون مصدرا للتقنين أو ان مبادئها قورنت بمبادىء غيرها فكانت مبادىء غيرها اصلح واعدل أو ان تطبيقها اسفر عن فشلها فى بعض القوانين أو ان علماء طلبوا منهم أن يستمدوا قوانين منها فعجزوا ، وما كان من ذلك من شىء وانما هى الامتيازات الأجنبية والحرص على رضا الأجانب ودولهم قضت ان يعمل الأمة المصرية فى التشريع لها وان يتهر على قوانين غيرها وبان تضع لها قوانين اجنبية عن شريعتنا وعرفنا وبيئتها .

وقد عقد مؤتمر الاسلام والاصلاح الاجتماعى فى القاهرة فى يونيه ١٩٤١ من أجل احلال الشريعة الاسلامية محل التشريع الفرنسى وتحدث فيه طائفة ممتازة من اهل العلم والفضل .

٤ — وفى المجلد السابع تحدث السيد محب الدين الخطيب عن الاسلام فى الدستور المصرى فيقول : ان الاسلام عنصر جوهرى فى نظام مصر الاجتماعى لانه كذلك من عصور متوغلة فى التاريخ ، لم يتردد المشرع المصرى على اعتبار الاسلام (دين الدولة) عندما وضع الأساس الجوهرى فى بناء الدستور لهذا الوطن ، فالاسلام عنصر جوهرى فى نظام مصر الاجتماعى ، هذه حقيقة لا يستطيع ان يكابر فيها احد مسلما كان ام غير مسلم وطنيا كان او اجنبيا ،

وكان ذلك فى الرد على محمود عزمى ومحمد حسين هيكل .

ويقول : ما يزال يرى المصريون ان التحرر القومى والاستقلال الوطنى يخطو خطوات الى الاقتراب من نظام مصر الاجتماعى القائم على قواعد الاسلام فى كيان الأسرة وتكوين المجتمع وينشدون الحرية ويسعون

فى سبيل الاستقلال لانهم اذا نالوا حريتهم واســـتقلالهم كان معنى ذلك انطلاق شريعتهم فى الطريق الذى يرتاحون اليه ويرون فيه سعادتهم ،

ويدعو الى الاهتمام بالشباب الجامعى .

٥ — وفى المجلد ١٨ يتحدث الفتح من الفقه الدولى والفقه الاجتماعى فالفقه الدولى هو الذى يحدد علاقات الدولة الاسلامية بالدول الأخرى ، وان فقه الدول هو الذى يحدد سلطان الدولة الاسلامية فى ادارة الوطن الاسلامى واهله وكيفية اختيار الامام الأعظم وصفة اهل الحل والعقد من رجال شوراه ، وشروط ولاية القضاء ، سماه شيخ الشافعى ابو الحسن الماوردى باسم « الأحكام السلطانية وأحكامه المنثورة فى كتب الائمة وقد ازاد بعض الائمة فروعا منه بالتاليف مثــل كتاب « الخراج » للقـــاضى أبو يوسف ، وكتاب الخراج للامام يحيى بن آدم القرشى وكتاب الأموال لأبى عبيد ورسائل الحسبه لشيخ الاسلام ابن تيمية .

اما الفقه الاجتماعى فيتناول اشراف الدولة على شئون أفراد رعاياها وجماعاتهم فى شعب الايمان الاسلامى كما يعين اهداف الاسلام فى تربيـة أهله وتوجه تصرفاتهم الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ليتم بذلك ما أراد الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن تكون خير أمة أخرجت للناس

وقد قسم الفقه الاجتماعى الى :

١ — فقه الأسرة : الأحوال الشخصية .

٢ — فقه الالتزامات والعقود : القانون المدنى .

٣ — فقه الحدود والقصاص والزواجر .

٤ — فقه العبادات » .

٦ — وردت الفتح على الدكتور طه حسين فى هجومه على الشريعة الاسلامية بمناسبة الاحتفال بمرور خمســـين سنة على تأسيس المحاكم الأهلية فقالت :

الدكتور طه حسين يقول : ان فى مصر قوما ما زالوا يفكرون فى ان نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحيـــاة المصرية ، وان الرقى

الطبيعى يقتضى أن يمضى فى تطوره حتى يصبح جزءا من نظام القضاء المصرى العام (١)

وصدق طه حسين فان فى مصر طائفة يفكرون فى أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية بل يفكرون فى أن الاسلام نفسه ليس بمصر حاجة اليه ولطالما تزمروا من كون دين الدولة المصرية هو الاسلام وقد يكون هو نفسه المتزمر من هذا النص فى الدستور وقد نشر فى مجلة الحديث الحلبية هذا :

ولو تركت مصر الى رحمة الدكتور طه حسين وذلك النفر القليل لحرجوا من التفكير الى التدبير لاعلان أن نظام القضاء الشرعى ليس من ضرورات الحياة المصرية ولكن الله أرحم من أن يجعل مصر الاسلامية تحت رحمة أمثال هؤلاء ، وكم مضى أمثالهم تحت سماء مصر فأرادوا بالاسلام ما يشتهون ثم خيب الله ظنهم وظلت مصر الاسلامية هى مصر الاسلام لأن على مصر واجبا للاسلام ستتمخض عنه الأيام القريبة أو البعيدة فتكون الأرض غير الأرض .

الاسلام دواء أمراض اجتماعية تفتك الآن بالانسانية ، والانسانية فى عصر الاستكشاف تبحث عن منافعها فى دفائن الأرض ، فان لم نسبق نحن الى اظهار الاكسير الاسلامى للذين لا يعرفون قدره فانهم سيتوقون الى اظهاره بأنفسهم .

قال فحيرى المستشرق المجرى : ان فقهكم واسع جدا الى حد اننى اقضى العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والاحكام الموافقة لبلادكم وزمانكم ،

قال أحمد تيمور : انه لا يكاد يوجد حكم صدر موافقا للعدالة فى أى محكمة من محاكم الدنيا من أول عهد البشر بالقضاء الى الآن الا وفى مذهب من مذاهب الفقه الاسلامى الغابرة أو الحاضرة ما يوافقه أو يغنى عنه ، وفى الاشارة الى الاستغناء عن قانون نابليون بقانون جديد طالب بانشاء دوائر معارف فقهية مثل معالم (والوز وكارينتيه وبانزكت) فى القوانين ،

وتحدث عن فحول المشرعين الذين نبغوا فى مصر من امثال محمد بن أدريس المطلبى والليث بن سعد والبويطى والربيع بن سليمان واشهب العامرى وابن عبد الحكم وأحزابهم من أحبار الفقه الاسلامى واشار الى أن القانون المدنى المعمول به فى محاكم تونس مقتبس من الفقه المالكى والقانون المدنى الذى كان معمولا به فى سلطنة آل عثمان مأخوذ من فقه أبى حنيفة ولا يزال معتبرا فى المحاكم المدنية فى الشام والعراق .

(٩)

وقد حدثت فى خلال هذه الفترة ندوات واسعة لدراســـة الشريعة الاسلامية والدعوة الى اتخاذها اساسا للتقنين فى البلاد ، ومن ذلك ندوة الجمعية الملكية للاقتصاد السياسى حيث تحدث فيه الشيخ محمد سليمان ، عبد الحميد بدوى ، كامل مرسى ، الشربينى أبو العز ، وذلك فى مواجهـــة اجراءات تعديل القانون فى هذه الفترة (١٩٣٦) .

قالت الفتح : ان لجنة التعديل اطلقت لها الحرية فهى اتحاد أساس التغيير . تدعو ان تأخذ تشريع مصر بدءا لغايتها فأى تشريع يجب أن يكون بدء غايتنا التشريعية ، الذى مر عليه نصف قرن وقد ظهرت عيوبه أم تشريعنا الذى لابس البلاد ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن حتى كون الأمـــة وطبعها بطابعه ؛

وتحدثت الفتح عن جنوح المشرعين الى المصالح المرســـــلة التى بمقتضاها سارت الشريعة دولا وأزمانا تودى وظيفتها وهى تحقق العدالة بين بنى الانسان .

وقالت : ان أصول الأحكام فى هذه الشريعة ٦٥٠ حكما من القرآن والسنـــة اســـتطاع المشرعون ان يســـتخرجوا منها ما صلحت به تلك الامبراطورية الضخمة طوال تلك الأحقاب حتى ان مشرعا واحدا استخرج تسعة وعشرين الف مسألة تشريعية من ذهنه فى القرن الماضى حتى فى عهد محمد على كان فى مدينة المحروسة وحدها اثنتا عشرة محكمة جزئية واربع محاكم عليا وقد ألغيت الجزية ١٢٢٦ والتكليات العينية ١٢٩٧ اذ وضعت

اول لائحة للمحاكم الشرعية فى تلك السنة . وبرهنت على أن الشريعــة لا تزال محــاكمها قانونية فى عمومهــا الى وقتنا هذا وقالت : قارن بين الشريعة وما أنتجته حضارة الشريعة الاسلامية ما مثله تلقاها الساميون بمزيد الدهشة والاعجاب . وتحدثت الفتح عن القوانين التى ستغير منها قانونا المرافعات وتحقيق الجنايات وهما فى اجراءات يصــــح ادخالها فى باب المصالح المرسلة فتكون من شريعة البلاد وقانون العقوبات وهو ن باب التعزير وقد تركت الشريعة أمره مفوضا للمحاكم فيها تشرعه فيــــه يكون من شرع الله ما لم يخالف الكتاب والسنة » .

الفصل الثانى

التربيـــــة الاســــــلامية

اذا كان السيد محب الدين الخطيب قد اولى اهتماما بالغا للشريعة الاسلامية وتطبيقها فقد حشد جهدا ضخما للتربية الاسلامية وقدم فيهـا منهجا واضحا واسعا وكان الاهتمام بالجامعة الأزهرية واصلاحها منـذ المجلد الأول حيث كتب عبد العزيز جاويش مطالبا أن تعـود المعـاهد الدينية سيرتها الأولى متى كان لدى الطلاب من المبادىء العلمية ما يعنيهم على معالجة الأمور مثل شهود مجالس معلمهم وأن أساس التعليم الحديث في جامعات أمريكا الآن هو الذى هجرته معاهدنا الدينية ، وينبغى العدول عن الكتب التى وضعت فى العصور الاخيرة موجزة معقدة حتى لتكاد تكون احاجى والغاز فان هذا مضيع للوقت صارف للطلاب عن الجوهر واللباب، ويجب أن تؤلف كتب حديثة سهلة التناول ، حسنة التبويب والتفسير ، ويجب أن يستعان بما للسلف من الكتب فى مختلف العلوم فانهمـا ديوان العرب ومزايا ماضى الاسلام وخزائن ثمار الجهاد العقلى الذى سلخ منه سلفنا الصالح قرونا كثيرة .

٢ — وتحدثت الفتح عن المحاذير التى أنشئت الجامعة المصرية من اجلها فى ضمائر أصحاب النفوذ الأجنبى وهى أن تكون بديلا للأزهر وعلقت على مقال للسياسة الأسبوعية (٣ مارس ١٩٢٧) قالت السيـاسـة الأسبوعية (وان الجامعة المصرية صائرة لا محالة الى حيث تحل من ناحية النفوذ خارج الحدود المصرية محل الجامع الأزهر ونفوذه الكبير ، فى تلك العصور التى مضت ، ولم يكن الجامع الأزهر أيام ازدهاره الا جامعـة موجه لدرجات التعليم العام فى تلك العصور ولم يكن نفوذ الجامع الأزهر الا ناشئا من هذا الاعتبار وحده) .

وقالت الفتح : هل تحل الجامعة محل الأزهر ؟

سؤال كان على كاتب السياسـة أن يبحثه من جميع وجوهه وأن

بطيل التفكير فيه قبل ان يعطي حكما نهائيا بشأنه . فان نفوذ الأزهر في بلاد الاسلام نتج عن قيامه بخدمة علوم الاسلام خدمة لم يغن غيره منها غناءه فهل يمكن للجامعة أن تحل محله في القيام على علوم الاسلام ؟ أي عرض الجامعة ينطق بأنها ما انشئت لتقوم بتعليم العلوم الاسلامية وبالدفاع عن الاسلام بل هي بعيدة كل البعد ، اذا فكيف يتهيأ لها ان تحل من نفوس المسلمين محل الأزهر ؟ يخيل للكاتب ان البلاد الاسلامية تتطور وأن هذا التطور سيحيلها الى حالة فكرية تستغني فيها عن دينها وتقاليدها وعن الاسلام وعلومه ، وتنقلب أمما لا تستطيع رؤية العلوم الاسلامية بل تستبدل بها الثقافة الجديدة ؛ تلك الثقافة التي تستغني بها عن الدين وعلومه ، ان نفوذ الأزهر ناشيء عن قيامه على علوم الاسلام قياما متواصلا لم يعتوره انقطاع . ونجاحه في ذلك نجاحا لم تؤثر فيه احداث الدهر ولا تقلبات الأحداث ولا ضعف المسلمين وتدهورهم ؛ فما نبغ نوابغ العلماء الا في رحابه ولا خرج المصلحون الا من حلقات دروسه؛ ولا يعرف المسلمين حتى يهاجم الدين الا أهل الأزهر . ولا ترجع الأمة في أمور دينها الا اليهم . خدع كاتب السياسة نفسه ليبني عليه قاعدة من حلول الجامعة محل الأزهر .. الأزهر للدين والجامعة للثقافة الجديدة وانت تعرف معنى الثقافة الجديدة . ثقافة تقوم على انكار الدين لا على تحريرها من الدين أو على عدم الحاجة اليه ، فالتقابل بين الأزهر والجامعة تقابل بين الشيء وضده . ان الفقه الاسلامي حين يدرس في الجامعة على انه نوع من الفقه الروماني أو الفقه المدني لا يحل في نفوس المسلمين محل الأول اذ يدرس على أنه مأخوذ من كتاب الله ومن سنة رسوله ، أن الأزهر سيظل حافظا نفوذه مؤديا أمانته التي ائتمنه عليها تاريخ المسلمين ولو انشئت ألف جامعة وجامعة ، ان الجامعة المصرية لا تحل محل الأزهر ولا محل جامعات الغرب ولا ترث نفوذهما بين الأمم الاسلامية لأنها لم توفق الى وضع الخطة الصالحة لمهمتها ولم تحسن اختيار كثيرين ممن يعملون فيها .

٣ — ووالت الفتح اهتمامها الى اصلاح التعليم في الأزهر (م ٣) :

فتحدثت عن أن تنظيم التعليم العالي يضم ثلاث شعب : احداها لدراسة الفقه ووسائله من كتاب الله وسنة الرسول ، ومذاهب السلف

الصالحين توسلا الى استخراج للاحكام الشرعيه (٢٠) دراســـــة علوم الكلام ، ودراســة علوم اللغة العربية ودراسة الكتاب والسنة من الناحية البلاغية » .

وكتب الأستاذ محمد محمد الأودن ، منصـــور رجب ، عبد الباقى سرور نعيم عن اصلاح الأزهر ، وكانت الدعوة الى أن يكون اصلاحا يحفظ بشخصية الأزهر وروح العصر فلا يرمى به فى أحضان حركة التجديد ولا يتشبث فيه بالجمود بل يكون حافظا للروح الاسلامية مع قسط وافر من علوم العصر الحاضر ووضع تربية لبعث الروح الاسلامية من جديد .

٤ — واولت الفتح اهتمامها الى مدارس المبشرين وماذا تفعل بابناء المسلمين (م ٣ ص ٢٨) فقالت : ان مدارس المبشرين تعلم الأولاد الطاعة والامتثال والميل الى النصرانية غير أنهم لا يجرءون على اعلان التدين بغير دينهم بينما يحافظ المسلمون على الشبيبة القبطية من التعليم فى مدارس المراسلين الأجانب .

وتناول الموضوع بتوسع ودقة الأستاذ حسن البناء فى مقال ضاف تحت عنوان :

(هل نسير فى مدارسنا وراء الغرب) ؟

قال : لنا أن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجــــــه عنايتها بالعلوم الطبيعية والمواد العلمية والمعـــــارف الحيوية التى ترمى الى ادراك سر الوجود ومعالجة مشاكل الحياة وهو العنصر الجوهرى فى رقى الغرب ، ولنا أن نأخذ عن مدارس الغـــرب ومناهجــه عنايتها باتجاهات التربيـــة الحديثة ومراعاة مطالبها وتاسيس طرق التعليم على أسس وطيـــدة من دراسة نفس الطفل وطبائعه ، ولنا أن نأخذ من مدارس الغرب ومناهجه عنايتها بتربية الجســـــوم وغرس الفضائل الوطنية فى نفوس تلامذتها ليخرجوا رجالا كاملين ، ينفعون أوطانهم والعالم كله .

ولكن هل نجعل مدارســــــنا خلوا من الدين متبرئة من العناية به والاهتمام بشأنه لأن مدارس الغرب كذلك لأن مدارس الغرب ترى أن

هناك فرقا بين مدارس الكهنوت ومدارس العلوم . كلا وألف مرة كلا . فإن أسباب ذلك وموجباته أن توفرت في الغرب فهي معدومة عندنا وإن أخطأ الغربيون في شيء فلسنا ملزمين بتقليدهم في خطأهم . على أن مدارسهم أسست كذلك في وقت كان فيه الصراع بين العلماء والمتدينين على أشده وكانت موجة الالحاد تغشى أوربا من أقصاها الى أقصاها . وكانت المدارس هي السلاح الخاص للقضاء على مزاعم الكهنوتيين وأراجيفهم ولكن الشأن الآن غير في أوربا التي بث فيها الالحاد تعود الآن الى الايمان أما نحن فليس عندنا شيء من ذلك قط ، فلماذا نندفع في تقليدها في شيء رفع الله عنا أسبابه ونتائجه . ان علينا أن نجعل مدارسنا منبعا صافيا تستقي منه الطلاب علوم الدين والدنيا وتثقف عقولهم بقدر ما تهذب نفوسهم وتطهر أرواحهم وأن يحرروا أفكارهم من نير الأعجاب بثقافة أوربا وأن يكملوا مدارسنا بما ينقص مدارسها » .

وتحدثت الفتح عن المدارس التبشيرية في ديار الشام : وقالت أنها خطرة على تقاليدنا الدينية ، وقد حمل تلاميذها على ترك دينهم واجبارهم على ممارسة عبادة غير عبادتهم ، القائمون عليها أتوا الى هذا البلد ليغيروا معتقدات سكانه » .

وكتب محمد فتح الله درويش تحت عنوان : متى يكون للمسلمين مدارس ؟ »

(٣)

ونحدثت الفتح عن سياسة التعليم في مصر (١٧ نوفمبر ١٩٢٧) فقالت :

لو أن القائمين على سياسة التعليم لم يجردوه من الدين ومن الأخلاق بل أقاموه على الدين وركزوه على الفضيلة لما خيف على الذين لا عاصم لهم ، من تربيتهم المنزلية وتعليمهم الصحيح ، لأن الدين كان يعصمهم ويكفهم عن اجتراح الشرور وارتكاب السيئات اذا سدت في وجوههم أبواب الوظائف ويمكننا أن نفهم السر في اتجاه السياسة الانجليزية نحو جعل التعليم في مصر مجرداً من الدين والأخلاق لأن هذا

هو ما تقضي به مصلحتها ويؤدى الى تدمير شعب مدين بدين هو الحقيقة معاد لدين من يدير شئونه ولكن لا يفهم بحال السر فى بقاء هذه السياسة معمولا بها الى اليوم بل فى تقهقر التعليم الدينى الى الوراء زيادة عما كان عليه فى الادارة الانجليزية . بينما ترى الجامعـــــة المصرية تبث الالحاد وبتعصب طه حسين ويعتنق ابعد الآراء شذوذا اذ بك تجد الفلاحين وهم تسعون فى المائة فى جهالة فهؤلاء تفتك بهم الخرافات والاوهام .

٢ — وتحدثت الفتح عن (التركيز فى التبشـــير على فلســـطين) : يوليو ١٩٢٨ / صفر ١٣٤٧

واشارت الى جماعة المبشرين البروتســـتانت ودورهم الخطير فى ازعاج المسلمين وقد دعاهم المسلمون الى عقد مناظرة علنية فى القدس يشهدها عدد كبير من المسلمين والنصـــارى وغيرهم يطالبون فيها باثبات صحة ما يدعون اليه بطريق البحث العلمى وضربوا لهم مدة كافية لتبليغ دعوتهم ومضت المدة ولم يعلنوا قبولهم فدلوا بعدم اجابتهم على عجزهم عن اثبات صحة دعواهم .

وكتب ابن الفيحـــاء (م ١٩٢٨/٣) عن الالحاد وكيف نشـــا فى المدارس . وقال ان السبب فى ذلك أن الطالب يجد النظرية لعـــالم من علماء الغرب فيعود الى رجال الدين يتلمس موضعها من الإسلام فلا يجد عندهم ما يريد ، هنالك ينغرس فى نفسه بذرة الظن بأن بين الدين والعلم خلافا ، وقال ان الدواء هو تاليف لجنة من خيرة العلماء لوضع كتب عصرية فى الدين الاسلامى وتاريخه وآدابه غير الأســـاليب المالوفة الآن ، وأن تبنى كتب التوحيد والكلام والحديث على اساس دفع شبهات المذاهب الفلسفية الحديثة .

٤ — وفى المجلد الرابع كتب الاستاذ محمد فتح الله درويش فصلا مطولا عن التربية الاسلامية تحت عنوان : متى يكون للمسلمين مدارس وهل من سبيل الى ذلك ؟ قال : اصبحت بذور الالحاد والتشـــكيك تلقى جهارا باسم العلم والتجديد فى بعض معـــاهد التعليم المصرية وبجراة قد تزيد فى شدة أثرها وتعدد نواحى همومها من تلك التى يتعرض لهـــا

الطلبة المسلمون فى الغرب ثم ان الوسط الخلقى فى بعض المدارس المصرية أصبح ويا للأسف فاسدا فلست ابالغ اذا قلت ان الفضيلة فيه أصبحت لا تجرؤ على الظهور امام المباهاة والتفاخر بالفسق وايتان المنكر . فالطالب المصرى المتمسك بأهداب الدين والفضيلة غدا فى حاجة ماسة للحماية من تيار الغواية الجارف الذى يكتنفه من كل جانب . اما الجامعة الأمريكية ببيروت فانها ما أنشئت الا للتبشير بالمسيحية ومهاجمة الاسلام فى دياره ، ولذا فان معظم خريجيها يرجعون الى اهليهم وقد تخلخلت عقائدهم وسقم وجدانهم واصبحوا وبينهم وبين دين الاسلام والغيرة عليه حجاب ولا سبل الى حفظ عقائد اعضاء البعوث واخلاقهم سواء فى اوربا او فى الشرق الا باتخاذ نظام دقيق من الرقابة على البعوث الرسمية وغير الرسمية تحول بينهم وبين الانزلاق فى هذا التيار المخيف » .

كذلك فقد كتب الاستاذ مصطفى الرفاعى عن (حاجة البلاد الى مدارس اسلامية بالمعنى الصحيح ، كما نشرت لمقالم من حمص عن (المسلمون ومدارس الدعاية المسيحية) .

وتحدث الاستاذ عبد الباقى سرور نعيم عن التعليم والتبشير : فقال نشر المبشرون مطاعنهم وهم فى أمن من المقاومة الداخلية وساعدهم نظام التعليم فى ادارس على تهيئة ارض صالحة وايجاد جو مستعد لقبول تلك المطاعن ومضت خطة التعليم بجريرة من الدين وجعله بعيدا عنه حتى لا تغرس فى نفوس الناشئة من العقائد والتعاليم ويجعلها غير صالحة للقول أى طعن أو الميل لأى شبهة . وأحد التعليم المجرد من الدين عقولا مستعدة لقبول ما يلقى اليها خاصة اذا جاء من ناحية يعتقد فيها التمدن والرقى [١٥]

وتشرف على التعليم المجرد من الدين جمعيات اجنبية ، وهى تجبر المسلم المتعلم فيها على الانقياد لتعاليمها والخضوع لنظامها ، ان التعليم على اختلاف انواعه قد أدى للتبشير خدمة هامة بابعاد الدين الاسلامى من المدارس فالتعليم والتبشير كلاهما متعاونان ويتناصران على قصد أو على غير قصد . ان كل ما يقوله دعاة الالحاد وأنصار التجديد وما

يبدونه من الشكوك وما يدسونه من المطاعن كل ذلك مأخوذ من عسف المبشرين ومؤلفاتهم وأحاديثهم ودروسهم .

٤ — وتناول الأستاذ صادق عرجون الرد على (محمود الشرقاوى) الذى رمى الأزهر بالتأخر ونعي كثيرا من الكتب التى تدرس فى الأزهر والرجال القائمين على تدريسها ومما قاله لماذا لا نستمع الى دكتورنا الجليل طه حسين .

وقال الأستاذ صادق عرجون : كيف نستمع الى دكتورك وهو الذى كذب الكتب المقدسة من غير خجل ولا حياء ، وهو الذى غمز نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، هذا النسب الذى تعالى فى سماء الشرف والكرامة بمغامز تورع عنها أشد خصوم الاسلام والد اعداء العرب وهو الذى انكر القراءات المتواترة وذهب فيها مذهبا خاطئا صوره له الحاده وهواه فى حين انه ليس له من الحصانة ما يكفى لحماية خروجه من الأديان ، وقد أظهر تقرير النيابة الرسمى فضيحته الكبرى وعدم أمانته العلمية وهو الذى اختتم سلسلة المخازى بافترائه على النحاة فى محاضرته فى مؤتمر المستشرقين .

وقال الشيخ مصطفى صبرى : لقد قرأت كتاب الأستاذ محمد احمد الغمراوى (النقد التحليلى) من أوله لآخره وعجبت بعده كيف قراه طه حسين ولم يمت من شدة الخجل والفشل بين يدى العلم والعقل فدوام حياته فى مصر وجامعاتها خارقة من خوارق فقدان الحياء ، يحق أن يحسر منها وجه مصر كما يحق أن تشرق صفحة وجهها الأخرى بالغمراوى .

٦ — وكشف مصطفى الرفاعى اللبان عن اخطار المدارس الأجنبية، وقال انها تشتغل فى وضح النهار غير خائفة عقابا ولا حسابا فهى تشتم الاسلام أمام أولاد المسلمين بالفاظ قبيحة وتضطر التلاميذ المسلمين الى ممارسة الطقوس الدينية المسيحية فيصلون مع المسيحيين ويرتلون ترتيلاتهم ، وفرض تلقى دروس الديانة المسيحية وحفظ فصول من التوراه والانجيل وآباؤهم فى غفلة من أمرهم ، تقدم لهم كتبا تطعن فى الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم .

٧ — واتسع بحث خطر المدارس الأجنبية حيث يحفل المجلد الرابع بمجموعة من الأخبار في هذا الصدد وفي مقدمتها سؤال برلماني وجهه علي سالم عن أن (كامل منصور) اجترأ في خطاب القاه في مدرسة الأمريكان على الطعن الجارح في الدين الاسلامي وصاحب الشريعة المطهرة صلى الله عليه وسلم وعلى التهجم في القول بأن كل ما يحويه القرآن الكريم قصص وخرافات وقد سبق أن اقترف نفس هذا العدوان في الجامعة الامريكية فخرى فرج .

ودعا الى مطالبة المفوضية الأمريكية بالعمل على تطهير دورها العلمية في مصر من أرجاس كامل منصور وفخرى فرج وأمثالها .

كذلك فقد حولت النيابة العامة قضية الدكتور فخرى ميخائيل الخاصة بالتطاول على الدين الاسلامي في محاضرة القاها بقاعة المحاضرات بالجامعة الأمريكية عن مساواة الرجل والمرأة في الميراث .

كما أشارت الفتح الى كتاب دراسي يوزع في مدرسة سننان بالسكاكيني حيث جاء في الصفحة ١٨٨ من كتاب التاريخ المقدس : العهد القديم والجديد : عبارات غير لائقة عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

وتحدثت الفتح عن المدارس الأمريكية وخطرها وخطر المدارس الاجنبية فقالت :

على المسلمين ان يخرجوا أولادهم من هذه المدارس ويشيدوا دورا للعلم تربى اولادهم تربية صالحة في الدين ، وأشار الى ان الطالب الذى يدخل مدرسة افرنكية يشترط عليه حضور الدروس الدينية وأداء الامتحان بها ومعنى ذلك انه يشارك المسيحيين في عبادتهم ويدخل الكنيسة معهم . ومن مبادىء هذه المدارس أن توزع المجلات المسيحية على الطلاب ليقراوها ، وهذه المجلات تحوى طعنا جارحا في الاسلام وانهم يقدمون تقارير كاذبة عن انتشار المسيحية في انحاء العالم وتراجع الاسلام تحت ضغط انتشارها . ونشر العادات الهدامة للعفاف والأخلاق ، وان دراسة التاريخ في هذه المدارس يوكل الى المسيحيين وفي عرض سيرة الرسول والخلفاء الراشدين فاذا وصلوا اليها غمزوا بمقدار محدود وطعنوا برفق في الرسول الأكرم » .

(٣)

ويحدث الأمير شـكيب أرسلان (م ٤ — ١٧ أبريل ١٩٣٠) تحت عنوان : « الأزمة الحقيقية الحاضرة فى الاسلام هى أزمة التعليم »

ومما قاله : كل علل الضعف الذى حل بالاسلام صحيحة ولكنها اقل خطرا واخف ضررا من طريقة التعليم التى جرت عليها الحكومات الاسلامية والمسلمون فى هذا العصر ، وهى الطريقة التى ستكون نتيجتها أشد ويلا على المسلمين من الاسـتعمار ومن الحروب الصليبية ومن الغـارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداهية .

ان طريقة التعلم التى معناها ان ينشأ الحدث المسلم بدون عقيدة فى الصغر ينقش فى لوح صدره وان لا يكون له نصيب فى حفظ القرآن ولا من قواعد العربية وان تطلب منه بعد ذلك أن يكون مسلما . اذا تأمل من الشاب الذى أرسله أبوه الى أوربا وهو ابن ١٤ سنة لا يعرف شيئا عن عقيدة قومه ولا من البراهين التى يقوم عليها الاسلام فوصل الى هناك خاما كما يقال وحشا دماغه فى أوربا بكل ما يحقر الاسـلام ويصـغره ويزدريه ، وقيل له أن ما عليه امته من التأخر والضعف والجمود ، انما هو بأجمعه أثر الاسلام فيكون من العجب بعد هذا أن تنشأ عن هذا الفوج الجديد (الاسلامى) هذه الكراهية للدين الاسـلامى وهذه النصرة من الثقافة الاسـلامية بل العجب كل العجب أن يكون الأمر بخلاف ذلك ، فالخطأ ليس خطأ أوربا التى تريد أن تثبت تعاليمها مما هو طبيعى والتى لو وجد فيها الميل الى الانصاف لم يوجد عندها العلم بحقيقة الاسـلام الذى لا يصل اليها غير العلم الا مقلوبا وان الخطأ هو خطأ الحكـومات الاسلامية التى كانت ترسل الناشئة للتحصيل فى فرنسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا وسويسرة وتظن أنها ربت فيهم رجالا للمستقبل والحقيقة أنهـا ارسلتهم الا الأقل غير مجهزين بشىء من السلاح المعنوى الذى يمكنهم من ان يذبوا به لو هوجمت عقيدتهم فكانوا معرضين لكل خطر كما رأيناهم » .

(٤)

وتواصل الفتح حملتها فتكشف عن اخطار الجامعة الأمريكية ففى المجلد (٦١٣/٤) مارس ١٩٣٠ تتحدث عن اعمال التدريس داخل الجامعة الأمريكية فكتبت تحت عنوان : الجامعة الأمريكية تكشف قناعها بقول :

الاستاذ جنرى المدرس بالجامعة الأمريكية فى القاهرة اشار فى احدى محاضراته الدينية التى يلقيها كل صباح على مسامع طلبة الجامعة الداخليين من مختلف الجنسيات قوله : ان مقاييس النبوة الصحيحة ان يأتى النبى بشىء جوهرى جديد ، وان لا يكون شهوانيا وعلى هذا لا يعد محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا بل مصلح فقط . ماذا يقول الشيخ عبد الحميد السايح فى هذه المقولة : ان الأنبياء جميعا يدعون لمبدأ التوحيد وعبادة الخالق : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك) وان اختلفوا فى وسائل هذه العبادة وتكاليف الناس بشأنها ، جاء سيدنا محمد بأحكام مدنية وشريعة ابدية ، تطابق العقل والمصلحة ويستطاع تنفيذها فى اى عصر واى مكان ، وقد عدد النبى زوجاته لحكمة يعرفها امثال الأستاذ جنرى ويتجاهلونها ، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص خالف بها كثيرا من الزعماء والعظماء ، ربما كان النبى (صلى الله عليه وسلم) مدفوعا بدافعه الشهوانى الطبيعى ، ولو كان كذلك لاختار من أبكار قومه الجميلات لا من عجائزهن .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به به الماء الزلالا

ورد كثيرون على الدكتور فخرى بشأن المساواة بين البنين والبنات فى ميراث الآباء والأمهات منهم الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر والأستاذ عمر الدسوقى .

٢ ـ ثم عاودت الفتح (المجلد الخامس ١٩٦١) الكتابة تحت عنوان الاسلام فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، قالت : ان محمد حسن

علاء الدين ، كان طالبا فى لجامعة الأمريكية كشف فى صحيفة الصراط المستقيم — يافا — فلسطين ، ما يرمى اليه اساتذة الجامعة الأمريكية و القاهرة انهم جعلوا من كتب المراجع التى يرشدون الطلبة الى قراءتها كتابا خبيثا مملوءا بالفحش والتطاول الى مقام سيدنا رسول الله بعبادات يعاقب عليها قانون العقوبات المصرية ويعدها جناية على مصر اسمه مشاكل الدين ، تاليف ديورنت دريك .

٢ — وتحدثت الفتح عن (خطر المدارس على أولاد المسلمين)فقالت ان هذه المدارس تبغض الى الطلبة المسلمين ودينهم ووطنهم ، وتصور لهم ابطال المسلمين وملوكهم وامراءهم فى صور المستهترين بالأخلاق والآداب المحبين لسفك الدماء ؛ وتحسن لهم المسيحية وتشوقهم اليها بدرس تاريخ رجالها وتصويرهم فى احسن الاشكال وتحبب اليهم الآداب الغربية والمعيشة الأوربية وتذم لهم علماء المسلمين السابقين وتنتقد أمامهم الاسلام المبين انتقادات وتدخلهم الكنيسة قسرا وتجبرهم على العبادة فيها .

٤ — وتواصل الفتح فى المجلد السادس فيتحدث (عن الدسائس فى كتب مدارس المرير والأمريكان فى مصر) الأستاذ مصطفى الرفاعى اللبان حيث تحدث عن خطتهم فى تشويه حقائق الاسلام والاعتداء على نبيه الكريم وكتابه الحكيم فى الوقت الذى قام القرآن على :

(١) تبرئة الصديقة مريم مما اتهمها بها اليهود واسبغ ثوب الطهارة والثناء عليها .

(٢) مدح السيد المسيح ووصفه باجمل النعوت واعلاها والثناء عليه .

٥ — واشارت الفتح الى ان الجامعة الأمريكية يراسها مبشر هو شارلز وطسن وقد كان والده مبشرا وامه مبشرة واستشهد على ذلك بما قاله (عبد القادر الحسينى) خريج الجامعة الأمريكية (محرم ١٣٥١) عن كتاب وطسن المعنون (حروب صليبية مسيحية فى مصر)ويعنى بهذه الحروب الحملة التبشيرية وقد قال فى مقدمة ذلك الكتاب (هدية لامى وابى اللذين قضيا حياتهما مبشرين فى مصر ، وفيه توجه الدعوة الى اهل الخير

والاحسان ، أن يحضروا الى مصر ليروا الانتصار الباهر لاعمال التبشير في مصر ، ويوجه الى المبشرين كلمة مؤداها انهم هم الذين سوف يتم تنصير مصر باسرها على ايديهم ؛ وبذلك يتوجون رءوسهم باكاليل الظفر والفخار جزاء لهم على جهادهم المقدس) . وقال فى كتابه : ان الكعبة قلب العالم الاسلامى وهى وكر لصوص يؤتى فيه جميع المخازى الأخلاقية (كذا ، (٧٩ م ٦ الفتح) .

(ه)

ومقدت الفتح بحثا مطولا (م ٦ ص ٤٤١) تحت عنوان : تعليم الدين الاسلامى فى مدارس الشرق الاسلامى (تركيا — العراق — ايران) قالت :

ان مستر دنلوب هو واضع اساس المناهج فى مدارس مصر ، وعلى هذا الأساس يحدث التعديل والتبديل دائما فى المناهج ، وكذلك الحال فى العراق ، فان المدرسين الانجليز بمعاونة الأستاذ ساطع الحصرى (الذى نشأ وتكون فى معارف تركيا الاتحادية) هم الذين وضعوا المناهج . وكانت البلاد قبل ذلك فقيرة جدا فى مدارسها ومعارفها على عهد الترك ؛ أما ايران فكانت على عهد ال تاجار تتأثر دائما بأنظمة المعارف فى الدولة العثمانية ، ولما انتقلت الى العهد البهلوى الجديد لم تستطع بسبب ما فى البلاد من عصبية دينية أن تطفر مثل طفرة الكماليين ولذلك نجد عدد معلمى التعليم الدينى فيها اكثر مما هو فى العراق الذى استندت الى ارشاد الانجليز ، وبالرغم من ذلك فان التعليم الدينى فى ايران والعراق وتركيا محسوب، أنه شيء زائد عن الحاجة ، وان الغرض منه ارضاء الشعب حتى يكون مطمئنا أن مدارس حكومته غير مجردة من تعليم الدين ، ذلك أن الذين يتولون القيام بأعمال الادارة فى تلك الممالك غير معنيين بضرورة التعليم الدينى ولا واثقين على ما يكون له من فائدة فى حياة الأمة ، والسياسة الحاضرة ستبقى مستمرة على قاعدة التدرج فى انقاص ... التعليم الدينى كما هو الحال فى الحكومة القائمة فى انقرة .

٢ — وفى المجلد السابع من الفتح ص ٨٠٨ يتحدث السيد محب الدين

الخطيب عن التعليم الاسلامى يقول : النظرية الصحيحة فى التعليم الاسلامى ان يكون ابن الزمان والمكان ، أن يكون عصريا اسلاميا ، فاذا كان عصريا فقط كما هو الحال فى مدارسنا المدنية ولم يراع فيه مطالب المحيط الاسلامى الى أقصى حد خرج لنا منه شبان يجهلون أنفسهم ومحيطهم وكيانهم وكانوا سماسرة لأقطار أجنبية ومقاصد أجنبية وعقائد أجنبية ، واذا كان التعليم ابن المكان فقط ولم يراع فيه معارف العصر خرج لنا شبان جاهلون باحوال زمانهم مجردون من الأسلحة التى يقابلهم بها أعداؤها ، وقال : على كل من له ولاية على شىء من أمر هذه الأمة الاسلامية ، أن يسعى بكل قوته للقضاء على هذا التعارض فى طرق التثقيف فى العالم الاسلامى وازالة هذه الهوة الواسعة بين المتعلمين تعليما مدنيا عصريا والمتعلمين تعليما دينيا اسلاميا ولا يكون ذلك الا بسلخ الصبغة الأجنبية عن التعليم المدنى المصرى واعطائه صبغة أخرى من لون محيطه الاسلامى تكون ملائمة لتقاليد الأمة وعقائدها ويكون فى القسط الأوفى لاعلان مفاخرها وتنوير تاريخها واحياء ماضيها وربط الحاضر به لتكون منهما سلسلة مفرغة الحلقات يكمل بها الأحفاد امجاد الأجداد وبذلك يعود بنى الأمة الى الخير وينقذونها من الانسلاخ من كيانها (م ٧ / ٨٠٨) .

٣ — ويتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد السابع ص ٧٧٥ من الفتح عن (**البرنامج الدنلوبى فى مدارس مصر**) :

قال برنامج دنلوب لتخريج المتعلمين ، يكون فى دواوين الحكومة آلات ميكانيكية تديرها رءوس انكليزية وتسير بها فى خطط لم يكن ضروريا أن يؤدى الى جعل مصر بلدا دوليا (انترناسيونال) وأشار الى الجاليات الاجنبية التى وضعت ايديها على مرافق مصر واستاثرت بها دون الوطنيين وبخاصة المسلمين ، وقال : ان المطلوب هو هدم الطريقة الدانلوبية التى كانت لا تعنى بتخريج أبناء مصر العربية الاسلامية ، ان الطريقة الدنلوبية علمت شباب مصر أن العروبة والاسلام شىء اجنبى طرأ على مصر واحتلتها كاحتلال الفرس والبطالسة والرومان والانجليز مع ان العروبة والاسلام هما روح مصر وكيان مصر ، بل هما مصر منذ نحو اربعة وعشرون قرنا

الى الآن ، فالتعليم يجب أن يبث في الشباب المصرى روح العروبة ، لأن العروبة جنسه وأدبه وتاريخه ، والمصرى لا يعرف نفسه الا ابن عربى مهما حاول اعداء العروبة بث سموم الباطل فيه وابعاده عن نفسه وتبغيض عروبته اليه والتعليم يجب أن يبث في الشباب روح الاسلام لأن الاسلام دين مصر الذى لا تعرف مصر دينا غيره ، ان التعليم الدانلوبى في المدارس اهمل آداب الاسلام وتاريخ الاسلام وامجاد الاسلام فخرج لنا ابناء محرومين من سلاح الفضائل الاسلامية ، في التعليم يجب أن نبنى في الشباب المصرى الاعتماد على النفس في حياته الاستقلالية والاقتصادية ولاعزاز بتاريخه القريب الذى تكونت به قوميته الحاضرة منذ اربعة عشر قرنا .

٤ — وفي المجلد الثامن (١٣٥٢) تتحدث الفتح عن : (تعليم الدين للنشء الاسلامى الذى يجب ان يقترن بالتربية الاسلامية) فيقول : التعليم شيء وتهذيب النفس وتربيتها بشيء آخر ، وان العلم القليل اذا اقترن بتربية العقل وتربية الخلق وتربية النفس انفع لصاحبه وللأمة من العلم الكثير اذا سلحت به نفس لم تهذبها الحكمة ولم تعتصم بخلق التقوى . وتحدثت الفتح عن مطالبة الدكتور عبد الحميد سعيد بأن يكون تعليم الدين في مدارس الدولة المصرية مادة اساسية يترتب عليها النجاح أو السقوط في الامتحانات وارى أن التعليم الدينى لا يكفى والامتحان بدروس الدين لا يكفى ، اريد ان ينشىء ناشىء الاسلام محبا للاسلام غيورا عليه مجاهدا في الاسلام يقف وقفة الخشوع والحرمة والاجلال لذكرى عظمائه وأبطاله .

وقال أن المدارس الكاثوليكية والارثوزكسية والبروتستانتية والاسرائيلية ، يستولى كل واحدة منها على نفوس تلاميذها وتعنى تبريد هذه النفوس وتغذيتها بالغذاء الروحى ، اكثر من عناية اباء هؤلاء التلاميذ بتغذية اجسام أبنائهم بالخضر واللحوم ، ولا يزيد وزن جسم التلميذ عشرة دراهم حتى يكون المدرس قد زادت نفسه تعلقا بالنصرانية او اليهودية ومحبة لها وحرمة لأبطالها وصناديدها ورضى بالتضحية في سبيلها والتزامها بشرائعها اما مدارسنا فقد باعدت ما بين ابنائها وهداية دينهم .

٥ — ويواصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن التعليم ويقدم

صورة مما يجرى فى الجامعة المصرية على يد اساتذتها (١١ نوفمبر ١٩٢٦) نقلا عما نشره الدكتور زكى مبارك : دخل زكى مبارك ليلقى درســـا فى البلاغة فابتدأ مليا أصل الكلمة من الوجهة اللغوية والادبية والاصطلاحية وفى الأثناء دخل طه حسين بين ضــجة الأتباع وتطبيل المطبلين ، فما كاد يستقر به المجلس حتى احتدم بينه وبين طالب جدال فى الفرق بين القــول والكلام فجابهه الأستاذ بتصريح تجمل ونصحه أن يتثبت من الشىء قبــل النطق به ، وهب أحدهم يسأل أهناك فرق أم لا فكان جواب أســـتاذ الجامعة انه لا فرق هناك مطلقا بين القول والكلام مع أن الفرق بين القول والكلام موجـــود فى جميـــع الكتب المعروفة : الخصـــائص لابن جنى . يا سبحان الله ، أمن يحضر علم الأزهر يخرج منه وهو لا يعلم الفرق بين القول والكلام الذى لا يخلو منه كتاب ولا متن ولا حاشية ، ولو أنه حضر فى الأزهر حضور المتعلم كما يقول لقرأ لأول عام ألفية ابن مالك ما من ذلك بد فلو أنه قرأها دون شروحها لفهم المعنى .

كلامنا لفظ مفيد فاســـتقم ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ واسم وفعل ثم حرف الكلم

واحــدة كلمــة والقــول عم ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وكلمــة بهــا كلام قد يؤم

ولم يسمع أستاذ الجامعة العلمية المشهورة : كل كلام قول وليس كل قول كلاما .

٦ — فى المجلد التاسع (١٩٣٤) تتحدث الفتح من تلك الروح التى صنعتها مناهج التعليم الدنلوبى فى مدارس وزارة المعـــارف ومتى يمكن التخلص منها يقول : لســـت أدرى متى تقتنع وزارة المعارف بأن هذه المناهج التى وضع مســـتر دنلوب أساسها فيما مضى لتصنع بها موظفين لدواوين الحـــكومة أصــبحت الآن غير صـــالحة للمدارس لأن دواوين الحكومة شبعت موظفين وحاول الكثير منهم أن ينزلوا الى معترك الحياة الاقتصادية فوجدوا أن المعارف التى تلقوها من مناهج دنلوب لا تؤهلهم لمثل ما تؤهل مدارس الفرير والجزويت لأبنائها » .

٧ — وتحدث الفتح فى المجلد التاســـع عن الفوارق العميقة بين التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ، فقال : أما تربية المدارس فروحها

تفرنج مهل بقتل الاسلام مثلا بتفضيل كل ما هو افرنجى على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الاسلام وعنوانه وتغذية الايمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها احد كما أنها غير محرمة عليهم فلا يمنع من ابرادها فى غير وقت الدرس . هذه المدارس وضع الانجليز نظما وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاءوا ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها ادنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملل بل ما لا يشاركها فيه ملة أخرى ، وقد اتفق ان جيء لمدرسة البنات السنية على عهد القس الشهير دنلوب المسيطر على وزارة المعارف بناظرة انجليزية ممن تربين تربية حرة عالية فلما كتبت تقريرها اقترحت الزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن يتعلمن عقائد الدين الاسلامى وأحكامه ويؤدين عبادته من صلاة وصيام وعللت ذلك بأن عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة ولا يصلح للتربية الا الام المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ، ولذلك أجمعت الأمم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية ، ولما كان الاسلام هو دين الأكثرية الغالبية وجب جعله هو الدين الذى يبنى عليه أساس نظام التعليم والتربية فى هذه المدرسة فانا اقترح جعله رسميا الزاميا فيها » .

ولقد عزل دنلوب هذه الناظرة عزلا وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا وجميع المدارس التى تسمى اسلامية فى مصر تسير وراء وزارة المعارف فى تربيتها وتعليمها سير القذة بالقذة ، حتى مدارس الأوقاف الملكية وكذا مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان غرضها الوحيد فى عهد رئيسها العام ومديرها حسن عاصم تربية أولاد الفقراء من المسلمين تربية اسلامية خالصة ، حسبك ن تعلم ان الجمعية انشأت مدرسة للبنات لتمرينهن على الرقص دون تمرينهن على الصلاة .

والذى أعلم انه لا يوجد فى بيوت المسلمين ولا فى المدارس الرسمية ولا غير الرسمية تربية اسلامية مدونة او متبعة بالعمل على نفسية اطفالهم فى البيوت ثم تلاميذهم فى المدارس .

٨ - ويواصل السيد محب الدين الخطيب دعوته الى التربية الاسلامية فيمضى فى المجلد (١٢ - ١٩٣٨) فيكشف عن الوحدة الالمانية القومية - وهى مضرب الامثال فى القوة والمضاء والانسجام وبركة الانتاج - لم يتوصل رجال السياسة الى تحقيقها الا بعد ان عمل لذلك رجال التعليم والتربية ولاسيما مدرسو التاريخ فالألمان مدينون بوحدتهم لهؤلاء المدرسين اكثر مما هم مدينون بها لبسمارك ومولتكه والامبراطور البروسى ولولا تلك التوطئة والتوجيه من رجال التعليم وتدريس التاريخ لبقى أمل الاتحاد الجرمانى خيالا ووهما ولبقيت المقاطعات الجرمانية طعمة لكل آكل ونهبة لكل طامع .

ويقول : المواد التى تتفاوت الأمم فى أساليب تدريسها هى التى تتصل بالقومية وتكوينها وربط حلقات مستقبلها بحلقات ماضيها ، وأهم ذلك التاريخ والايمان بأن حاضر الأقطار الناطقة بالضاد أين ماضيها القريب فى الأربع عشر قرنا الأخيرة وأن مستقبلها يجب أن يبنى على هذا الحاضر وعلى ماضيه القريب . (والمعروف أن القوى الأجنبية فى بلادنا قد حطمت الوحدة بزرع الفرقة حتى لما بدأت الدعوات القومية تعمل كانت فارغة تماما من هذه المضامين كالناصرية والبعث) .

٩ - وفى مجلد ١٢ - ١٩٣٨ من الفتح يتحدث على الطنطاوى عن المدرسة الدينية : يقول أما برنامج التعليم فى المدرسة الدينية فقد أصبح من المجتمع عليه وجوب اشتمالها على العلوم الاسلامية والعربية وعلى ثقافة عامة واسعة تحيط بمجمل نواحى المعرفة الانسانية ، لأنه أصبح من المفهوم أن الاسلام : دين وعلم وقانون وفن ، وأنه صالح لكل زمان ومكان فلا يستقيم فى الفكر ان تكون عقول علمائه الذين يعيشون اليوم مخالفة لعقول الناس ، وفى معزل عن حقائق الكون التى توصل العقل البشرى الى معرفتها ، وقد باد ذلك الرأى الذى يرى أن علوم الطبيعة والرياضة والاجتماع منافية للدين ومات أصحابه بعد أن هبطوا بالامة من يفاعها وبلغوا بها الحضيض الاوهد وأكسبوها - بما ارتضوا لها من الجهل بعلوم الدنيا - هذا الاستعمار .

١٠ — وفى مجلد ١٤ الفتح ص ٤٢٦ يتحدث السيد محب الدين الخطيب تحت عنوان :

(هل يمكن تغيير اتجاه وزارة المعارف) : يقول :

الغرض الذى كان يرمى اليه الانجليز يوم كانوا اعتبار مصر لسكانها لا لاهلها ، واقناع المصريين بأنهم كل منفصل عن الأمم الأخرى ، التى تشارك مصر فى اللغة والدين وكان هدف كرومر عزل مصر من أخواتها المشاركة لها فى الدين واللغة وقد جيء بالقس دنلوب فى مدارس أرساليات التبشير الانجليزية الى مصر الى وزارة المعارف ليحقق هذا الهدف فكان اذا رأى الرأى الذى يحقق له شيئا من غرضه دعا اليه موظفا مصريا من موظفى وزارة المعارف يذاكره فيه ثم يستدرجه لاستحسانه ، ومن خلق الموظف أن يستحسن ما يستحسنه رئيسه ولو لم يكن مقتنعا بأنه حسن، فاذا أعرب للمستر دنلوب عن استحسانه ذلك الرأى اقترح عليه مستر دنلوب أن يكتب له تقريرا ثم يعرض التقرير على الجهات المختصة مع التوصية بالموافقة عليه ثم يقال أن الموظف المصرى فلانا هو مقترح الاقتراح ويكافأ (خيال الظل) على الدور الذى مثله بترقيته الى وظيفة أعلى وهكذا وضعت مناهج التعليم المصرى بكل درجاته ورسمت طرائق تكوين النشء فى المدارس المصرية ، وبهذه الطريقة رسمت فى وزارة المعارف المبادىء التى ترمى الى جعل التعليم الدينى صورة تعبر روح ، وتجريد المدارس من التربية الاسلامية ومن تربية الرجولة واعتبار الاسلام احتلالا فى مصر ، ترديدا لما بث فى بعض كتب الدراسة من أن مصر احتلها الفرس ثم البطالسة ثم العرب الخ وتتجاهل مدارس مصر الروابط الحقيقية الوثيقة فى اللغة والجنس ، وتتناول الهجرة والاختلاط بين سلفها القديم وبين أسلاف الأمم الأخرى التى تتكلم اليوم باللغة العربية جريا على خطة دنلوب التى كانت ترمى الى قطع أواصر مصر بكل من يرتبط معها فى الدم واللغة والدين اضعافا لها وايهاما لابنائها انهم متفردون ولا علاقة لهم بالأقطار الشقيقة وكثير من الكتب التى كانت تدرس فى المدارس المصرية كانت تسرد اسم العرب والاسلام فى سلسلة الأمم المحتلة لمصر ولا تذكر

من علاقات مصر بجاراتها قبل الاسلام وبعد الاسلام الا الحروب ايهاما بأن هذه الشعوب والاقطار كانوا اعداء لمصر ولم يكونوا واياها فى كيان يكاد يكون واحدا . ولقد ذهب دنلوب ومهده غير مأسوف عليهما ولكن الاحجار التى وضعها فى اساس مناهج التعليم ما تزال راسخة الى الآن وتظن ان بعض الوزراء الذين تولوا وزارة المعارف كانوا يرغبون فى احداث شىء من التغيير ، كاجابة الأمة الى ما تطلبه فى حقل التعليم الدينى اجباريا وتحويل المدارس من دور تعليم الى دور تربية ولكنهم لم يستطيعوا » .

١٥ — وفى المجلد ١٤ سنة ١٩٤٠ حديث من التعليم فى الأزهر : حيث تتحدث الفتح عن كلية الشريعة التى تقوم بدراسة الفقه الاسلامى ، يقول السيد محب الدين الخطيب : انه درس فى كتب الفقه منذ بضعة قرون على نفس الطريقة التى تدرس بها هذه الكتب فى تلك القرون ، والعيب فى الاقتصار على هذه الكتب وقد جدت للناس حوادث ووقائع لا يجدونها فى هذه الكتب ومن الواجب ان تدرس فى كلية الشريعة ، كما ان فى هذه الكتب مسائل لا حاجة لأبناء هذا العصر بها ، وما قلناه فى الفقه يقول مثله فى الأصول فلا يزال الطلاب الى اليوم يدرسون كتب الأصول دراسة تبعدهم عن الغاية التى من اجلها دون هذا العلم ، أما كلية اللغة فلا يزال الطلاب يدرسون النحو والصرف وغيرهما دراسة نظرية فقط ، دون أن يتأثر بها الطالب فى أسلوبه وفى كلامه ودون أن تجعل الطالب واقفا على أسرار اللغة ومزاياها التى انفردت بها عن غيرها من اللغات ، اما كلية أصول الدين وعليها يتوقف حفظ الاسلام وعقائد المسلمين فماذا تدرس . هناك كتب ألفت فى عصور كانت فيها مذاهب هدامة كثيرة وفلاسفة مجرمون ، وهى كتب لا تستغنى عنها ولكن هل هذه الكتب هى كل ما ينبغى أن يقرأ اليوم .

٦ — الجامعة وحماية الدين

واولت الفتح اهتمامها بمناهج كلية الآداب والجامعة وحماية الدين من أخطار التغريبيين وفى مقدمتهم طه حسين ففى المجلد الرابع عشر حديث مطول عما جرى فى مجلس النواب عند مناقشة ميزانية التعليم

الدينى حيث تحدث الدكتور عبد الحميد سعيد كاشفا عن كثير من الاخطار والتحديات التى تواجه شبابنا المسلم فى الجامعات والمدارس يقول :

ليست نظرية فصل الدين عن التعليم الا ستارا للالحاد والاباحة والخروج على الآداب والأخلاق والتقاليد الدينية والقومية ولهذه النظرية قال أولئك المخربون المدمرون ، أنه يجب تحرير العلم من سلطان الدين ، فان الدين حجر عثرة أو حاجز منيع فى وجه العلم ، بينما نرى الامبراطورية البريطانية تقسم ملكها على احترام المذهب البروتستانتى وحمايته ، لا نريد أن نسمع تلك الدعوة الفاسدة : دعوة حرية الفكر التى فى ظلها تنشر الكتب التى تدعو الى الكفر والتى تطعن فى سيد الأنبياء والتى فى ظلها تهدم الفضيلة والأخلاق والعقائد ، لا نريد الحجر على حرية الرأى ولكن لهذه الحرية حد يجب ألا يتعداه انى لا أشكو من تبشير الالحاد فى الجامعة ولا من أمثاله ولكنى اشكو منهم لما ران على قلوبهم نحو الاسلام والمسلمين ، أشكو منهم ان يتخذوا من الجامعة حصنا يقدمون من وراء أسواره بالغارات الخانقة فيصيبون من الأخلاق مقتلا ، وليت هذا الفساد كان قاصرا على الجامعة بل تعداها الى سائر المدارس المصريه ، لا تسرب الى البلاد العربية الاخرى ، لا يريد الحجز على حرية الرأى ولكن للحرية حدود يجب أن لا تتعداها ان ما يرموننا به المبشرون من شر وبلاء لا يقاس مطلقا بجانب ما اصابنا مما يلقى من دروس الالحاد والاباحة . ان الجامعة تسلم هؤلاء الشبان الذين لم يتعلموا شيئا من أصول دينهم الى رجل يلقى فى نفوسهم الزندقة والكفر فيفسد عقائدهم وأخلاقهم (يقصد طه حسين) ووزارة المعارف هى المسئولة عن ذلك لأنها لم تعلمهم أصول دينهم وتقاليده ، والله لو كان هذا الرجل فى بلاد أخرى لما عاش ليلة واحدة ، فنحن لا نقبل مطلقا أن تكون الجامعة المصرية ستارا لهدم الدين والأخلاق والفضيلة ، قمنا بمحاربة هذا التيار المارق من يوم أن ظهر الالحاد فى كلية الآداب قام بذلك عبد الخالق عطية والأستاذ القاياتى وعبد الحميد البنان وعبد العزيز الصوفانى وقفوا صفا واحدا فى محاربة هذا التيار المدمر ، واثبتت النيابة التهمة على المعتدى وكان تقريرها

مسقها لارادته الفاسدة النجسة ومع ذلك فلا يزال هذا الرجل على راس كلية الآداب الذى قال أن قصة ابراهيم واسماعيل خيال فى خيال والذين طعن فى الرسالة المحمدية بالكذب والبهتان ولا يزال صاحب هذا التاريخ الدنس ينشر آراءه الفاسدة المخزية فى الجامعة المصرية الاسـلامية ، ولا يزال صاحب هذا التاريخ يلقى من أبناء الجامعـة تعاليمه الخبيثة فى ظل هذه الاباحة وتحت ستار حركة التفكير فينشر المبادىء الضارة المخزية ويحبذون ما يسمونه بحرية المراة واختلاط الجنسين الذى ينشر الفساد وتشجع عليه .

هل ما جرى فى تلك الحفلة التى اقامتها وزارة المعارف فى دار الأوبرا فجلبت اليها الراقصات المحدثات فى تلك الدوائر العامة هل ما جرى فى تلك الحفلة هو الحرص على الأخـلاق والآداب وعلى الدين الفضـيلة يا صاحب كتاب محمد (وجه القول الى الدكتور محمد حسين هيكل وزير المعارف اذ ذاك) لقد كان هناك من اسمه (تالاماس) وكان عضـوا فى مجلس النواب ايضا اخذ يلقى محاضرات فى السربون لم يعترف فيهـا بالقداسة لجان دارك فما كان من الفرنسيين الا ان اقتلعوه من كرسـيه وجروه الى الشارع وكادوا يقذفون به فى نهر السين واستمرت المظاهرات اسبوعا الى أن اطمأن الطلبة الى أن هذا التالاماس لن يرجع الى كرسيه فى الجامعة ، كما اذكر أن كاتبا منكبار الكتاب الفرنسيين اسـمه فيكتور مرجريت تكلم عن الأخلاق فى كتاب نشره ولم يبلغ من الاعتداء على الأخلاق فى كتابه ما بلغه أستاذ كلية الآداب عندنا ، لكن الأفكار هاجت ضده فكان جزاؤه أن صودر كتابه وجرد من القابه العلمية والجامعة فهل فرنسـا التى فصلت الكنيسة عن الحكومة وبلغت فيها حرية الراى ما لم تبلغه دولة من الدول تكون أكثر حمية وحماسـة على جان دارك منا معاشر المسلمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه الكريم ، ان ما يحدث فى كلية الآداب لا يستطيع مسلم ان يهضمه ، كما لا يسـتطيع انسان له ذرة من الخلق والفضل والايمان أن يسـكت عنه وقد أثبتت التقارير الرسمية التى وضعتها تلك اللجان التى الفت لبحث كتب طـه حسين واعماله أن كتبا منها ملأى بالكفر والالحاد .

على عبد الرازق : انا احتج .

ورد عليه الدكتور عبد الحميد سعيد فقال : كنت أظن أن الشيخ على عبد الرازق آخر من يحتج على هذا الامر .

على عبد الرازق : انى أول من يحتج وآخر من يحتج لأن هذا المجلس ....

عبد الحميد سعيد : هذا المجلس لا يسمح بالاعتداء على الدين وما كنت لا تنتظر من الشيخ على عبد الرازق ابن المرحوم حسين عبد الرازق باشا القدوة الطيبة فى الأخلاق والدين ان يقف هذه الوقفة ؛ لا يجوز فى دولة دينها الرسمى الاسلام ويضم أكبر جامعة اسلامية هى الجامعة الأزهرية ، ولا يجوز أن يبقى أستاذ فى كلية الآداب يطعن فى الدين ويمزق الأخلاق والآداب على هذه الصورة ، واذا كانت الحكومة ترى التوانى والاغضاء والتساهل فعليها أن تمحو من الدستور ذلك النص الصريح ولكنها لن تستطيع ولن يستطيع العالم أن يفعل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وتكلم الشيخ محمد عبد اللطيف داز عن الروح التى تسير سياسة التعليم فى كلية الآداب وقال :

ان من يقول ان الدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة من الظواهر الاجتماعية لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى ، لا يمكن أن يصلح لبقاء فى كلية الآداب وذكر الشيخ دراز رحمه الله اشياء أخرى فى فساد نظام الجامعة والحاده (راجع م ١٤ ص ٢٠٦) .

٢ — وعادت الفتح مرة أخرى الى الجامعة وحرية البحث العلمى فكتب الشيخ عبد الوهاب النجار تحت عنوان :

(حرية البحث العلمى وحرية الاستهزاء بالاسلام) : قالت :

البحث العلمى متاح فى الاسلام ومعترف بحريته فى جميع العصور الاسلامية ، وعلماء الاسلام بحثوا بحثا علميا طليقا وتناقشوا مع الخصوم بسعة صدر وحرية متناهية فى كل حقيقة من حقائق الاسلام الخلقية والاعتقادية والاجتماعية ، ولا تزال هذه الحرية معترف بها فى جميع أوطان

المسلمين أما الذى يشكوه نواب أمتنا الاسلامية على منبر مجلس النواب فهو هذه الحرية والحماية التى يتمتع بها المستهزئون بالاسلام والعاملين على التشكيك فى حقائقه وفضائله ومراميه .

وفرق كبير بين الشكوى من حرية البحث العلمى فى مسائل تتصل بالاسلام وبين حرية الاستهزاء فى شخصيات يقدسها الاسلام او التشكيك فى حقائق تقررها شريعته . ليست الشكوى من وضع الاسلام — كله أو بعضه — على مشرحة كلية الآداب ليبحثوه بحثا بريئا بعيدا عن روح البغض والعداء فيبينوا عناصره ومزاياه واثرها فى المجتمع فان ذلك مطلب يتمناه كل مسلم لانه سيؤدى الى ما جرى اليه كل بحث برىء قام به الأغيار عن الاسلام من اثبات أنه دين الاسلام ومنقذ الانسانية . انما من أساليب ماكرة ترمى الى التشكيك فى كل ما يمت الى الاسلام بصلة [illegible] — كل ما يشكره تاريخ العلم والحضارة [illegible] كان بينها وبين الكنيسة فنشات بذلك ناشئة من أبناء المسلمين ما ذكر الدين أمامها الا قابلته بالاشمئزاز والامتعاض وتوهمت فيه صفات وعيوب كان الاسلام وما زال بريئا منها وبعيدا عنها بل وعاملا على اصلاحها وازالتها .

هل يليق بالكتاب والمدرسين فى البيوت الاسلامية أن يظلوا دائبين على تنفير ناشئة المسلمين من الاسلام وعلى تصويره بصورة البعبع المخيف ، هل آداب اللغة الانجليزية لم يبق منها كتاب واحد يليق بأن يوضع بين أيدى طلبة الآداب غير كتاب برنارد شو وفد الكلام الشنيع على سيد الخلق بلسان قس متعصب » .

لقد اثار بعض النواب هذه المسألة فى مجلس النواب (٥ يونيه ١٩٣٩) فراينا العجب العجاب ، رأينا بعض النواب يدافعون عن ذلك الكتاب يبررون بها شتم رسول الله وانه لا شىء فى قراءة الطلبة لذلك الاقذاع لان الحد من احتكار الجامعة لتلك الكتب حد من حرية العلم (م ١٤/١٩٣٩) .

وأشارت الفتح انه حدث فى العقد الأخير من القرن الميلادى ١٨٩٨.

ان المستر دانلوب اختار كتابا فى اللغة الانجليزية يقراه طلبة القسم التمهيدي فى المدارس المصرية متضمنا شتم رسول الله كما هو شأن اكثر المبشرين فى كتبهم التى ينشرونها بين المسلمين لافساد عقائد النشء البرىء ، وفزع الطلبة الى ناظر المدرسة التوفيقية الذى سارع الى جمع الكتاب من أيديهم ، وعندئذ أمرت نظارة المعارف باستبعاده .

وفى ١٩٣٩ وزعت الجامعة المصرية كتابا لبرنارد شو على طلبتها ليدرس لهم وقد على لسان قس معاصر لجان دارك سب قبيح ، محل العجب فى وزارة المعارف فى مصر تعجز عن أن تجد فى كتب الأدب الانجليزى كتابا خاليا من الضعف فى رسول الله » .

٣ — وواصلت الفتح فى المجلد ١٤ (١٩٤٣) بحوثها عن التربية والتعليم فقالت :

هل تسمح الوزارة بأن يصبح اكثر المفتشين مداهنة الطلاب بالحث لهم على أهوائهم وشهواتهم والتحدث اليهم فى هذه الناحية . يتحدث عن الصبابة والهوى فى امتحان الطلاب لاجازة التدريس بدار العلوم حين سأل طالبا عن معنى بيت فى قصيدة من الغزل كان ينشدها فلم يصب المراد منه فقال له على الجارم انه ينصحه ان يتمرس بالتعبير لعله أن يقع فى شرك الهوى فيشدو الغزل ويسبر معانيه الدقيقة » .

هذا ما نشره محمد محمود رضوان فى اهرام ١٢ اغسطس ١٩٣٩ ويقول الفتح : ومتى كان فهم الغزل يتوقف على عمل المغازلة والحب وممارسة الفن اذا وجب على كل اديب أن يكون داعرا ماهرا حتى يفهم غزل ابن أبى ربيعة وأن يكون فاسقا فاجرا شاربا للخمر حتى يفهم خمريات ابى نواس وغزله فى المذكر ، انها لاحدى الكبر ، ترمى بالحجر والمدر ، وتوقد بين الآمنين الشرر ، لقد نكبت مصر وشاء حظك اذا كان هذا هو هم القائمين عليك بالتربية والتعليم ، هل الحث على الحب والصبابة والتمرس بالفن أصبح من واجبات كبير مفتشى الدروس الدينية الاسلامية فى وزارة المعارف » .

٤ — ويتناول الفتح موضوع التربية الاسلامية من ناحية أخرى فقالت :

ما يشكوه المسلمون فى حالة شبابنا آت من ناحيــة الضعف فى التربية الاسلامية أكثر مما هى آتية من ناحية الضعف فى التعليم الاسلامى، وأن الشباب المسلم اذا تربى فى بيئته ثم فى مدرسته تربية اسلامية متسة يرجى منه ان يقبل بعد ذلك على ثقافة الاسلام فتنهل منها بشــغف ولذة ويانس بكل ما يقرأه ويســـمعه ، اما اذا بعد عن هذه التربية فلا فائدة ترجى مما تشحن به ذاكرته من محفوظات لا يلبث أن ينساها .

قال جرجى زيدان ان علموهم وكفى فكان شــخنا طاهر الجزائرى اذا وقع بصره على هذا العنوان يضــحك ويقول : ان كبار اللصوص فى امريكا من خريجى الجامعات ولم تمنعهم علومهم من ان يكونوا من كبــار اللصوص .

٥ ـــ وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية اخذ السيد محب الدين الخطيب يفتح صفحة جديدة فى الحديث عن التربية الاسلامية ففى المجلد ١٧ سنة ١٩٤٤ يتحدث عن (اعداد الجيل للقيام بأعباء الاستقلال)

يقول : ان الجيل الذى أمانة الله والوطن فى ايدى القائمين عليــه اليوم يتدهور فى طريق الانحلال الى هاوية سحيقة ، ولن يستطيع حمــل اعباء المستقبل اذا لم نعمل من اليوم على انتشاله منها ، فالصحف الداعرة تغذى شهوات النشء وتمنيها وتعلق قلوبه بها وتوسع آفاقها فى نفسه ، وافلام السينما من اجنبية ومحلية ، تثبت ذلك وتدفعه الى الهاوية دفعــا والادب المخنث والقصــص الرخيص والاقاصــيص الماجنة يتعــاون مع المجلات ومع السينما على هدم الرجولة ومطاردة الفضائل ، واخشى أن يكون شىء من ذلك كله القدوة السيئة التى يتعرض لها الشباب فى أول حياتهم اذا راقبوا سيرة الذين جرفتهم موبقات الغــــرب فى تيارها من الجنسين ان الغرب أخذ يجدد بعد هذه الحرب كتابه العلمى والاقتصادى والاجتماعى ليصمد امام العاصفة ، واذا كانت فى الغرب صحافة مصورة تستبيح نشر بعض الصور استرسالا مع مالوف ذلك المجتمع فانها لم تبلغ ما بلغته صحافتنا الداعرة من اسفاف مقرون بالاغراء فى جميع اســاليبه الشيطانية ، ثم انه الى جانب ذلك المجتمع الغزى جهودا أخرى جسدية تبث فى الناس مبادىء القوة .

انا افهم حكمة الاستعمار فيما يدسه لجيلنا من سوء لأن الاستعمار عدو ومن شأن العدو أن يفسد على أمثالنا صلتهم الاجتماعية ويعطل العمل بفضائلهم القومية ، أما أن يتآمر الأذكياء من حملة الأقلام ومنظمى الاقلام وقادة الفكر وولاة الأمر على جيل هو موضع الأمل فى حمل أعباء المستقبل فيعملوا ايجابا وسلبا على تكوينه تكوينا شهوانيا لا يصلح معه لمواجهة ما ينطوى وراء سحب الغيب من أحداث ولا يقوى على حمل ما يأتمنه الوطن عليه من أمانات فان هذه جريمة الجرائم وأكبر الكبر ، وسحقا للسحت تجتنيه صناعة السينما من تقويض عفة الفتى والفتاة وتبا للثراء والشهرة والجاه تحصل عليها الصحف من اقبال الجمهور على صور شهوانية وأساليب شيطانية تفسد البيت الذى تدخل فى بابه وتشل الرجولة فى نفوس فلذات أكباد الشعب وموطن آمال الوطن » .

٦ — فى المجلد ١٧ حديث مستطرد عن التربية الاسلامية وواجب وزارة المعارف .

يقول كان من واجبات وزارة المعارف فى البلاد العربية كمصر والحجاز وسوريا أن تطلب الى المشتغلين بالتاريخ من رجالها البحث عن النصوص السليمة التى أبقاها لنا التاريخ دالة على شىء من الأساليب والطرق التى ربى بها الهادى الأعظم أصحابه الأولين وكون منهم أمثلة الكمال فى الرجولة وفضائل النفس والاستعداد العجيب لممارسة الحكم العادل الرحيم وهو منهج المدرسة الاسلامية الأولى : كان النبى (صلى الله عليه وسلم) لا يهتم بحشد المعلومات الكثيرة فى ذاكرة أصحابه وانما يهتم بتلقينهم المبدأ الصحيح بعد المبدأ الصحيح والحقيقة الناصعة بعد الحقيقة الناصعة ، والفضيلة المعهودة بعد الفضيلة المعهودة ويطالبهم بان يتخلقوا بكل خليقة من هذه الخلائق حتى نماذج دمائهم وتخالط ينابيع الايمان من قلوبهم ، ثم ينقلهم الى غيرها ، أما الكتاب الذى تستمد منه المبادىء والحقائق والفضائل فهو كتاب الله ، وقد اتخذ القرآن منهج التدريج عملا نسبه الله فى محكم التنزيل .

ثم يتحدث عن أطفال المسلمين فى مدارس الأجانب فيقول :

أيها الآباء ان المدارس الأجنبية تحول ابناءكم الى اجانب عن امتكم ودينكم وتاريخكم ، ان المدارس الحاضرة فاسدة فاعيدوا تأسيسها من جديد لتخرج لكم الجيل الصالح للاضطلاع بأعباء الغد ، ولا تزال مدارسنا تعنى بالتعلم فقط بل بالعقيم منه أما التربية فلا تمارس منها الا تربية الابدان وتتجافى عن تربية النفوس والعقول والقلوب .

٧ — وفى حديث عن التربيه الاسلامية ، يقول :

نحن نحتاج من أوربا الى علومها والى صناعاتها والى اساليب الادارة والنظم فى اعمالها ، هذا ما نحتاجه ، وهذا ما نود ان يكبر فى المسلمين من يحبذه وينفذه ، أما حياة أوربا الاجتماعية فيجب أن نكون بعيدين عن عدواها كل البعد ، لأن الحياة الاجتماعية هناك مضطربة غير مستقرة ، وهى قائمة على اساس يعترف عقلاء أوربا انفسهم بأنها غير صالحة ، أما الشبان المسلمين الذين ذهبوا الى أوربا ليأخذوا خيرها وعلومها ونظمها تركوا هناك دينهم فكانوا على الاسلام واوطانه وبالا وشرا .

٨ — ويتحدث محمد السيد الطويل عن (كيف ينشأ الالحاد فى المدارس والجامعات) فيقول : ان هناك افكار مسمومة ، تقدم لعقول النشء الظاهرة . انهم يعرضون عليهم نظريات علماء الغرب الذى تبلغ حد العلم الحقيقى ، ويجادلونهم بما يلقونه من أكاذيب التضاد فيها دين تعاليم الاسلام ، وهم فى ذلك فريقان : فريق يرى النظرية ويلمس توافقها مع الاسلام ولكن يعمل على نشرها واختلاق ضروب الاختلاف بينها وبينه ، بل يتعرض لاركان الاسلام دلت البراهين القاطعة على ثبوتها فيهون من شأنها كان يزعم بأن الصلاة الاسلامية لا نفع منها الا بسيط من الرياضة البدنية ، وفريق يرى النظرية متنافية مع الاسلامية غفلة منه عن صحة المقارنة أو جهلا بحقيقة الاسلام ونحن نعرف أن الآن لم يصل العلم الى حقيقة قطعية تصادم الاسلام وهو لن يبلغ هذا مهما تطور وتقدم ووصل الى نهاية لا شىء ورائها فى نظر البشر .

فهم يأتون بنظرية لعالم غربى لم تتناولها المجامع العلمية بما يقرها أو ينفيها ويدخلونها فى الأذهان على انها حقيقة مجزوم بصحتها لا مراء منها ولا أخطاء ويصفونها بعملية التناقض المنتحلة .

ويتحدث الكاتب عن واقعة حادثة فقال :

اراد المدرس فى دار العلوم ان يقر فى أذهان طلبته مذهب دارون فى اصل الانسان ولأجل ان يصل الى غرضه المعلوم لم يتمم شرح المذهب بما ينطوى عليه من ضعف بل اخفى جزءه الذى لا يدع مجالا لقبوله فى عقول الطلبة ولم يدر ان بينهم اساتذة رابضين حول عرين الاسلام فانبرى له الاستاذ حسن البنا حينئذ وطالبه بتوفية شرح المذهب حتى يتسنى لهم أن يناقشوه بانصاف ويكشفوا ما فيه من عناصر البطلان فتقهقر المدرس واعتذر واعترف أن طويته انكشفت لأن المذهب افتراضى ولم يزعم احد انه حقيقة علمية، فنظرية دارون التى تذهب الى أن اصل الانسان قردا ارتقى الى ما هو عليه الآن قامت فى الغرب نظرية أخرى على عكسها تقول ان اصل القرد انسان وكل نظرية لها انصار يؤيدونها ولا يزال النزاع ناشئا بين علماء الغرب لان الأدلة ظنية خالصة ولم يصلوا الى راى قاطع .

٩ — وتحدث الفتح عن أن توفيق دياب القى بالجمعية الثيوصوفية محاضرة عن تناسخ الأرواح حاول فيها أن يروج فكرة أن النعيم والعذاب فى الآخرة معنوى وقد برز له أحد العلماء الأزهريين لمناقشته واستعرض الأدلة القرآنية القاضية بأنهما شاملان الحسى والمعنوى ومن أولها فقد حقت عليه كلمة الكافرين وانسلخ من الايمان فلما أسقط فى يد توفيق دياب اضطر أن يموه على السامعين باعلان انه مؤمن بالله ورسوله والقرآن .

١٠ — وتحدثت الفتح عن سياسة التعليم وهل يجب أن تكون قومية (أى عربية اسلامية) أم يجب أن تكون عالمية فقال : كل الأمم تعنى بأن تكون مدارسها قومية تعنى بتراثها الملى ومطمحها القومى فلكل أمة تاريخها ولكل أمة مثلها الأعلى ولكل أمة مطمحها ولكل أمة روحها وسجاياها ومفاخرها واتجاهها . وقالت الفتح : ان الثقافة يجب أن ينبع من صميم

أرواحنا وأن يكون وسيلة ارتباط بين ماضينا وآتينا . وعلمنـــا ان نبث ثقافتنا القومية وتاريخنا وسجايانا فى نفوس أبناء الجيل فى التعليم الأولى والثانوى بعثا يحببهم بها ويحببها بهم فيفهموا أنفســـهم على انهم عرب مسلمون وانهم حلقة ذهبية فى تاريخ العرب والاســلام ويؤدون رسالة تقدمهم فيها ســـلفهم وسيقوم عليها بعدهم خلفهم ، والتعليم له طريقتان: قومية واستعمارية ، الاستعمارية تبسط بها الأمة الحاكمة مظاهر عظمتها وهيبة قوتها فى جو التعلم الذى تنشئه فى البلاد الملحقة بها .

١١ — وكتب السيد محب الدين الخطيب دراسة عن فهم التعــلم والتربية تحت عنوان (علم عالمى — ثقافة عربية — تربية اســـلامية) ، فقال : ن اعتقادنا أن الظفر بالجيل المرجو يتوقف على (تربيته) تربيـــة اكثر مما يتوقف على (تعليمه) تعليما دينيـــا اسلاميا ، فالتعليم تتلقـــاه الذاكرة ثم يكون عرضـة للنسيان الا اذا كان من سياستنا الجديدة فى اصلاح مدارسنا ان تتخذ المدرســة عدتها (لتربية) ابنائها على ما أمر به الدين من طاعة ونظافة وتنظيم وصدق وايثار وقناعة بالحق واقدام على معـــالى الأمور وخوف من الله فى جميع الأحوال ، وأن تتولى المدرسة تمرين أبنائها على الصلاة باعتبار أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

الفصل الثالث

المجتمع الاسلامى

أولت الفتح قضايا المجتمع الاسلامى اهتماما واسعا فعملت على نقد كل الأوضاع المنحرفة فى مختلف المجالات وخاصة فى مجال الأسرة وعلاقة المرأة بالرجل والمطالبة بالغاء البغاء الرسمى .

١ — فهى فى المجلد الأول تعلن مؤازرتها لحملة الشيخ محمود أبو العيون ومطالبته بالغاء البغاء الرسمى بعد ان قدم عدة وثائق لعدة أطباء غربيين يكشفون مدى الأخطار التى تحل بالأمة نتيجة هذا ، ووقفت معه ازاء حملات الصحف المصرية عليه ، تلك الحملات التى قادها (انصار البغاء المأجورون للدفاع عن البغايا) وكتب فى محاربة البغاء محمد عبد السلام القبانى ، محمد حامد ا محمد حسنين العدوى ، عبد المتعال الصعيدى ، مصطفى ابو سيف الحمامى ، محمد بدر الدين الخطيب ، محمد محمد الأودن ، كما ناقشت جريدة السياسة التى حملت لواء الدفاع عن البغاء ، وقالت الفتح : ان الحملة التى حملتها الصحف على الشيخ أبو العيون فى مطالبته بالغاء البغاء الرسمى كان من ملاحدة مصر وقد عملوا على تقبيح عمله وتحريض ولاة الأمور عليه بالدس والكيد والتهكم عليه ودفاعهم الباطل ضده ورفع عقيدتهم بنظريتهم المضحكة وبدعتهم المخجلة : (البغاء شر لابد منه) .

٢ — كذلك فقد أيدت جمعية شباب محمد فى مطالبتها بفرض الزكاة على القادرين من المسلمين وتنظيم صرفها فى مواضعها لتحسين حال المجتمع الاسلامى والاشراف على الصحافة الأسبوعية ودور السينما والتمثيل وانقاذ الأمة من الحانات ودور البغاء .

٣ — وواجهت سلامة موسى الذى ألقى محاضرة فى جمعية الشبان المسيحية عن السفور ، وقالت ان موضوع السفور موضوع اسلامى

محض لا شأن لسلامة موسى به ، والخاتمة الشائنة التى ختمت بها تلك المحاضرة ان الذين كانوا موجودين اقترح أن تخاطب هدى شعراوى بمطالبة وزارة الحقانية بتنفيذ حكم الله فى الميراث ، ومنع المسلمين فى مصر من ان يصغوا الى أمر الله فى القرآن الحكم المتعلق بجعل حظ الرجل فى الآيات مثل حظ الأنثى ، فلما سمع الذين يسرهم تقليص ظل أحكام القرآن بين المسلمين المصريين رحبوا بهذا الاقتراح ، غير أن هدى شعراوى رفضت هذا الاقتراح الذى تقدم به سلامة موسى (م ٣/٤٤٤) .

٤ — وعرضت الفتح للمحاورة التى دارت بين محمود عزمى ورشيد رضا فى مسألة مساواة المرأة والرجل ونقلت رأى السيد رشيد رضا الذى واجه به الفتاة المؤيدة لمحمود عزمى قال : يجب أن تعلم هذه الفتاة هى وأهلها انها اذا كانت تعتقد ما يعتقده عزمى فى هذه المساواة وتنكر حقيقة ما قرره الاسلام وحسنه فهى مرتدة لا يجوز لمسلم أن يتزوجها ولا ترث المسلمين ولا يرثونها .

٥ — وشاركت الفتح فى المعركة بين الطربوش والقبعة وقال محمد حامد الفقى انها هى معركة بين الدين واللادين ، وما تلك الفئة الا طليعة تلك الحرب العنيفة التى يعد أنصار الجديد او اللادينيين عدتهم لها من المادة الفاتكة لدى الأحلام الطائشة والنفوس المريضة .

٦ — وواجهت الفتح مؤامرة اطلاق الحرية للمرأة وقالت انه تقويض لأخلاق الأمة ، وقالت : ان هدى شعراوى شبح وهمى يختبىء وراءه أشخاص آخرون ، مسكينة هدى شعراوى : اضاعت مالها ودينها فى سبيل الشهرة ولأجل أن يقال انها تكتب وتخطب ، ولكن خبثاء الصحفيين يتأثرون خطواتها فيفضحون كل شيء ، يفضحون الخطب المنسوبة الى مدام شعراوى وأن الهلباوى باشا هو صاحب معظم الخطب ، والأستاذ الهلباوى يستطيع ان يعبر لسانه وقلمه بكل الكلمات .

٧ — وكشفت الفتح النقاب عن أسرار كتاب السفور والحجاب المنسوب الى نظيرة زين الدين وقال انها فتاة لم تنضج لحمل عبء مثل

هذه البحوث فكذب السفوريون ما عندهم واخرجوا به هذا الكتاب الذى خدع لسلامه أسلوبه ورشيق عباراته كثيرا من البسطاء ما دروا أنه الدسم وأن السم كان فيه (م ٤) .

٨ ـــ وعلقت الفتح عن حكم محكمة الجنايات على الدكتور فخرى ميخائيل فقالت : ان محكمة الجنايات برأت الدكتور من تهمة تطاوله على الدين الاسلامى وحكمت عليه بالجهل والحماقة ، وان الرجل قد خانه حسن التقدير فى اختيار الالفاظ والعبارات التى عبر بها عن رأيه فى المسائل المتعددة وخاصة مسألة :

المساواة بين البنين والبنات فى الميراث .

وقد زج بنفسه فى بحث لم يكن كفئا له .

٩ ـــ وتحدثت الفتح عن المسرح فقالت (م ١٠) :

عندما اخذنا المسرح اخذناه كما هو من الغرب واقحمناه اقحاما فى بيئاتنا لم نبدل منه ما يتنافر مع شريعتنا وخرجنا به على النظارة نزعم ان فيه تثقيفا وتهذيبا فاذا به يتقلب لهوا وفتنة واغراء ، والمعروف ان المرأة فى الحياة الشرقية تمثل دورا يختلف تمام الاختلاف عما تمثله الغربية فانثى الشرق ربة الخدر فيه لها الطهر وبه لمقرها الفخر ، لهذا تراها على خشبة المسرح نائية محرجة عن مكانها الطبيعى الى حيث يجرح الغيرة الشرقية جرحا فى الصميم .

١٠ ـــ أوردت الفتح (م ١٠) قائمة لمصائب المجتمع الإسلامى :

الرطانة : ضد الفصاحة .

تقصير الثياب وتضييقها .

فنون المقامرة والرقص .

قص شعر النساء .

البرانيط .

اقتناء الكلاب .

ملكات الجمال .

الرغبة فى العرى .

الالحاد والتعطيل .

الشيوعية .

التزحلق على الثلج .

السينما الفاسقة .

الحرية الغرامية .

سقوط المحدثات الطائشات .

الخداع والاختيال

تخنث الشباب .

١١ — وتحدثت الفتح عن الوفدين الزهد والتصوف وعرضت لما أورده ابن الجوزى ٥٩٧ هـ فى تعليقه على حلية الأولياء للحافظ أبو نعيم (٤٣٠ هـ) وقد اختصره ابن الجوزى وهذبه بكتابه (صفة الصفوة).

لما كان كثير من بسطاء المسلمين لا يفرق بين مدلول الزهد والصلاح الذى كان عليه أولياء الاسلام وانصاره وخواص رجاله فى زمن الصحابة والتابعين ومدلول التصوف الذى يعد مذهبا معروفا عند أصحابه ، وكان له فى الصدر الأول صفات وأخلاق مخصوصة ، ثم امعن أهله فى الغلو فجعلوه فلسفة تتعرض للقول فى صميم الدين بما لا يعرفه الاسلام ولا يتفق مع نصوصه ، وأشار ابن الجوزى الى ابن أبى نعيم تجاوز حين أضاف الخصوص الى كبار السادات كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن (أى البصرى) وشريح وسفيان والشعبى ومالك والشافعى وأحمد ، وليس عند هؤلاء القوم خبر من التصوف ، فان قال قائل انما عنى الزهد فى الدنيا وهؤلاء زهاد ، قلنا : التصوف مذهب معروف عند أصحابه ولا يقتصر على الزهد بل له صفات واخلاق يعرفها اربابه ولولا انه أمر زيد على الزهد ما نقل عن بعض هؤلاء المذكورين فانه قد روى أبو نعيم فى ترجمة الشافعى رحمه الله أنه قال : التصوف مبنى على الكسل ولو

تصوف رجل أول النهار لم يأت الظهر إلا وهو أحمق » وقد ذكرت الكلام عن التصوف وشعب القول فى كتابى المسمى (تلبيس ابليس) وأشار أيضا الى أن أبو نعيم ذكر أشياء على الصوفية لا يجوز فعلها فربما سمعها المبتدىء القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها مثل ما روى عن أبى حمزة الصوفى أنه وقع فى بئر فجاء رجلان فطماها فلم ينطق ، حملا لنفسه على التوكل بزعم وسكوت هذا الرجل فى مثل هذا المقام اعانة على نفسه وذلك لا يحل ، ولو فهم معنى التوكل لعلم أنه لا ينافى استغاثته فى تلك الحال كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل باخفائه الخروج من مكة واستئجاره دليلا واستكتامه واستكفائه ذلك الأمر واستتاره فى الغار وقوله لسراقة (اخف عنا) ان الله عز وجل جعل للآمن أن يدفع بها عن نفسه الضرر وان تخيلت بها النفع فاذا عطلها مدعيا للتوكل كان ذلك جهلا للتوكل وردا لحكمه الواضح لأن التوكل انما هو اعتماد القلب على الله سبحانه وليس من ضرورته قطع الأسباب .

وروى عن الشبلى أنه كان اذا لبس رداء خرقه ، وكان يحرق متاعه والخبز والأطعمة التى ينفع بها الناس بالنار فلما سئل فى ذلك احتج بقوله تعالى : (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) وهذا فى غاية القبح لأن سليمان عليه السلام نبى معصوم فلم يفعل الا ما يجوز له ، وقيل فى التفسير انه : مسح على نواصيها وسوقها وقال انفقن فى سبيل الله .

فأما هذا الفعل الذى حكاه عن الشبلى فلا يجوز فى شريعتنا فان رسول الله نهى عن اضاعة المال .

وقالت الفتح : ان العلامه ابن الجوزى ينتقد من كتاب الحليه لأبى نعيم تسمية الصالحين الأولين بالمتصوفة (ان مفهوم التصوف عند ائمة الاسلام هو الذى سينقل ابن الجوزى كلام الامام الشافعى رضى الله عنه فى ذمه ، أما ما نتج من التصوف عن التنطع والتعمق والدعاوى الكاذبة والكسل والتثبيط فان الحافظ أبا نعيم يشارك الامام الشافعى والعلامة ابن الجوزى فى ذمه والبراءة من أهله .

ونقل عن ابن الجوزى قوله : لكل شىء صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار .

الفصل الرابع

الوحـدة الاسـلامية والقوميـات

كانت من أخطر المعضلات التى واجهت المسـلمين فى هذه المرحلة دعوات القوميات المسمومة التى اندلعت لتفصل المســـلمين عن وحدتهم الاسـلامية الجامعة ، وقد تناول البحث فى هذا الأمر كثيرون فى مقدمتهـم الامير شكيب أرسـلان (أبرز كتاب الفتح) فكتب تحت عنوان :

« الدسيسـة الأجنبية على الجامعة الاسـلامية بالوطنية المجردة »

قال ان مشكلة العالم الاسلامى كله وقوف الوطنية الضعيفة فى وجـــه الجامعة الاسلامية لمعرفتهم ان هذه هى اشد خطرا على الاستعمار واشد فى مقاومة استيلاء الأجنبى من تلك ، وما يقال عن هولندا يقال عن غيرها من الدول الاستعمارية التى تناصب المسلمين العداء لكلا من الجامعـــة الاسلامية والرابطة الوطنية وكل فكرة ترمى الى حفز الامم التى استعبدوها الى التحرر ويفضلون الرابطة الوطنية لأنها تحصر الحركة فى ذلك القطر وحده فلا يتجاوزه الى غيره ،

ان قطب رحى تقلبهم على الأمم الاسلامية هو انحلال اخلاق هذه واهمالها عزائم القـرآن ، فاذا كانت ثمة الرابطـة الوطنية وحـــدها لم تقم فى صيانة الأخلاق العالمية مقام الدين الذى هو سبعثها وقوتهـــا ، ان اخطاء رجال الطرق ورجال الدين ليس حجـــة على الاســـلام ولا يمس جوهر العقيدة فى شىء ، وهناك فريق يرى ايثار الدعوة الوطنيـة على الجامعة الاسلامية لانها لا تمنع المسـكرات ولا المخدرات التى من أعظم وسائل الاستعمار ومن أخطر العوامل فى سقوط الأمم المستضعفة وتأخر نهضتها .

ان الدعوة الوطنية المجردة من الدين الاســـلامى لا تخلق فى قلب الوطنى أدنى اعتقاد بأنه هو أعلى من الأوربى وكيف تخلقه وهى مجردة

من العقيدة القرآنية معتمدة على المادة المحسوسة لا غير ، اضف الى هذا ان المسلم المعتقد بدينه لا يزال موقنا بانه لابد من ان يدال له من الاوربى ولو بعد زمن طويل وهو يعيش فى أمل هذه الدولة (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) طوال حياته ولورث هذا الأمل اولاده ويعتقد أن ما عليه الاسلام من الضعف انما هو عارض مؤقت لابد أن يزول وانه انما وقع تمحيصا للمسلمين بذنوبهم التى اقترفوهـا وتهاونهم بأوامر الله ونواهيه . ومن المعلوم أن الأمل هو الشرط الأساسى للعمل فليس من حافز للمسلم على النهوض مثل أن يعتقد أن الضعف الذى حل به اليوم ، هو طارىء لا أصل ، وأن الأصل هو أن يكون قويا عزيزا وسيدا فى الأرض ، فالعقيدة الاسلامية هى التى توحى اليه هذا الاعتقاد وتحيى فيه هذا الأمل ، على حين أن العقيـدة الوطنية الالحادية التى لا تنظر الى المحسوس فقط لا تجد أمامها شيئا يوحى اليه أنه هو يقدر أن يصارع الأوربى لأن المحسوس مخالف لذلك . الى الآن كان الاسـلام هو الذى يمنعه من هذا الاندماج لأنه لا يقدر أن يكون مسلما وأن يندمج فى الافرنج فان هذين أمران لا يجتمعان فاما بعد زوال عقيدة الاسـلام من قلبه فليت شعرى ماذا تبقى حائلا دون ذوبانه فى بوتقة الجنسـية الافرنجية ، العقيـدة الوطنية لا تمنع من الذوبان كما تمنعه العقيـدة الاسلامية ، الرابطة المجردة عن الاسـلام معرضة من خطر الانحلال الأخلاقى التى هى دعائم الأمم ، العقيـدة الوطنية المجردة لا تبعث من الآمال فى حسن المآل ، معشار ما تبعثه العقيدة الاسلامية المبنية على المواعيد القرآنية بالنصر (٨ شوال ١٣٤٩) .

٢ — كما تحدث السردار اقبال على شـاه الهندى عن الجامعـة الاسلامية وكيف يمكن قيامها فى العالم قال : يجب أن يتعلم المسـلمون تعليما نزيها وأن يدرسوا دينهم دراسة حقيقية ، يرجع الى ما كان عليه هذا الدين فى أول ظهوره واقبال العالمين عليه . يجب أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم التى كان يعرفها الناس فى صدر الاسلام فاذا تعلموا واذا فهموا دينهم على حقيقته ، واذا نشروا بين العالمين الحقيقة التى يشوهها ذوى الأغراض ضد الاسلام ، اذا فعلوا هذا كله سهل عليهم أن يؤلفوا

الجامعة الاسلامية يكون على مثال تعاوني عظيم لا يشوبه شيء من عناصر الاثم والعدوان وانما يؤدي بطبيعته الى حماية وحدتهم حماية يستقر بها الاستقلال والحرية » .

٣ — وفي المجلد الخامس (١٩٣٠/١٩٣١) من الفتح تحدث السيد محب الدين الخطيب عن الجامعة القومية والجامعة الاسلامية فقال :
الاسلام جامعة الجامعات القومية ، والجامعات القومية جيوش للاسلام مرابطة في ثغوره ، يقوم كل جيش فيها بالدفاع عن الحوزة من الثغور التي تليه ، فاذا نظر المسلمون الى جامعاتهم القومية من هذه الوجهة واعتبروها ردءا للاسلام تجاهد في سبيل مصلحة العام وعروته الوثقى كان لهم من ذلك قوة .

قضى الاسلام على العصبيات التي كانت سبب الفرقة ونهى عن القوميات التي توقظ في النفوس دواعي العداوة بين أهل الملة الواحدة . فمثل هذه العصبيات مرض في جسم أهل المهمة العظمى .

لو رجعت الى تاريخ الملة الاسلامية لوجدت الطامعين منها على استفحال قوتهم منذ عهد طويل لم ينجحوا في سلبنا نعمة الاستقلال الا بعد أن نسخو جامعتنا الاسلامية الكبرى بالجامعة الوطنية الصغرى .

ان الاسلام يأمر بالجهاد في سبيل الاستقلال لان اي قطعة من العالم الاسلامي ثغر من ثغور المسلمين وكل مسلم في ثغر مرتبط فيه .

ان ربط الاسلام فضلا عن أنها لا تمنع الوطنيين من أن يكونوا مخلصين لبلادهم فانها تحضهم على هذا الاخلاص وتعتبرهم جنودها على طول الثغور وخطوط الدفاع .

ان جامعة الوطن لا تمنع من وجود حقوق وواجبات للفرد داخل اسرته كذلك الجامعة الاسلامية لا تمنع من أن يكون للأمة الواحدة حقوق وواجبات في داخل وطنها .

٤ — وتواصل الفتح مقاومة (دعوة الفرعونية) وتكشف زيفها ثم تواجه الدعوة الى المصرية الاقليمية وتشير الى مقال طه حسين الذى نشره فى كوكب الشرق حين قال ان المصريين قابلوا الوانا من العدوان جائتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين .

وقد رد عليه عبد الرحمن عزام وكثيرون وقال السيد محب الدين الخطيب انه لم يدخل الفرس واليونان والفرنسيين الا ليضخم ذكر العرب فى زمرة الامم التى كان منها البغى والعدوان على مصر والتى اخرجهما وسيخرجها من مصر ذلك البغى وذلك العدوان أما العرب فانما كتب الله لهم ولثقافتهم الخلود فى مصر الى ابد الآبدين لانهم جاءوا يحملون رسالة الهدى والرشاد .

٥ — وتحدثت الفتح عن أن الدعوة الى الفرعونية أو المصرية تريد ان تفصل بيننا دين العرب والاسلام ، وتقطع صلة القربى التى لنا بشقيقاتنا من الامم الشرق ، (فان الذى بيننا وبينهما باق وهذه الامم شريكتنا فى تاريخنا وحياتها حياتنا وماضيها ماضيا واحد ، فان فرقت بيننا مآرب السياسة فقد جمعنا ميراث اللغة والدين والجنس الى حد ما والعبادات والتقاليد الى حد ما ايضا وتشابه الاحوال السياسية والاجتماعية وحسب أى فريق من الأمم جامعه الله فانها وحدها رابطة لا تنفصم وهى أكبر واقوى ما يقوم عليه بناء القومية لأنها هى التى تعين الاتجاه النفسى واسلوب التفكير وهى التى تقرر التقاليد وترسم العادات .

٦ — ويتحدث الفتح م ٨ — ١٩٣٤ عن القومية العربية ومكانة مصر منها فيقول السيد محب الدين الخطيب : ان الحلقوم الكبير الذى اراد منذ مائة عام أن يبتلع الشرق الاسلامى هاب هذه اللقمة وخاف أن يغص بها فبث ببراعة مدهشة نزعة القوميات التى صارعت الجامعة الاسلامية ومزقتها ثم وقف أمام القومية العربية فهابها ورآها لقمة من شأنها ان يغص بها ، فاخترع ببراعة هذه الوطنيات ثم حاول فى بعض الأحيان تمزيق العربية نفسها بالدعوة الى كتابه اللهجات العامية فى كل قطر عربى وجعلها لغات أدبية »

ووالت الفتح الاهتمام بالحديث عن ارتباط القومية العربية بالاسلام عبد الرحمن عزام ، عبد القادر حمزة ، على الجندى ، كما قدمت المناظرة بين العربية والفرعونية بين عبد الله عفيفى ، وحسن حبشى ، وعربية مصر ، سعيد حيدر ، وأحمد كمال باشا .

٧ — ونشرت الفتح حديثا للشيخ أبى عبد الله الزنجانى عن التعارف بين السنة والشيعة وذلك فى دعوة واسعة الى تعارف علماء الفرق الاسلامية ، قال : لان بين انفصال سلسلة تعارف مباشر بين علماء المذاهب الاسلامية ولاسيما أهل المذهبين الكبيرين : مذهب الجمهور من أهل السنة ومذهب الامامية من اتباع آل البيت رضوان الله عليهم .

ويتساءل الشيخ الزنجانى : ترى ما سبب القطيعة بين البلدين : مصر وايران ، ان كان الاختلاف المذهبى فاختلافهما لم يخرج باتباع كل منهما عن أن يكونوا فى نظر الآخرين من أهل القبلة بل ان القدماء من سلفنا وسلفهم لم يكونوا ينظرون الى هذه الفرق المذهبى بالدرجة التى تنظر بها وقد طبعت آثار السيد المرتضى المعدود عند اخواننا الامامية من أئمتهم فى مصر فى التفسير والحديث واللغة والأدب وكلنا بين أهل المذهبين فان الكتب العامة التى ألفها علماء الفريقين فى مختلف العلوم الشرعية والعقلية هى من الثروة المشتركة بيننا وبينهم ، ان القطيعة بدأت فى أيام ضعف الدولة العباسية وازدادت لأسباب سياسية استحكمت حلقاتها بين العثمانيين والصفويين وورثهما عنهما الاجيال التى جاءت بعد ذلك الاختلاف السياسى ولكن الزمن تغير الآن .

٨ — وتحدث السيد أبى عبد الله الزنجانى عن (دواء المسلمين الرجوع الى القرآن) فقال : بعض الأسباب التى شتت شمل المسلمين بعد الوحدة ، تلك الوحدة التى جعلت علم المسلمين خفاقا من الأندلس فى غرب أوربا الى الهند والى تركستان والى الصين وجزيرة العرب وفارس ، ثم أوجه أنظاركم الى ما يعيد تلك الوحدة سيرتها الأولى وانه فى الرجوع الى القرآن . فارجو ان يكون المفكرون المصلحون من علماء الاسلام قدوة المسلمين فى هذه الدعوة فى الاقطار الاسلامية وقد درست

هذه المسألة حسب جهدي غرابت ان امر دراني التفتت نظري في ناحيـة التأويل لكتاب الله والانحراف عن مقاصـده العظيمة وروحـه الكريمة ، التأويل الذي لا يقوم عليه البرهان .

سأل عمر ابن عباس : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة . وزاد سعيد (وكتابها واحد) فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين انما أنزل القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل ، وانه سـيكون بعدنا اقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما أنزل فيكون لهم فيه رأي ، فاذا كان كذلك اختلفوا ، فقال سعيد ، فيكون لكل قوم فيه رأي ، فاذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا فاذا اختلفوا اقتتلوا . قال فزجره عمر وانتهره فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قاله فعرفه فارسل اليه وقال : اعد ما قلته فاعاده عليه فعرف عمر قوله وأعجبه .

قال صاحب كتاب الاعتصام للشاطبي ، وقال ابن عباس هو الحق فانه اذا عرف الرجل فيما أنزلت الآية أو السورة عرف مخرجها ، وتأويلها، وما قصد بها فلم يتعد ذلك منها واذا جهل فما أنزلت احتمل النظر فيهـا واجبا فذهب كل انسـان مذهبا لأن يذهب اليه الآخر وان عنـدهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم الى الصواب والرشد .

هذا هو التأويل هو الذي ينبه الى ضرره الصحابيان الجليلان اذا تعدى عن دائرة العقـل وروح القرآن وهو الذي هجـم به القرامطة والباطنية والزنادقة على الاسلام بهجوم كان آخره جيش هولاكو والمغول فأي ضرر على الاسلام اشد من تأويل الباطنية بقولهم (الجنة) معنـاها الاعفاء من مظاهر العبادة و (جهنم) المثابرة عليها (الوضوء) تلقى الدين عن الامام (والتيمم) يلقيه على الحجة و (الصلاة) اتباع الرسـول الناطق و (الغسل) تجديد العهد و (الصوم) صيانة السر و (الزنا) افشاء السر : بهذه التأويلات ارادوا ازهاق روح الحق والاسلام ولـكن الله ينصر رسله . ان التاريخ مليء بما ابتلي به الاسـلام من ابن سـبأ وابن ميمون واصحاب التأويل الفاسد من الباطنية واني عثرت على كتب الباطنية والاسـماعيلية الفت في أوان طغيانهم في العصـور الوسـطى

الاسلامية تشـــــهد على مهارتهم فى بث دعوتهم ومكرهم وفى تعاليم ببت الحكمة الذى أسس فى مصر دليل على مهارتهم وضررهم وهوجم الاســلام ايضا من ناحية السياســة والسياسة كانت تدعو الى تشتيت شمله ، ولنا شواهد لذلك فى التاريخ ولا سيما فى الدولة العباسية نجد هذه الأيادى كانت تعمل بجد وسعى بل كانت جمعيات منظمة تعمل على تفريق المسلمين الى السنة والشيعة . وارى ان الوسيلة الوحيدة لنجاة المســــلمين من الفوضى المذهبية والتشبث بالفرق والشيع وخرق حجب الباطل والخرافات التى شوهت تعاليم الاسلام النيرة هى فى الرجوع الى القرآن فان فيــــه هدى ونورا يحقق لنا المثل الأعلى فى الانسانية .

٩ — وعرضت الفتح فى مجال الحديث عن الوحدة الاســــلامية فى المجلد التاسع الى رياح القوميات وتحدثت عن الاحتفال بمرورر الف سنة على وفاة الفردوسى ، وكيف تطرق فى قصـــائده الى ذم العرب واطال لسان القدح فيهم لأنهم قوضوا دعائم عز الأكاسرة وهدموا بناء حضارتهم ونسى انه لولا العرب لظلوا عاكفين على نيران لهم وأشارت الفتح الى ملحمة الفردوسى وتبجح الفرس بها فى اثارة الحمية فى الشعوب الاسلامية الأخرى وأشار الى ان المسلمين لهم مفاخر وقد عزموا أن يخلصوا فيهـــا ملحمة شعرية تبقى على مدى كالياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسى ، وقال هناك شاعر شباب من مسلمى الهند «حفيظ» الذى بدأ يؤلف شاهنامة الاسلام منذ ســـــنوات وأصدر منها ثلاثة أجزاء ونال حظوة عظيمة لدى قراء الأوردية ، وأشار الى أن أحمد محرم بدأ ينظم ملحمة الاسلام ، وفى هذا الصدد كتب (مسعود عالم الندوى) صاحب المبثاء يقول : كتبت ما كتبت عن الفردوسى عن صدق طويه واعتقاد جازم بأن القومية الاقليمية منافية لروح الاسلام ، ولكن قلما تنبه المسلمون فى هذا العصر ولم يرفـــع أحد صوته من اطر الكلام الا المجـــــاهد ظفرعلى خان صـــاحب جريدة زميندار اليومية .

١٠ — وأعلنت الفتح من قيام جمعيات التعاون الاسلامية (ذى الحجة ١٣٥٢) وكتب كاتم السر وصــــاحب الفتح محب الدين الخطيب يقـــول :

ان التقريب عن التفاهم والتعارف فى أمة الأمة الاســــلامية تحو بمثات الملايين اذا لم يجرى من معرفته لا يعد عملا علميا ولا يكون تعارفا صحيحا وقد بدأ العمل بالالمام بأحوال المسلمين :

فى الصين (محمد مكين) أندونيسيا (عبدالقاهر مذكر) حضرموت اصلاح البكرى) فى الهند (مسعود عالم الندوى) . وقال : ان مهمة جماعة التعارف واسعة النطاق هى تشمل النحل والمذاهب التى افترق اليها المسلمون . الحسن من التقصير الفاضح أن نسمع كل يوم باسم اغا خان مثلا وان نعلم أنه زعيم الاسماعيلية وأن لا يكون بين أيدينا بحث علمى دقيــق نزيه عن هذا المذهب الاسماعيلى وسبب تجدده وتاريخ نشأته وما كان له من شكل ظاهر وما انطوى عليه من اعتقاد باطن وما تقلب فيه من الحوار وما أصله من افـــكار .

وقال : اننا سمعنا بأن فى جبال حراز من ارض اليمن فئة تمت بصلة الى فرقة البهرة الموجودة فى الهند ، ومذهب النصيرية فى الشام وما كان له من أدوار خطيره منها فى تاريخ الاســـلام فى القرون الوسطى والقرن الحديث ، وقس على ذلك الاسماعيلية والبهرة والنصيرية وسائر المذاهب التى تشعبت عن دعوة الفاطميين فى مصر ، وهناك مذاهب أخرى منتشرة الآن فى العالم الاسلامى لها أهلها وانصارها ولا يمكن التعارف معهم الا بعد معرفتنا أساس عقائدهم كمعرفتهم أساس عقائدنا ، هذه المعرفة منا ومنهم لعقائدنا وعقائدهم تقضى على أوهام كثيرة يظنها عامتنا فى عقائدهم وأوهام منها يظنها عامتهم فى عقائدنا ، والقضاء على هذه الأوهام خطوة واسعة للتفاهم والتقارب والتعارف .

وقال : ان الثقافة التى يتلقاها ناشئة الاسلام فى كل قطر والاتجاه الفكرى الذى يمهد الرأى العام الاسلامى فى مختلف الأقطار وما فيها من مواطن الضعف والقوة ، فمعرفة ذلك من أهم صـــنوف المعــرفة التى أخذناها على عاتقنا . وقال انه من اللازم دراسة الضرورات الاقتصادية التى تعمل عليها فى العالم الاسلامى ومراقبة الصحف والحوادث واختيـــار المهم منها وجمعه فى ملفات منظمة .

١١ — وواصلت الفتح م ١٢ (١٩٣٨) الحديث عن الرابطة الاسلامية فقالت :

منذ خمسين سنة وأكثر يعمل الدساسون من رجال الاستعمار وأذنابهم فى الشرق على تفريق قلب أبناء الملة الواحدة باسم القومية وعلى تفريق قلوب أبناء القومية الواحدة باسم الأوطان ، وعلى تفريق قلوب أبناء الوطن الواحد باسم أحزابه وباسم طبقاته وباسم عناصره ، فلست فلن المستعمرون وأذنابهم أنهم انتهوا من تمزيق العالم الاسلامى وصار الهندى والفارسى وغيرهما من أبناء الاقطار غير العربية لا يشعرون بشعور أبناء الأقطار العربية ، وصار المصريون يرون جيرانهم شرقا وغربا كأنهم غرباء عنهم وقد دعا مولانا محمد على الى الالتفاف حول جامعة الاسلام وقال كلمته الخالدة : ان الوطن من الشيطان وبث فى نفوس سامعيه من شباب المسلمين ان المسلم اوسع أملا وابعد مطمحا من أن يعد نفسه جنديا فى معسكر محدود بحدود وطنه الأصغر بينما هو يستند الى معسكر من المشتركين معه فى الايمان الدينى والاجتماعى لا يقل عدد سوره عن أربعمائة مليون من اهل التضحية والجهاد (الآن الف مليون) .

١٢ — وفى المجلد ١٢ كتب عبد الرؤوف الاسطوانى عن العلاقة بين الرابطة الاسلامية والرابطة الوطنية وقال ان الهدف هو السعى الحثيث فى العصر الحاضر لاضعاف الرابطة الدينية وتفكيك عراها وغلبة الرابطة الوطنية ، والهدف هو التوفيق بين الحركتين وجعل الحركة الوطنية متميزة فى الجوهر والأساس مع الحركة الاسلامية وقال : ان الاسلام ينظر الى الوطنية كعاطفة غريزية ، فالانسان مفطور على حب الأرض وغريزة حب البقاء وغريزة حب الوطن ،

وقال السيد محب الدين الخطيب : نحن المسلمين لا نقول بالقضية الوطنية لأنها نعلى عليها رابطة العقيدة وجامعة الملة عملا بتعاليم ديننا وتقاليدنا وتاريخنا .

١٣ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن العروبة والاسلام فقال :

ان من لوازم انماض الاسلام انعاش العروبة وان بناء الاسلام قام على اساس العربية والعروبة وان الأمة الاسلامية كانت عزيزة لما كانت وفية للعروبة مؤيدة لها ومدافعة عنها ، واشار الى قول شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه (اقتضاء الطريق المستقيم) عن مخالفة أهل الجحيم لاعتياد الخطاب بغير العربية التى هى من شعائر الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولأهل الدر وللرجل مع صاحبه لأهل السوق وللأمراء او لأهل الديون أو لأهل الفقه فلا ريب ان ذلك مكروه فانه من التشبيه بالأعاجم وهو مكروه كما تقدم .

لذلك كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا ارض الشام وأرض العراق وخراسان وأرض المغرب عودوا أهل هذه البلاد « العربية » حتى غلبت على أهل هذه الامصار مسلميهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ، ثم أنهم تساهلوا فى امر الله واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولا ريب أن ذلك مكروه (أى مكروه شرعا) انتهى كلام ابن تيمة .

١٤ — وتحدث الشيخ مصطفى الرفاعى اللبان عن الخلافة الاسلامية وقال (انها لازمة لحياتنا فانا أدعو جميع المفكرين من رجال الاسلام الغيورين الى التذكير بها والتفكير فى وسائل احيائها حتى يتيسر لنا ايجاد رأى عام فى صف الخلافة .

١٥ — وتحدثت الفتح م ١٧ (١٩٤٣) عن الفرعونية فاشارت الى كتاب قناع الفرعونية لأحمد صبرى وقال ان محاولة التوفيق بين الاسلام والفرعونية محاولة باطلة ، ولابد من انتصار الفطرة الاسلامية على الأخطاء المكتسبة وقال : ان فرعون رمز لنوع من الحكومات الاستبدادية البائدة فالفرعونية نوع من النظم التى ينهض عليها الحكم الاستبدادى الجائر ، هذا النظام يقترن بما يتصل به من الأوضاع الاجتماعية والصور العقلية التى تبرر الظلم وتستقطب الخنوع وتساعد على الترفيه عن الطبيعة المحدودة الحاكمة التى تستند الى ما تخدعه من أسانيد الحقوق المقدسة ، ولا يجد المصرى المشوق للحياة الصحيحة فى شعار الفرعونية من قوة اندفاع الحرية والمساواة ما يجده المسلم فى كلمة الاسلام .

ودعت الفتح الى ترك اغلال الفرعونية والأشورية والفينيقية المفرقة ليعودوا الى الوحدة من جديد فى ضوء حرية الاسلام » .

الباب الخامس

الدعوة الاسلامية

الفصـــل الأول : الدعوة الاسلامية

الفصـــل الثاني : دعاة الاســـلام

الفصل الأول

الدعوة الاسلامية

حفلت هذه المرحلة بالجماعات الاسلامية المتعددة التى قام بها الغيورون على الاسلام فى مواجهة التحديات التى أحاطت به ، وفى مواجهة جمعية الشبان المسيحية العالمية التى توزعت فروعها فى عواصم البلاد الاسلامية ، بالاضافة الى الارساليات المختلفة ومعاهدها وما رسمت من مناهج لضرب الاسلام وقررت من كتب تهاجم الاسلام ونبيه ودعوته وكان للسيد محب الدين الخطيب — والشهادة لله — دور خطير فى هذه المرحلة فهو الموصوف بأنه أبى الجمعيات الاسلامية وقد كان من وراء انشاء جمعية الشبان المسلمين ، كما أن جمعية الاخوان المسلمين ولدت فى أحضان جمعية الشبان كما ولدت جماعة مصر الفتاه ولذلك فقد حفلت الفتح احتفالا كبيرا بنشاط الجماعات الاسلامية وتوجيهها ورسم المناهج لها ومعارضتها فى بعض خططها التى كانت تبدو مغايرة للطريق الصحيح فهو كالديدبان اليقظ ، ولما نمت جمعية الاخوان المسلمين واتسع نطاقها ظل السيد محب الدين الخطيب يوالى البث ويقدم وجهات النظر النافعة ايمانا بمسئوليته عن الدعوة الاسلامية ووجهتها الصحيحة وكان الأستاذ حسن البنا يقبل منه ويحاوره وان ظل هناك فارق واضح بين صاحب القلم المتحرر من أى تبعة خاصة بجماعة تثقل الكاهل وتحتاج الى نوع معين من الرعاية والتوجيه وبين صاحب الدعوة المنغمس فى المحاذير والتحديات .

وقد كانت هناك جمعيات متعددة تعمل منذ وقت بعيد ، غير أن الظروف المتغيرة والتحديات الجديدة فرضت انشاء جمعية كبرى تضم عشرات من العلماء والمفكرين لمواجهة الاخطار وقد أشارت الفتح الى أن جمعية الشبان المسلمين أنشأت فى مواجهة ثلاث تحديات خطيرة :

١ — مواجهة حركة التبشير المسيحى العاصفة التى كانت تقودها الجامعة الأمريكية فى القاهرة .

٢ ــ حركة جريدة السياســـة وكتابها : عصابة التغريب والغزو الفكرى (طه حسين وهيكل ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ، وغيرهم) وظهور كتابى الاسلام واصول الحكم والشعر الجاهلى .

٣ ــ الحركة الكمالية التى الغت النظام الاسلامى فى تركيا والعروبة العربية ووجدت من كتاب التغريب فى مصر تأييدا واسعا .

ومن هنا احدث الخناجر على انشـــاء هذه المؤســـسة الضخمة لتحقيق عدد من الغايات الاسلامية الكبرى .

ــ مقاومة التبشير والتشكيك من بعض اعوانه وتنوير الاذهان بالتعريف لاخطـــاره .

ــ الدعوة الى التربية الاسلامية ونقد كل مناهج التعلم .

ــ دراسة احوال العالم الاسلامى وخاصة فلسطين والمغرب .

ــ ابراز المفاهيم الاسلامية ، من شعر رصين وتراث مجيد .

ــ الرد على دعاة التغريب فى مصر ومواجهة الصحافة العلمانية .

ــ مواجهة الدعوات الهدامة كالقاديانية والبهائية .

ومن ثم فقد استطاع السيد محب الدين الخطيب جمع عدد من الشباب المسلم من الجامعات للاشتراك فى الجماعة (عبد المنعم خلاف ، عبد السلام هارون ، محمود محمد شاكر ، على الجندى) كما ضمت اليها عددا من كبار الاعلام امثال (احمد تيمور باشا ، عبد العزيز جاويش ، محمـــد الخضر حسين) وأعلنت برنامجها فى احتفال ضخم وكشفت فى الساعات الأولى لانشائها انها تعمل على حماية الشباب المسلم من اخطار دعوة التبشير والالحاد والاباحة وسجلت الفتح فى المجلد الثانى ص ٤٠٨ هذه الأهداف :

١ ــ بث الآداب الاسلامية والأخلاق الفاضلة .

٢ ــ السعى لانارة الأفكار بالمعارف بطريقة تناسب روح العصر .

٣ ــ العمـــل لازالة الاختلاف أو الجفـــاء بين الطوائف والفرق الاسلامية .

٤ـ الأخذ من حضارتى الشرق والغرب بمجانستهما جميعا .

وسرعان ما تقدم السيد مصطفى صادق الرافعى بنشيد الشبان :

ربنا اياك ندعو ربنا
آتنا النصر الذى وعدتنا
اننا نبغى رضاك اننا
ما ارتضينا غير ما ترضى لنا

وتدم حافظ ابراهيم نشيدا استهله بقوله :

اعيدوا مجدنا دنيا ودنيا
وذودوا عن تراث المسلمين

وقدم أحمد محرم نشيده الذى استهله بقوله :

بنى الاسلام اقداما
كفى دمعة واحجاما

ولم تلبث جمعية الشبان المسلمين أن نافستها جمعية الهداية الاسلامية وجمعية مكارم الأخلاق وكانت جمعية الاخوان المسلمين فيما بعد قليل عمل لم تلبث أن حقق نجاحا كاسحا بينما ضمرت جمعية الشبان واقتصرت على الألعاب الرياضية .

ولكن هذه المرحلة كانت خصبة عملا فقد استقبلت عديدا من اعلام الغرب وتحدث على منبرها الكثير من النوابغ أمثال عبد الله كوليام والشاعر محمد اقبال والسيد محمد على واعلن المستشرق [illegible] اسلامه فى حفل تأسيسها (م ٣٧٤/٢) .

ـ ٢ ـ

وكانت جمعية الشبان المسيحية قد تحدت مشاعر المسلمين اذ أخذت تقدم مفاهيم مسمومة على منبرها وكشفت الأحداث أن هدفها لم يكن تثقيفيا أو فكريا وانما كان ـ كما أوردته النتيجة ـ هو التبشير المستتر بجلباب المدنية ، وانما فتحت صدرها لقبول الأعضاء من مختلف الطوائف والأديان لغاية تبشيرية وأكبر دليل يدل على انها اجنبية لا وطنية

وان البريطانيين قابضون على زمام ادارتها ومصالحها وهم يجمعون لهما التبرعات حتى من المسلمين المغفلين الذين لا يتفطنون ما يراد بهم وقال : « ان الواجب يدعونا الى تجنيد وتنشيط كل نهضة اسلامية تؤسس في الشرق » .

ومن ذلك ما نشرته الفتح (١٢ يناير ١٩٢٨) من أن جمعية الشبان المسيحية جمعية تبشيرية مسيحية أنشئت لاقتناص المسلمين وغير البروتستان من المسيحيين واستمالتهم بالالعاب الرياضية وبالمكتبة ليأنسوا بهذا النادى ، هذه هى الجمعية التى كان يخطب فيهما رئيس تحرير السياسة (محمد حسين هيكل) منذ أيام مع اصراره هو ومحررو جريدته على الا تنشر كلمة واحدة عن جمعية الشبان المسلمين فهم ليسوا دعاة الحاد فقط كما يظنهم الناس بل معضدون ايضا للمسيحية على الاسلام وتقول جمعية الشبان المسيحية فى تقريرها أنها تسمى جهد طاقتها لاعلان (المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) ومعنى هذه الآية الانجيلية نشر المسيحية ومقاومة كل دين غيرها وهى تابعة لجمعية الشبان المسيحية الدولية فى مدينة نيويورك » .

ومن هذا أنها استقدمت عددا من التغريبيين امثال سلامة موسى للحديث فى موضوعات خطيرة حيث تحدث سلامة موسى عن الأدب المكشوف حيث هتف بحرية الادب واطلاق العنان ، وجاهر بان الأخلاق تعتمد العادات وتقوم على التقاليد ، ويؤمن بأن الغرائز النفسية لا تخرج عن تلك التقاليد ، فهو يدعو الى ان الادب يكشف المستور ويفضح المكنون ولا يبالى بنتائج الاغراق وعاقبة الاسراف ، واشار الى سبق امرؤ القيس وابو نواس وصاحب اليتيمة الى الادب المكشوف .

— ٣ —

وقد عرضت الفتح فى أكثر من موضع عن مفاهيم الشبان المسلمين حيث تقول فى المجلد الثالث :

● بلاد المسلمين وطن كل المسلمين ، وان ما نرى من مبادىء يتشبث بها المسلمون هى مبادىء لم تظهر فى الوجود الا بعد أن ضعف

الاسلام وضعفت عقائدنا وروحنا المحمــدية ، ورأى الغرب تأييد ذلك لأنه من مصلحته عدم اتحاد المسلمين .

● تجديد مجــد اجدادنا لنكون اقوياء فى ديننا وعزائمنا فلندافع عن شرفنا وديننا ولنستند بالقوة البدنية والعلم والمال والصناعات .

● فى مواجهة جمعيات التبشـــــير ليكشـــف عن أنهم مأجورون لمصلحة الاستعمار وتمكين اغلاله من أعناقنا ».

وتحدث صاحب الفتح (١٧ نوفمبر ١٩٢٧) فقال ان السعى الى تكوين الشبان المسلمين فى مصر وغير مصر هو المثل الأعلى ليبنى للمستقبل رجالا يجمعون الى العلم استقامة الخلق ، ان الناشىء الذى يخوض غمار هذه الحياة وبين يديه سراج من الهداية انما يخوضها قوى الجأش عالى الهمة، هادىء الخاطر ثابت النظر ، واشارت الفتــح (مجــلد ٧ ـــ ١٩٣٣) الى أن الجمعية انشأت بهدف العمــل على صيانة النفوس والعقــائد من العلل والأمراض والأخلاق الاجتماعية والدينية وأن اشد ما يخشى منها خطرا وفتكا ذلك الذى يتعرض له الشــباب الناشئون وهم فى مرحــلة من الحياة يسهل فيهــا التورط فى الخطأ والانحدار الى طريق الضـــلال مع الدعوة الى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة لجماعة المسلمين ».

— ٤ —

وأولت الفتــح اهتماما واســعا للجماعات الاسلامية كلها ودعت الى تعاونها من أجــل اضــــاءة الطريق أمام شبابنا وتسليحهم بالفضيلة ليكونوا رجالا عاملين اقوياء فى دينهم واخلاقهم واشــــارت الى جمعيـــة الحضارة الاسلامية التى انشأها الأستاذ عبد الرحمن الساعاتى (البنا) ومحمد اسعد الحكيم ، فى حارة الروم بالغورية ومهمتها التعاون على تحقيق اليقظة الاسلامية والعمل لنصرة الاسلام باظهارها ما انطوت عليه تعاليمه الراقية ودعوة المسلمين الى التمســك بدينهم والعمــل به وحماية الدين من اعتداء المعتدين جهرا وعدوانا ».

كما اشارت الى جمعية الهــداية الاسلامية (سكة الشابورى ١١ بالحلمية الجديدة) وجمعية مكارم الأخلاق بسراى السادات بدرب الجماميز ،

والى نشاط كل منهما ومحاضراتهم الأسبوعية ثم أشارت الى انتقال قيادة جمعيـــة الاخوان من الاسماعيلية الى القاهره وانضمت اليهـــا جمعيـــة الحضارة ، وقال ان عددا من العاملين مع الاستاذ حسن البنا يتحدثون في المحاضرات : حامد شريت ، حلمي نور الدين ، عبد الرحمن الساعاتي ، أحمد شريت ، محمد جميل العقاد ، محمد ابراهيم البراوى ، عبد اللطيف الشـعشـاعي ».

وقالت ان جمعية نشر الفضائل الاسلاميه يتقدمها : على محفوظ ، احمد صقر ، على رفاعي أما جمعية مكارم الاخلاق : محمود صدقي .

واشارت الى اعلام مجلة الفتح وجمعيه الشــبان المسلمين الذين يعملون مع محب الدين الخطيب : شكيب ارسلان ، محمد حسن النجمى ، محمد صادق عرنوس ، مصطفى احمد الرفاعي اللبان ، عبد المنعم خلاف ، محمد تقي الدين الهلالى ، محمد الهراوى ، على الجندى .

واشارت الفتح الى اعطاء الشبان المسلمين ارضا مساحتها الفى متر (١٥ الف جنيه) لتقيم عليها ناديا في القاهرة بشارع الملكة نازلي واشارت الى أن السيد محب الدين الخطيب الذى كان شرف العمل على تأسيس جمعية الشـــبان المسلمين .

— ٥ —

وسرعان ما اتسع عمل جمعية الشبان المسلمين وانتشرت فروعها في حيفا (فلسطين) وفي بومباى بالهند ، كما ظهرت فروع الجماعة الاسلامية في دمشق : مصطفى حسنى السباعي ، على الطنطاوى كما اشارت الى افتتاح فرع جمعية الشبان المسلمين في تونس ، وقالت الفتح ان جمعية الشبان في حيفا تقوم بتنظيم حالة المسلمين وتوجيههم الى فضائل الاسلام حتى يتمكنوا من أن يجعلوها أساس حياتهم وأن يجعلوا كل اعمالهم وأفكارهم قائمة عليهـــا ».

وقالت صحف الهند ان جمعية الشبان في بومباى قد احدثت آثارا طيبة وسرعان ما انتشرت فروع لها في الهند وقالت صحف الهند : ان عائلتنا

منفسة فالجامعة الاسلامية ... لان تعدد المذاهب أضر بوحدتنا ، وجهلنا بالتعاليم الدينية الصحيحة سبب لنا دمارا اشد وطاه من فعل الزلازل والبركان ... للمسلمين في انحاء المعموره من ان يكونوا على اتصال وأن يتبادلوا المودة والاخاء ولابد من اخماد عاطفة المحبة نحو الوطن الاقليمي واستبدالها بانماء عاطفة المحبة نحو الوطن العالمي .

وقالت ان المسيحيين يسعون للبحث عن مثل أعلى يطابق روح العصر والدين الاسلامي يحث على اتخاذ مثل اعلى لهم ولكنهم لا يسيرون روح العصر التفاتا ، وان جمعية الشبان المسلمين هي طريق يوصل الى الطريقة المثلى للحياة .

— ٦ —

وتحدثت الفتح عن الجمعيات الدينية فقالت انها مهما تنوعت فانما ترجع الى غرض واحد لا ثانى له هو احياء الدين فى النفوس واعلاء كلمة الله ، فبذلك يتحقق جميع هذه الاغراض متى التزم الناس أوامر دينهم وتخلقوا به ظاهرا وباطنا .

وقالت الفتح : ان النجاح لا يقاس بكثرة الأعضاء بل يقاس بمقدار تأصل الروح الدينية فى نفوس الاعضاء وبمقدار تحولهم مما عليه الناس الى الحالة التى كان عليها السلف الصالح .

— ٧ —

وعاودت الفتح الحديث عن أخطار جمعية الشبان المسيحية م ٦ (١٩٣٢) بعد ظهور حوادث التبشير التى هزت المجتمع قالت ان لجمعية الشبان المسيحية عشرة آلاف فرع فى جميع أنحاء العالم ، وقد لقيت تعضيدا من الأمم المسيحية والحكومات المسيحية وبلغ رأس مالها الى ما يزيد عن ٢٢٤ مليونا من الريالات (٤٥ مليونا من الجنيهات) .

وتحدثت الفتح عن جمعية الشبان المسيحية فى القدس وقد افتتحها اللورد اللنبى صاحب الكلمة المعروفة (ها نحن قد عدنا باصلاح الدين) وبلغت نفقات بنائها ٤٠٠ الف جنيه (١٩٣٣) فى ابان الأزمة المالية الطاحنة ، هذه المظاهرة الدينية الاستعمارية على مسلمى فلسطين ،

اذن الفتح صلتين بجمعية الشبان المسيحية منذ نشأة الفتح وهنالك تلك السياسة وكلماتك (ان تلك الحملة آخر حملة صليبية) الى مثل ذلك حق ، أرسلت كلماتك يومئذ ثم جئت اليوم تؤيد تلك الكلمة حرفا وابرزت تلك النية وكرا من أوكار التبشير وقالت مجلة الجامعة في يافا ان الاسلام دين لا يخاف التبشير بل يجعله تبشيرا به ويرده دعوة له ، وان الاسلام دين نبت من وطيس الحرب كما نبت على ضفاف النهر .

وقالت الفتح : ان جمعيـــة الشبان المسلمين التي تأسست منذ أربع سنوات ، انما تأسست بمقاومة هـــذه الحاجات المعنوية المتجددة شباب المسلمين ، وقد انتشرت في مصر وفلسطين وشرق الأردن ووصلت فروعها الى أمريكا الشمالية والجنوبية تحت عنوان الدعوة الى تعارف المسلمين وتوثيق روح الاخاء بينهم .

وقالت الفتح : ان الاسلام هوجم من أعدائه بعقائد باطلة في كل زمان ومكان ، ولكنه اليوم معرض لأقوى هجمات عرفها التاريخ لأننا مضطرون الى تعليم أولادنا وأكثر مصانع التعلم والتصنيف اما أن تكون مؤسسة بأيدي جماعات من وظيفتهم محاربة الهداية المحمدية أو انها مبثوث فيها من يعلمون ويثقفون ممن عاهدوا أنفسهم على محاربة هذه الهداية .

ولا نستطيع أن ننشىء جيلا جديدا نطمئن الى كفايته للنهوض بحاجة المسلمين المادية والروحية ما لم نقم بعمل مزدوج لا مناص من وقفة جانب كبير من وقتنا عليه فأحد شقي هذا العمل مقاومة دعايات الالحاد في داخل المدارس الموجودة الآن ، وفي عالم الطباعة والنشر والثاني ايجاد مدارس جديدة تكون مستوفية الشروط من وجهة نظر الاســـلام ، وعلى وسائل النشر الاسلامية السير في طريق الرقي حتى تتمكن من اظهـــار محاسن الاسلام للملأ وعرض حقائقه بالأساليب المحبوبة لدى الجماهير .

— ٨ —

أولت الفتـــح اهتماما واســـعا ومتصلا بجماعة الاخوان المسلمين التي نشأت بعد عام واحد والتي اتسع نطاقها بعد انتقال الأستاذ حسن البنا من الاسماعيلية الى القاهرة حيث تم تحول جمعية الحضارة الاسلامية

واندماجها في جماعة الاخوان وقد تم ١٩٣١ اتحاد جمعية الحضارة مع جمعيات الاخوان المسلمين بالاسماعيلية وشبرا خيت والمحمودية وترتب على ذلك أن تختار الاسم نفسه وهى جمعية الاخوان المسلمين بالقاهرة وترى الجمعية ان انضمامها هذا اشارة الى الوحدة الاسلامية التى هى الطريق العملى لاعزاز الاسلام ورفع مناره (سوق السلاح رقم ٦٢ — يوليو ١٩٣١) .

واشارت الفتح الى ان جمعية الاخوان المسلمين نقلت من حارة عمارة الشماشرجى (ابريل ١٩٣٣) الى منزل ٢٤ بعطفة نافع بحارة عبد الله بالسروجية وانها بدات في اصدار صحيفتها الاسبوعية بالمطبعة السلفية بباب الخلق وسيصدر اول عدد قريبا (نائب القاهرة : عبد الرحمن احمد الساعاتى) .

ولم تلبث الفتح ان بشرت بصدور الصحيفة :

أصدرت جمعية الاخوان المسلمين صحيفة أسبوعية لتكون لسان حالها ولتقوم بقسطها في خدمة الاسلام والهيئات العاملة على رفعة الاسلام واعادة مجده (جريدة اسلامية جامعة ابرز اقسامها القسم الدينى الذى يحرره مرشد الجمعية العام الصديق المجاهد الاستاذ حسن البنا وسيتناول التفسير والعقائد والفقه والتصوف) .

وقالت الفتح : والاستاذ البنا من صفوة الداعين الى الله بحكمة وبصيرة ، وهو روح هذه المجلة وعمادها ، كما أنه روح جمعية الاخوان المسلمين وعمادها ورئيس تحرير المجلة هو فضيلة الشيخ طنطاوى جوهرى وادارتها في دار المطبعة السلفية (التى يديرها السيد محب الدين الخطيب) .

وقد صدرت المجلة صفر ١٣٥٢ (١٩٣٣) تحت عنوان (جريدة الاخوان المسلمين) ونقشت على صدرها ثلاثة أسماء (طنطاوى جوهرى — محب الدين الخطيب — حسن البنا) .

وقد صدرت بعد سبع سنوات من صدور الفتح التى صدرت عام ١٩٢٦ وكان الاستاذ حسن البنا قد بدأ كتاباته الاسلامية في جريدة الفتح منذ اواخر السنة الأولى للفتح تحت عنوان (الدعوة الى الله)

وواصل ذلك خلال سنوات طويلة ومما نشره فى المجلد السادس ص ٧٣ من الفتح ما كتبه تحت عنوان :

(واجب العالم الاسلامى ازاء ما نزل به) .

قال : هناك وسائل نستطيعها اجدى من الاحتجاج وابلغ اثرا :

الوسيلة الأولى : ضم الصفوف وتوحيد القوى .

الوسيلة الثانية : مقاطعة كل ما هو غير شرقى من العادات والتقاليد .

الوسيلة الثالثة : ان نجاهد انفسنا قليلا ونحكمها ونردها الى العقل والتبصر .

الوسيلة الرابعة : ان نذكر هذه النكبات دائما وان نتلوها على انفسنا صباحا ومساء حتى ينشأ شبابنا وهم على بينة من أمر أعدائهم فلا يخدعون كما خدعنا ، وان علينا أن ننظر فى احدى الوسائل لتخريج ابنائنا مشبعين بالروح الدينية فان نظم التعليم عندنا للأسف لا تسمح بذلك وهى تقربنا من الافكار الأوربية وتقتل فى نفوس الناشئة كل شعور اسلامى أو قومى شريف .

الوسيلة الخامسة : تجديد النفوس وتطهير الارواح وتقوية العقلية حتى تمتلىء النفوس بالأمل والايمان وهى تندفع الى العمل بقوة وثبات كما كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقال الأستاذ حسن البنا : من الاحكام الشرعية ان القنوت سنة فى كل الصلوات بعد الركوع الاخير اذا نزلت نازلة بالمسلمين ، ويلوح لى بجواز تطبيق هذا الحكم فى كل المساجد الاسلامية وفى كل الصلوات .

— ٩ —

وتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد السابع (١٣٥١ هـ — ١٩٣٤ م) فقال ان منشئى الفتح الذى كان له شرف العمل على تأسيس الشبان المسلمين رأى فريق من خيرة شبان المسلمين فى القاهرة ان الحاجة الى صياغة النفوس والعقائد من العلل والأمراض الاخلاقية والاجتماعية

والدينية أصبحت عامة وأن أشد ما يخشى منه خطرا وفتكا ذلك الذى يتعرض له الشبان الناشئين وهم فى مرحلة من الحياة يسهل فيها التورط فى المفاسد والانحدار الى طريق الضلال .

وقال السيد محب الدين الخطيب :

ان فكرة الشبان فكرة سامية ترمى الى مقاصد ترتبط بحياة الهداية المحمدية كما ترتبط بنهضة الشعوب الاسلامية ، ومن المقاصد التى اسست جمعية الشبان لتحقيقها أن تدرس هذه الجمعية الحركة الفكرية فى ديار الاسلام وأن تبحث عن مصادر هذه الحركة الفكرية واتجاهها وتنظر فيما اذا كان ذلك موافقا لحاجة المسلمين الحقيقية أم لا ولا شك أن الحركة الفكرية الحاضرة فيها النافع وفيها الضار فكيف يمكن المسلمين أن يسيروا مع هذه الحركة الفكرية بطمأنينة وارتياح وليس فيهم من ارتاد لهم الطريق ولا من قام بتحليل هذا الدواء الذى يراد منهم أن يشربوه ، ومن أولى من جمعية الشبان المسلمين بذلك الارتياد وهذا التحليل ومن المقاصد درس أخلاق الطبقات الاسلامية والبحث عن أسباب الضعف الاولى ودرجة ابتعاد المسلمين عن هداية دينهم .

— ١٠ —

وفى المجلد التاسع من الفتح (١٣٥٣) تحدثت الفتح عن تشكيل جمعية الشبان المسلمين ومؤسسيها : محب الدين الخطيب ، احمد تيمور ، محمد الخضر حسن ، محمود محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، محمد محمود الحضرى ، عبد الفتاح خيرشاه ، كمال اللبان ، محمد القاضى ، محمد محجوب ، مصطفى محمود القاضى ، زكى القاضى ، عبد المنعم خلاف ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، توفيق احمد ، عبد العزيز جاويش ، محمد الههياوى وان الاجتماع عقد برئاسة تيمور باشا عام ١٣٤٦ .

واختير عبد الحميد سعد رئيسا ثم انضم الى الجماعة :

الشيخ أحمد ابراهيم ، محمد أحمد الغمراوى ، يحيى الدرديرى ، على مظهر ، محمود على الفضلى ، على شوقى .

وقالت انه فى هذا العام ١٣٥٣ قد وضع الحجر الاساسى لبناء الجمعية ، وكانت دار المطبعة السلفية (التى انشاها السيد محب الدين الخطيب) نبع القلوب الصادقة وفيها ايضا انشات جمعية التعارف الاسلامى (محمود سالم) :

— ١١ —

واشارت الفتح الى المستشرق الالمانى (كمفاير) الذى كتب عن جمعية الشبان المسلمين : هذا هو الصراط المستقيم والاساس الحقيقى لنهضة الأمة ، اغراض الجمعية مطابقة لحقائق جوهرية خالدة لها التاثير الحاسم فى تطور الأمة ورقيها واذا قيل ان الغلبة كانت ولم تزل للقوة فى كل عصر ومصر فاقول ان للقوة المادية حدا لا يتجاوزه وتعقبها قوة اخرى هى القوة الروحية التي مصدرها وحي الله عز وجل .

— ١٢ —

وتحدثت الفتح عن انشاء جمعية الشبان المسلمين فى العالم الاسلامى وركزت على جمعية الشبان المسلمين فى فلسطين وفى العراق (من بغداد الى البصرة) وفى الشام وتونس والهند وأمريكا فى ثلاث سنوات فقط .

واشارت الفتح الى جماعة شباب محمد فى بلاد الشام (فبراير ١٩٣٩ — الحجة ١٣٥٧) واشارت الى دار الأرقم فى حلب ، وجمعية الشبان المسلمين فى دمشق ، وجمعية مكارم الاخلاق الاسلامية فى بيروت وجمعيات عديدة فى القدس ولندن وباريس كلها تنضوى تحت رابطة شباب محمد (بعد عودته من مصر ١٩٣٩) .

وقال ان الاستاذين مصطفى السباعى وعمر بهاء الاميرى (بعد عودته من باريس) ومعهم مصطفى الزرقا ، وعبد الرءوف الاسطوانى ، وعبد الوهاب الازرق وصلاح الدين المدرس ، وجمال العشى ، وعزت المرادى ، واسماعيل المرادى ، ووعبد الفتاح الحمصى ، وصدر حجار ، وعبد الوهاب التونجى ، وعبد القادر السيسى وقد تقرر تنظيم الشباب المسلم تنظيما ثقافيا وعسكريا وتوحيد جهود الشباب لاسعاف فلسطين والمكافحة عن دين الله وخلق الاسلام الذى شوهته حروف الزمان ليبثوا

فى الامة روح اليقظة والحمية والعزة التى شهرتها الدنيا فى رجال السلف الصـــالح .

— ١٣ —

وتحدثت الفتح عن النهضة الاسلامية فى الهند فى جاوة وجاكارتا .

فيقول : ان الجمعية المحمدية فى جو جاكرتا ، تأسست المحمدية قبل ثلاثين سنة (أحمد دحلان) ١٣٣٠ هـ ـــ ١٩١٢ لنشر التعاليم الاسلامية والعمـــل على ايجاد حياة اسلامية تلائم مبادىء الاســـلام وكرامة أهله (٢٥٠ الف عضـــو) ، ١١٧٤ مدرسة ، ٣٨٤ مســـجد ، ١٤٣ مكتبة ، ١٥ مستشفى ، ٥٥١٦ مبشر ومبشرات ٢١١٤ .

ويقول الفتح (م ١٩٣٢/٦) الجمعية المحمدية مجدة كل الجد فى نشر مدارسها ولا تعلم فيها الا بالهولندية والأحرف اللاتينية ، فى مواجهة مدارس التنصر المملوءة من الجاويين والمدارس العليا الجاوية ، واشارت الى ان دعاة القاديانيـــة فى جحفا وغيرهم لهم تاثير فى ابدال الأحكام الشرعيـــة للمواريث والنكاح والطلاق واشار الى نحلة الصوفية البوذية الذين يعبدون رجلا هنديا (كرشنا مورى) بمنزلة المسيح عندهم .

وتحدث عن أن مواليد العرب يصرون على تعليم اولادهم الهولندية ، والوطنيون الذين لا دين لهم مسالمون لكل الأديان الا الاسلام فهم حرب عليه يكرهونه اشد الكره .

وقال ان جاوة فيها الآن جمعية الشبان المسلمين الى جانب شركة اسلام فى مواجهة الأحمدية القاديانية .

وتحدثت الفتح ان جمعية اسلامية اسمها انجمن حماية اســـلام قامت فى شرق أفريقيا (أحمد الحداد الكوكبى) فى كينيا وأوغندا وتنجانيقا وقد اقامت مدارس اسلامية .

أما فى جنوب افريقيا فقد قامت مساجد ومدارس فى الكاب والناتال وان هناك مائة الف مسلم بعضهم هندى والبعض الآخر اندونيسى .

ولعل الفتح كانت توجه نظر جمعية الشبان المسلمين الى القيـــام بدور فى هذه المناطق .

— ١٤ —

وعادت الفتح فى عام ١٩٣٦ فقدمت ثبتا بالجمعيات الاسلامية فى مصر :

الشبان المسلمين : دكتور يحيى احمد الدرديرى .

التعارف الاسلامى : محب الدين الخطيب .

الاخوان المسلمين : حسن البنـا .

جمعية الهداية الاسلامية : عبد الحميد السيد .

انصار الايمان الاسلامية : خضر مصطفى بدر .

المسلم الفاضل : عبد المنعم امين .

مكارم الأخلاق الاسلامية :

جمعية الجهاد الاسلامى : احمد ابراهيم السراوى .

وقد قدمت هذه الجماعات دراسة لفتت فيها الانظار الى الانحدار المخيف فى الأخلاق ودعت بعض الصحف أن تكف عن نشر الفصول والصور مما يدخل فى باب الادب المكشوف والفن .

ودعت الجماعات الاسلامية الى اتخاذ الرقابة على أفلام السينما فتمنع بقدر الامكان من المشاهد الغرامية التى تسوء الآباء أن تقع انظار أبنائهم وبناتهم عليها وطالب الاذاعة اللاسلكية بتنقية برامجها من وسائل تهيج الشهوات والألفاظ المقذعة والعبارات النابية التى تلقى فى الحفلات .

وطالبت باغلاق الحمامات البحرية وغير البحرية التى يتاح فيهـا الدخول للجنسين .

— ١٥ —

وتحدثت الفتح فى المجلد ١٢ (١٩٣٦) ص ٦٦٨ عن انشاء جمعية شباب محمد فى باريس ، شكلها محمد المبارك وعمر بهاء الأميرى (نوفمبر ١٩٣٦) وهما من دمشق وحلب قالت :

ان الاسلام قد أصبح اليوم اوسع من ان يكون دينا يتعبد به الذين يدينون به وانما هو مؤسسة عالمية كبرى ، ودعامة شرقية متينة التفت وستلتف حولها أمم كثيرة على اختلاف أجناسها بل وعلى اختلاف أديانها .

وللاسلام صفحة يجمع عليها المسلم وغير المسلم ممن يمتون بسبب الى تاريخه وماضيه فى الشرق الاسلامى والعرب على الحصول مسلميهم ونصرانيهم يرون فى هذا التاريخ الحافل مجداً موئلا ومصدرا يستلهمون منه مثلا عليا تحفظ بناءهم وكيانهم الخاص .

هذا وان العالم الذى يحتفظ اليوم بنزعاته المادية المختلفة وثوراته القومية بما فيه من تصارع قوى بين الفاشية والاشتراكية وتناحر شديد بين البشرية فى جميع انحاء الأرض لفى حاجة شديدة الى نظرة انسانية عامة لم يجدها فى الشيوعية واذاعاتها ، ولا فى الاشتراكية بل الفاشية ولا فى نصوص الفلاسفة المحدثين ، فلعله يجد فى الاسلام هـذه النظرة والعاطفة التى ينشدها وان من اطلع على الحركات العالمية فى السنوات الأخيرة فى الشرق والغرب ايقن ان المستقبل على عبوسه خصب بالآمال أكثر مما يظن الظانون .

يا شباب محمد ويا جماعة دار الأرقم ليكن املكم بالله قويا فما هو بخاذلكم ابدا .

.ولنذكر ما يؤيد أن أوربا اخذت تقر بمزايا المدنية الاسلامية واحدة فواحدة بعـد أن جحدتها قرونا طوالا ، ذلك ان المؤتمر العالمى للتشريع الذى عقد فى لاهاى قرر أن التشريع الاسـلامى صالح لأن يعـد مصدرا من مصادر التشريع الحديث (١٩٣٧) .

— ١٦ —

وكتبت الفتح عن طه حسين ومعارضته نهضة الاسلام فى الجامعة (م ١١ — الفتح ١٩٣٧) حيث عقـدت فصلا عن الاسلام فى الجامعـة فقالت :

الحديث عن شباب الجامعة المسلم ظاهرة عملية بدت لنا من بعض طلبة الجامعة المصرية منذ نحو سنتين اشترك هؤلاء فى جمعية الشبان المسلمين ، وان عـدد هؤلاء الآن أكثر ممن كانوا قبـل عشر سنوات ، او رابطة الوفاء للاسلام مهما اختلفت الكلمات او الجماعات الاسلامية

المتعددة ، فرابطة الفكر يجب أن ينشأ عنهما تعاون بين المرتبطين بهما نظر اثارة فى استمالة اخوانهم الذين لا يزالون خالية اذهانهم من حقائق الاسلام فيعرفونهم بها ويثقفون عليها ، ومن ذلك مذكرتهم بجعل التعليم الدينى من مناهج الدراسة فى جميع الكليات الجامعية ، وتوحيد زى الطلاب والطالبات . وتحديد دراسة خاصة للبنات فى كلية الآداب ، وبناء المساجد فى كليات الجامعة وحركة فصل الجنسين .

ان هناك ٤ آلاف من طلبة الجامعة يطلبون تعميم الثقافة الاسلامية وفصـــل الجنسين .

وأشارت الفتح الى ظاهرات ثلاث للبقظة الاسلامية :

اولا : ظهور صحف اسلامية بعد الفتح فى مصر والشام والعراق وتونس وغيرها .

ثانيا : بدا الحديث عن الشريعة الاسلامية واتسع بما ازعج جريدة السياسة الأسبوعية مناقشة حد السرقة وحد الزنا وقد رد عليها الشيخ محمد الخضر حسين (الفتح م ١٩٣٧/١١) .

ثالثــا : اهتمام الفتح الواسع بقضايا العــالم الاسلامى اساسا وقضية فلسطين تأخــذ مكانها فى قوة خــلال أعوام (١٩٣٥ — ١٩٣٧) مع قضايا الحجاز واليمن والجزائر .

تقول الفتح : وقد ساءنا ما قاله طه حسين بجريدة المصرى وهو يعبر عن رأيه الشخصى ويعلن تمســكنا بالحق وتضامننا مع الأزهر الشريف من أن الجامعتين المصرية والأزهرية يطالبون بتعــلم الدين الاســلامى بالجامعة والمدارس الثانوية وفصل الطلبة عن الطالبات ويعلنون أن الدكتور طه حسين لا يمثل الجامعة المصرية فيما بدا من آراء وتهجم على اخوانهم طلبة الجامعة الأزهرية فليرح الأستاذ طه نفسه وليعلم أن قوة الشباب لا تهزها تلك الأســاليب الأجنبية الدخيلة .

قال طه حسين : أنا لا أعلم فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله نصــا يحرم اجتماع الفتيان والفتيات حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن ..

واذا لم يعرف الدكتور ذلك النص فهل معناه أنه غير موجود ، وهل يلزم من عدم معرفة الدليل على شيء عدم وجوده ، ومن قال ان الدكتور طه عالم من علماء الدين أو فقيــه من فقهاء المسلمين حتى يقــام لرأيه وزن فى الشئون الدينية ، وبعد فنحن نتولى تعريف الدكتور طه ما جهله حتى يعلم أنه تطفل وتدخل فيما لا يحسن الكلام فيه (ص ٩٩٦ م ١١) .

كما اشارت الفتح الى اعتراض توفيق الحكيم على دعوة اســلمة الجامعة (المصرى ٣ محرم ١٣٥٦) وقد رد عليه السيد محب الدين الخطيب (٩٩٤ م ١١ الفتح) قال : الجيل القائم الآن فى مصر والأجيال التى ستخلفه حلقات من سلسلة التاريخ الاســلامى وهى لا تدون كذلك عن جدارة واستحقاق الا اذا اعترفت الجامعة المصرية بأنها الهيكل العلمى والثقافى للاسلام والعربية وأن من واجبها للاسلام الذى هو دين المصريين والعربية التى هى لغة المصريين أن تحمل لواء محاسنها وأمجادها كما تحمل لواء العلم المجرد ، والعقل الحر والفكر المفيد ، وكما ان الاسلام لا يقف فى طريق العلم فى مصر ولا فى غير مصر فيجب على هياكل العلم فى مصر وفى غير مصر أن لا تقف فى طريق الاســلام .

وأشارت الفتح الى أنه قد أقيمت مناظرة عن تعليم الفتاة تعليما جامعيا وكتبت السيدة لبيبة أحمد فى هذا الموضوع ، وكذلك عزيزة عباس عصفور وأشرف على ذلك الدكتور عبد الحميد سعيد .

— ١٧ —

وأشارت الفتح (فى المجلد ١٢ — ١٩٣٨) الى أن طلبــة الاخوان المسلمين فى الجامعة يطالبون بأن يكون منهاج الاصلاح الذى يوجه النهضة قائما على أساس اسلامية (٤ آلاف) الجامعــة ودار العــلوم والأزهر ومما جاء فى مشروعهم أنهم يعارضون حصر الفكرة الاسلامية فى حــدود الواجبات الروحية والعبادية وأن ذلك أمر يتنافى مع طبيعة الاسلام :

(انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) فقاعدة الاسلام أن يعتنى المسلم بكل شئون بلده .

وأن هناك هيئة موحدة لها منهاج اصلاح اسلامى يتناول كل شئون

النهضة ويتوافر على وضعه وانفاذه جميع المواقف والقوى . لما ثبت من اضرار النظام الحزبى وفشله (واعتصموا) وانه قد وضع منهاج للاصلاح الذى يوجه النهضة على اساس يؤدى الى التخلص بالتدريج من الصبغة الغربية وقيود التقليد التى تصنع الحياة المصرية ونعود بهذه الحياة الى الأصول القومية الاسلامية فى التشريع والعادات والثقافة الاجتماعية والاقتصادية .

(يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وليس معنى الرجوع الى المنهج الاسلامى نقض الاتفاقيات الدولية ولا العدوان على الاقليات المواطنة والأجنبية ، ولا الاخلال بنظام الحكم النيابى ولا احياء مظاهر رجعية لا تتفق مع المدنية الصحيحة فان الاسلام خير كله وقد وضع لكل ذلك أفضل النظم وأعدلها (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

والعمل على توثيق الروابط بين مصر والأقطار الاسلامية العربية تحقيقا للأخوة المنشودة تمهيدا لاسترجاع الخلافة الضائعة (انما المؤمنون اخوة) .

— ١٨ —

وكتب السيد محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الاسلامية بحثا ضافيا عن مهمة الجمعيات الاسلامية فقال : عقب الحرب السابقة ظهرت حركات وطنية ودعايات قومية وقد يكون فيها خير ولكنها لم تقف عند حد الاعتدال واخذت تنظر الى الرابطة الاسلامية بعين الاستخفاف بل مدت يدها الى تمزيق أوصالها ونالت منها شيئا كثيرا ووجد الملاحدة والاباحيون فى هذه الدعايات مرتعا فاخذوا ينادون بازالة الفوارق بين جماعات الشعب ويريدون بذلك أن تهمل الجماعة أمر دينها وتنكث يدها من شريعتها ، فى تلك الأيام ظهرت كتب جاهر مؤلفوها بالطعن فى الدين ووجدوا من بعض ضعفاء الايمان القابضين على طرف من زمام الأمور مناصرة ومودة ووقعت الأمة يومئذ فى دهشة وتخيل أولئك الزائغون أن المسلمين انسلخوا من ايمانهم وأن القرآن المجيد أصبح مودعا فى الخزائن ليكثر من الآثار العتيقة ..

ولما اسرف هؤلاء فى الهجوم على الدين الحق وحاربوه فى خطة مكشوفة اخذ الشعور الدينى يهتم وينمو فى نفوس الخاصة والعامة من المسلمين حتى اتقد فى نفوس شباب مومنين وقام بعض دعاة الاصلاح يفكرون فى وسائل يدافعون بها عن الحق ويردون بها هؤلاء الجاحدين على اعقابهم فسعوا الى تاليف جمعيات واصدار مجلات ، وكانت فى مقدمة هذه الجمعيات والمجلات جمعية الهداية الاسلامية ومجلتها فخطة جمعيتنا ومجلتنا الجهاد فى اعلاء كلمة الحق والرد على هؤلاء المنكرين على طريقة البحث وقوانين المنطق الصحيح ، وتهذيب الاخلاق وترقية اللغة العربية .

الفصل الثانى

دعـــاة الاســـلام

— ١ —

كان من اكبر اعمال مجلة الفتح هى تربية جيـل من دعاة الاسلام وكتابه فى مختلف انحاء العالم الاسلامى وليس البلاد العربيـة وحدها ، فظهر كتاب مسلمون يتحدثون من القضـايا الاسلاميه فى الهنـد وجاوة وبلاد تركستان ونجارى .

وظهرت اسماء عبد الرشيد ابراهيم (نجارى) وعبد العليم الصديقى (الهند) وعبد الله بن نوح (أندونيسيا) ومن الغرب واصل الكتاب الأمير شكيب آرسلان والدكتور زكى على ، ومصطفى صبرى شيخ الاسـلام فى تركيا وسليمان الندوى ومسعود غانم الندوى ومحمد تقى الدين الهلالى (المغربى الاصل) من بحر الهند ومن باريس عمر الاميرى واحمد بلافريج ومن لندن عمر النسوقى ، اما فى البلاد العربية فظهرت اسماء مصطفى اسباعى (دمشق) ومجاج نور أحمد (بيروت) دكتور زكى على (جنيف) وبهجت الأثرى (العراق) ومحمد النيفر فى تونس ، أما من مصر فقد قدمت الكثيرين فى مقدمتهم عبد العزيز جاويش وحسين والى ومحمـد سليمان ومحمد احمد الغمراوى ومحمد الهياوى .

وقد احتفلت الفتح بكتابات الطلائع من الشـباب المسـلم المثقف ووجهتهم توجيها نافعا ودفعتهم الى توسيع دائرة عملهم وحاول أن يحقق عن طريق كتاباتهم رسم صورة واقعية للمجتمعات الاسلامية وللتطورات التى احدثتها حركة اليقظة الاسلامية وبذلك قدم لها وثائق ضخمة عديدة فى جميع شئون البلاد الاسلامية .

وقد وضـع السيد محب الدين الخطيب نفسه ومجلته (الفتـح) فى موضـعها الحقيقى كحلقة تابعة للمنار وللدعوة الى الاصلاح التى حمل لواءها السيد جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وكان هو مؤرخها والسائر

بها الى غاياتها حتى تسلم الأمانة الاخوان المسلمون بقيادة الاستاذ حسن البنا وكان للسيد محب الدين الخطيب دور فى هذه الخطوة فان الأستاذ البنا بدا كتاباته عن (الدعوة الى الله) لأول مرة فى مجلة الفتح .

وظلت الفتح تتابع الدعوة الاسلامية عاما بعد عام تنصح وتوجه وتقدم الخبره والتجربه . وقد نوه السيد محب الدين الخطيب بحزب الاصلاح الاسلامى الذى اسسه الشيخ محمد عبده ونوه به السيد رشيد رضا صاحب المنار فى مناسبات كثيرة وقال : ان كثيرين أشاروا الى انهم تتلمذوا على الافغانى وعبده وهم منتشرون فى البلدان الاسلامية ، وكان السيد رشيد يرغب فى أن يدعوهم الى مؤتمر عام ليجعل لصوتهم قوة تقف فى وجه المستعمرين وتابعيهم والملاحدة واعوانهم .

اولا — الشيخ محمد عبده :

وقد تحدث السيد محب الدين الخطيب عن مفهوم الاسلام عند الشيخ محمد عبده (م ٨٢/١٠) قال : كان أعظم ما يباهى به الشيخ محمد عبده من عظمة الاسلام وان اختص الله به هذا الدين من سلطان وانه ان كانت المسيحية دينا فالاسلام دين وشرع واذا كانت المسيحية تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله فالاسلام (قد وضع حدودا ورسم حقوقا ولا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق وصوت نظام الجماعة وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير فلابد أن يكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة وهو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة فاذا فارق الكتاب والسنة فى عمله وجب عليهم أن يستبدلوا به غيره ما لم يكن فى استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه) من كتاب الاسلام والنصرانية .

ولما ولى القضاء الأهلى كان يابى ان ينظر فى قضية يخالف فيها حكم القانون حكم الشرع وخاصة قضايا الدعارة (وقد اشار الى ذلك ابراهيم الهلباوى فى خطابه فى دار الشبان) ووافقته وزارة الحقانية على صرف هذه القضايا من دائرته الى دوائر اخرى وكانت احكام المحاكم الشرعية تلقى فى التنفيذ عقبات من جهة الادارة حتى اذا تولى الشيخ الافتاء بذل كل ما يملك من نفوذ وحجة ليتدارك هذا النقص المعيب ، فالشيخ محمد عبده كان يرى أن من عظمة الاسلام كونه دين سلطان وحكم وقد دافع عن ذلك بلسانه وقلمه ، اما ما يتظاهر به الذين لا يقولون بأن الاسلام دين حكم

من اشادة بالشيخ محمد عبده فهو اما ليسمردوا به أو لأنهم يرون ما كان يدعو اليه من اصلاح جهد لما يريدون بعد ذلك من خروج عن الدائرة .

اذا ذكرت عندهم معجزة من معجزات الانبياء تراهم حريصين على تأويلها وصرفها من ظاهرها ولو ان الشيخ محمد عبده لا يزال بين ظهرانيهم لنبذوه بالرجعية والجمود لأنه يعتقد ان المؤمن لا يكون مؤمنا الا اذا امن بأن الأنبياء مؤيدون من العناية الالهية بما لا يمهد للعقول ولا للاستطاعة هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه ويسمون هذه المحاولة (اصلاحا اسلاميا) وهو يخالف الاصلاح الاسلامي الذين يدعو اليه ويحرض عليـــه .

ويرد السيد محب الدين الخطيب على أمرين :

الأول : مسألة معجزات الأنبياء التى تشعر بخرق العـــادة .

الثاني : ما تسلط على عقولهم من الاقتناع بأن سبب تأخر المسلمين جميعهم بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية على حد تعبيرالتفتازانى . وراحوا يدعون الى اسلام جديد غير الاسلام الذى كان يعرفه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه المجاهدون الأبرار وقوام هذا الاسلام الجديد أنه دين عقيدة وعبادة وأنه ليس دين سيادة وحكم وليس محاولة يحاولون أن يلبسوا الاسلام غير لباسه (م ١٠ الفتح ١٩٣٥) .

ثانيـــا ــ السيد محمـــد رشـــيد رضـــا :

وقد أولى السيد محب الدين الخطيب اهتمامه وتقديره برائد الصحافة الاسلامية السيد محمد رشيد رضا فتحدث عنْ وفاته فى المجلد العاشر قال :

آمنا أن أعمالنا تموت بموت مؤسسها فالمؤيد مات بموت على يوسف واللواء مات بموت مصطفى كامل ومحمد فريد والأخبار ماتت بموت امين الرافعى ، والأعمال التى اسسها السيد رشيد ولاسيما اكمال التفسير الذى أصدر منه اثنتى عشر جزءا وشرع فى جزئه الثالث عشر ، وما اظن ان مسلما خدم الاسلام فى هذا العصر بمثل ما خدمه السيد رشـــيد رضا بهذا التفسير العظيم لو أن الرجل كُفى ارادة اعماله لطها الاعطى التاليف والتدوين وكان فى أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها فى حياتهم لكان اعظم

انتاجا . كان النـــاس اذا أرادوا ان يمدحوا السيد رشيد قالوا انه تلميذ الشيخ محمد عبده وقد سار على طريقة تفسيره وأنا اقول ان السيد رشيد ساعده الوقت على التوسع في العلم حتى تجاوز فيه مربيه الشيخ محمد عبده ولاسيما في الوقوف على متون السنـــه ومذاهب الصحابة والتابعين واخبار الائمة في كل ما تعرض صاحب المنار للكتابة عنه سواء في مجلتـــه او في تفسيره او في سائر مؤلفاته . وقد استفاد ذلك من حيث لم يتسع وقت الشيخ محمـــد عبده للانشغال بها وفي مقدمتها كتب شيخ الاســـلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والحافظ ابن كثير وأضرابهم وقد خالف الشيخ رشيد شيخه في مسائل رأى فيها على غير الصواب فكان تعصـــبه للحق اقوى من تعصبه للصحبة والمحبة . وكان يرى أن موضع التجديد في التثقيف والتربية واعداد الرجال للعمل والالفاظ فبهج زمنا في الدعوة الى تأسيس مدرسة يتخرج منها الدعاة المرشدون .

وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن دعوة السيد رشـــيد رضـــا (م ١١ ص ٩٠٧) تحت عنوان (الجامعة الاسلامية التى كان رشيد رضـــا من دعاتها) فقال :

وقف حياته على تحرى معرفة ما جاء به هادينا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم طالبا ذلك من ينابيعه الأولى في صفائها وبهائها ، ومحاولا أن يفهمه بأساليب الصدر الأول من الصحابة والتابعين والأئمة الأكرمين مستقصيا ما صح عنهم بالنقل الثابت عن الصادقين الثقاة ، وقد اطمأن على طول اشتغاله بالعلم عشرات السنين الى أن الاســـلام دين القوة وأن حقائقـــه لا تصطدم بشيء من حقائق الكون ، فهو يتحرى الاســـلام الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويحرص على فهمه كما كان يفهمه أهله الأولون ، وقد نشر بهذه الطريقة نصف كتاب الله عز وجل .

المزية الثانية : التى انفرد بها عن أكثر المشتغلين بالفقه وعلوم الدين هو انه قام بتحصيل العلم للعلم لا لمناصب الدنيا التى يتزاحم العلماء عليها ويتقربون الى أهل الدنيا للتقدم فيها . لم يأمل ان يكون له منصب رسمى في القضاء او الافتاء . ان الموازين التى تزن بها الأمور هى موازين الدين والعلم والحق والأحكام التى يصدرها على الحوادث مجردة في أكثر الأحيان

من التأثر بميول الذين فى أيديهم مقاليد الرياسات ، أقول هذا ولا أدعى العصمة للسيد رشيد فقد كان بشرا كسائر البشر .

ثالثا — الأمير شكيب ارسلان :

وقد أولى الأمير شكيب ارسلان المهاجر فى أوربا (جنيف) مجلة الفتح بقدر وافر من الدراسات العميقة لعديد من قضايا الاسلام .

يقول فى م ٤ (فبراير ١٩٣٠ — رمضان ١٣٤٨) :

وحقيقة الأمر أنهم يعرفوننى عدوا للاستعمار الأوربى أقاتله بعلمى منذ أمسكت القلم ، أى منذ ٤٥ سنة ، وانى كنت للانجليز عدوا فى الحرب الكبرى بالقلم والسيف وجئت ومعى مائة وعشرون مقاتلا من جماعتى الى قلعة النخل يوم حرب الترعة ويحصون على هذه وغيرها ويحقدون من أجلها ، ولم يكن لى أن أطأ بقدمى أرضا فى بلاد المشرق الا ما ظللته راية الملك ابن سعود وراية الامام يحيى ولما أردت أداء فريضة الحج فى العام الغائب ولم أقدر ان أمر ببورسعيد والسويس الا تحت شروط وضمن ظروف ولولم يسمحوا لنا لذهبت بنا الباخرة الى الهند وفاتنا الحج ، ولو لم يسمحوا لنا فى الاياب لما أمكننا ان نشاهد والدتنا التى هى فى الثمانين من العمر .

ما هو الذنب الذى اقترفته ، زعموا أنى أعاكس مشروعات حكومة فلسطين فما هى المشروعات التى يقصدونها ، أيعنون أنى أعاكس الوطن القومى الصهيونى الذى هو طرد العرب فى فلسطين وتسليمها لليهود ، ومما يزيدهم حقدا أنهم قد عهدوا أناسا يدعون أن لهم زعامة بين العرب هم يسعون بين أيديهم وينفقون بضاعتهم ويرجون دعايتهم ويخدمونهم لى ظهر قومهم حتى جعلوا لهم ان الأمة العربية هى من بعض رعاياهم ، هى نقطة استبصار العرب الذين يرون عربيا ليس له أن يطأ بقدمه وطنا من أوطانه من غير ما ذنب سوى جهاره السياسى عن قومه .

٢ — وكتب الأمير شكيب عن البلقان شرارة الحرب العالمية .

ويرى الأمير شكيب ارسلان أن أوربا تلقى جزاء تحاملها على الاسلام وانها تذبح نفسها بيدها وهى تظن أنها مجهزة بها عليه ، ولابد أن تذكر

اوربا كيف انها منعت الدولة العثمانية من دخول اثينا ومن اخـذ تسـالبا بعد ان اقتحمها بالسيف لانها اعلنت قبل هذه الحرب التليانية عدم استعادة احد من انتصاراته ظنـا ان التليانيين يهزمون ، فلما ظهر العكس كانت اسرع من البرق الى بعض ما عزلت وقررت وجوب اخذ التليانيين جميع البلاد التى احتلوها بالبلاد التى عجزوا عن انتقاصها .

وقال : شرارة التليان هي شعلة النار الحاطمة التى ستحرق بهـا اوربا يوما من الأيام ،يكون أصل السبب فى ذلك تعصب اوربا ورضاها بتبدل الحالة التى كانت فى الطليان بما يوافق مصالح الصقالبة مجـاراة للروس ، ولو انتصرت الدولة العلية فى التليان لما اختل التوازن ولبقيت كل دولة ،كانها ولما نشبت حرب أوربية طاحنة تاتي على الحرث والنسل .

٣ — ويحذر الأمير شكيب ارسلان من خداع التغريبيين حين يقولون أن (اوربا لاييك) أى علمانية فيقول : هكذا ايها المسلم الساذج البسيط الذى يجهل حقائق احوال أوربة يخدعك نفر من المضلين اعداء الاسـلام فى الباطن وادعاء اصـلاحه فى الظاهر بقولهم لك : ان الامم الأوربيـة لم ترق هذا الرقى كله مع معارج الفلاح الا بعـد أن نبذت الدين ظهريا وأنهـا الآن قد اتخذت ثوبا تشيبا لا دينيا ، ومع الأسف اقول ان كثيرا ممن يعلمون الحقائق لا يرتعون عقيرتهم بانكار لتلك الترهات تتراهم خوفا من هذه الكلمة (رجعيون) يعلمون الحقيقـة ويتجاهلونها ويسكتون عن التنبيه عليها وهم لا يجهلون خطأ المواطاة على الضلال .

وفى حديث آخر يقول : الخلاصة ان الأمم الاوربية لم تنبذ عقائدها وعوائدها لا فى قديم ولا فى حديث وانها تعلم أن التربية العلميـة لا تنفى التربية الدينية لأن الأولى تتعلق بالمادة والثانية تتعلق بالروح ، وان الروح الانسانية هى مصدر نهضة الانسان . والمضللون الذين يبثون تلك الأباطيل حبا بنشر الالحاد بين المسلمين لمجرد الالحاد ولأجل الصبغة الأوربيـة التى نريد أن تطبع المسلمين بها أو توطيد السيادة الأوربيـة فى الشرق ويقول : هـل فصلت المانيا الدين عن السياسـة عندما قامت وزارتهـا

بتقليد أول شيء تباشره وهو تأييد العقيدة المسيحية ، هل فصلت انكلترا الدين عن السياسة عندما قامت مجالسها النيابية تبحث استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ؛ هل فصلت بلجيكا الدين عن السياسة عندما اعلنت حكومتها عن برنامجها لتنصير السود من اهالى الكونغو هل فصلت هولندا الدين عن السياسة عندما قرا عليها ناظر معارفها فى افتتاح مؤتمر المستشرقين امام الف عالم من علماء الأرض ان هولندا لم تنشط فى الشرق الأقصى لأجل المكاسب المادية وانما كان غرضنا من ذلك التنشط نشر محاسن النصرانية وكان ممن سمعوا الخطبة مصطفى عبد الرازق وطه حسين . وقال رئيس نظار المانيا السابق : ان رجوع اوربا الى المسيحية هو الوسيلة الوحيدة لوقاية أوربا من خطر البلشفة ، وقال فون بابن رئيس الوزارة الألمانية : انه قد أزفت ساعة انشاء حركة وطنيه كبرى قائمة على مبدأ المحافظة على المسيحية (م ٧ الفتح) .

٤ ـ ويلخص الأمير شكيب أرسلان (م ٧ الفتح) اسباب تأخر المسلمين فى العناصر الآتية :

١ ـ ترك عزائم القرآن التى قام بها سلفهم وفقدهم بذلك أعظم قوة معنوية .

٢ ـ اعراض علماء المسلمين عن العلوم الطبيعية وفقدهم بذلك أعظم قوة مادية .

٣ ـ الاكتفاء من الدين بالرسوم الظاهرة واللهو بالقشور عن اللباب .

٤ ـ اليأس من رحمة الله وفقد الثقة فى النفس .

٥ ـ استخذاء المسلمين امام الأوربيين وفقد أكثرهم عزة الاسلام القومية ومن رأى نفسه حقيرا صار حقيرا .

٦ ـ مواطأة المسلمين للأوربيين على اخوانهم وخدمتهم اياهم ولو على محو الاسلام .

٧ ـ فقد روح التضحية التى سادت بها الأمم الأوربية .

٨ ـ عدم اقتداء المسلمين بالأوربيين فى تأليف الجمعيات والشركات مع انهم مأمورون بالتعاون مع الجماعة .

٩ — فساد الأخلاق وهو من اهمال العمل بالكتاب والسنة .

١٠— فساد أخلاق الأمراء خاصة وتصريفهم الأمور بحسب أهوائهم الشخصية لا بحسب مصلحة الأمة وسكوت الأمة عن جهلها منهم .

١١— فساد العلماء الذين هم القوة المراقبة للحكومات وتدليسهم للأمراء الظالمين واحيانا لأعداء الدين .

١٢— العداوة القديمة بين المسلمين والمسيحيين واصرار أوربا عليها .

١٣— تفوق المسيحيين في العدد .

١٤— تفوق الشعوب المسيحية في المواهب النظرية على الشعوب الاسلامية ما عدا العرب والترك والفرس وبعض شعوب اسلامية صغيرة .

١٥— طمع الافرنج الشهير في محاورتهم لجميع بلاد الاسلام .

١٦— ثبات الافرنج وصبرهم العجيبان وسيرهم على خطط مرسومة ويتبعونها منذ مئات السنين دون ملل ولا فتور وسير المسلمين في الدنيا بدون برنامج .

١٧— تخييم الجهل على الامم الاسلامية وبتراكم الأسباب المذكورة أعلاه .

١٨— عدم تجدد برامج التعليم واستيلاء الجمود على الفقهاء وكثرة الكلام عن الآخرة مع أن الاسلام دين ودنيا وآخرة معا ولا يتم بدون جمع اسبابهما معـا .

١٩— الدعايات الاستعمارية والوساوس البشرية بين المسلمين ومساعدة الجهل على رواجها .

٢٠— اجماع قوانين الاستعمار الأوربى في بلاد الاسلام على بغض الأوربى للمسلم بطبعه .

٥ — وتحدث الأمير شكيب أرسلان تحت عنوان الدين والدولة توأمان (م ٨/ص ٧٥١ سنة ١٩٣٤) يقول : كثيرا ما زعموا أن الامم الراقية قد فصلت الدين عن السياسة وانها قد بنت اسس دساتيرها على اخراج الدين بالكلية من الحكومة وانه لا يوجد حكومة متمدنة تقيم للديانة

وزنا وغاية كل هذا قالوه ورددوه وكتبوه فى كتب حتى جعلوه فى نظـر المستشرقين قاعده مسلم بها وأوهموا عامة المسلمين خاصة ان أوربا التى هى مثال المدنية لا تحفل بالدين ولا تهتم به بعد أن قام أو قعد وان الدين فى اوربا مفصولا فصلا تاما عن السياسة ، وان هذا الأسلوب الذى كفل لأوربا السعادة التى نراها فيها . وكم حملوا على الاسلام وقالوا انه جمع بين الدين والدنيا وأتانا بقرآن يجعل المعاملات فى نسق واحد على العبادات وان هذا سبب ما عليه المسلمون من التأخر وان الاسلام لا يمكن أن يكون له حظ من الرقى ما دامت حكوماته مهتمة بالمحافظة على القواعد الدينية ، وهى دعاوى فارغة عريقة البطلان ؛ روجها من المسلمين دعاة الاستعمار ورواد السيطرة الأجنبيـة ، والمعروف أن الحكومات الاسلامية لم تترك الدين من قديم ولا حديث ولا زالت الحكومات الأوربية بأسرها عدا الفلاشفة ، تجد من اقدس وظائفها المحافظـة على الدين المسيحى ونشره ونغرى للدعاية له والأخذ بأيدى المبشرين به وكل يوم بل وكل ساعة تجد لهـا مظاهر رسمية حكومية تؤيد هذه الحقيقة والفرق بيننا وبينهم أنهم يتولون كل سنة مئات الملايين من الجنيهات لأجل الدعاية المسيحية ؛ اذا قالت أوربا ان الديانة شىء والسياسـة شىء لا تقصـد انهـا أهملت الدين بل تقصد أنها فصلت الدين من وظائف القسوس والرهبان ، هذا الفصل الأوربى قد حدث فى الاسلام : الصـدارة العظمى كانت مشيخة اسلامية هذه الرسالة للسلطان أو الخليفة لا يصدق فى شىء عن رئاسة ملك انجلترا مثلا على الكنيسة الايكيكانية ولا عن رئاسة ملك بروسة وامبراطور المانيا على الكنيسة اللوثرية .

٦ — ويتحدث الأمير شكيب ارسلان عن التجديد (م ٨ الفتح — القعدة ١٣٥٢) تحت عنوان أصبح التجدد عبارة عن السعى فى قتل الروح الاسلامى فيقول اجتهاد الفئة الكمالية المستندة اليوم لشئون تركية الجديدة فى قتل الروح الاسلامى فى الممالك البلقانية التى لا يزال فيهـا اقليـات اسلامية مثل بلغاريا ويوغسلافيا واليونان ، راغبة فيها فى الضغط على المسلمين فى أمورهم الدينية وفى اوقافهم وفى كل ما يعود الى شعائرهم ،

وذلك حتى تكون احوالهم مساوية لاحوال الاتراك الذين فى تركية والذين تحرمهم تركية فى بكانتها الرسمية التعلم الدينى الاسلامى وتضع اليدين على أوقافهم وتستبد بها .

فتركيا الجديدة لا تكتفى بالسعى فى قتل العاطفة الاسلامية فى وسط بلادها ، باسم التجدد الذى يمور به على المقصد الأصلى الذى هو الالحاد بل تبذل كلمتها لدى الحكومات المسيحية البلقانية حتى يقتلوا هم فى ممالكهم الروح الاسلامية الباقية من تلك الاقليات من المسلمين الكماليون وان كانوا يحاربون الاسلام فى وسط تركية فالاســلام هناك تقــدير على المقاومة وتحفيظ بروحه نظرا لكونه فى مملكة قديمــة عريقة فى الاســلام مؤلفة من ١٤ مليونا من المسلمين ليس فيها سواهم تقريبا وقد أتى الهدم الكمالى بعكس ما كان يتوقعه الكماليون .

الاسلام فى تركيا قد ثبت فى وجه الاضطهاد الذى أطلقوا عليه اسم التجــدد بسبب كثافة عدد المسلمين وعدم وجود خصم لهم فى ديارهم ، ولكن الفرق بين تركية وبين الممالك البلقانية بعيــد جدا فهناك المسلمون اقليات ضئيلة ضعيفة ، بدلا من ان تكون تركيا ملجأ لهــذه الاقليــات الاسلامية المستضعفة فى بلاد البلقــان تأتى هى بنفســها وتجهز عليهم وتسعى لمحوهم وذلك باغراء الحكومات المسيحية التى تلى أمورهم بالقضاء على حريتهم الدينية .

٧ — ويكتب شكيب أرســلان تحت عنوان « المؤامرة الغربيــة على الاسلام » فيقول : اما الأوربيون فهم لا يطيقون وجود غيرهم اذا ظهروا ولم يتركوا من الملايين الكثيرة من المسيحيين الذين سكنوا الاعصر الطوال فى اسبانية وفرنسة وسويسرة وايطاليا نافخ نار يقدر أن يقول انه مسلم ، وشنوا من الغرب على الشرق احدى عشر غارة صليبية كلما أطفأ الله نار واحدة منها أوقدوا غيرها وتمالأوا على الدولة العثمانية نحوا من مائة مرة فلم يكن تمضى سنة أو سنتان الا ويناجزونها القتال من وجهة وقد احصى أحد وزراء رومانيا المسيو دجوفارا عدد المؤامرات التى ائتمرت بها أوربا على الدولة العثمانية وعلى بلاد المغرب فبلغت مائة مؤامرة .

وتاريخ البابوات الغربي قل أن جلس منهم واحد على كرسي بطرس الا اغرى المسيحيين بحرب المسلمين ، ومن اغرب ما جاء في هذا الباب ان كثيرا من مشروعات التقسيم التي دخلت فيها بابوات وقياصرة وملوك وامراء وعلماء وفلاسفة تضمنت اجبار المسلمين على ترك دينهم مما يدل على ان هذه الفكرة لم تكن خاصة بالأسبانيول ولا متحضرة في الأندلس بل هي فكرة اوربيــة عامة وبينما ظهر الاوربيون على المسلمين فكروا في منع الدين الاسلامي . ان من اسباب تأخر الاســلام كونه عدوا لأمم لا تعرف الهوادة ولا تمل من المجاهدة ولا تكل عن السعي وانها باجمعها متصفة برجولة تامة .

وان اللاتين من اسرع الشعوب فهما واسلمهم عقلا ، وان الجرمان من اوسعهم فكرا وابعدهم نظرا واشد ثباتا واصدقهم صبرا وان السلاف من أعظمهم اخلاصا وأشدهم اندفاعا الى غاية واكثرهم عددا وكل هذه الأمم على تباين مانيها تجمعها جامعة فكرية واحدة هي : ان الاســلام لا يحسن بقاؤه على الأرض .

رابعــا ــ حسن البنــا :

. وكان من أبرز كتاب الفتح في الفترة الأولى الأستاذ حسن البنـــا المرشد العام للاخوان المسلمين والذى بدأ كتاباته في الفتح في ١٤ يونيو سنة ١٩٢٨ تحت عنوان :

« الدعــوة الى الله » .

حيث يقول : ما احوج الامة في دور انتقالها الى قادة حكماء مرشدين ادلاء وهداة فضلاء يسلكون بها سبيل السعاده ويجنبونها اضرار الاندفاع، لا يزالون يتحسسون طريق النجاة وسيلة ممكنة وغير ممكنة من الطرق ، احيانا باستخلاص العبرة التاريخية واخرى بالمقارنة بين الحوادث الكونية وثالثة بما هدتهم اليه التجارب الطويلة والفطرة السليمة وما أرشدهم الله اليه من طرق الاصلاح وسبل النجاح : أولئك القــادة هم صفوة الله

من خلقه وأمناؤه على عباده وهم المجددون حقا الذين اشار اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من حديثه الشريف .

ان هـذه الأمة فى حاجة الى دعوة قوية فعالة تردها الى رشدها وعقيدتها بهدى نبيها ويرشدها الى معالم دينهـا وينقذها مما هي فيسه من الانحلال الأدبى والفساد الخلقى .

ولا يغرنك قوم من الكذبة يقولون : هذا عصر مدنية وتجديد ورقى فى المدارك والأفكار وثقافة حرة وحرية شاملة شخصية وغير شخصية ، وغير ذلك من الألفاظ يخدعون بها البسطاء ويخلبون بردائها الضعفاء ، ولولا ان هؤلاء القائلين ممن لم يستولى عليهم الافتتان والاعجاب بما يرون الى حد لا يفقهون معه دليلا ولا يذعنون لحجـة **(أن يتبعون الا الظـن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)** لناقشناهم دليـلا بدليل وساجلناهم حجة بحجة وبينا لهم أن الحق غير ما يظنون اما الآن فأوجه هذا النداء الحار الصادق الى من يحس مثلى بداء هـذه الأمة ويشعر بين جوانحه هما مبرحا وجوى لاصقا ، وقد جاهر هؤلاء واظهروا كوامن نفوسهم الا أنهم رأوا الميدان خاليا وانسوا من أهل الحق تغافلا فاندفعوا يطلبون الطعن وحدهم والنزال وما هو الا أن يقوم أهل الحق بتاييده وبيانه حتى نتحرر من هؤلاء وينحسر طغيـانهم ، ويتقهقروا الى مراكزهم أذلة وهم صاغرون . انه لم يقل من هذه الأمة أحد فانال منها بأسها من نفسها وسكوت قادتها الغيورين عن اصلاحها وقد وعدنا الله بالنصر وكتب على نفسه المؤازرة للهداة والمرشدين .

ان الدعوة واجبة علينا معلقة بأعناقنا فان ظفرنا منهـا بما نحب من خير هذه الأمة وهدايتها فذلك هو المأمول بحول الله وعونه والا فحسبنا ان نكون لانظرة تعبر عليها فكرة الدعوة والارشاد الى من هم اقدر منـا على النقد حسبنا أن نكون حلقـة اتصال بين تقدمنا وبين من سيأتون بعدنا والا فحسبنا أن نعذر الى الله ونؤدى الأمانة ونقوم بالواجب .

تلك ثلاث مراتب من اغراض ليتضح لنا كيف ان الدعوة الى الله فريضة لا يخلصنا منها الا الأداء ولا يقبل فيها عذر ولا هوادة .

انى لأشم بوادر النجاح واستنشق عبير الفوز من تلك النهضـــــة الارشادية التى تمشت فى نفوس الشباب فخلقت منهم دعاة صـــادقين ، وكان من اثارها تلك الجماعات النبيلة المقصد وفى مقدمتها جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الأخلاق وغير ذلك ، وانا لنرجو بعد ذلك مظهرا فتلك باكورة أعمال تتلوها أعمال » .

كتب الامام الشهيد هذا المقال فى ١٤ يونيو ١٩٢٨ ، فى الفتح كمنطلق لمبادرته ثم اتبعه بالمقال الثانى ٥ يوليو ١٩٢٨ تحت عنوان (على من تجب الدعوة) . وقال أنه (١) على الحكومة (٢) دار النيابة (٣) الاغنياء والثراة (٤) العلماء (٥) الطلبة — ثم جاء المقال الثالث تحت عنوان سبيل الدعوة (٣٠ اغسطس ١٩٢٨) ثم كتب عن مكتبة المنزل (ص ١٧٠ م ٣) .

٢ — ثم لم يلبث أن كتب تحت عنوان (الســبيل الى الاصلاح فى الشرق) ٢٥ ابريل ١٩١٩ قال : الى هذه الأمور الثلاثة يجب أن يتوجه عناية الزعماء فى الشرق .

العلم — الاقتصاد — الحقوق السياسية

أما العادات واما العقائد والأديان واما الآداب ومظاهر الحيـــاة الاجتماعية فلا سبيل الى نقلها من امة الى أمة الا بفعـــل الزمن وحده ، الاوامر والمراسيم والقوانين والقهر والجبروت كل ذلك لا يفيد الا هيـــاج الخواطر وثوران النفوس تركيا والأفغان ســارتا فى طريق متهور أهوج فارهبت الحكومة الأولى شعبها فى دينها ودنياه ، يا زعماء الشرق حنانيكم فالأمر جلل ، يجب أن نفرق بين ما يؤخذ وما يترك ، فليس مظاهر الحياة الأوربية كلها صالحة ملائمة عندنا فى الشرق ، فليكن قائدكم فى الاختيـــار المنفعة وصالح المجتمع ، لا الهوى والشـــهوة ومصلحة طابعة خاصة . ويجب أن تجعل لتاريخنا وحضارتنا وماضينا نصيبا من التقدير والاجـــلال فلا نفنى فى غيرها من الأمم ولا ننكر فضلا سجله التاريخ لأسلافنا ولهج الزمان بذكره وعرفته لهم الأمم جمعـــاء وكان دعامة من دعائم المدنيـــة الحالية .

علينا أن نجعل هذا الاسلام المتمكن فى نفوس أهله أساسا للنهضة الشرق الحديثة ،

اقصد الى عدة أمور : أن نحدد غاية أساسية توجه اليها قوى الشرق ، أن تكون تلك الغاية ملائمة للمزاج الشرقى متفقة مع روحه العامة الذاتية ، أن تستند النهضة الى الاسلام فى نظمه وروحه ومبادئه ، أن تعنى بالمهم من المظاهر كالعلم والاقتصاد ، وأن توحد جهود أبناء الأمة ثم الأمم الشرقية ، أن نحترس فى نقل ما تأخذه من الاجانب ، فلا تأخذ الا ما ينفعنا نفعا حقيقيا » .

٣ — ويواصل الأستاذ حسن البنا مقالاته فى الفتح برسم خطوات الدعوة الى حمل لوائها فيكتب تحت عنوان الجهاد فى سبيل الله ومنزلته فى الاسلام (١٩٢٩/١/٢٤) يقول : الا فليعلم المسلمون أن اول فرائض الاسلام وأقدسها هو الجهاد فى سبيل الحق وقد علم ذلك السابقون الأول فكان كل واحد منهم على أتم الاستعداد لاجابة الداعى ويلبى النادى عن نفسه وماله لا يرى الايمان الصحيح الا أن يجود بكل ما يملك فى سبيل دينه وعقيدته فعاشوا أعزاء موفورى الكرامة . ثم اراد أمراء السوء وقادة الافساد ان يخدعوا المسلمين عن دينهم وينزعوا أصل العزة من نفوسهم ويجتثوا ذلك الشعور النبيل : شعور التضحية فى سبيل الحق الذى يتحلى به المسلم ويفخر به فحببوا اليه الخضوع والاستكانة والهوهم بأنواع من القرب ليست شيئا عند الله بجانب الجهاد فى سبيله والدعوة اليه ومع تطاول الامر اصبح ذلك الفتور صفة من صفات المسلمين لا يعرفها الاسلام ولا يأمر بها وظن المسلمون أن الاسلام محصور فى الصلاة والصيام والزكاة والحج وما اليها غافلين عن ذروة ذلك وسنامه وسياجه المتين هو الجهاد .

أكتب هذا والاسلام يحيط به الاعداء وتدبر له المكائد وترسم لغزوه وانتزاعه من نفوس اهله الخطط ويحاصره الطامعون من جهة والمارقون من جهة أخرى والمخدوعون من جهة ثالثة وحتى اليهود وتنبه مطامعهم أمام عقلية المسلمين وهكذا يطمع فى عزة الاسلام من لا يدفع عن نفسه .

ايها المسلمون : ان ربكم عز وجل انما يريد من امة محمد صلى الله عليه وسلم وهى خير امة اخرجت للناس أن تكونوا قادة العالم وسادة الامم ، ولن يتم ذلك الا بالتضحية والجهاد ، وقد اعلن الله سبحانه وتعالى هذه الارادة السامية على المسلمين فى قوله « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » .

تقدموا ايها الاخوان المسلمون الى ميدان الجهاد بنفوس راضية ملؤها الغيرة على الاسلام والايمان الصادق وفكروا فى العمل الجدى فقد مللنا الكتابة والخطابة .

٤ ــ ويواصل الاستاذ حسن البنا فى الحديث عن الدعوة الاسلامية ويواجه النظر الى بعض المحاذير فيكتب تحت عنوان : احترسوا من الناس بسوء الظن : توبة الهرمزان (م ٥ الفتح ص ٦٥٥) يقول :

فى مصر هرمزيون كثير
جاهروا بحرب الاسلام أمدا طويلا

وسلكوا الى ذلك كل الوسائل وكأنهم استشعروا الحقد والفشل أمام هذا البصيص من اليقظة الاسلامية وطاش سهمهم ، ولم يعودوا من الامة بعد البراءة منهم ما دروا أن خطة المعاداة صفوها الحرمان والسخرية .

وها نحن أولاء نرى الآن خطة متغيرة ورجالا يعلنون توبتهم ويبرءون مما اجترحوا معتذرين بالشباب تارة وبالجهل تارة أخرى ويحاولون خديعة الشبان المسلمين بمثل هذه الخدع لينضموا الى صفوف القيادة فيصلون تحت ستار التوبة الى ما لم يصلوا اليه بأساليب العداء والتشهير ، وليس لاحد منهم بمتصور فى دعوته ولن يرزقهم الله نجاحا وان استعانوا بخبيث الاساليب فان فى تعبئة الشبان المسلمين ما يحول بينهم وبين ما يريدون ؛ وشوكة الاسلام اقوى وأشد مما يظنون .

وانما نكتب هذه الكلمة تبصرة وذكرى ، وحتى لا نؤخذ على غرة وتنطلى علينا حيل هؤلاء فاذا انكشف الأمر ندمنا حيث لا ينفع الندم .

ولا نريد أن نرد على تائب فان أكثر ما نسر له أن ترجع الناس كلهم

الى هدى الاســلام ويدافعوا عنــه ولكنا لا نريد كذلك أن نكون أغرارا يستخفنا السراب وتغرنا الظواهر فيتقبلهم العاملون لدين الله وليحترسوا مما يحتمل أن يكون وراء ذلك من مكائد هى أخفى من دبيب النمل »

وكان الأستاذ البنا يشير الى ما أذيع فى ذلك الوقت من توبة هيكل وطه حسين وعزمى وغيرهم .

٥ — وواصلت الفتح متابعة نشاط الأستاذ حسن البنا فتحدثت عن نشاط جمعية الاخوان المسلمين فى الاســماعيلية وشبراخيت والمحمودية (حسن البنا ، حامد عسكرية ، أحمد السكرى) .

وعندما نشرت الفتح خطابه فى ذى القعدة ١٣٤٩ أرسل اليهم يقول:

ما كنت أود أن تتحدث عن جمعية الاخوان المسلمين الآن وهى نبت لم يتكامل نموه بعد وكنت أوثر السكوت حتى تنطق آثار الجمعية بغاياتها ويراها الناس فى جهودها ويسمعون صوتها بلسان أعمالها ولا أعتقد أنى أديت عشر الواجب على وأصارحك بأنى وجــدت من الأهلين هنــــا فى الاسماعيلية تشجيعا كبيرا وتقبلا حســـنا لكلمة الحق واستمدادا عظيما لمعاضــدة الدعاة الى الله وهم يحبون دينهم كل الحب ويتفانون فى الذود عنــه .

٦ — ويتحدث الأستاذ حســن البنا عن القرآن الكريم ووســائل المحافظة عليه (م ٥/٥٤٠) يقول : منذ امتدت اليد الأجنبية الى منــاهج التعليم أخذت العنـاية بالقرآن تضعف وتتضاءل وأخــذ رجال التربيــة والتعليم وجلهم من الأوربيين أعداء الاسلام وكتاب الاســلام الذى يرونه شبحا مخيفا يناوىء مطامعهم وآمالهم يعملون على اقصــائه تدريجيا من المناهج بحجة أن المدارس علمانية وســــاعدهم على ذلك روح التقليــد الأوربى التى نمت ونمت فاستطاعوا أن يحذفوه رأسا من التعليم الثانوى والعالى ثم الابتدائى تقريبا بعد ذلك ، وحصره فى دائرة ضيقة هى مكاتب الاعانة والمكاتب الأولية فى برنامجها القديم ، ولم يقف هذا التيار ضــــد القرآن عند هذا الحد بل أخذ يقوى ويشتد واذا بمكاتب الاعانة تطاردها

المدارس الالزامية وليس من منهاجا حفظ القرآن وصارت البقية الباقيـــة من هذه المدارس تغلق تباعا أمام عدم الاقبال وتضييق الوزارة وخطرها فتح مكاتب جديدة رغبة فى تعميم التعليم الالزامى حتى صرنا نعتقد انه لن تمضى سنوات قلائل حتى تصبح هذه المكاتب لا عين ولا اثر .

ولما كان المطلوب هو أن يتم التحفظ فى اربع سنوات ما يمكن أن نحفظ ومعناه أنه اذا لم يكن نحفظ شيء لكثرة المواد وتزاحمها كانت هذه المدارس غير مسئولة لأنها نفذت المنهج الذى حددته الوزارة وكانت النتائج الملموسة هى استحالة حفظ كتاب الله على النشء الحديث وانقراض الحفظة بموت من يحملون القرآن من الفقهاء وضياع اللغة العربية التى ما كانت العناية بها يوما من الأيام الا نتيجة من نتائج العناية بالقرآن ، ويترتب على ذلك نسيان المسلمين لأصل دينهم وقطع الصلة الحقيقية بينهم وبين كتاب الله ولئن دام هذا فان اليوم الذى ينزع فيه القرآن من الصدور ويمحى من السطور أصبح قريبا . .

ثم دعا الأستاذ البنا وزارة المعارف أن تجعل القرآن ماده أساسيه فى امتحان اجازة التدريس فى الأزهر ودار العلوم ومدارس المعلمين الأولية وبذلك تضمن مائة حافظ على الاقـــل كل عام يدرسون كتاب الله ويعلمون أوجه فهمه واعجازه .

٧ — وفى فتح عام ١٣٤٨ الهجرى (يونية) ١٩٢٩ وجه الأستاذ البنا خطاب الهجرة فقدم منهجا كاملا للنظام الاسلامى فقال :

مجمل ما ترمى اليه الدعوة الاسلامية لصالح الفرد والأسرة والأمة والعالم ، جاء للعـــالم بتشريع حكيم قويم نظر الى الفرد فاعطا كل قوة من قواه حقها ومنع عدوانها على غيرها ، حرر الفكر من قيود الوهم ، ومنح العقل حق النظر فى كل ما يحيط به من مظاهر الكون ومساتير الوجود وحجزه عن أن يتطاول الى ما لا تدركه قوته ولا تتحمله طاقته .

فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمـــة

ونظر الى الشهوة والعاطفة فصرفها الى الحب الصالح المعتبر : حب الفضيلة وتقديسها وحب الانسانية العامة والعمل للمجموع ومثلها من التطلع

الى سفاسف الامور ومحقرات الذات وأباح لها التمتع بما فى الطبيعــة من جمال وروعة وجعل لها من ذلك مرتعا هانئا ومرعى خصبا ونظر الى الجسوم فأعطاها ما تحتـــاج اليـــه من قوة ونمو وحرم ارهاقها بضروب العبادات والقربات ونادى مناديه (المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) و (ان لبدنك عليك حقا) فأعتقها بذلك من صنوف العذاب وأنواع التكاليف المرهقة التى كان يعتقد أربابها أنهم لا يدخلون بدونها ملكوت السموات .

ونظر الى كرامة الفرد الانسانية وأعطاه قوة المجموع ينطق بكلمتهم ويجير عليهم فالمسلمون عدول بعضهم على بعض يسعى بذمتهم ادناهم ، ذلك نظر الاســـلام للفرد فى عقله وجسمه وعاطفتـــه وكرامته ، أفرأيت من الفلاسفة الأقدمين أو الساسة المحدثين ، من قدر حقوق الفرد حقهـــا كما أناله الاسلام اياها ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا
كما اناله الاسلام اياها ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا
ونظر الى الأسرة فأحكم نظامها وثبت أسسها على أمتن الدعائم فى نشأتها وحياتها ونهايتها ، ونظر الى الأمة فسوى بين افرادها وعدل فى طبقاتها وجعل الشرف والسيادة فيها منوطا بالجد والتقوى وعلو الآثار وبين لكل طبقة واجبها وما لها وما عليها ففصل بكلمة الحق بين الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم واخضع جبروت الحكومة لقوة الشعوب وجعـــل الأمر شورى بين المسلمين وحفظ صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم فجعل منها هداة خير وقادة بر يضربون فى الأرض يرشدون الناس بأمر دينهم ويبلغونهم دعوة دينهم .

ومما يدمى القلوب ويدعو له الأسف [illegible] ان نرى كثيرا من [illegible] المسلمين المتعلمين التعـــليم الراقى ، حتى المتخصصين فى التـــاريخ منهم يجهلون حوادث التاريخ الاسلامى تمام الجهل ، ومنهم من يعلم عن الثورة الفرنسية اكثر مما يعرفه عن البعثـــة المحمدية ، ومن يعلم عن المذاهب الدينية فى أوربا ونشأة الجماعات المسيحية من بروتستانت وبيزنطيت وغيرها أكثر مما يعلم عن خالد بن الوليد وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص ، بل منهم من يجهل كل الجهل أسماء قواد المسلمين وعظمائهم فان سألتهم عن المثنى بن حارثة أو النعمـــان بن مقرن أو القعقـــاع بن عمرو لأجابك

باللا أدريه بل قد يكون منهم من بلغ من اسفاف الفكر الى ان يعد العلم بهذا التاريخ المجيد تأخرا وجمودا وقد يكون هناك بعض العذر فان برامجنا المدرسية لا تحوى من تاريخ الاسلام الا نذرا يسيرا .

٨ — وهاجم الاستاذ حسن اجا مجلة الحديث الحلبية لخطتها التغريبية (م ٤) يقول : هل تسيرون انتم على هذه الخطة حقا ، وهل تقدرون جانب الاسلام والعربية فى كتاباتكم وهل تبشر (الحديث) بهذه المبادىء ، ذلك ما لا نسلم لكم به ولا نراه فى مجلتكم التى اوسعتم صدرها وجعلتموها منبرا لأولئك النفر الشعوبيين الذى عرفهم الناس جميعا فى مصر وغيرها بسماتهم وأسمائهم وأستهانتهم بالأديان وتهجمهم على الاسلام وغضهم عن العرب واقتنائهم بكل ما يصدر عن الغرب من حسن وردىء ونافع للشرق وضار فحشوت مجلتك بتعسفات الدكتور طه فى العلم والدين والأدب وسموم سلامة موسى واسماعيل مظهر والشيخ الزهاوى واذنابهم وبالغت فى صوغ عبارات المدح والثناء لهم وهم الذين هاجموا الاسلام فى أرسخ عقائده وكادوا للقومية العربية فى أحسن مزاياها ورأيناك مفرط حرية الفكر (لسلامة موسى) وفيه من المغامز ما لا يتسع هذا المقال لنقله وتشيد بكتابى الشعر الجاهلى والأدب الجاهلى وتنتصر فيهما لأستاذك وقد أجمع العقلاء على ردهما وتنشر القصيدة الثانية للزهاوى وكلهما انكار للبعث والروح وتنشر لكاتب المازنى مقالا بعنوان (خديجة) أساء به الى مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين رضى الله عنها الى ما فيه من خلط وشطط ولم تعلق على ذلك بكلمة غير أنك نقلت حديث الافك من البخارى وكان يجب عليك كصحفى مسلم أن تربأ بصحيفتك وضرائك عن نشر مثل هذا المقال واذا رأيت عدوا من أعداء العرب والاسلام يسوء الى العرب والاسلام تنشره فكان المنتظر منك ان تعلق عليه بما يفيد تحامل مؤلفه فكيف يتفق كل ذلك مع قوميتك العربية ودعوتك الى صيانة الاسلام من عبث العابثين .

وشىء آخر ذلك هو أن الناس جميعا يعلمون ان هذا الانقلاب التركى وما كان ينويه أمان الله فى الافغان هو عداء كامن للعربية ومحاربة صريحة

للاسلام وانسلاخ عن شريعته ، ومع هذا فأنتم تحبذونه وتنشرون فيه كلمات التشجيع والاغراء أمثال كلمة الروح المدني في تركيا للأستاذ عنان ولم تعلقوا عليهما .

أما ثالث ما نشرتموه للأستاذ فيليب حتى وفى آخره بعض من فضل العرب على أوربا وبعض الذين كتبوا في ذلك حتى من المستشرقين مبالغين فيه ويرجى لنفسه أن يكون أفضل في وفائه لقومه من المستشرقين الذين لا يمتون اليهم الا بصلة الاعتراف بالجميل ولم يستدركوا ذلك عليه وكأنهم يريدون بذلك أن يشايعوا هذه الفئة من الشعوبيين الحديثين وأين هذا من دعوى التمسك بالقومية العربية المجيدة .

هذا بعض ما تستشهد به على مخالفة (الحديث) للخطة التى تدعون كتاب الشرق الى العمل عليها ويخيل الى أن الحديث مسوقة بآراء طائفة الشعوبية المتطرفة أكثر مما هى مسوقة برأى صاحبها ان كانت خطته هى التى ذكرها فى كلامه .

خامسا — عبد العليم الصديقى :

وتحدث الفتح عن الداعية الاسلامى عبد العليم الصديقى وجولاته فى جنوب شرق آسيا للدعوة الى الله (م ١ الفتح — ١٩٣٢) فيقول : انه فى طليعة علماء الاسلام الذين درسوه حق درسه وعرفوه معرفة تمكنهم من الدعوة اليه والذب عنه كما درس العلوم العصرية والآداب الانجليزية دراسة تامة ، وهو يرتجل خطابه باللغات العربية أو الهندية أو الفارسية أو الانجليزية بدون تلعثم ولا تريث ولا يستعين الا بذاكرته الوقادة وقد درس الأديان والملل والنحل درس تمحيص وتحقيق ، ووقف نفسه للتبشير بالاسلام وبث تعاليمه السامية بالسياحة فى الأقطار الاسلامية ومكافحة المهاجمين عليه فى الداخل والخارج ، وله مواقف محمودة مع دعاة المسيحية وبراهمة البوذيين ومبتدعة الفرق الضالة كالقاديانية والبهائية وله سياحات متعددة فى شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها وسياحات فى برما وأفريقية وجاوة وبلاد الملايو (ملقا) وسومترا وغيرها من بلاد الله . وهو يقوم بها لتادية ما تطيب له نفسه وهو بث الاسلام والدفاع عنه فى كل بلد ينزله

فيسلم على يديه جم غفير من النصارى والبوذية والمجوس ، وفي سنغافورة يتنقل بين معاهدها ومساجدها ونواديها وقد اسلم على يديه احد رجال القانون المحامى س. ى. ديت والانجليزى ويليام هيرالد سندوتش ، وثلاثة من الصينيين ، وهو يواصل سفره الى جاوة والصين واليابان وجزيرة مدغشقر .

سادسا — الشيخ عبد الرشيد ابراهيم :

ويتحدث الفتح من الشيخ عبد الرشيد ابراهيم تلميذ جمال الدين الأفغانى وداعية الاسلام فى القوقاز وتنشر له فصولا من التوجيهات الاسلامية ، حيث يدعو الى التخلص من التقاليد الجاهلية والافرنجية وايقاظ المسلمين للاستمساك بوجودهم وذاتيتهم حتى تكون لهم أفكار خاصة مستقلة كل الاستقلال مع الاحتفاظ بالمبادىء الملية والمقاصد الدينية .

ويقول : اننا قلدنا الافرنج فى الخير القليل والشر الكثير حتى لو دخل الافرنج جحر ضب — كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم — لدخلناه .

ويقول : ان ولاة الأمور والزعماء أصبحوا كالآلات تتحرك لتنفذ ارادة غيرهم ، أما التعامل بالقرآن فهو مستبعد لان الخبير الفلانى من خبراء الغرب زعم لهم أن الاسلام بطبيعته غير قابل للاصلاح وغير مستعد لايلاف روح العصر المتمدن بترقى الحضارة والعلوم . ليس فى الامكان اخراج هذا الهذيان من اذهان زعماء المسلمين فى القريب العاجل لأن هذه السموم تمكنت من أرواحهم ، ولو تخلص المسلمون من هذه الأهام الفاسدة وعبروا الى صحيح العقائد لتعارفت أرواحهم وانتقلت قلوبهم الى اعادة مجدهم . ان المسلمين لا يسمح لهم ايمانهم بالله أن يقنطوا من رحمة ربهم فى اعادة مجدهم ، ولا تسوغ لهم عقيدتهم ان يستسلموا للذل ولا يجوز لهم التقاعد عن اعلاء كلمة الله فاذا استقام المسلمون وجدوا ابواب رحمة الله فتحت لديهم ».

سابعا — عبد العزيز جاويش :

ويقول الشيخ عبد العزيز جاويش : ان الأمة اذا كان لها فى قوانينها ونظاماتها صبغة من دينها كان لهـا أكبر وازع من العقيدة والايمان على تقييد الشرور وكبح جماح النفوس من غوايتها دون أن تقف بحدود الرزائل والفضائل عن نظرة الشرقى وخدمة الحكومة .

ثامنـا — عبد الباقى سرور نعيم :

ومن ابرز كتاب الفتح فى السنوات الأولى هذا العالم العلامة الذى كان يملك اسلوبا مرنا واداء طيبا فى هـذا الوقت المبكر يقول : الحديث من الاسلام بوصفه دين وشريعة عامة وحكومة ونظام اخلاقى فهو قد جمع بين شئون الدين وشئون الدنيا ، والمسلمون مطالبون بتطبيقه على شئونهم الدينية والدنيوية ، وفى العصور الأخيرة ظهرت آراء ونبتت أفكار ووضعت مشاريع ترمى الى التقليل من تطبيق الشريعة الاسلامية واحلال الشرائع المدنيـة الأجنبيـة شيئا فشيئا . والسر هو سياسة التعليم حيث كانت تلك الحكومات لا تفرق بين تعليم دينى وتعليم مدنى ولا تضع لكل منهما حدودا ولا تحيط كل منهما بحواجز تفصله عن صاحبه وتمنعه من الاتصال به ، يخرج المتعلم من المدارس المدنية وهو يعلم شئون الدنيا ويجهـل شئون الدين لأن تعليمه قصر على تعلم المعارف التى ترتبط بشئون الدنيا وحال بينه وبين تعلم الاسلام كما هو ، كذلك فى المدارس الدينية فخريجها غير عالم بالمعارف التى ترتبط بشئون الدنيا فكل يتجه الى ما يعلمه ويحارب ما يجهله ان سياسة التعليم التى دبرت بأيد غـير أيدينا فتولى ابنائنـا المتخرجون تحت هـذه العوامـل مناصب الحكومات الاسلامية وشرعوا فى تتميم ما قضت به سياسة التعليم من الرغبة فى حصر الاسلام — من حيث هو دين وشريعة ونظام أخلاقى — فى دائرة ضيقة فى وضع نظام لهـدم الاسلام أنكى من سياسة التعليم التى منيت بها البلاد الاسلامية أما الغرب فقد وكلوا الى أمكر رجالهم وأخبث دهاتهم امر سياسـة التعليم فوضعت خططه بين امهر الرجال ممن درسوا تاريخ الاسـلام وعرفوا تصوراته وتولى هؤلاء الرجال المراقبة على المدارس الحديثة فطاردوا تعليم الدين

فيها ويقضوا المعراج بين المتعلم ومن الوصول الى لغتهم فنشبوا وهم يجهلونه ونشؤوا وهم يحبون غيره ، ولا سيما أخص جماعة منهم ليكون بعدهم جهلا بالاسلام وتمييت الكبر له تكوين عصابة أقل ما تقال فيها انهـا لا ترغب في تطبيق الشريعـة الاسلامية على شئون الحياة وترى بأن تقوم في البلاد الاسلامية شرائع الامم الأخرى .

تاسـعا — الشيخ محمـد سليمان :

ومن نماذج ما كتب الشيخ محمد سليمان (م ٩ — ١٩٣٥) قوله :
لما كان الاسلام دينا وجنسية وقد رفع الحدود بين الامم اللاتي تدين به وكره أن يدعو فيها بدعوة الجاهلية وجعل أصحابها جميعا اخوانا يؤلف مجموعهم كتلة لا فضل فيها لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، ولما كان ذلك كذلك لابد للجماعة البشرية من رابطة تتعصب لهـا وتعتصم بعروتهـا فانه ومن دين التوحيد ودعوته للاتحاد كان لابد للمسلمين من وحدة عامة وعصبية عامة ولسان عام وقد نبت الاسلام عربيـا وبعث على لسـان رسوله العربى ونزل قرآنه بلسان عربى فصيح لهذا يجب أن يمتزج الفرع بأصله وأن يتحد الاسلام بالعربية وأن يكون لسانها لسان شعوبه قاطبة ، وقد نجحت هذه النظرية اتم نجاح ومن اخلاص المؤمن بهـا عمت ذلك المنشط الآسيوى الأفريقى الى حدود جبال البرنات فى أوربا وعموما نمت به علماء الاجماع الى الآن واصبح لسان العرب لسان الاسلام تتعلم به شعوبه وقد ألف الاعجام بلسان العرب حتى كادوا بدعوتهم الواقعيـة أن المسلمين الذين انتظمهم القرآن بلسانه كانوا مسلمين عربا لا فرق بينهم ولا يحس سيبويه ونفطويه والحسن البصرى وابن سيرين وابن سـلام والزمخشرى والفارابى والفيروزبادى وغيرهم وغيرهم ، لا يحس أحد منهم ولا يقبل ولا يرضى أن يقول انه أعجمى يخدم العربية ، بل لا يدرى هذا المصطلح ولا يعجبه اذ الجميع متساوون كأسنان المشط . وانه ليكفينى فى هـذا شـهادة الزمخشرى بين أعلام القرن السابع حيث يفتتح كتابه المفصل فى علوم العربية فيقول : الحمد لله على أن جعلنى من علماء العربية وجبلنى على التعصب للعرب والعربية وأبى لى أن انفرد عن صميم أنصارهم وامتاز وأتصدى الى لفيف الشعوبية وانحاز .

على هـــذا مر اثنا عشر قرنا ولم يفكر مسلم أن يترجم القـــرآن ، حتى اذا جاء أمر الله ونسى المسلمون الآخرون سر تقدم المسلمين الأولين عادت تلك الحروب الاعجمية تشب وتظهر وعادت لها السنة الشعوب تتكلم بها وتتخاطب وانتشرت وتقطعت الوحدة العامة بين المسلمين وزادت الحال جرؤ من غمر قلبه على القرآن بترجمة القرآن .

عاشرا — الدكتور زكى على :

وكان من أبرز دعاة الاسلام الذين حفلت بهم الفتح : الدكتور زكى على الطبيب المسلم المهاجر الى الغرب منذ ١٩٣٠ وقد وصفه السـيد محب الدين الخطيب (م ١٣ ص ٥٤٩) فقال : عرفنـــاه أبرع المصريين على الاطلاق فى معرفة أحوال العالم الاسلامى كأبرع المشرقين الذين تمدهم بلادهم بالمساعدة والعون ولكنا لم نكن نعرفه شاعرا حتى جاءتنا هـــذه النفثة الملتهبة التى تشعرنا بموطن من مواطن ضعفنا فى اهمال الكفايات والتفريط فيما يجب للوطن من الانتفاع بها والشعر اذا انطوى اكذبه على جمال فان أصدقه يزدهى بالجـــلال :

ودادعـــا منـــك يا مصر وداعـــا
وليس البعـــد منك هوى مطاعا

ولست بهــــاجر وطنى ولـــكن
حجـــود بنيـــك ألهبنى التيـــاعا

فـــراق ثم بؤس طـــول ســـبع
شـــداد ما وجـــدت بهـــا متاعا

ولم اك بائســـــا ابدا ولـــكن
دوام العسف علمنى الصراعـــا

(م ١٣ الفتح)

كذلك فقد قال السيد محب الدين الخطيب ان الدكتور زكى على أعلم المصريين بسير الدعوة الاسلامية (م ١١ — ١٩٣٥) .

وقد نشرت له الفتح عديدا من الدراسات الجادة :

التبشير فى السودان مجلد (١٩٣٧ م — ١٣٥٥ هـ) .

الفلبين حصن الاسلام المهجور (١٣٥٥ هـ) .

الصحافة التتارية الاسلامية مجلد (١٣٥٥) .

الاسلام فى بلاد التبت مجلد (١٣٥٦) .

كتب اوربية عن السيرة المحمدية مجلد (١٣٥٦) .

كذلك فقد كتب السيد محب الدين الخطيب فصلا ضافيا عن كتاب الدكتور زكى على الشهير «الاسلام فى العالم» (م ١٣ ص ٢٨)، كذلك فقد اشارت الفتح الى انه انشأ رابطة الثقافة الاسلامية فى (فينا) أوائل رمضان ١٣٥١ وفى افتتاح الرابطة قام القسيس الكاثوليكى نوربرت فايسر وأبدى رغبته فى اعلان دخوله الاسلام واسلم على يد الدكتور زكى على واسمى نفسه عبد الله فايسر وتحدث عن نفسه وقال لقد سافرت الى جزيرة سيلان للتبشير بالمذهب الكاثوليكى وبعد دراسة قصيرة للدين الاسلامى وجدته هو الطريق الموصل الى الراحة الروحية والسعادة النفسية فآمنت به وقد القى ثلاث محاضرات بالالمانية عن الاسلام كان لها أحسن وقع فى نفوس من سمعوها .

وقد قامت الرابطة بالرد على الهجمات المرة والشبهات التى الصقها به بعض الكتاب الغربيين ثم تفنيد دعاويهم الباطلة .

وقد نشرت الفتح (١١ أكتوبر ١٩٣٢) أغراض الرابطة الثقافية الاسلامية فى فينا وهى :

١ — نشر الثقافة الاسلامية وبث الدعاية لها فى الغرب .

٢ — حماية الاسلام والدفاع عنه ضد المطاعن التى يوجهها اليه المتعصبون وغير المنصفين من الكتاب الغربيين وتفنيد مزاعم دعاة الاستعمار ومفتريات المغرضين ذوى المطامع السياسية .

٣ — تنوير افكار الأوربيين عن حقيقة الاسلام وتعاليمه الحكيمة .

٤ — توثيق عرى الاخاء والمودة واحكام روابط المنفعة بين الجاليات الاسلامية فى مختلف الاقطار الاوربية والعمل على صون حقوقهم ومصالحهم وترقية شئونهم الدينية والاجتماعية .

وقد عمل معه فى الرابطة : الكاتب النمسوى المسلم البارون عمر رولف ازنالز واحمد الحلبى ومحمد على النقى .

وتحدث الدكتور زكى على فى احتفال المسلمين فى النمسا بتاسيس رابطة الثقافة الاسلامية فاشار كيف ان الاسلام ساد نصف العالم خلال قرن واحد من الزمان وانتشر بسرعة لم يسبق لها نظير فى تاريخ البشر ووصف نفوذ المدنية الاسلامية وسيطرتها على اوربا الى عصر النهضة مستشهدا باقوال المنصفين من العلماء الاوربيين انفسهم ، وتحدث البارون عمر ولف فتكلم عن اصول الاسلام وحكمة تعاليمه التى تتفق مع روح التقدم والمدنية وعبر عن امنية المسلمين فى الغرب فى اقامة صرح للاسلام فى قلب اوربا وان تكون هذه الرابطة بمثابة حجر الأساس فى بنائه .

ثم اشترك الدكتور زكى على فى عقد مؤتمر مسلمى اوربا (مايو ١٩٣٣) فى جنيف مع الأستاذ محمود سالم تحت شعار الدفاع عن الدين الاسلامى ضد خصومه المزيفين وتعريف الشعوب بالخدمات التى قدمها المسلمون فيما مضى لمدنية العالم ولمدنية أوربا بالخصوص .

وقد نشرت الفتح (م ٩ — ١٣٥٣ هـ) حديث ينبىء بأن الدكتور زكى على انتقل الى جنيف بعد فينا وهى مكان اقامته حتى كتابة هذه السطور (١٤٠٤ هـ) حيث القى محاضرة عن الثقافة العربية فى محطة راديو فينا بمناسبة اهتمام الأوربيين بالتعرف عن الأحوال الاسلامية فى جزيرة العرب فتكلم عن الحضارة العربية فى عصر ازدهارها فى القرن العاشر الميلادى ، وافاض فى الحديث عن العصر العباسى وما امتاز به من رقى الحضارة والعمران وما وصلت اليه المدنية العربية مما كان له ابعد الاثر فى نهضة اوربا وصبغ اسبانيا بصبغة عربية لا تزال آثارها موجودة وظاهرة الى اليوم وقد لفت الدكتور زكى على اسماع سامعيه الأوربيين الى ان الاسلام لم يكن يوما عقبة فى سبيل العلوم الحديثة بل على العكس قد حث على البحث

العلمى وفرض على كل مسلم ومسلمة طلب العلم وفتح صدره لمجاراة العلوم والفنون التى تتقدم بالنوع الانسانى .

حادى عشر — الشيخ احمد ابراهيم :

كما أولت الفتح اهتمامها برثاء أعلام الفكر الاسلامى وتقدير العاملين منهم فقد كتبت فصلا مطولا عن الشيخ احمد ابراهيم (ذى الحجة ١٣٦٤ — ديسمبر ١٩٤٥) ووصفته بأنه زميل احمد السكندرى وحسن منصور ومصطفى العنانى وعبد الوهاب النجار وعبد العزيز جاويش وطنطاوى جوهرى ومحمد بن عبد المطلب .

واشار الفتح الى انه تعمق درس العلوم الرياضية ولشدة اتقانه الجبر والهندسة والفلك وما اليها كان من أبرز أعلام الفقه الاسلامى ، حتى أن أمين سامى باشا لما اراد تأليف كتابه « تقويم النيل » اعتمد على تلميذه القديم الشيخ احمد ابراهيم فى تحقيق ما اشكل عليه وقد ندب للتدريس فى المدرسة السنية للبنات وكان حارس العقيدة الاسلامية فى قلوب امهات المستقبل ، قبل أن يكون الملقن لمواد الدراسة المقررة فى المنهج ، ثم ندب لتدريس الشريعة الاسلامية فى مدرسة الحقوق قبل أن تكون كلية وقبل أن تؤسس الجامعة فصرف مواهبه للفقه الاسلامى ولم يقتصر على الامور التى تدرس فى الحقوق ويعمل بها فى الدولة الاسلامية بل توسع فى الفقه وفى أصوله وفى مناهج الائمة المجتهدين وتفريع أحكامه واخذ يطلع على فقه المذاهب الأخرى غير المذاهب الأربعة فوقف على فقه الشيعة الاثنا عشرية وعلى فقه الاباضية .

ومن اهم كتبه : شرح الأحوال الشخصية ، نظام النفقات ، العقود والالتزامات والوقوف والمواريث (وهى جداول صغيرة مستمدة من كتاب له عظيم يصلح أن يسمى الأم) وقد اشترك فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين ثم أصبح وكيلا لها بعد وفاة عبدالوهاب النجار وتفرغ لتأليف معجم لقسم المعاملات فى الفقه الاسلامى كمعجمى (دللوز وكاربنتيه) للفقه الفرنسى تقارن فيه كل مادة مع أحكام المذاهب الاسلامية كلها ويشار فيها الى مختلف الأقضية الصادرة من قضاة الاسلام الممتازين ، فى مختلف العصور فى مصر والشام

والعراق والحجاز ، والمغرب والاندلس ، وتذكر فيه فتاوى عظماء المفتين ، وكان دقيق النظر نير البصيرة في معرفة اتجاهات الأحكام الفقهية فيما بين الاصول والأدلة المأخوذة منها والاغراض التشريعية التي يرمي اليهـا .

ثاني عشر — حسـين يوسف :

كما نشرت الفتح (ذى القعدة ١٣٥٧) صيحة حسين يوسف خريج الفنون الجميلة عن الفن والدين في مصر قال : اكتب كفنان تلقى دراساته العالية في معاهد الفنون بانجلترا وايطاليا وكمسلم راعه ما يجرى من معارضة بين الفن والدين في البلاد وافزعه ما شاهده من الأخذ بالتقاليد الغربيـة الداعرة فيما يتعلق بالفنون دون التفكير في التوفيق بينها وبين روح الدين ، الذى لاشك في أنه أساس كل فضيلة بما لا يتعارض مع الرغبة في النهضة والفنون كوسيلة ناجحة من وسائل التربية وقد وصلت الى النتائج الآتية :

١ — ان الفن يجب الا يتعارض مع الدين .

٢ — ان الفن يمكن أن يزدهى في حدود الدين .

٣ — ان الفن بحالته الحاضرة فيه خروج على تعاليم الدين .

ثالث عشر — حسـين والى :

ونشرت الفتح صيحة الشيخ حسين والى عنـد الاحتفال بانقضاء خمسين عاما على المحاكم الأهلية فقال : احتفلت الحكومة بانقضاء خمسين عاما على المحاكم الأهلية التى اختصت بالعمل بقانون أجنبى من الخارج ، بقانون ضغط على المحاكم الشرعية ، بقانون اشتمل على ما حرم الله وعلى ما لا تحبه الشريعة الاسلامية التى هى شريعة الدولة بنص الدسـتور وبنص كتاب الله تعالى ، هـذا القانون يشتمل على تجويز التعامل بالربا وهو ما يحل في تشريعنا ويشمل تعطيل حدود الله تعالى ، فياليت الحكومة ادت للأمة خدمة بأن تهدم المخالف للشريعة من مواد هذا القانون ، اذن لخدمت الاسـلام لا الدولة المصرية فحسب ، وانهـا اذ لم تفعل هـذا لم تفعل ما يعين في الحفلة الساهرة التى انفقت فيها الوف الجنيهـات على شرب الخمر والرقص والفساد ووزير الحقانية اسمه احمد على اسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

رابع عشر ـ سليمان النــدوى :

واهتمت الفتح برسالة الشيخ سليمان النــدوى الى صاحب الفتح حيث تقول : ان ما يجود به قلمكم السيال وتجرى صحيفتكم الى الأقطار فى كل أسبوع فلا تزال شجرته مخضرة ، وربوته مخضلة ، لا زال لواء قلمكم مرفوعا وصــدى دعوتكم عن المسلمين فى أصــقاع الأرض مسموعا واهنئكم بأنكم أخدمتم لمصر من المكانة فى قلوب المسلمين : وقد كادت أن تضيع بين المؤيد واللواء ، ولكم أياد بيضاء فى تعارف الأمم الاسلامية وتعانقهــا .

وأشار الفتح ـ أن السيد سليمان الندوى هو خليفة مولانا شــبلى النعمانى القائم على دار العلوم الاسلامية ودار المصنفين على غرس الهداية فى قلوب ناشئة المسلمين .

خامس عشر ـ عبد العليم الصــديقى :

ومن دعاة الاسلام الذين فتحت لهم الفتح أبوابها : السيد عبد العليم الصديقى الذى يتحدث عن تجربته فى الدعوة الى الله*(م ٦ ـ ١٣٥٠ هـ) يقول : ليس بخاف ما يقوم به دعاة اللادين والالحاد والنحل والمبشرون من نشر دعاياتهم الضالة وأقوالهم الخفيــة وما تقوم به دول الاستعمار ومســاهمة الغــرب من تخصيصها الأموال الطائلة فى نشر تلك الدعايات والمسلمون مقصرون فيما أوجبه الله عليهم من نشر الدين الذى ارتضاه الله واختاره على الأديان كلها لســعادة البشر ، وكان على الدعاة الى الله رد افتراء المعطلة والملحدين والمبشرين واظهار فضيلة الدين الحنيف ومكارم أخلاقه ولا سيما ان فى العــالم العربى الاسلامى عددا من كبار المفكرين ومن العلماء المخلصين .

اما الاسباب الحاملة لى على الدخول الى تلك الجزائر (مدغشقر ، جاوة) فالقصد كله تعهد اخوانى المسلمين والقيــام بالواجب وارشــاد من ضل بالأحمدية واغتر بالدعوة القاديانية وأحمد الله أن وفقنى فى ذلك فقــد بينت للناس حقيقــة الميرزائين ، كما أنى شرحت لهم حالة الدعاة المسيحيين وطلبت مناظرة القسيس الشــهير « تن بيزخ » المعلم بباندونج فلم يجبنى للمناظرة وذلك بعد أن نشر الطعن فى الاسلام وقابلت الكاتب

المعروف بمؤلفاته ضد الاســـلام المستشرق الدكتور كريم مبصوتو وأردت استجراره للمناظرة فتخلص بلطف وحـــذق ، ومما آلمنى حالة الأحـــزاب الاسـلامية هنا فان الاختلاف بينهم مستحكم والعـــدو لهم بالمرصاد يتلقف ابناءهم ويغرى ما بينهم ليربح ويعودوا بالويل والثبور ، وما دام المتزعمون ممن لا دين لهم ولا صدق ولا خلق من طلاب الحظ العاجل لهم الحظ الأكبر فى قيادة الأمة فلاشك يسوقونها الى الدمار والعياذ بالله ، وعرف الاستعمار كيف يعملون على تفريق المسلمين والمكر بهم وخداعهم بزعمائهم على اتصال بما يريدون وحظ اخواننا العرب من الاقتران كبير والوســـائل تكاد تكون واحدة وان اختلفت الوسطاء وللأيدى الحقيرة القسط الوافر فى التحريش فيما بينهم .

سـادس عشر :

وقدمت الفتح فى مجال الكتابة الاسـلامية عـددا كبيرا من الباحثين فى مقدمتهم :

١ — مصطفى السباعى الذى تحدث فى المجلد ١٤ من الفتح عن دور الســيد محب الدين الخطيب فى تحريك الهمم الخامدة والعزائم الراقدة ودفعها الى العمل الصادق بما يرضى الله ورسوله وقد صـدق اخلاص منشئها وعظيم وفائه لدينه وقومه وشدة شكيمته فى الحق ويذكر جهـود الجبابرة لنشرها وايصال صوتها المدوى الى كل آفاق وملك ، مع التضحية بكل ربح مادى فى سـبيل اداء رسالتها على الوجه الذى يحقق المصلحة الاسلامية المنشودة ، واشار الى خطة الفتح الواضحة فى خدمة الاســلام وسلوكها فى ذلك سبيلا مستقيما فهى تخدم الاســلام على أنه دين عبادة وسيادة ، واشار الى ثباتها على مبدئها رغم تعرضها لضربات قوية من دول الاستعمار وحملات من ذوى الأغراض .

٢ — عمر بهاء الأميرى : الذى كان يكتب فى الفتح منذ كان يطلب العلم فى باريس عام ١٩٣٦ فى خدمة العروبة والاسلام فلما عاد الى الشام عام ١٩٤٦ أنشأ جماعة شباب محمد الاولى وافتتح مع اخوانه ن[illegible] دار الأرقم فى حلب .

٣ — واشار الفتح الى وصول شيخ الاسـلام فى تركيا مصطفى صبرى الى القاهرة وقالت انه كان يصدر صحيفة اسمها « يادين » ويطبعها فى بعض البلاد الاسلامية الداخلة تحت الحكم اليونانى ثم اضطر الى وقفها بعد التفاهم الذى حدث بين اليونان وأنقرة وانتقل الى القاهرة عام ١٩٢١ (١٣٥٠) .

٤ — ومن ابرز كتاب الفتح الدكتور محمد احمـد الغمراوى الذى كان له القدح المعلى فى دحض شبهات الدكتور طه حسين ومما كان يكتبه من توجيهـات قوله :

« اذا كان المسلمون يريدون النجاة فليلتمسوها داخل الاسلام لا خارجه وهم يخطئون طريق الرشد اذا قلدوا الغرب فى نظمه الاجتماعية سيرا قديما شرعه لهم الاسلام الى حديث لم يشرعه لهم ، وخرجوا عما أسسوا من صواب الى ما لم يألفوا من نظم ان لائمت غيرهم لأنها الى حد ما وليدة حاجاته فهى لا تلائمهم لانها ليست فيهم وليدة الحاجة ولكن وليدة الهوى والتقليـد » .

٥ — من أبرز كتاب الفتـح (على الطنطـاوى) وهو ابن شقيقة السيد محب الدين الخطيب وله كتابات عديدة ، وحجاج نويهيض ومحمد تقى الهلالى الذى كان يكتب مقالا أسبوعيا تقريبا ، ومصطفى الرفاعى اللبان الذى تخصص فى الرد على المبشرين ، وعبد المنعم خلاف ، كما استمر صاحب الفتح الى وفاة محمد الهيباوى (١٩٤٤) ووجه اليه تحية وتقريظا لانه من الدعاة الى الاسلام وقال انه عرفه قبل بضع وثلاثين عاما عندما نشر كتاب « الصاحبى فى فقه الله وسنن العرب فى كلامها » للامام أبى الحسين احمد بن فارس وكان طالبا ازهريا وقد وصفه بأنه اديب ضليع ، وخطيب مفوه ، وقلمه فى الصحافة يمتاز ببلاغته على عشرات ممن اشتهروا فى هذه الساعة أكثر مما اشتهر .

٦ — ويتحدث الأستاذ حسن البنا عن شاعرى الاسلام : عرنوس والنجمى فقـال :

عرفت الأخ الكريم محمد صادق عرنوس شابا ملأت الغيرة على الاسلام فؤاده وتملكت نفسه واخذت عليه كل نواحى حسه فاذا قال فللاسلام واذا بكى فعلى الاسلام واذا فرح فلخير يعين الاسلام واذا تمنى فامتن النصرة للاسلام واذا تحدث تدفق كما يتدفق السيل قوياً منهمرا فى مضاء وفى عزة وفى حماس يتجلى خلالها صدق الايمان وقوة الشعور والاحساس فاذا أصغيت اليه لم تر فى حديثه الذى اهاج كوامن نفسه الا عن الاسلام ونبى الاسلام واذا قرأت شعره رأيت فيه هذه المعانى واضحة جلية فطرية غير متكلفة وعرفت الأخ الكريم محمد حسن النجمى فى قصائده العامرة ومقطوعاته المؤثرة فعرفت منه نفسا جياشة بالمعانى السامية فياضة بالشعور الشريف موهوبة فى الشعر والقصيد ، قد وقفت كل مواهبها للاسلام ونبى الاسلام وكنت أحمد الله كثيرا أن اجد فى شباب الاسلام مثل هاتين النفسين الطاهرتين الغيورتين وأجد فى ذكراهما لذة وفى الأمل فيهما سعادة وقد تضاعف هذا السرور وتكاملت هذه اللذة النفسية حين رأيت الأخ النجمى يرد للأخ صادق تحيته ، لا أدرى القول بمثلها ام بخير منها .

فهما انما يغترفان من معين واحد هو الصفاء الروحى والاخلاص للاسلام ونبى الاسلام وينتزعان من قوس واحدة ، هو قوس النضال عن دين الله تبارك وتعالى وأمام هذه الوحدة النفسية يفنى التفاضل وتزول الفوارق .

لقد كانت الفتح الغراء وهى منبر الاسلام الأول وصوته المؤثر الندى واسطة عقد هنا لاتصال الذى أسر كلما ذكرته واسعد كلما تمثلت صورته .

ان المسلمين لا ينقصهم عدد ولا مال ولا ينقصهم علم ولا قوة فهم والحمد لله فهم أكثر من غيرهم مالا وأصلح حالا ولكن ينقصهم امران هما أساس نهضات الأمم : الوحدة والارتباط والاخلاص والتضحية .

الباب السادس

الصحافة الاسلامية في مواجهة الصحافة التغريبية

الفصل الأول

معارك الصحافة الاسلامية فى مواجهة الصحافة التغريبية

واجهت الفتح الصحافة العلمانية (السياســـة ــ الاهرام ــ دار الهلال) فى مواقفها المناهضة للاسلام وللدعوة الاســلامية ، وكانت المنار قد بدأت هذا العمل ، ولكن الفتح قطعت فيه مرحلة أوسع واستطاعت خلال (١٩٢٧ ــ ١٩٤٧) مواجهة اغلب المواقف التى ناهضت بها مفاهيم الاسلام الاجتماعية والسياسية .

أولا : موقف الصحافة التغريبية من مفاهيم الاسلام وادخال مفاهيم الغرب عن العلم والدين .

ثانيا : الهجوم على التعليم الاسلامى فى الأزهر .

ثالثا : تأييد مواقف الكماليين فى تركيا فى هدم الاسلام واللغة العربية .

رابعا : تأييد طـــه حسين وعلى عبد الرازق فى دعوتهما اللادينيـــة الالحادية .

خامسا : مواجهة اخطاء محمود عزمى وسلامة موسى وغيرهم .

سادسا : تأييد موقف الصهيونية .

سابعا : اشاعة روح الاباحية والتحلل والاعلان عن الخمور .

أولا — جريدة السياسة :

أولت جريدة السياسة اهتمامها بالدفاع من الصهيونية وعن دعوة اتاتورك اللادينية ولذلك فقد حظيت هـذه الجريدة (التى كان يصدرها حزب الأحرار الدستوريين) والتى تضم مجموعة من دعاة التغريب بالنصيب الأوفر من مواجهـة الفتح ودحض شبهاتها والرد على سمومها فهى تكتب فى ٤ م ٤ — ١٩٢٩ م (١٣٤٨ هـ) تحت عنـوان ضخم : **جريدة السياسة تخدم الصهيونية والصهيونيون يشكرونها على خدماتها** وكان وفد من الطائفـة اليهودية فى مصر قد زاروا جريدة السياسة وشكروا لهـا اعتدال موقفها من الحوادث الفلسطينية وكتب المرحوم احمـد ابراهيم الشراوى يقول :

« هؤلاء الزعماء الاسرائيليين من اكبر العاملين على مساعدة طائفتهم بكل انواع المساعدة ، وهم لم يزوروها لكتابة كلمة حق يوجهونها لابنـاء ملتهم فينصحونهم بالكف من الاعتداءات والاخـلاص لجيرانهم المسلمين الذين أكرموا وفادتهم من قديم الزمان بعد أن كانوا مطرودين من الرومانيين من البلاد الفلسطينية فاعادهم المسلمون اليها ، وكان اليهـود مطهدين فى جميع بقاع الارض وقد تألبت عليهم كافة حكومات المعمورة فهاموا على وجوههم حيارى ولم يجدوا لهم ملجا يلجأون اليه الا دولة المسلمين والبلاد التى يملكها سلاطين آل عثمان المسلمون (الجوييم) ومسلمو مصر يعلمون ان جريدة السياسـة جريدة ملحدة تعمل لنشر الالحاد بكافة الوسـائل التى يمدها دكاترتها القائمون بتحريرها ، فمعلوم أمرهم عند كل مسـلم وهم بما نشروه فى يوميتهم وأسبوعيتهم موضع سخط المسلمين فى جميع الكرة الارضية . ما الذى يهيـد اذن جريدة السياسه من حشرها مصر وحكومتها حشرا فى سبيل ارضاء وفد اليهود ، ماذا نستطيع ان نقول انهم يعملون للصهيونية سرا وعلانية ، ماذا ذهب مندوبهم (عبد الله عنان) الى فلسطين فلا يذهب الا الى بيوت الصهيونية ، ان للصهيونيه بين جدران السياسة ما هو اكبر ضررا بالاسلام من الصهيونية ووفود الصهيونية » .

٢ — وتمضى جريدة السياسه فى تاييـد مصطفى كمال فى حركته اللادينية التغريبية فى تركيا — تقول الفتـح — وهى بذلك تفتح الطريق لدعاه الالحاد والتغريب فى مصر باتخاذ خطـوات على نفس الطـريق مما أسموهم (اذناب الكماليين فى مصر) وهم يحبون الحرية الفكرية للأعضاء عن دعاية الكفر فى مصر . ويقول ان مصطفى كمال قال لقد ضحكت عليهم بادعاء ان دين الجمهوريه التركيه الاسلام الى ان تمكنت من تقويض جميع معالم الاسلام فى مملكتى واجبرت الفتاة المسلمة بقوة البندقية التى يحملها الجندى التركى على ان تخالف أمر ديننا ولو انى أنكرت ان دين الدولةالرسمى التركى على ان تخالف امر ديننا ولو انى أنكرت ان دين الدولة الرسمى الاسلام فى أول الأمر ربما كان الشعب امتنع من مساعدتى وبهذه الفكرة الشيطانية استطعت ان أضحك على المسلمين داخل تركيا وخارجهـا .

وقد القى القـران ذات يوم من يده وقال . ان ارشـاد الشعوب لا يصلح أن يتقيد بقواعد وقوانين سـنت فى العصور الغابرة وقد ابتهجت جريدة السياسـة بهـذه التصريحات كما أن جريدة السياسة تمتدح حركة التجديد التى تقوم فى افغانستان وفى نفس الوقت تهاجم مفهوم الاسـلام للشريعة الاسلامية وتقول انها لا تصلح لهـذا الزمن . وانكار السلطة للاسلام يوم كانت منفردة فى الدنيا ، وتابعت السياسة فى ذلك مجـلة (العصور) التى عرضت لكتاب فلسفة الانقلاب التركى تأليف قابيل آدم الذى بين أن العقلية الآسـيويه هى عقلية الدين وان العقلية الأوربيه هى عقلية العـلم .

وهى دعوة موالاة أوربا وقطع علاقات تركيا بآسيا وافريقيا .

٦ - وقد وصفت الفتـح جريدة السياسـة بأنهـا جريدة « تسليم البضاعه » وان هذه العبارة قالها عنهم الانجليز أنفسـهم أنهم سمـاسرة لتسليم البضاعة ، وانها جريدة صهيونية تخدم الصهيونية وتروج اغراض الصهيونية من وراء ستار بخبث ومكر ، وهذا ما يدفع جريدة السياسة الى محاربة الاسلام والطعن فى كل شىء لهـذا الدين وفى رجاله وأزهره ومعاهده ونشر مقالات الملحـدين المعروفين المأجورين وتأييـدهم مـع ما تشغل به أيضا فى سبيل تسليم مصر للانجليز القائلين بان حزب جريدة

السياسة سماسرة لهم لبسلموها البضاعة وها هي البضاعة ، هي وطن المصريين .

مواجهـة طه حسين :

٤ ـ وقد عنيت الفتح بمواجهة السياسة بشأن موقفها من طـه حسين وكتابه « الشعر الجاهلي » .

تقول : لما ظهر كتاب طه حسين وفيه الطعن الصريح على كتاب الله تعالى ما فيه ، لم يكن اثره السوء قاصرا على علماء الدين بل تجاوزهم الى الكثير من الكتاب والمفكرين ولا ريب أن اعلان الدكتور طه انه مؤمن لا يجدى في هذا الموضوع نفعا ، بل هو مع كونه تناقضا في مفهوم فيفضى الى عكس المطلوب ، لأن ذلك المؤمن هو الذى قال في كتابه ان القرآن يشتمل على الأساطير المختلفة لأغراض سياسية فليس هو من عند الله ، واذا كان مؤمنا كما يقول وكتابه المشتمل على هدم الدين من أوله الى آخره باق كما هو موفور الكرامة فليس في هذا الاعلان الا السخرية والاستهزاء بالأمة والله .

وتحدثت الفتح بقلم كاتبها الأول « عبد الباقى سرور نعيم » عن موضوع العلم والدين في نظر الدكتور طه حسين ، فقد نشرت السياسة الأسبوعية (١٧ يوليو ١٩٢٦) مقالا لطه حسين عن العلم والدين اشار فيه أن بين العلم والدين خصومة ، وأن ليس بينهما ما يمكن ان يسمى اتفاقا بحال ، وقال : ان الدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء ويأخذ الناس بالايمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم حتى الآن ان يثبتهما . فهو يؤكد أن بين العلم والدين خصومة لأن الدين يثبت شيئا لا يعترف به العلم وهو وجود الله ونبوة الأنبياء ، وقال الأستاذ سرور : ان طه حسين لم يفهم معنى العلم بمعنى ما تثبته التجربة وأن العلم بهذا الاطلاق ليس من مباحثه اثبات وجود الله ولا اثبات نبوة الأنبياء .

مواجهـة على عبد الرازق :

٦ ـ كذلك اولت الفتح اهتمامها للشـبهات والسموم التى اذاعها على عبد الرازق وخاصة حديثه عن المولد النبـوى فى جريدة السياسة

التي اسمتها الفتح : « جريدة أعداء الدين الاسلامي » والتي تطاول فيها على المقام المحمـــدي الأسمى فاستعرض بزعمه حيـــاة صاحب الرسالة صلى الله عليـــه وسلم ، واخذ يبحث فيهـــا عن وجوه العظمة ومعانيها فلم تبصر عيناه للعظمة أثرا الا في حكم محمد صلى الله عليه وسلم ونفاذ كلمته في اصحابه ولا في معاني العلم كما يفهمها هـــذا الكاتب ولا باعتبار ما للاسلام من اثر على هذه الأرض مما احدثه محمد صلى الله عليه وسلم بين أهلها من انقلاب اجتماعي أو سياسي أو تهذيبي أو مدني .

ويقول على عبد الرازق : اما ان يكون حقا تلك الكلمة التي جاء محمد واما أن تكون باطلا ، ان يكن باطلا كلمة التوحيد — هكذا يقول على عبد الرازق — فسوف تذهب من الوجود كما تتلاشى قضايا العلم الباطلة وسوف تذوب اذا اطلعت عليها انوار العلم والعقل كما تولى الظلمة ازاء وضح النهار واما ان يكن حقا كلمة التوحيد فلسوف يشق اليهـــا العلم والعقل طريقا في هذا العالم حتى تستولي عليه وتشيع بين جوانبه .

يقول السيد محب الدين : فعظمة محمد موقوفة الآن على كلمـــة مشــــكوك فيها ، وتحتاج الى زمان ليتبين صدقها او كذبها ، كلمة لا اله الا الله تبقى عند علامتنا المحقق معلقة في ملكوت التشكيك وتبقى عظمـــة محمد غير مسلم بهـــا عنده .

ويقول : تعود الشيخ على عبد الرازق منذ عهد ان صدر عليه الحكم المعروف من محكمة هيئة كبار العلماء أن يكتب كل عام كلمة تتعلق بحضرة صفوة الخلق ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليـــه وسلم ويتحرى في نشرها اليوم الثاني عشر من شـــهر ربيع الأول بينما يكون المسلمون في سرور وابتهاج يطلع عليهم مقال الأســـتاذ في صـــدر جريدة السياسة في الحط من شأن هذه الذكرى وتحقيرها الذي لا يجرؤ عليه أحد من الد أعدائه ولا يرضاه لنفسه واحد ممن يجلهم الأستاذ ، فاللباقة كانت تقضي عليه أن يشارك العالم في فرحـــه بذكرى مولد النبي ليبرهن على انه يحترم المؤمنين بهـــذا الرسول العظيم ، او على الأقـــل كان يسكت حتى لا يسجل على نفسه هذا الموقف الذي يسخر منه كل ذي ذوق سليم

ولا يفهم منه أن الأستاذ قطع الصلة بينه وبين المسلمين قطعا تاما ، وأعلن عليهم حربا شعواء فى اعتقادهم الحق وايمانهم بربهم ودينهم ورسولهم . ويأبى الأستاذ الا أن يذكر ذلك الاسم الشريف فى كل مقاله مجردا . ذلك التجرد المجافى للأدب والذوق ، ولا يذكر اسمه الكريم جميع المؤمنين الا معروفا بالتعظيم .

٧ ــ وكتب الأستاذ محمود محمد شاكر موجها كلامه الى على عبد الرازق فقال : ان الذى اتيت به فى اول مقالك على العظمة لا نعده حشوا بل نقول انه المكر السىء ولا يحيق المكر السىء الا بأهله فما كل رجل يسلم مثله لك ، وانه يعنى التغرير بالعقول للوصول الى القول بأن رسول الله النبى العربى الأمى صلى الله عليه وسلم ليس من العظمة فى شىء ، وليس من العظماء فى شىء ، وانما هو دخيل فيهم بينما الناس جميعا مسلميهم وكافرهم ، ويهوديهم ومسيحيهم ، يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم عظيم ويتحدثون من عظمة محمد .

ومما قال على عبد الرازق ان كلمة لا اله الا الله كلمة مشكوك فى صحتها وقد انكر وجوه العظمة على سيد الخلق .

٨ ــ وقالت الفتح ان على عبد الرازق نشر ثلاث مقالات فى السياسة يحاول فيها ان يحمل أربعمائة مليون مسلم على آرائه الشاذة فى الاسلام واصول الحكم : تلك الآراء التى خالف فيها أعلام الاسلام عصرا بعد عصر من عهد سيدنا ابى بكر الصديق الى يوم الناس هذا وانكرها على العالم الاسلامى من اقصاه الا اقصاه ولم يسعه عليها الا مراسل التيمس وحملة الاقلام من غير المسلمين والمفكرون لهم من انصاف المتعلمين هنا وهناك .

مواجهة محمود عزمى :

٩ ــ واجهت الفتح كتابات محمود عزمى فى السياسة وقالت انه ملحد حقيقة ولا ايمان له ولكنه لا يدعو الى الالحاد ، وقد عرف دائما بالذبذبة : وليس هو من أصحاب المبادىء الثابتة ، أخذ عليه طه حسين قوله : ان الدين الاسلامى سيبقى مسيطرا على الثقافة فى البلاد العربية وقال

ان العاطفة الدينية ليست خاصة بالمسلمين العرب بل يشاركهم فيها غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى ، وقالت الفتح ان الثقافة العربية هى عربية فى أصلها ولم توجد الا بالاسلام ، والمخلصون من مسيحى العرب يعلمون حق العلم أن ثقافتهم فى أصولها على الأقل اسلامية ، وكذلك المدنية الغربية ، لذلك لا يكون المسيحى العربى وطنيا وهو يعادى الاسلام اذ عدوانه يقتضيها رفض الثقافة والحضارة العربية .

وقالت الفتح : أن محمود عزمى من انصار اليهود كما دلت على ذلك مواقفه بل ربما كان من انصار الصهيونية فى باطنه ، قال فريد زين الدين فى الرد عليه : اننا ينبغى أن نحافظ على شخصياتنا وعلى روح مدنيتنا ولو اتبعنا عزمى فى طريقه لاندماجنا فى الغرب لفقدنا الوجود ولم يعد فائدة لمقاومتنا الاستعمار وضغطه ، وليس اضر على الثقافة العربية من الذين يدعون الى اتخاذ مدنية الغرب ومحاربة الدين الاسلامى . اذ تلك هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الشرق وهدم كيانه وتمكين الغرب منه .

الى الدكتور منصور فهمى :

١٠ — وفى المجلد السادس من الفتح وجه الأستاذ محمد محمود بدير الى الدكتور منصور فهمى رسالة مفتوحة قال : يعتقد كثيرون ان فى مصر جماعة تنحو فى كتاباتها وخطبها ودعاتها مناحى سيئة خطيرة ان لم يكن صورة طبق الأصل للمناحى التى تسير عليها جمعيات الالحاد فى الخارج فلا أقل من وجوه تشابه كبير يدعو الى الريبة والحذر فان الذى قرأ مبادىء تلك الجمعيات وعرف أساليبها فى النشر والدعاية لا يتردد كثيرا فى الاتفاق معنا فى هذا الرأى ، وهم يشعرون بأنهم قد تجاوزوا الحد فى دعايتهم تجاوزا لا يجعلنا لا نتردد فى اظهار هذه الحقيقة بالأدلة لتفتح الأمة عينيها ولتنبه الشباب الى الخطر الذى يحيط به والتعاون مع المخلصين لصد تيار الالحاد » .

وقد جاء هذا ردا على رأى نشره الدكتور منصور فهمى فى جريدة المساء ونقلته الفتح (ص ٣٦٤ من السنة الخامسة عدد ٢٢٣) حيث قال :

« ولكن ما هى الآراء القيمة التى يذيعها بعض الكتاب باسم التجديد . كل ما عندهم أن يتذمروا من اللغة الفصيحة وبعدها عن اللغة العامية . وهذا يدل على جهلهم بلغات الأمم الحديثة فاللغة الانجليزية تكتب فيها الكلمة بشكل وتنطق بشكل آخر ، واللفظة الواحدة ينطقها الأستاذ فى مدرسته أو جامعته ، بلهجة خاصة ، وينطقها عامل الترام بلهجة أخرى والحال كذلك عند الفرنسيين والألمان ومع ذلك لم يحدث فى الأمم المسيحية من يقول باحلال اللغة العامية مع اللغة الفصيحة . ولكن أصحابنا المجددين فى مصر يظنون أن هذه مسالة المسائل فينحمسون ويتهبجون ويظنون انفسهم من رجال التضحية يمثل هذا الهذر الممقوت » .

ثم قال الدكتور : ويتكلمون عن القومية المصرية ويريدون بذلك أن تنفصل مصر عن أمم الشرق وقد كنت ولا ازال من أنصار الرابطة الشرقية لعلمى أن الأمم التى ترتبط برباط اللغة والدين تتقرب بعضها من بعض وتكون وحدة لغوية وفكرية وعقلية وروحية ، هى أسمى ما يفكر فيه الرجل الحريص على روابط الأواصر الانسانية . ومن الغريب أن سلامة موسى وحسين هيكل يتكلمون كثيرا عن الانسانية وروابطها الأدبية والعلمية ثم ينسون ذلك كله حين يجرى ذكر العرب والمسلمين ، فهل أصبح العرب والمسلمون شعبة أخرى لا يصح أن يرتبط بها المصريون ، ان أصحابنا المجددين لا يرضيهم الا أن نكون عصابات تتقتل وتتناحر ففئة تهاجم العرب وتاريخهم وفئة تهاجم الأزهر وتعاليمه وفئة تجرح الدين وتقاليده وفئة تهدم اللغة الفصيحة وهكذا دواليك حتى تصبح مصر فى عراك دائم وفتنة شاملة موصولة (هذا ما كتبه منصور فهمى اكتوبر ١٩٤٠) .

السياسة الأسبوعية :

١١ — وتحدثت الفتح عن السياسة الأسبوعية (وهى الصحيفة الأدبية لجريدة السياسة اليومية) بمناسبة دخولها سنتها الثالثة ، وتحدث عن مؤازرة اهل الثروة الضخمة فى مصر بما يمدونهم من المال بالآلاف ومعونة أصحاب الدولة وكبار الوزراء الذين يهمهم ترويج هذه الدعاية

فى وجوهها المختلفة ، واشارت الى المصلحة المشتركة الى تناولها هذا النوع من الصحف مع مثل الحكومة الكمالية التى يهمها ترويج هذه الافكار فى مصر ، وقالت الفتح : لقد تهيات للسياسة الاسبوعية كل الاسباب الادبية والمادية لاذاعتها وجعلها فى متناول الايدى بمصر وسوريا والعراق وجزيرة العرب وبلاد المغرب فهوجمت ادمغة الشباب الطاهر بجيوش من الافكار تنقل عن اكثر كتاب الافرنج تطرفا وافراطا فى تهديم القيم .

قال علوى بن طاهر الهوارى الحداد (بجاوة) ان الالحاد نشا فى مصر وانتشر ووصل شرره الى كل جهة وتضرر به المسلمون ضررا بليغا ومصدره الاكبر مصر والكتب التى تطبع فى الهلال والى هذيان سلامة موسى وجهالات على عبد الرازق وسخافات زكى مبارك وقد اصبحت جريدة السياسة تتناقلها ايدى العامة فيا لدين ضيعه اهله » .

وتحدثت الفتح من المساعدات الجهرية والسرية التى تصل الى هذه الصحف وقال ان انتشار السياسة الاسبوعية ليس من اثر تلك الاموال الجهرية والسرية فقط بل هو من غفلة المسلمين ايضا .

وقد بادر الذين تنبهوا اليها والى مطاردتها فى اخطارها وردوها فى وجوه اصحابها وفى الحجاز طاردها وكلها عبد الله السليمان المزروع وفى مراكش احمد عبد الرحيم قد رفضها بسخط وازدراء .

وقالت ان جمهور المسلمين فى جميع الاقطار مدعوون على أن ينظموا صفوفهم لينقذوا هذا القطر الاسلامى من طريق الكماليين على ضفاف البسفور والخليج دون أن يحتاجوا الى المدافع التى اسكت بها الكماليون احتجاج الاكراد على الانظمة الالحادية فى تركيا .

وكانوا يتوقعون أن تسير الاقطار العربية والاسلامية وراء صفوفهم المتكلمة فى مصر ، فساروا مؤيدة اعمالهم بمئات الالوف من الجنيهات منذ أنشئت السياسة اليومية الى الان ولكنهم ما كادوا يخطون حتى تلقوا الصدمة بعد الصدمة فتعاد بضاعتهم مردودة اليهم بالسخط والازدراء .

وان هنالك ما يحفز المسلمين الا اثارة حركتين : احداهما سلبية

تقضى بمقاطعة بضائعهم كما فعلت مكة ومراكش ودمشق ، واخرى ايجابية باقامة حواجز فكرية تلائم روح العصر ويستطيع صوتها أن ينفذ الى اعماق قلوب شبابه الشاعر بعطشه فيكون ما تقدمه له علماؤنا من الماء الزلال معينا عن السموم الأخرى .

٢ — وأشارت الفتح الى ما تواجهه مجلة السياسة الأسبوعية من احتقار في العواصم العربية وان اصحاب المكتبات يرفضون هذه المجلة لما تحمله من افكار الحادية ، وقد أرسل بركات وقصار اصحاب المكتبة الشرقية الوطنية بدمشق الى مدير السياسة الأسبوعية يقول : أصبحنا نرى فى بعض الأعداد كثيرا من المقالات الالحادية والبحوث السفورية والكتابات المحبذة لأعمال مصطفى كمال وانصاره والاشارات الى دعوة الالحاد فى أمريكا التى لا يشك قارئها أن اصحابها ساقوها لدعوة الشبان الشرقيين الى تقليد امثال هؤلاء الشاذين فى كفرهم والحادهم ، وقد رأينا أن اصحاب المقالات يتعامون عما ينشر فى بعض الصحف المصرية ردا على مفترياتهم شأن من لا يرغب فى كتابه احقاق الحق وابطال الباطل ولذلك نرجو عدم ارسال شىء من اعداد السياسة الأسبوعية بعد الآن .

٣ — وأشارت الفتح الى أن جريدة السياسة دون الصحف (الأهرام والمقطم) اغفلت نشر كل ما يتعلق بانشاء جمعية الشبان المسلمين ، وقال أن جريدة السياسة وصفت بانها جريدة تسليم البضاعة واشار الى الفضائح والمخازى التا نشرت لجريدتهم فى جريدة الشورى ، وانها جريدة صهيونية تخدم الصهيونية وتروج أغراض الصهيونية من وراء ستار بخبث ومكر واشار الى علاقة جريدة السياسة بجماعة الصهيونية ومحاربة الدين الاسلامى والطعن فى هذا الدين وفى رجاله وأزهره ومعاهده ونشر مقالات الملحدين المعروفين المأجورين وتاييدهم مع ما يستعمل به ايضا فى سبيل تسليم مصر للانجليز القائلين بالسنتهم قولهم المأثور ان حزب جريدة السياسة سماسرة لهم ليسلموهم البضاعة (م ٢ ص ٣٩١) .

١١ — الدكتور هيــكل :

وتحدثت الفتح فى المجلد التاسع والعاشر عن صــدى ظهور كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيــكل وما ووجه به من انتقادات من علماء المسلمين حيث كتب الشيخ محمد زهران فقال ان هيكل اعتمد على كتاب أميل درمنجم الذى كانت حرب الريف فى المغرب هى الداعى له لتأليف كتاب حياة محمد ، ونقد موقف هيكل من (الاسراء) فقد اعتبره بالروح بناء على حديث عائشة ، والاسراء كان قبل زواج النبى بعائشة وانها كانت زمن الاسراء طفلة بعيــدة عن بيت النبى لا تعــلم متى بدت فى منزله ومتى يفارقه وتبين حينئذ أن ترجيح هذه الرواية لا توافق قواعد البحث وان تأخير هيكل حادثة الاسراء الى ما بعد زواج عائشة اخـلال فى ترتيب وقائع التاريخ ، وأشار الى خطئه فى الربط بين حادث المعراج بمذهب وحدة الوجود فالاسلام لا يعرف وحدة الوجود ولا معنى لوحدة الوجود فى نظر الاسلام الا اعطاء الكون صفة القدم والبقاء ومعنى ذلك تأليه الكائنات وهو ليس فى الاسلام .

٢ — وتحدث باحث آخر (مجلد ١٠ — ١٩٣٦) فأشار الى نقدات أخرى فى كتاب حياة محمد منها قول هيكل بأن العظماء فوق القانون البشرى أى انهم لا يؤاخذون على ما يبدو منهم مخالفا لما يعهده الناس وهذا القول ان قيل فى بعض العظماء فانه لا يقبل اسناده الى الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، اذ أن عظمتهم نقية من كل ما يجلب نقــدا أو يسبب ذما ، وما يعملون حق وصــحيح لا غبار عليه وتصرفاتهم حكيمة لأن الله اصطفاهم برسالاتهم وصنعهم لنفسه وهم القوة الكبرى والمثل العليــا للبشرية فما كان للدكتور أن يقول ذلك وان حسنت نيته والكتابة عن الرسل والأنبياء فى حاجة الى احتياط عظيم ، والخطأ فى حق الأنبياء غير معفو عنه وفى غيرهم قد تزول به التبعة بالاعتذار وادعاء حسن النية .

٣ — لم يرض المستشرقون عن تعدد زوجات النبى مع أنهم راضون بتعــدد زوجات الأنبياء السابقين وعــدم رضاهم معلل غــير خالص ، ولم يستطع الدكتور هيكل ان يجلى هذه المسألة ويدافع عن نبيه الدفاع

الواجب ، ولو أن الرسول تزوج نسائه فى شبابه وابان قوته لكان للمستشرقين شبه عذر ومندوحة ، وكان الطريق معبدا امام الدكتور ليحسن الدفاع ولكنه لا يزال متأثرا بدراساته الأولى على ما يظهر .

٣ — وفاة ابراهيم : الصورة التى رسمها الدكتور هيكل لحزن الرسول على ابراهيم لا تتفق مع جلال النبوة وعظمة الرسالة اذ صوره واضعا ولده فى حجره وعيناه تذرفان مما يشبه أن يكون ضعفا عن احتمال صدمة الموت والحقيقة أن رسول الله أسمى قدرا من أن يصدر منه ما صورته براعة الدكتور هيكل ، ولا يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم صدرت منه الألفاظ التى نسبها اليه الدكتور هيكل متساوقا مع شعوره وبرة بالخطوط الجميلة الاخرى . أن ما ترتكبه الصحف من دناءة النشر من حزنه على وفاة ولده غير .

٤ — اسلوب هيكل : حين كتب عن رسول الله لم يتناسب مع المطلوب له فجاء أشبه بما يقال عن العظماء من غير الأنبياء والمرسلين ، والمفهوم أن الكلام عن المرسلين يستلزم روحا خاصة واسلوبا دقيقا وحيطة وحذرا من الانزلاق فيما لا يجب . وهو لم يبلغ الغاية المرجوة فى تصوير حياة رجل هو رمز الانسانية وسيد الكائنات .

ثانيا — جريدة الاهرام :

وكان لجريدة الأهرام دور خطير فى حركة التغريب وقد اشارت الفتح الى اعتمامها باعلانات الخمر (م ٥/٦٢٥) .

قالت : كانت الصحف الاسلامية فى مصر كالفتح واللواء قبيل الحرب العظمى والأخبار فى السنوات الماضية لا تنشر اعلانا عن أى شيء من الأشياء التى نهى الاسلام عنها وفى مقدمة ذلك الخمر والميسر . وقد أتى على الصحف الاسلامية الثلاث وعلى اصحابها وقت شعروا فيه بالعسرة المالية الشديدة ، ومع ذلك فانهم كانوا يتعففون عن مال السحت كما امتنعت عن ذلك جريدة المقطم ، بينما ان جريدة الأهرام وجريدة المساء التى هى لسان حال الوفد فى مصر يتفننان فى نشر اعلانات الخمر مرة بالخط الكوفى

ومرة بالخطوط الجمينة الأخرى ، ان ما ترتكبه الصحف من دناءة النفس لهذا المورد الذى يستنكره الشرع والعقل فضلا عن أن هـــذه الاعلانات تتناول الخمر المصنوعة ببلاد الانجليز الذين نريد منهم أن يجلو عن مصر .

٥ — الأهرام جريدة فرنسوية للفرنسيين (١٩٣٢) :

وكتبت الفتح تحت هذا العنوان تقول : عجيب أن يكون الأهرام اكثر غيرة من الفرنسيون أنفسهم الذين لهم فى مصر وزير مفوض وتناصل ، تتلون جريدة الأهرام باللون الذى تقتضيه الظروف زاعمة أنهـــا نصيرة لنحرية ، قد بلوناها فرايناها يوم ناداها داعى الحرية فى وطن أصحابها (الشام) وتضت مع الأجنبى على الأحرار الذين ينشدون الحرية وعملت جهدها على تثبيت أقدام الأجانب هناك ، ولم تغضب شـــعرة واحـــدة فى أجسام القائمين بهـــا يوم دمرت دمشق بالقنابل وها قد ناداها صوت الحرية اليوم من أقصى المغرب فخذلته ودست الدسائس لخنق هذا الصوت ومنع الناس من سماعه .

كذلك فقد تجاهلت الأهرام حوادث المغرب ، أن المسلمين فى مصر مهما نسوا من شىء فانهم لا ينسون موقف الأهرام الكاثوليكية المتعصبة يوم انتصرت (لهانوتو) على المسلمين ودافعت عن اساءته الى الاسلام ونشبت بينها وبين المؤيد يومئذ تلك المناقشة التى ابانت بهـــا عن ذات نفسها ، وكان بقلم الأستاذ الامام محمد عبده ، تلك الجولات الشـــهيرة فى هدم الباطل ورد كيد أعداء الاسلام فى نحورهم ، منذ ذلك اليوم يعرف المصريون جريدة الأهرام أنها فرنسوية أكثر من الفرنسيين وانهـــا أكثر تعصبا للكاثوليكية من الرهبان المتعصبين ، على أنها اليوم فى موقفها تجاه كارثة المغرب قد لبست الخزى كله وتسربلت بالتعصب الذميم من رأسها الى قدمها . هل يليق بجريدة كاثوليكية تعيش من قروش المسلمين ان تقف هذا الموقف المخزى فتوجه كلاما بعيدا عن الأدب نحو علية هذه الأمة وكبار الفضل فيها ، كل ذلك لأجل ان يحمل العالم الاسلامى على ان يخذل اخوانه مسلمى المغرب .

٦ — وتواصل الفتح هجومها على جريدة الأهرام تحت عنوان :

« الأهرام شر وسيط بين الاســلام وفرنسا »

فيقول فى المجـلد الخامس (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٢ م) : كانت جريدة الاهرام تظن أنها أدخلت مصر كلها تحت نفوذها الصحفى ، فالخبر الذى لا تاتى به الاهرام يجب الا يكون معروفا فى مصر ، فلما انتشر فى مصر خبر الحملة الصليبية التى أحكم الفرنسيون تدبيرها فى المغــرب ، كان ذلك سبب دهشة عجيبه فى غرفة رئاسـة تحرير الاهرام اذ كيف يجوز لمصر أن تذيع فيهــا خبر لم تر جريدة الأهرام مصلحه فى ذيوعه ، ثم لما ارتفع صوت مصر بالاستنكار كان صوتا جهوريا تسمعه القدس ونابلس ودمشق وبغداد وبومباى ودلهى وطهران وسنغافورة . وسورابايا فضلا عن مكة وصنعاء ، وقع البهت فى غرفة رئاسة تحرير الأهرام حينئذ صدرت الاهرام وفيها اتهام لمن يعارض الحملة الصليبية فى المغرب بانه يريد أن يشغل مصر عن قضيتها فهزات مصر بهذا الاتهام وقالت لجريدة الاهرام الفرنســـية للفرنسيين : أن قلب المسلم يتسع لواجبه الدينى وواجبه الوطنى الذى هو من واجبات دينه ايضا .

السـموم فى مجال المجتمع :

٤ — وتواصل الفتح هجومها على مخططات الأهرام الاستعمارية والتغريبية فكتبت (م ٦ ص ٢٦٨) هل الأهرام تريد حقيقة أن تبرر عمـل فرنسا فى المغرب تمهيدا لمثله فى مصر .

قالت : ان جريدة الأهرام تعمد الى قضايا المحاكم الشرعية فتضـــع عنها روايات غثة محرفة مزورة تفضح بهـــا الأسرة الاسلامية وتحط من كرامتها وتشهر بها من طرف بعيــــد تنادى بانحطاط النظام الاســـلامى وبالتبعية تحفر تحت جدار المحاكم الشرعية المصرية وتحت جــدار احكام الاسلام . وذلك لما يقال من أن فرنسا لما أوقعت بالاســـلام نكبة الظهـــير البربرى ، وكان هذا عملا بربريا لا يبرره شىء ولا يغسله ماء البحار جميعا ، تعهدت الأهرام بأن تبرر هذا العمل ، بايقاع مثله بمصر أم البلاد الاسلامية ، ومن ذلك الحين فقد أخذت تنشر الروايات التى تشوه فيها وقائع القضايا بالتحريف والزيادة والنقص . وانها تنشر تحت امضاء مزور مجهـــــول

طعنات فى الأسر الاسلامية ونظامها ومحاكمها ، وما ذلك الامضاء الا قلم التحرير والحروف الموضوعة باسفل المقال نغمة مكشوفة .

ومن دلائل سوء نية الأهرام كونها تقتصر فى هذه الفضائح على الأسر الاسلامية ولو أنها اشتقت من المجالس الملية امثال هذه الوقائع بين الأزواج غير المسلمين ، لتبين لنا أن ما تنشره عن قضايا الأسر الاسلامية لا يكاد يعد فى جانب قضايا الأسر غير الاسلامية شيئا مذكورا ولكنه التعصب الممقوت والخطـــة المرسومة لتشويه جمال الأحوال الشخصية الاسلامية .

٥ — هل جريدة الأهرام تحارب الأمة كلها :

وكتبت الفتح تحت هذا العنوان يقول : من زمن بعيد تذيع الأهرام حوادث شاذة بين نساء ورجال وبين بنات وأزواج وزوجات ماسة بتلك الحوادث الشرف شائنة للعرض هادمة البيوت الرفيعة مطاطئة للرؤس العالية مسودة للوجوه البيضاء وهى حوادث لو نشر الأهرام لها فى أنحاء العالم لظلت فى دائرتها الضيقة لا يشعر بها الا أفراد قليلون فنشرها ذلك وصمة للمصريين بين الأمم ، ولا يصح لجريدة تحترم جمال أمة ان تقدم بكل جراة على فضيحة هذه الأمة التى لا حياة لها الا باحساسها وعطفها وهى من ناحية أخرى تنشر تلك الرزائل بين أمة اخص خصائصها المحافظة على مكارم الأخلاق ، هى بذلك تنشر مرضا وبائيا فتاكا للأعراض فلا يقف أمامه علاج مهما كان الأطباء من المهـــارة الحـــذق وهى بذلك تزكى نار الفتن وتؤججها . ان هذه الحوادث الضئيلة التى تعد على الأصابع يستحيل ان يخلو منها امة تعد بالملايين ، لقد تقدمت الأهرام الى ان اصبحت داعيـــة على المكشوف لابنائنا وبناتنا الى كشف قناع الحياء وطرح رداء الفضيلة وخلع العذار والتقدم الى حيث يدعو الحب الكاذب اربابه ان تخرج البنت الشرفية على ابيها وزوجها ولا تكترث بارادتهم وتهنئها الأهرام اذا هى اجترأت على هذا المنكر المنظم ولم تدر الأهرام أنها تدعو ابنائنا وبناتنا الى ذل الأبد فان البنت اذا فعلت ما تشير به عليها الأهرام وهزت كتفيها لأنها غير مكترثة لرأيه توشـــك أن تقع فى ورطة لا تخلص منها ابدا (مصطفى أبو يوسف الحمامى) .

واضافت الفتح : ان الأهرام لم تقف عند باب القول فاضافت باب الفعل بتلك الصور الفاضحة التي يستنبعث من رؤيتها الأدب . هذا فضلا عن تحريضها على الانتحار في عناوينها التي تعنون بها حوادث الانتحار (الموت ولا الفاقة) (الموت ولا الرسوب) ايها القارىء المسلم : احذر من هذه الجريدة كما تحذر من النار الملتهبة والسم القاتل .

٦ ــ الأهرام والتبشير

كذلك نشرت الفتح فصولا عن موقف الاهرام من حركة التبشير فاذا هي تدافع عن المدارس الفرنسية التي يقوم بالتعليم فيها الرهبان الفرنسيون ، وهي التي جعلت اللغة الفرنسية في الحقيقة والواقع اللغة الرسمية في الدواوين والمتاجر والبورصات والجمارك وكل فروع الحياة في البلاد حتى مجلس الوزراء . وتدعي الأهرام أن هذه المدارس اللاتينية الكاثوليكية لا تدعو غير الكاثوليك الى دين الكاثوليك وتريد أن توهم قراء الأهرام بأن مدارس الكاثوليك غير دينية واستدلت على ذلك بأن القرير لا يسمح لهم بأن يعلموا الدين لانهم يجهلونه . يقول رئيس تحرير الأهرام هذا القول بعد أن قرأ الصفحات التي شكا المسلمون عظيم الشكوى من وجودها في كتاب (التاريخ المقدس ، وفيها أقبح سفاهة وسباب في حق أفضل خلق الله صلوات الله عليه الى أن انتهى الأمر بوعد القسوس ان يمزقوا ذلك الموضوع من الكتاب . تقول الاهرام هذا وهي تعلم ان تلاميذ مدارس الكاثوليك مجبورون على ان يصلوا الصلاة الكاثوليكية صباحا ومساء لا فرق بين الكاثوليكي والمسلم ثم تمن الاهرام على قرائها بأن مدارس الكاثوليك جعلت اللغة الفرنسية : اللغة الرسمية في الدواوين والمتاجر والبورصات والجمارك . ولو ان جريدة الأهرام تصدر في تركيا لوجهت اليها تهمة الاهانة ولقابلها الشعب بالاعراض عنها والمقاطعة قبل ان تعاقبها الحكومة .

٧ ــ نقد اعمال جريدة الأهرام :

ثم وجه السيد محب الدين الخطيب الى داود بركات رئيس تحرير الاهرام خطابا قال فيه : ان تحامل الأهرام على الاسلام واهله اصبح

ديدنا للصحف سواء عرضت لذلك مناسبة صـالحة او مناسـبة غير صالحة ، ومنها كلمة (دمعة ملك) ان أمان الله خان رجل موتور قد سقط من أعلى المنارة الى اسفلها بلكمة قوية اصابته على يد علماء الأفغـان الذين يسمون هنا (الملا) أى أذى نال داود بركات من علماء المسـلمين حتى يضع على السنتهم ما يستحيل عليهم ان ينطقوا به ، حين حاول ان يصور علماء الأزهر فى معارضتهم للشـيخ محمد عبده فى تنغليف صحن الأزهر وغيره كفرا ، ان عظام الشيخ محمد عبده تتألم الآن تحت الثرى من مقالة داود بركات التى كتبها فى معرض الدفاع عنه والتحامل عـلى مخالفيه .

حاول فرح أنطون قبل داود بركات أن ينتصر لحرية المصـلحين فى زعمه فاتخذ الحكيم الاسلامى ابن رشد ذريعة ليقول ان علماء المسلمين كانوا جامدين وانهم حرضوا على ذلك الحـكيم واضطهدوه ، وقد نهض للرد على ذلك الشيخ محمد عبده نفسه فنشر آياته البينات بعنـوان (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

وكلمات داود بركات التى جاءتنا تلبس ثوب الدفاع عن الاصـلاح الاسلامى ولن تحدث كلماتها معاول تقوض الاسلام واصلاحه جميعا وتمثل علماء المسلمين بصورة مزرية .

٨ — وواصلت الفتح الهجوم على اخطاء جريدة الاهرام فاشارت الى أنها تنشر باعجاب شديد اخبار المؤامرة الخطيرة التى يقوم بها انا تورك ضد الاسلام وتدعو المسلمين الى مثل هذه الاعمال بزعم انها نهضة وبينما يقوم الأهرام بهذه الوظيفة نرى السياسة فى شـارع المبتديان وفى دار الهلال تقومان بنصيبهما فى هذه الدعاية زد على ذلك بلايا الجامعة المصرية والرابطة الشرقية فأصبح المسلمون محاطون بشبكة مؤامرة هائلة ما زالت تعمى عليهم الحق .

واشارت الفتح الى ان جريدة الأهرام رفضت محاضرة محمد ـلى مان تنيم الهولندى التى القاها فى جمعية الشـبان المسـلمين بالقاهرة بعنوان (الاسلام والمسيحية) وقد كان كاثوليكيا متعصبا للكاثوليكية ثم

التحق باحدى البواخر الهولاندية فســــاح عليها فى كثير من ثغور الوطن الاسلامى كالقسطنطينية وبيروت فحمله ما شاهده من عادات المســلمين وتقاليدهم الى دراسة الاسلام ، وقد حولت دراسته للاسلام وجهته عن غاية والده فى الحاقه باحدى الكنائس ، والتحق بالجيش الهولندى ، وقرأ عن الاسلام بالهولندية والالمانية والجاوية واتصل بالمســلمين الجاويين الموجودين فى هولندا فوجد نفسه مصدقا بصحة الدين الاسلامى .

واشــارت الفتح الى ان جريدة الأهرام تدافع عن قساوســة الكاثوليك المبشرين فى الديار الشامية ، وتعمل على تشــجيع التبشير اليسوعى فى جبال العلويين حيث تؤيد فرنسا التبشير الكاثوليكى فى الديار الشامية كما أيدته فى المغرب .

٩ — نشرت الأهرام محاضرة مسيو تيجدور على ثلاثة أيام متتالية ، هذه المحاضرة تتحدث عن نظام الميراث وتنتقد نظام الاســلام وتنســب اليه الفظاعة فى توزيع الثروة وتمتدح البنك العقارى لانه نزع ملكية ١٥٠ عزبة بها ٣٠ الف فدان لعدم قيامهم بدفع قيمة رهنياتهم فبدلهم من اليسر عسرا ومن العز ذلا .

قالت الفتح : أعلن الاستاذ نزعة الراسمالية التى جاء الاســلام يحاربها بنظام الارث الذى ينقده الأستاذ لأنه يوزع المال بين الأفــراد لينشر الديمقراطية فيما بينهم وهو لذلك يطلب نشر تشريع وضعى ينكل فيه ما جاء فى القرآن الشريف والذين يؤمن به ثلاثمائة مليون من النفوس وهو يشــن الغارة على أن يكون للذكر مثل حظ الانثيين ويرى حرمان الأولاد من تركة أبيهم وحصر التوريث فى البكر وحده .

وقالت الفتح ان المسألة اكبر مما يبدو للأســتاذ عزيز خانكى لأن نظام الميراث بحدوده المعروفة ليس فقط نظاما اجتماعيا بل عبادة لله تعالى توعد كل من يتعدى حدودها بالخلود فى النار والعذاب المهين .

ان المسألة فى هذا الموضوع لا يقوى عليها ايجــاد التشريع الذى تطالب به حكومة مصر بوضعه لمخالفة احكام الدين الاسلامى الذى هو دين الدولة الرسمى .

ثالثا : صحف دار الهــلال :

وواجهت الفتح مؤامرة صحف دار الهلال والدعاية ضد الاســـلام وهاجمت كتاباتها وصورها الاباحية فقالت : انها صحف تدخل الى العاتق فى خدرها لتخرجها منها ، وهى مهوى الطالب والأستاذ والطفل والشيخ بما يظهر من صور تثير شهوات الشباب المتقد وتنشر فى الملأ أخــلاقا وآدابا ما جاء الاسلام وهو دين الهدى ودين الحق ، الا حربا على كثير منها وقد ادخلوا فى أذهان الناس أن علماء الاســـلام جامدون رجعيون وانهم هم المجددون المصلحون ، فكلما لاح لهم مقصد رموا الشيوخ والأزهر والمحاكم الشرعية بما تجدد به أداتهم وكانوا لا يكادون يصرحون بما تضمنته قلوبهم الا لماما ، ومن ذلك دعوتهم الى الغاء المحاكم الشرعية .

١ — وقد كتب الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى الى دار الهلال فقال :

لاحظت مرارا فى صحفكم (الهلال وكل شىء والفكاهة) كتابات تمس الدين الاسلامى وتهزأ بعلماء الاسلام . ولاحظ هذا الخزى كثير من الناس وآلمنا أشد الألم ما بصورة من جرائد مســيحية ليس لها أن تتعرض لدين الاسلام وانلكم لم ترو جريدة اسلامية فى مصر تطاولت بكلمة تمس الدين المسيحى ، اننا لا نريد من صحف الهلال أن تكون نصيرة للاسلام ولكننـا نرجوها أن تبعد عن التعرض له فى كتاباتها .

٢ — وكتب الأستاذ حسن محمد يوسف رئيس شباب محمد صلى الله عليه وسلم (م ١٧ الفتح) ١٩٤٢ : لاحظنا فى السنوات الأخيرة من الهلال ومجلاته انحرافا خطيرا عن الغاية التى كان يجب أن يعمل لهـــا فاذا (بالاثنين والمصور والايماج) تساير التحلل الخلقى الذى غمر البلاد، بل تعمل على اذاعته والترويج له بدلا من أن تحرص على مقاومته والكفاح ضده مما دابت عليه من نشر الصــور شــبه العارية والمنافيــة للآداب ومناظر الحفــلات الخليعة وبما يروج له من مبادىء آثمة تنافى تقاليــد البلاد بل وتنافى كل عرف فاضل وذوق سليم .

بل ان الانكار على دار الهلال لم يزد الأمر الا سوءا ولم يقف عند هذا الحد بل تعداه الى السخرية من بعض الآداب الاسلامية العالية والنظم القيمة التى احكم الشـــارع وضعها وكفل لها ولمجتمع كل طهر وفضيلة ورقى كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ومهما يكن من التسامح الذي يطالبنا الاسلام به فليس فى استطاعتنا مطلقا أن نتغاضى عما نعتبره تحديا لدين البلاد وشعائرها وتحقيرا لمقدساتها ولا شك ان اســـتمرار مجلات الهلال على السير على هذا السبيل لن يؤدى الا الى اساءة الظن بأصحابها والغاية التى يعملون لها ولاسيما وانها تروج لنوع واحد من الآراء التى تعتبر مضادة للاسلام وشعائره فاذا طلب منها ان تنشر ما يعتبر ردا على هذه الآراء امتنعت كما فعلت مع حافظ عامر على مقال دعمق دياب .

رابعا : مواجهة الكتاب التغريبيين

سلامة موسى :

وقد واجهت الفتح سموم سلامة موسى فى مقاله (اوكار الرجعية فى مصر) ..

تكتب عمر الدسوقى يقول : لم يكن عجيبا من سلامة موسى أن يعد الذادة عن بيضة الاسلام أوكارا للرجعية ، ولم يكن عجيبا أن تســـمعه يفحش القول فى الأمير الاسلامى المجاهد : شكيب ارسلان وينكره ببذاءة ليس أولى بها من قائلها ، وما كان هذا القبطى المعروف بعدائه للاسلام ليتعرض للأمير المجاهد بسوء الأدب لولا المواقف المجيدة التى يقفها الأمير فى سبيل اعلاء الدين الحق . لباس جديد يرتديه سلامة موسى فى الطعن على الاسلام وما أكثر ما يتشكل به ســـلامة موسى ليخفى عن الناس أغراضه ويؤدى مهمته وهو فى مأمن من عيون النقدة . لبس سلامة موسى ثوب الغيرة على مصر ، مع انه سمســـار الغرب والغربيين وراح يذم السيد رشيد لانه سورى ، الذى يشغل سلامة موسى ويداب دائما صوبه هو الغض من شـــأن الاســـلام وذم المدافعين عنه ، ولهذا حشر فى زمرة الرجعيين اثنين اشهد انهما من أكبر المجددين ، التجـــديد المثمر الناهض للأمة : محب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى . ولقد كان هؤلاء

سوريين أصلا فهم مصريون قلبا وعاطفة ودينا ولغة وأن المصريين ليبجلون هؤلاء الثلاثة ويعترفون بما لهم من قدم راســـخة فى النهضة الأدبية فى مصر ، ابرأ شباب مصر الناهض أن يقع فى حبائل من يزعمون أنفســـهم مجددين ومصلحين فليس ما يدعون اليه الا استعمارا دائما وذلا مقيما ، وماذا تبتغى أوربا من الشرق الا أن ينديج فيها اندماجا بعاداته وأخلاقه وينسى قوميته ويترك لغته .

وقال الأمير شكيب : ومن محاسن العرب ان يكون أعداؤهم مثل سلامة موسى اباحية يدعون الى اختلاط الانساب ولا يرون بأســا فى ان لا يعترف المولود بأبيه وهى الشـــناعة التى أراد بعضــهم ان يعزوها للبوتشفيك فبرأ هؤلاء منها واكبروا الأمر وهم البولشفيون الشيوعيون .

واشارت الفتح ان سلامة موسى يرى أن التجديد عنده هو نبذ الدين ظهريا والجمود عنده هو اتباع دين الله ، ومن كتابات سلامة موسى قوله : ان أفلاطون يبحث عن شيوعية النساء وفى ذلك الوسط الحر نشأ ادب نزيه خلو من القيود ولا يزال يوحى الى الكتاب وليس فى هذا النظـــام ما يخالف الطبيعة البشرية فان العائلة لا تزال موجـــودة بوجــود الأم (م ٤ الفتح) .

٢ — وواصلت الفتح مواجهتها لسموم سلامة موسى : فقال لســنا فى حاجة الى التذكير بمن هو الكاتب المعروف سلامة موسى الذى اشــتهر بأنه نزاع الى الهدم والتدمير . ان مصر العزيزة التى اضاء واديها قبسات النور فى فجر نهضتها اصبحت اليوم تكاد تستجدى لعصابة من الملاحدة الابيقوريين يرمونها عن قوس الزندقة ، بالسهم تلو الســهم ، ويتآمرون على اسلامها فى الجامعات والمطابع وينفقون الليالى يدبرون الأمر لكيدها فى دينها ومعتقدها وايمانها ويجرؤون باسم التجديد الكاذب المزيف عــلى الهزء بكتابها وشريعتها وتاريخها وآدابها ويعبثون كل يوم بيد من ايديهم الشريرة تجوس خلال حرماتهم المقدسة ، فاذا قال قائل ان سلامة موسى وشيعه الذين على مذهبه الاباحى ، يجب أن لا يكونوا فى مصريته ، فهذا لا محل له عن تحرى السنة الطبيعية فى المجتمع الانســانى لان هــذا

المجتمع لابد أن يكون عالقا به من العناصر الفاسدة شيء بمقدار قل او كثر ، ولكن وجه الاعتبار للقضية يفرض على مصر نفسها أن تكون فاعلة لا منفعلة . فتنبذ هذا العنصر وتعدمه الحياة .

ماذا يريد سلامة موسى وماذا هو مذهبه ؟ يريد أن يطوى بساط الدين الاسلامى فى مصر وأن يقوض عقائد التوحيد والايمان ويبطل الشريعة الاسلامية وتسقط تكاليفها وتنهار احكامها ، ويقصد أن تنتهى مصر من أقصى الحرية الاجتماعية المفرطة سننا لها مصطنعا بدلا من سنن الاسلام وحدوده وأن يحل الاستهتار محل الآداب والفضائل ؛ وهو يسمى هذا (الأدب المكشوف) وأن يسر المصريون بقضهم وقضيضهم نحو الحضارة الأوربية يغترفون منها اقترافا مطلقا بلا قيد ولا شرط ومذهبه ظاهر . فهو يقول ان الالتحاق بأوربة على هذا الوجه هو المنجاة الوحيدة لمصر من ربقة العهد الحالى — يعنى الاسلام وهو على راى زويمر راس المبشرين العاملين على اسقاط الاسلام من أن السبيل الاهون والأيسر الى ضعضعة هذا الدين تسليط الملاحدة من ابنائه عليه حتى يخرب بأيديهم ويكون المسلم الملحد حربا على المسلم المؤمن ، ومن ذلك هجومه على رشيد رضا ، وشكيب ارسلان ومحب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى (الفتح ١٣٤٨ — ١٩٣٠) .

٣ — ونقلت الفتح (م ١٩٣٢/٦) ما كتبته جريدة الجامعة العربية التى تصدر فى القدس عن سلامة موسى فقالت : لم تبق جريدة فى الدنيا تقبل أن يستخدم سلامة موسى الكاتب القبطى المتعصب على الاسلام ولا توجد جريدة تقبل ان تنشر له مقاله او شذره او كلمة وهو القائل فى مقال له :ان العالم يجب أن يكون حرا وان خالف الأخلاق فليكن له ذلك وهو الذى كان يشى بمجلات دار الهلال اثناء وجوده محررا بها .

نعم لم يبق انسان الا احتقر سلامة موسى او أعرض عنه بعد تلك الفضيحة وبعد تطاوله بما لا يليق على الامير شكيب وصاحب المنار وصاحب الفتح ، ولم تعد تقبله اى جريدة غير جريدة البلاغ المصرية وربما ظن الاستاذ عبد القادر حمزة أن سلامة موسى قد تاب وأناب ولكن سلامة

موسى وجد وسيلة اوسع انتشارا لاذاعة خبائثه ومعانده تلك هما جريدة البلاغ الاسلامية الوفدية .

فهل يدرى الاستاذ عبد القادر حمزة ما ينشر سلامة موسى فى جريدته فى العدد (٢١ ابريل ١٩٣٢) فى الصفحة الأولى تحت عنوان (الجزية السنوية التى كانت تؤديها مصر للسودان) ما نصه : وهناك (فى السودان المسلم العربى) نرى اهرام كتلك التى نراها فى الجيزة بناها ملوك كانت تجرى فى عروقهم دماء الفراعنة . هذا السودان الذى بللت ارضه بدماء جنودنا الذين استخلصوه من المهديين وردوه الى حظيرة الحضارة) .

وفى بلاغ ٤ مايو ١٩٣٢ تحت عنوان (شم النسيم) يقول :

هذا العيد هو بلا شك من اعيادنا القديمة التى تتصل ببعض الهتنا المنقرضة مثل رع وازوريس وغيرهما من الهة الفراعنة) .

واريد ان اسال هل بلاد السودان فرعونية ؟ وهل يعتقد هذا ان اخذ السودان من الدولة المهدوية الاسلامية المستقلة المجاهده من الاستعمار ثم وضع السيطرة الانجليزية عليه كما يقول سلامة موسى هو رد الى الى حظيرة الحضارة وهل يعتقد عبد القادر حمزة أن رع واوزوريس وآمون آلهته . الم يقرا هذه المقاصد الشيطانية فى جريدته وان كان قد قرأها فكيف سكت عنها !

٤ — وعادت الفتح الى مراجعة كتابات سلامة موسى (م ١١/ ١٩٣٧) :

قالت : الرجعية فى نظر سلامة موسى هى الاسلام وما نحاوله من رجوع المسلمين اليه ونقف دائما عند حدود الدفاع المشترك تجاه الفئوس الكثيرة التى أعدت لهدم ذلك البناء المشمخر مقالة اوكار الرجعية من شكيب ومحب و ..

كتب سلامة موسى تحت عنوان فساد يتفشى فهو يرى ما يكتب عن الاسلام فساد يتفشى ..

كنا نحب أن نعالج الضغينة التى فى قلب سلامة موسى فنستلها وننظف قلبه منها ونبدله بشىء من المحبة التى أمر بها السيد المسيح صلوات الله وسلامه عليه ولكن ما دمنا نصدر الفتح فمن المستحيل أن يرضى عنا سلامة موسى وسيزداد حقدا وضغينة .

وقالت الفتح : قال عزيز جريس عطية عن المعز لدين الله : انه فاتح أجنبى (مع انه لم يكن فاتحا ولم يكن أجنبيا) وقال مرقص سميكه انه تنصر وقال سلامة موسى انه سمى القاهرة بهذا الاسم : يريد قهر المصريين والتغلب عليهم ، واذا كان شىء تغير فهو اسم الاسكندر لانه منسوب الى اسم أجنبى وأنا اكرر ذلك فانه تشويه للتاريخ .

واشد ما قاله سلامة موسى هو أن العرب لم يشتغلوا بالطب بطريقة علمية صحيحة ، وذلك لتحريمهم التشريح وقد أجاب عبد الحميد السيد واثبت أن الاسلام لم يحرم التشريح بالمعنى الذى يفهمه سلامة موسى وان العرب كانوا يقومون بمختلف العمليات الجراحية بكثير من الآلات الطبية المعروفة الآن من مباضع وغيرها .

٥ — وقد وجه السيد مصطفى صادق الرافعى كلمة الى سلامة موسى قال فيها :

زعمت أن ليس فى دمى قطرة من الدم المصرى ، وهذا كذب فان والدتى مصرية وأنا مولود فى مصر وزعمت انى أقول أن الأزهر لو كان قد أنشىء فى بلاد أخرى لكان له شأن عظيم وهذا كذب دنىء فان مقالاتى وكتبى منشورة مقررة وليس فيها ذلك ولا ما يشبهه ، وقلت انى طبعت كتابا لى مرة ثانية وخشيت أن لا يشتروه فغيرت اسمه وانا أتحداك أن تجيئنى بكتاب فى الأدب العربى بلغ رواجه ما بلغ كتابى هذا (اعجاز القرآن) ثم قلت واراد أن تكون كلمة حسنة فى سعد باشا فقال عن جثمانه انه رمة من الرمم واحسن الى قرائى بنشر كلمتى التى رثيت فيها سعد باشا (٨)

واشار محمد محمد الصيحى الى ان سلامة موسى يطعن على ادباء اللغة العربية وينادي بنشر الادب الفرعونى (ان كان هناك أدب فرعونى) والدعاء للأدب الغربى ويرى انه اقرب الينا من الأدب العربى .

٢ — الدكتور فخـرى :

ووجهت الفتح ردا مدحضـا الى الدكتور فخرى فى اتهامـاته التى وجهها للاسلام ،

ويقول عمر الدسوقى : طالما كنت أصـارح اخوانى بالغرض الذى من أجله تاسست الجامعة الأمريكية بمصر ، اهى للثقافة والتربية خالصة لوجه الانسانية ، ام هى لمهاجمة الاسلام باساليب جديدة ، وانما تتخـذ من العلم والتربية ستارا تعمل من ورائه لتحقيق أغراضها وأنها تستدرج شباب الاسلام الى سماع محاضراتها حتى اذا استأنس بها بعضنا أخذت تنفذ أغراضها بتشكيك المسـلمين فى أمر دينهم وفتنتهم عن معتقدهم ؟ والآن وقف الدكتور فخرى يخطب ويعرض بالشريعة الاسلامية ويزعم أنها جائرة حيث كبلت المراة بالأغلال ونزلت بها الى الحضيض ، فانه لم يعد هنـاك ريب فى نية جماعة الأمريكيين وأنهم كانوا يمهدون الطريق طوال المدة السابقة لكى يصلوا الى غرضهم ، كيف تعرض للشريعة الاسلامية وهو لا يفقه فيها بحكم مهنته شيئا ولا بحكم دينه يعرف من الاسلام قليلا او كثيرا . ان الاسلام يحتاج الى قوة تضرب على يد هؤلاء الضـالين المضلين الذين يتعرضن له بالطعن وهم فى غواية يعمهون .

٣ — محمد عبد الله عنان :

وردت الفتح على الدعاوى التى نشرها محمد عبد الله عنـان فى جريدة السياسـة (م ١٩٢٩/٤) فنقلت ما : قاله الاسـتاذ عنان ان الأساطير اليهودية تقول ان البراق هو البقية الباقية من هيكل سـليمان وترى فى التقاليد اليهودية الدينية اثرا من أجل آثار اسرائيل » .

وقالت الفتح : اذا كان الأستاذ يروى هذه العبارة حكاية الاساطير اليهودية بشان البراق فقد كان مأمولا منه الا يمر على الأساطير دون أن

ينصاع الى جانبها فالحقيقة تختص بعلماء الآثار وبهرة المعماريين لكن هذا تختص بالأساطير وليس فى علماء الآثار من يقول بان اى قسم من الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف ، الجدار الذى عنده ربط الرسول صلى الله عليه وسلم براقه يرجع فى عهد بنائه الى زمن سليمان بل المتفق عليه قطعا ان هذا الجدار بنى فى زمن لاحق متأخر جدا فزعم اليهود ان الجدار بقية باقية من الهيكل ساقط اساسا لأن علم الآثار والمعمارية ينفيانه نفيا باتا .

واشارت الفتح الى ان عنان يقول : ان اليهود اعتادوا ان يحجوا الى هذا الأثر وان يتعبدوا حوله وقالت الفتح : ان الحج والعبادة عند الحائط وحصول هذا منذ عهد بعيد ، بعيد عن الواقع فقبل مائة سنة تقريبا لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يزيد على عدد افراد الجاليات الأجنبية فى مصر اليوم ، يعيشون فى كنف الحكومة العثمانيه نجاة من الاضطهاد فى اوربا وفى كنف المسلمين فى القدس ما كانوا ليحجوا أو يتعبدوا عند الحائط فالمكان ليس الا عراء حيث لا معبد هناك ولا كنيسة فلما وجدوا هذا الحائط وسيلة للتقرب الى مكان الهيكل جعلوا يعظمون هذا الحائط ويتوسلون به لتقديس المكان كله وقد تساهل المسلمون معهم اشفاقا عليهم ولكن ما لبث اليهود ان جعل مسلكهم يذكر المسلمين بأن لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع وفى عهد ابراهيم باشا أصدر مرسوما حذر فيه اليهود من محاولة أى شىء سوى الزيارة البسيطة .

هذا أساس الشىء الذى منح لليهود منحه وهم اليهود بعد أن دار الفلك دورته يحاولون بقوة بريطانيا البرية والبحرية والجوية الاستيلاء على الحرم نفسه .

٢ — وفى احاديث نشرها عنان عن منشأ الحركة الصهيونية ، وأشار الى ما كان لهرتزل احد متقدمى اليهود من اثر فى هذا السبيل وذكر الحرب العامة وعون اليهود لبريطانيا الى أن وصل الى وعد بلفور ١٩١٧ وربط كل ذلك بغشيان اليهودلفلسطين واقبالهم عليها تعميرا وتحضيرا وترقية ،

وقالت الفتح : ان من كان فى فلسطين يعلم ان الاستاذ بكلامه هذا

اكبر أعمال اليهود اكبارا فائق الحد مما دل على انه لا يخلو ذهنه من نواح قابلة التأثر بالدعاية الصهيونية ، ولكن ما هو أعجب ، ومحل مؤاخذة أن الأستاذ في كلامه عن الحركة الصهيونية لم يضع في مقابلها الحركة العربية والثورة العربية في الحرب العامة وقطع الانجليز العهد تلو العهد للعرب بأنهم مستقلون بعد الحرب في ديارهم كيف وقف الأستاذ حيال الحركة الصهيونية معجبا وهي ترمي الى سلب بلاد من اهلها بمساعدة الدولة التي تاجرت بدماء أهل البلاد العربية وذكر الأستاذ أن اليهود في القدس وهم مائة وثمانون الفا منهم في القدس ثمانون الف فهل اطلع حضرته على احصاء الحكومة الرسمي ، احصاء الحكومة الساعية في انشاء الوطن القومي لسكان فلسطين ، اذا كان لم يطلع فاخبره أن عدد سكان القدس جميعا من المسلمين والمسيحيين واليهود لا يزيدون عن ٩٠ الفا منها نحو ٣٥ الفا من اليهود فأين الثمانون الفا .

٣ — وكتب كاتب آخر تحت عنوان : (هل الأستاذ عبد الله عنان يهودي صهيوني) قال :

كنت أظنه مؤرخا صادقا يشرح وجهة نظر العرب من ناحية ووجهة نظر الصهيونية من ناحية اخرى ثم يقضي على ذلك بالحقوق التاريخية والمكتسبة للعرب ولكني وجدته خص نفسه بشرح نظرية اليهود واطرح أمر العرب وزاد الظن بدفاعه المستتر مرة والمكشوف مرة اخرى على القضية اليهودية ، فجعلت اعجب لهذا الكاتب واعتقدت انه اما معتنق مذهب الصهيونية يعطف عليها ويدافع عنها واما ذو هوى في خدمة مصالح اليهود فراح يتهوس تحرقا على قوميتهم .

كل الصحف السيارة في مصر في واد وجريدته الشاذة في واد آخر .

وينسى أو يتناسى أن فكرة الوطن القومي اليهودي اشتريت بأموال اليهود في الحرب العظمى واستغلال ضعف العرب فأراد الصهيونيون أن يغتصبوا أرضهم وديارهم وأموالهم بدون مسوغ من القوانين الوضعية والحقوق الدولية ، الا تلك الدعاية التي بثها اليهود في انحاء العالم ، ولم

يعجزوا عن أن يجدوا فى مصر لسانا رطبا تحركه المصالح والاهواء ، أعنى لسان جريدة السياسة فى مصر فبينما فلسطين بحر من الدماء واليهود يتحرشون بأهل البلاد العزل من السلاح والعالم العربى والاسلامى يضج من هول المأساة اذا بهذا الكاتب وزمرته يقولون ما لا يعلمون (ص ٢٦٨ م ٤ الفتح) .

٤ — وكتب السيد محب الدين الخطيب معلقا على مقالات محمد عبد الله عنان عن فلسطين فقال : آتى فى هذه المقالة على اشياء لا يصح السكوت عليها لسببين : الأول لأن التقرير الذى نشره مناقض للحقائق والثانى لأنه مال على الصهيونية بكثير من الاشادة بذكرهم وذكر جهودهم وثمرات جهودهم فى فلسطين وما وراءهم قوة يهودية وغير يهودية فى الحاح بحيث كاد يلقى فى فهم القارىء ان الصهيونية فى طريق الفوز والنجاح . ثالثا : انه فعل هذا دون أن يتوجه الى اهل فلسطين العرب بانصافهم فى مالهم من حق طبيعى فى بلادهم بل من حق كامل فى دفع الصهيونية عن البلاد دفعا مشروعا جائزا .

وقد خاضت (السياسة) فى الأيام الأخيرة بعد نشوب الفتنة فى فلسطين خوضات عديدة كان لها اسوأ الأثر فى نفوس عرب فلسطين وعرب فلسطين مسلموهم ومسيحيوهملا يريدون من (السياسة) ان تدافع عن حقهم ، وما دامت السياسة تحارب المصريين لاعرابهم عن شعورهم نحو فلسطين باعتبارهم مصريين مسلمين بل ترجو أهل فلسطين من السياسة أن لا تكون عونا للصهيونيين فى دعايتهم فالقضية من جهة عرب فلسطين قصير دفاع عن وطن وأمة وبلاد .

٤ — عباس العقاد :

وأشارت الفتح الى مقال العقاد الذى أعلن فيه دهشته من ظهور عشرين كتابا عن الاسلام فى اقل من عام (محمد كرد على واحمد أمين وهيكل وطه حسين وفريد وجدى) ويرى أن هذه ظاهرة اجتماعية لها سر وهى تساند ضد الحركة الوطنية (م ١٠/ص ٢٥٥) .

قال السيد محب الدين الخطيب : أنا منذ بضعة عشر عاما الى الآن

أدعو شبابنا المثقف الى التخصص فى دراسة التراث الاسلامى العظيم وتنظيمه على النحو الذى فعله المستشرقون والمستغربون ولكن بنية غير نيتهم ، فهم ينظرون اليه بعين الضرة الى بنات ضرتها ونحن نريد من شبابنا ان ينظروا اليه بعين الأم الى بناتها ، والمستشرقون يدرسون ليستعينوا به على استعمار أوطاننا ونحن نريد من مثقفينا أن يدرسوه ليصلوا به آثنا بماضينا ويتخذوا من قوته حصنا يجمع شبابنا ويحمى حمانا .

أنا أنشد نهضة اسلامية لها مدارس توجه ناشئة الاسلام الى هذه الوجهة ويمثل عندهم غيره على هداية الاسلام لا تزاحمها فى قلوبهم غيرة على أى شيء آخر والغيرة على هداية الاسلام كفيلة بتجهيز الوطن بجنود يحسنون الذود عنه ويضمنون خلاصه .

أنا أشهد نهضة اسلامية مؤيدة بصحافة يومية واسبوعية وشهرية تحرص على تكوين هذه الحقائق فى الرأى العام الاسلامى وتوجهه فى طريقها .

٢ — وكتب (على احمد باكثير) م ٩ من الفتح ١٩٣٤ تحت عنوان حديث مع ملحد يكتم من قرائه الحاده قال انه التقى بأحد كتاب مصر ودار بينهما حوار ، فقال الكاتب الكبير :

ان الأمة ليست بحاجة الى الدين ولكنها بحاجة الى الاخلاق ، فالأخلاق وحدها هى التى ترفع الامة الى مستوى الأمم الراقية وليس الدين ، قلت : انى لا افهم فارقا بين الدين والاخلاق فالدين الذى تتحدث عنه هو الدين الاسلامى الذى هو دين الأخلاق والأخلاق فى اسمى مظاهره وأصدق مدلولاتها وحسبك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل: انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .

قلت : اننى تلقيت تربية اسلامية صحيحة ولم اقل دراسة بين الكتب وشروحها ، بحسب تربية الناشئة على المثل العليا فى الاسلام وتاريخه من التضحية والصبر والشجاعة والكرم والايثار والصراحة ، ونكران الذات

ولتنشئتهم تنشئة عملية على الطهارة والصلاة ، قال ان اوربا العظيمة لم تنهض نهضتها الجبارة الا بالأخلاق بعد ان عاشت قرونا بدينها فى الظلام .
قلت لا قياس مع الفارق ، لا اظنك تجهل الفرق العظيم بين الدين الاسلامى والنصرانية ولا أحسبك الا ذاكرا تلك الكلمة الخالدة لجمال الدين الأفغانى ترك النصارى دينهم فتقدموا وترك المسلمون دينهم فتأخروا هذا محمد عبده أتراه يذهب الى ما ذهبت اليه فى أن تنبذ الأمة دينها وتذهب تستجدى الأخلاق أم يذهب الى طريقته المشهورة فى الاصلاح الدينى ونقرر أن الاسلام ضرورى ليس لسعادة الأمة الاسلامية فحسب بل لصالح العالم كله ».

ملحوظة : صرح الأستاذ باكثير رحمه الله أن حديثه هذا كان مع العقاد .

٥ — زكى مبارك :

أشارت الفتح الى ان الدكتور زكى مبارك كتب مقالا فى البلاغ الأسبوعى فى نقد آراء ابن فارس فى فقه اللغة ، هذا النقد عنوان اتخذه لجرح الدين الاسلامى والعبث بآيات كتابه واطالة اللسان على العلماء والمجتهدين من أخيار المسلمين ، فقد اشار الى ما اسماه تناقض آى القرآن الصريحة وأثار الشبهة حول نص ثابت هو أن الله تعالى علم آدم جميع أسماء المسميات وعلم آدم بالمسميات كلها ثابت بنص الكتاب وعليه درج جمهور العلماء وفى مقدمتهم ابن عباس ، فما قاله تلميذ طه حسين رجم بالغيب وجنوح الى التضليل . واشار الكاتب (على ابراهيم القنديلى) الى جراة زكى مبارك على سيدنا ابن عباس وكيف سوغت له نفسه أن يطعن فى هذا الامام المتفق على ورعه وشدة تقوته فى المسائل الدينية ، لقد أمس هؤلاء الاباحيون بزخرف المدنية الغربية فعميت أبصارهم وطمست بصائرهم ».

٦ — محمد التابعى :

واشارت الفتح (مارس ١٩٤٢) الى مهاجمة محمد التابعى فى مجلة آخر ساعة للشريعة الاسلامية قال : المجلة التى تخاف على الزناة وعلى الحرامية من أحكام التشريع الاسلامى تتجاهل أن أحكام الشريعة الاسلامية

بحر لا ساحل له وانه يتناول جميع علاقات البشر بعضهم مع بعض ، فى بيوعهم ومعاملاتهم المدنية وغيرها ، وأن الذين درســـوه من علماء أوربا اعترفوا بأنه لم يخطر على قلب بشر معنى من معانى العدل الا وله ذكر فى كتب الفقه الاسلامى وقد لاحظه أئمة فقهنا وقالوا به وأرجعوه الى أصله من الكتاب او السنة او الاجماع او القياس ، اذا شاءت مصر أن ترجــع الى تشريعها الصحيح الذى لم يكن يعرف غيره منذ بضعة عشر قرنا فانها ستبدأ منه بالتشريع المدنى ، اما التشريع الجنائى فنحن أنفسنا نرى أن تسبق العمل به اصلاحات اجتماعية تقطع دابر الفقر المدقع ، الذى هو الدافع الأول الى السرقة والى أكثر الجرائم التى يتعرض أصحابها لطائلة القانون .

وقالت الفتح : مجلة يحررها كاتب مسلم فى مصر اسمه محمد يتهكم بالتشريع الاسلامى . هذا التهكم والأستاذ فمرى من كبار علماء هنغاريا يقول :

ان فقهكم الاسلامى واسع جدا الى الدرجة التى أفضى العجب كلما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والاحكام الموافقة لبلادكم ، مسلم فى وطن الأزهر ينشر هذا الهراء بينما العلامة ســـــانتلانا يصرف أنضر سنوات عمره فى تنظيم احكام الاسلام المدنية منذ عام ١٨٩٩ وتعمل بهــا محاكم تونس المدنية بموافقة الاحتلال الفرنسى واستحسانه ، مســلم فى ديار الاسلام تكون هذه ميوله من جهة الاسلام والتشريع المحمدى وأمين نخلة النصرانى اللبنانى يقول عن محمــد صلى الله صلى عليه وســــلم ورسالته :

يا محمد : يمينا بدينى : اننا فى هذا الحى من العرب نتطلع اليك من شبابيك البيعة فعقولنا فى الانجيل وعيوننا فى القرآن .

٧ — توفيق الحـكيم :

فى المجلد ١٣ من الفتح (١٩٣٨) كتبت الفتح ردا على مقال توفيق الحكيم (هل يوجد اليوم شرق) قال : الذين يسالون هل يوجد اليوم شرق

يريدون أن يقولوا هل للاسلام اليوم وجود . ومدار هذا السؤال على مبدأ آخر يجب أن ينتهى من الحكم فيه وهو هل الحضارة الغربية كل لا ينجزأ : فتحث الشرق على نهضته ان يأخذ بها كاملة من البرنيطة الى الحروف اللاتينية الى العطلة فى يوم الأحد ، الى اعلان ان الاسلام ليس دين الدولة الى تقويض الأحكام الشرعية الى الغاء الأوقاف الاسلامية الى اباحة زواج المسلمات بغير المسلمين ، الى ابطال احكام الله فى المواريث وسائر الاحوال الشخصية ، الى غير ذلك من كل ما فعلته أنقره وما سوف تفعله ام ان الحضارة الغربية فيها الجانب القوى وهو جانبها المادى وفيها جانب ضعيف هو جانبها الروحى ويجب على الشرق فى نهضته ان يأخذ بالجانب القوى بتاسيس المصانع وتنظيم الحياة الاقتصادية أو اقتباس الأنظمة النافعة من الغرب مع تجديد نهضتنا الاسلامية والتمسك بها والضرب على أصابع كل حامل قلم يزهد الناس فيها بالتصريح أو الكتابة وجهره أو دسا أونفاقا .

هل يوجد اليوم الشرق ؟

هو يسأل الا يزال الاسلام باقيا ، وهل لا يزال له انصار أقوياء يعملون على بعثه وانعاشه واحياء سلطانه ، ونحن نقول له : ان الذى يقول بأن حضارة الغرب كل لا يتجزأ ويدعو الى الانسلاخ من الاسلام والأخذ بالتفرنج بكل ما فيه من قوة وضعف وجمال وقذارة ، هو رجل يغش المسلمين ويؤخر نهضتهم ويشغلهم بالسفاسف من الحقائق لأن فى الغرب جانبا قويا وهو علوم وصناعات وأنظمة وجانبا ضعيفا ، كما أن فى الشرق جانبا قويا وهو الهداية المحمدية التى أوجدت ألمع نهضة فى تاريخ الانسانية ولن تصلح الانسانية الا عليها وجانبا ضعيفا وهو ابطاؤه فى الأخذ بالعام الانسانى المشاع الذى كانت له حلقات ذهنية فى سلسلة تاريخية وسيكون لنا حلقات ذهنية مسلسلة مستقلة ، وقد أجمع الناصحون للشرق بأن نهضته ان لم يزدوج فيها علم العصر وأنظمته وصناعاته بروحانية الاسلام وهدايته ونوره فعاقبة الشرق المسخ والبوار ولا يرضى ذلك للشرق الا شانىء قبى آثم .

٨ — فريد وجـدى :

كذلك فقد واجهت الفتح ما كتبه الأستاذ فريد وجدى عن الكماليين فى تركيا فقالت :

تمكن الكماليون منذ سنين من استهواء الأستاذ فريد وجدى وتحريك عصبيته التركية التى يظن أنه ينتسب اليهـا فأخذ من ذلك الحين يترنم بالحانهم ويضرب على نغمتهم فنشر فى مجلة الحديث الحلبية مقالة عنوانها (الروح المصرية نعمة الهية) قال فيها بعد أن التقط من تاريخ الاسـلام ما التقط (فان العناصر الأدبية التى تتألف منها الروح المصرية ارقى بمـا لا يقدر من كل ما سبقها من العصـور الخالية . وقال : كان الناس فى الأزمان السابقة يعتبرون الحق للقوة وهى فى العالم الآن من يقول بهذا المذهب . لقد انقلب مؤلف كتابه المدنية والاسلام على آرائه التى عرضها الناس فصار يقرر الآن عكسها بل صار صاحب الرد على قاسم امين فى موضوع السفور الحجاب يدافع لا عن رقص الكماليين مع غير محارمهم من نساء المسلمين فحسب بل يدافع عن زواج المسلمات منهن بغير المسلمين ولا تتحرك فى جسمه شعرة غضبا لهذه الأمة .

وظن الكماليون انهم اكتشفوا فى صفوفهم رجلا كان المسـلمون يحسنون الظن به ، فيخدعون الأمة ويدمونها الى مذهبهم ، ولكن ما كاد بجاهر بهذا الانقلاب حتى عده الناس شـخصا آخر غير فريد وجدى القديم .

وقالت الفتح : ان الشعب التركي يزعم أنقره لا تزال اشد الشعوب تمسكا بالاسلام لم ترده البرنيطه والحروف اللاتينية والامر برقص النساء من الشبان والغاء الشرع الشريف الا استمساكا بكتاب الله وسنة رسوله .

وقد رد الأمير شكيب ارسلان دفاعا من الاتراك العثمانيين وتاريخهم ودورهم العظيم فى الاسلام فى الفتح م ٦ ص ٦٥٧ .

٩ — محمود عزمي :

وعلقت الفتح على محاضرة القـــاها محمـــود عزمي فى باريس (م ٥٦٦/٥) قالت : القى الدكتور محمود عزمي محاضرة فى جمعية الثقافة العربية فى باريس موضوعها (تمتين الروابط الفكرية والاجتماعية بين بلاد العرب) قال انه فى اول الامر كان فرعونيا من اهل الوطنية الضيقة ، فلما ذهب الى دمشق عندما ضربتها فرنسا بالقنابل راى اهتمام اهل فلسطين وأهل سوريا بأحوال مصر واشادتهم بنهضتها ، ثم قابل فى دمشق افرادا من قبائل الجزيرة فتأثر بفكرتهم ولكن لم يوافقهم على اطلاق لفظ (البلاد العربية) على الشرق العربى ثم اقترح (بلاد العربية) وقال انه مسرور لأن الكثير من اهل الكتاب استعملوه .

ثم قال : ان هذه الوحدة ينبغى أن نبنى على اللغة فقط وان نقسم بلاد العربية الى ثلاثة اقسام : المغرب ومصر والشام والعراق ثم الجزيرة. وبما أن مدنية الغرب هى المدنية الغالبة فينبغى أن نتخذها بلا انتقاء ، بمحاسنها وشاذوراتها ، ثم صب انتقاده على الاسلام وتعاليمه وعلى كتبه ذات الورق الأصفر وقد القى أحمد عبد السلام بلافريج سؤالا على المحاضر

هل دعوتكم الى اتخاذ مدنية الغرب بلا قيد ولا شرط ، أليس معناه القضاء على الثقافة العربية واضمحلال شـــخصيتنا واندماجنا فى هيكل الغالب ؟.

ولا يخفى أن دعوته الى اتخاذ مدنية الغرب بحذافيرها انما معنـــاه استبدال الاسلام ومدنيته بشىء آخر ، بمعنى هذه المدنية التى يدعونا اليها. هذه المجتمعات كلها ظواهر تجمع بينها انتشار الخمر والكحول وانحلال العائلة فالمراة تفعل ما تشاء والرجل كذلك ثم مزاحمة المراة للرجـــل فى العمل الخاص به ، ثم انتشار الفحش ومخاصرة الرجل للمراة عند الرقص، فاذا كانت هذه المدنية التى يدعونا اليها فتبا لها ، وليحيى مجتمعنا متوحشا متأخرا ، ان المجتمعات الأوربية كلها فى طريق الانحلال وفلاسفتهم يشكون من هذه الحال فانتشار الجرائم والفوضى وذيوع الأمراض السرية وانحلال العائلة كل ذلك يدل على احتضار هذه المدنية وانها لا شك زائلة .

٢ ـ وقد علق السيد محب الدين الخطيب فقال :

أن الاستاذ عزمى يكره ويعادى ما اسس على فكرة اسلامية فقط ولعله لا يزال يذكر ان شبان القاهرة لما قاموا بتأسيس جمعية الشبان المسلمين وكان عزمى محررا فى السياسة اجتمع به شباب من طلبة الجامعة المصرية وانكروا عليه احجام السياسة عن نشر أخبار الشبان المسلمين مع انها تنشر اخبار جمعية الشبان المسيحية ، قال عزمى : وأى حاجة الى تاسيس جمعية للشبان المسلمين ومع وجود جمعية الشبان المسيحية ، فقالوا له : لقد اسست لتعريف غير المسلمين ونحن لا نريد عن اسلامنا بديلا ثم انها جمعية اجنبية أمريكية ، ويقول الاستاذ عزمى أن تلك البلاد ليست بلادا عربية بجنسيتها ولكنها بلاد تكلمت العربية فيحسن أن تنسب الى اللغة لا أن تتصف بالجنس وهى فكرة تدل على ضعف معلوماته التاريخية عن اصل سكان العراق والشام وسائر الأقطار التى تتكلم العربية .

(٢)

الصحف الاسلامية

الفتح ، الاخوان المسلمون ، المنار ، الشبان

وكتبت الفتح عن الصحف الاسلامية فى مصر فقالت : (م ١٧)

أن المسلمين والعرب فى الوثبة التى يتأهبون فى عشرات السنين يحتاجون الى قيادة مرشدة فى صحافة غير الصحافة الموجودة اليوم ، وكان الفتح أول من شعر بهذه الحاجة حتى قبل ان يصير للعرب والمسلمين هذا الكيان الميدانى فلما صار للعرب والمسلمين هذا الكيان ظهرت للميدان (الاخوان المسلمين) واليوم فى القاهرة وتليها المنار اليومية فى دمشق ومجلة الشبان المسلمين اصدرها المركز العام للشبان المسلمين بحجم واف واقلام بارعة ، وفى الاخوان المسلمين حركة لتحويل مجلته الأسبوعية الى صحيفة تنزل الى السوق)

فما هى الرسالة التى يجب على الصحف وامثالها اداؤها وما هى الخيوط الأساسية التى يجب أن ترسمها لنفسها ملتزمة السير بها وتعالج

العقبات التى يمكن أن تعترضها فى طريقها وكيف يجب أن يتخطاها ، ومن الخطأ أن تصاب صحافة المسلمين بما أصيبت به صحافة المسلمين من مرض الارتجال .

١ — وقالت الفتح م ١٩٤٦ :

الصحافة أداة ارشاد ولا يكون الارشاد الا بتحويل القافلة الى الطريق الذى يعرفه من يتولى الاصلاح . كانت القافلة التى نحن فيها فيما مضى سائرة على غير الطريق لانها خرجت من عصور الضعف والغفلة الى عصر الاستعمار والصحافة تولاها قوم اتخذوا الى هوى أهل القافلة وساروا معهم على شهواتهم فتحولت الصحافة عن الارشاد الى أداة تسلية ومتعة وهوى وتغرير .

كانت الفتح أول من شعر بهذه الحاجة ، قيادة رشيدة مرشدة من صحافة غير الصحافة الموجودة اليوم حتى اصبح للمسلمين والعرب اليوم هذا الكيان البدائى فلما صار للعرب والمسلمين هذا الكيان البدائى ظهرت الى الميدان الاخوان المسلمين اليومية فى القاهرة وتلتها المنار اليومية فى دمشق ومجلة الشبان المسلمين .

وكانت الفتح قد وجهت دعوة الى الصحف الاسلامية عام (١٩٣٨) فقالت :

هذه المرحلة : مرحلة مقاومة الاستعمار فى كل أجزاء العالم الاسلامى هى القضية الأولى اساسا ومنها تنبثق القضية الأخرى : قضية المحافظة على الذاتية الاسلامية وتحريرها من التبعية والتغريب عن طريق انفاذ التشريع الاسلامى وايقاظ المشاعر الى تكوين الشخصية الاسلامية وبنائها . وأشارت الفتح الى قضايا طرابلس الغرب وقضية فلسطين التى أولت الفتح لها اهتماما ضخما واسعا لامران : المسجد الأقصى وقيام دولة لليهود مع ما فى تونس والجزائر والمغرب من مكائد الاستعمار الفرنسى وأشارت الى طرابلس الغرب بين انياب الذئب الايطالى، وأشارت الى تعطيل الشعائر الاسلامية فى المسجد الاقصى ثالث الحرمين وأولى القبلتين .

٤ — وتحدثت الفتح من صحافة الشهوات والفجور سنة عام ١٩٣٣ واشارت الى مجلة الراديو التى يصدرها محمود عزت المفتى واشارت الى ما تكتبه مما وصفته بانه قاذورات تلطخ صفحات المجلة باســـم الادب المكشوف والادب الوضيع قاصدة الى انجار شنيع ببضاعة احط الشهوات واخسها فهى تعرض انواعا من الشهوات والفجور بغير ما قصد الا اهاجة الشهوات الدنيئة الراغبة فى الكسب وليس من المعقول أن ينسب هذا العلم او الفن .

٤ — كما اشارت الى مجلة الرابطة الشرقية التى يتولى تحـــريرها على عبـــد الرازق (الفتـــح م ٢ ص ٣٠٧) ، فاشارت الى جهـــــله باوليات قواعد الاسلام وبالفوارق الاساســـية بينه وبين النصرانية حيث تقول مجلة الرابطة الشرقية : فى مسألة البراق فوق المسيح وهل المسيح قبر ، اما ان يكون جاهلا بهذه الحقيقة واما ان يكون يملى عقيدة الكنيسة فى المسيح على العقيدة التى اخذناها من القرآن .

ونشرت الفتح راى سعد زغلول فى على عبد الرازق فقالت : انه قال عنه : (لقد عرفت أنه جاهل جهلا غريبا بقواعد دينه وحتى بالبسيط من نظرياته والا فكيف يدعى أن الاسلام ليس مدنيا ولا يصلح للحكم فاية جهة مدنية لم ينص عليها الاسلام ، هل البيع او الاجارة أو الهبة او أى شىء من المعاملات الأخرى ، ألم يدرس ذلك فى الازهـــــر ، وهل لم يكن الواقع ان امما كثيرة حكمت بقواعد الاسلام زمنا طويلا كان انضر العصور وهل لم يسمع ان أمما تحكم بهذه القواعد الى اليوم فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟ وأعجب من هذا ما كتبه فى الزكاة فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية) وعندنا أن هذا الذى يقوله سعد فى على عبد الرازق هو من باب الخلاف الحزبى والا فان سعد زغلول الذى ولى الحكم كان منكرا فى اعماله وتصرفاته لمفهوم الاسلام الحقيقى .

٥ — ونشر على الطنطاوى فصلا فى الفتح فضح فيه المؤامرة التى دبرها فؤاد افرام البستانى (خليفة لامنس) فى تعصـــبه وغرضه ودسه والدكتور أسد رستم زميله فى تاليف كتاب تاريخ البيان الموجز وما ضمناه

هذا الكتاب الذى عهدت اليهما الحكومة بتاليفه ليكون كتاب تاريخ فجعلاه كتاب أغلاط واكاذيب وتبشير بالنصرانية واللبنانية وطبعه جريدة المكشوف وتقرر تدريسه رسميا فى مدارس لبنان فنهض الدكتور عمر فروخ وزميله الأستاذ النقاش فنشرا فى جريدة بيروت فصولا طويلة فيها نقد تفصيلى وبيان لما فى الكتاب من الاغلاط الشنيعة والكذب على التاريخ والتحريف والتزوير والطعن بالقرآن من وراء حجب سافرة الدعوة صراحة الى مذهب النصارى واعتقادهم فى عيسى عليه السلام واعلن الكاتب انه اول من دعا الى مقاطعة مجلة المكشوف ونبه الى ضررها الأستاذ عبد الله المشنوق مدير مدارس المقاصد الخيرية .

ثم ما لبث صاحبها ان اصدرها ادبية وانتقل من الانحلال الاخلاقى الى الانحلال اللغوى فشرع يهجو كل اديب له شهرة او مكانة ، وهى مجلة تدعو الى طرح البيان العربى بتوجيه هم الشباب الى العنايه بالمعنى دون اللفظ لصرفهم عن لغة القرآن ويدعو الى عصبية لبنانية ، وعصبية ملية .

وقال ان فؤاد حبيش الف كتابه الرسول العربى الذى دعا فيه الناس بلغة محطمة فكره واسلوب ساقط وعامية ظاهرة الى التعرى من الثياب والتعرى من الاخلاق والدين وأنشأ مجلة داعرة كأنها ماخور سيار موضوعها أخبار الزنا واللواط وحكايات الفحش فجريدة المكشوف تكره البلاغة لأنها سمة القرآن وتفضل عليها الركاكة الاكليركية وتدعو اليها وتبغض الفضيلة لأنها من أسس الاسلام وتؤثر عليها رزيلة الغرب وترغب فيها .

٦ — واشارت الفتح الى اساءة الصحف السياسية للأمة الاسلاميه (م ٤) فقالت :

ان هذه الصحف ما زالت تلقى فى القارئين سما زعافا جعل القارىء يتخيل أن شعائر الدين الاسلامى ما هى الا الخيالات والأوهام مما يجرى على اسنة الاقلام عنه والبراءة منه والخجل من التحلي به وذلك ما تنشره

فى الحجاب واستعباد المرأة المسلمة زعم باطل وانتهى كتابها بالاشارة بخروج تركيا من الاسلام وطرح تقاليده وتوجيههم قوارص اللوم الى امان الله وثريا بعد فشلهما لا لأنهما اساءا الى الاسلام بل لأنهما لم يجيدا تمثيل دورهما تماما ومن ذلك غفلة بعض المسلمين حتى أن أحدهم اشترى مختبرا غنيا لمدرسة الأمريكان التبشــيرية اعترافا بفضلها على ما قامت به من تسميم معتقدات فلذة أكبادنا وما حطمت من تعاليم الاســلام فى بلد أعظم سكانه مسلمون .

٧ ــ واشارت الى ان الرصافى ارسل قصيدة من بغداد ينجد بهــا اخوانه ملاحدة مصر ، ويؤيدهم فيما يكيدون به لدين الاســــلام ، وقال الرصافى منتصرا لطه حسين وعلى عبد الرازق وقصيدته تضم الاستهانة بالله وكتابه والاستخفاف بالمسلمين وعقائدهم .

وقال الفتح انه اذا كان الشاعر يبرىء نفسه بأن يتحلى بالأســاور فى الجنة فليعلم أن الله أعد له ولأمثاله حلية أخرى فى النار وهى سلسلة ذراعها سبعون ذراعا .

واشارت الى أن محمود عزمى فى زيارته لفلسطين طلب الى المسلمين قطع صلتهم بجزيرة العرب لانها متمسكة بالاسلام ، وقد ردوا عليــه وأفحموه ، فقال انه مسلم بينما قال لموظف التعداد انه لا دين له ووضع فى مكان الدين ثلاث نقط .

٨ ــ وواصلت الفتح هجومها على الصحف المصــورة التى تحض على الفجور وتهون أمر الاعراض وتملأ رءوس القراء والقارئات بحكايات الفسق كأنه أمر عادى وكأنه هو الأصل وجل ما عداه شىء غريب .

(٣)

المسلمون ومنهج اتاتورك

وأفسحت الفتح مجالا واسعا للكلام عن حركة التغريب التى يقودها اتاتورك فى تركيا (م ٤ — ٦٨٩) قالت أن تصريحات أدلى بها مصطفى كمال مع مؤرخ المانى كبير نشرتها عدة صحف ، خلاصة هذه التصريحات أن الترك لم يكونوا مسلمين وان مبادىء الاسلام لا تلائم طباعهم ، ولذلك اقفرت المســـــاجد فى تركيا من المتعبدين وان الترك يعرفون الطبيعة من سحاب ونجوم ولا يحترمون شيئا وراء ذلك .

وكتب كاتب عظيم من عظماء المسلمين (ونظن انه الامير شــكيب أرسلان) يقول ان خطر البرنامج الكمالى كان شديدا جدا على الاســلام لأن المسلمين تعودوا رئاسة تركيا ، فلو كثرت لكثروا معها ولا يمكن ان يتصوروا أن تركيا تخطىء واذا اعتقدوا انها اخطات فقدهم عقيــدة من اشنع ما يوجد وهى انه لا يوافق نشر تخطئتها والحملة عليها — ولقــد كانت (أنقره) تدعو المبشرين علنا الى بث المسيحية فى الاتراك . وتقول لا يهمنا أن يكون التركى مسلما أو مسيحيا ، ما يهمنا أن يكون تركيــا . ولكن لما تنصر بعض البنات فى بروسه هاج الشــعب التركى وخيف من الثورة على الحكومة وصار المسلمون يقولون : اذن أنتم تريدون تنصــير الأمة لا التجدد ، فسارعت أنقرة الى التحقيق برغم أنفها ونقضت غزلهـا الأول واضطر الكماليون الى ايقاف السياســـة اللادينية ومنع التعليم المسيحى كما منعوا الاسلامى .

واشارت الفتح الى أن مصر واجهت الكماليين وان (كوكب الشرق) ظهرت بالمظهر الذى يضعها فى الصف الرفيع من فئة الحماة للدين والعقيدة والاخلاق ، واشارت الى ان الكثير قد هبوا لنصرة الدين والفوا الكتب فى هذه المدة الاخيرة واضطهدتهم القوى ولم يبالوا ، أما الذين هبوا لنصرة الاسلام فى مصر فهم السيد رشيد رضا وأمين الرافعى وعبد العزيز جاويش ومحمد الخضر حسين وأحمد تيمور وعبد الحميد سعيد والفتح ومراسلوها والسيد مصطفى صادق الرافعى وجريدة الشورى والشيخ محمد شـــاكر

وعبد الباقى سرور والأمير عمر طوسون ومحمد نجاتى توفيق ، هؤلاء فى طليعة الجيش ولولاهم كان الاسلام يتضعضع أضعاف ما تضعضع ، وبهم امتدت الحركة الى سائر الأقطار الاسلامية ومتحت قلوبا غلفا وأذانا صما واعادت صدى أصواتهم جرائد فى المغرب وجرائد فى الهند وجرائد فى الجاوى واثارت كوامن كانت فى النفوس تريد الاندفاع ، أما فحل الفحول الصائل الذى أرى فضله اكبر من فضل الجميع فهو مصطفى صبرى شيخ الاسلام السابق لأنه تركى ابن اتراك وتراه فى وسط المعمعة يقاوم بجريدته (نارين) مقاومة الأسد الذى يذود عن اشباله بقلم أمضى من القضاب وبأنفة الأسد العصور اذا تعاودت عليه الذئاب : هذا المقال كتبه شكيب ارسلان .

وأضاف محرر الفتح : ويحلو لنا أن نعيد هنا أن أول من لحظ الخطر واول من أكبر سكوت المسلمين عنه هو الأمير شكيب ارسلان وهم لا يعلمون كيف يصنعون لاسكاته ومما يدعو أن حركة الذائدين عن الاسلام اثرت أيضا فى تركيا تأثيرا عظيما وكفت من غرب الالحاد فى أنقره وظهر صوت ثان لصوت مصطفى صبرى هو محمد على وزير الداخلية السابق الذى اصدر جريدة اسمها الجمهورية المقيدة تصدر بالفرنسية فى باريس

ثم قال : يقتضى الانصاف ان نذكر من فرسان هذه الحلبة :

محمد أحمد الغمراوى ، الدكتور الدرديرى ، عباس حافظ ، محمد شريف ، الدكتور أحمد فؤاد ، الدكتور محجوب ثابت ، جميل الرافعى : هؤلاء المناضلون عن الدين الاسلامى والثقافة العربية ، ومقال الأمير شكيب أضاف به اسماء كثيرة فى الشام والمغرب (ص ٧٦٠/م ٤) .

٢ — وكتبت الفتح م ٤ (سنة ١٩٣٠) عن حركات الالحاد فى مصر والصراف الصحف الاسلامية عن العناية بهذا الخطر جعلت الميدان خاليا للملاحدة طوال السنوات الأخيرة وهى صحف رحبة تنطوى على ثمانى صفحات فسيحة الصدور ضافية الذيول تصدر فى عاصمة اسلامية ، هذه الصحف وهى أجل ما انبتته الآلة الحديثة ، وراحت منغمسة فى لجة السياسة ، فانبرى هدام الدين والمستهترون فى مهالك الالحاد يهيئون

الفرصة واستطاع رواد الباطل ان يكمنوا وراء كل خلاف ليقطعوا على الامة طريقهـا الى دينهـا ، ولابد من الصراع بين الحق والباطل واغفال هذه الحقيقة تفريط وعدم اخذ العدة لها خيانة .

أنترك الراى العام الى ما شاء الله فريسة لسلاب الاديان والعابثين بشرائع الله فى حلقته يفسدون ويزيفون ويخدعون ويمكرون ، أتظل المطابع تترك الملاحدة لزعزعة الاسس التى يقوم عليها نظام الجماعة والامة .

ان الدور الذى يقوم به الهدامون الملاحدة من عدة سنوات يجب ان يقف عند هذه المرحلة الاخيرة التى ظهرت اخيرا فى مصر ، الملحدون تسلحوا بالمطبعة والنشر ، فعلى المؤمنين أن يتسلحوا بالمطبعة والنشر .

٣ — وقال الشيخ احمد محمد شاكر : لقد صارت الأمة فى خطـر شديد من هذه الخطط التى وضعت فكادت تقضى على عقائد شـبابنا وأخلاقهم وتهذيبهم فهل تجد فى رجالها وكبرائها من يعينها ويحفظ عليهـا ما بقى من فضائل . ان عاطفة تقليد الأجانب استولت على أكثر الأفئدة ، ويظهر أن الجامعة المصرية لا تريد أن تقف عند حديث الدعوات الالحادية . ولا يكتفى بما يفعل بعض أساتذتها ، ففى أحد المحاضرات قال أحدهم ان فى أديان الهمج شرورا فوق شرور فهو يعتقد بالشـياطين والعفاريت ، كيف يقال مثل هذه الكلمة فى وسط أمة دينها الاسلام ومن الأشياء المعروفة فيه والمنصوصة صريحا اذ أمرنا بتصديق القرآن وتصديق الرسول .

٤ — وتحدثت الفتح من الصحافة العربية فى مصر ، وأن مصر قد بدأت تظهر فيها ثمرات اعلام رجال نرى منهم من يفخر بماضينا ورجالهـا ويشيد بعبقريتهم ونبوغهم وصادق جهادهم وحسـن بلائهم ونرى بينهم القائمين بمهمة الدس لجمهور القراء متعمدين أن يفسدوا عليه بغيته ومن شينات الصحافة فى سهولة زيوع الشىء منها فالذين يكتبون عن جهـل لا يخلو منهم زمان ولا مكان .

٥ — وفى مقال عن الصحافة الاسلامية يقول السـيد محب الدين الخطيب :

يجب أن توجد للحق والخير صحافة قوية حكيمة تعارض عناصر الشر فى هذا التيار وتكوين الرأى العـــام تكوينا جديدا يؤهله للارتقاء الخلقى والاقتصادى والعلمى وتكون لها خطة ثابتة صريحة لا يعرف الشيطان بها مدخلا .

والصحافة هى التى تتولى قيادة الرأى العام فى هذا العصر . وكل رجل منا واقع تحت تأثير الصحافة مهما يكن واسع الاطلاع . فالصحافة هى أعظم القوى الى التيار الفكرى فى العالم وهى القوة الأولى التى يمكنها أن تقف فى وجه التيار تدفعه وتحول مجراه .

وليس من الصواب اعتماد الأمة على الحكومة فى انشـــاء المدارس لأن الحكومة تعنى بتخريج رجال صالحون لادارة الادارة الحكومية ، لذلك ترى الامم الأخرى تقيم جماعاتها الدينية ورجالها الاخصائيون فى التهذيب مدارس غير مدارس الحكومة يكاد يكون المثل الاعلى فى الانفاق واحكام الخطة وبناء ابناء الأمة وبناتها على المثال الذى تحتاج اليه الأمة فى حفظ دينها وفضائلها .

٦ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب من الصحافة الأسبوعية فقال :

الصحف الأسبوعية وقعت قبـــل الحرب بامد طويل فى ايدى بعض المرتزقة ، الذين لم يتحلوا بالقدر الكافى من العـــلم ، ولم يرزقوا البيئة الصالحة التى تؤهلهم لوظيفة الارشاد ولم تكن الأعراض محمية بالقانون الى الدرجـــة التى عليها الحال الآن (١٩٣٤) فكانت بعض الصـــحف الأسبوعية أسبوعية بالاسم ولكن الناس لا يرونها الا اذا أراد خصم أن يسقط خصمه من عيون الجهلة فيدفع لصاحب الجريدة ثمن الكتابة عدوانا وبهتانا ، فيما عدا ذلك كانت الصحيفة الأسبوعية تنزل بعقول قرائنا الى دركة ينكرها المنطق .

ان كثيرا من الصحف الاسبوعية تعيش مع قرائه — وهم جمهـــرة الشباب من فتيان وفتيات — فى جو خاص هو جو هوليود فى أمريكا وشارع

عماد الدين فى القاهرة وما أشبه هاتين فى كل بلد من بلاد العالم فطلبة المدارس الثانوية والعليا الذين يواصلون قراءة تلك الصحف يعرضون دقائق أخبار نجوم السينما بتفاصيلها وجزئياتها أكثر مما يعرفون المقرر عليهم فى التاريخ والجغرافيا وسائر العلوم ، وصاروا يأنسون بحياة الغرام التى تحياها أهل تلك البيئات ويعتبرونها المثل الأعلى الذى تدعو الحضارة الى تقليده وتمثيله فى آفاقنا الاسلامية ، ان من أعظم الأخطار على الشرق العربى وعلى ما نطمع فيه من نهوض واستقلال وتجديد ، أن يتلقى النشء جاهلا سجايا البيئات الراقية فى الأمم التى ملكت ناصيته الدنيا وأن تكون ما يعرفه أبنائنا عن اوربا وأمريكا هو هذه البيئات التمثيلية وما يقع فيها من حوادث الغرام الصادقة والكاذبة .

ان هذه الصحافة التى تستمد موضوعاتها من هوليود وشارع عماد الدين وحمامات البحر قد حرفت الشبان عن المطالعة فى الكتب النافعة .

ان الصحف التى تتقرب الى الجماهير بتقديم هذه البضاعة الفاحشة لا تتورع ايضا عن أخذ الأموال الباهظة اجرة لنشر اعلانات الخمور والملاهى ، أما الصحف التى لا تغنى الا من الاشتراكات فان العدد الأكبر من نشراتها لا تخرج قيمة الاشتراك من جنيه الا بصعوبة بالغة .

الفصل الثانى

تاريخ الاســــلام والتــراث

اولت الفتح اهتماما كبيرا لتاريخ الاسلام والتراث الاسلامى بوصفهما مصدرين من ابرز مصادر اليقظة وعاملين من عوامل النهضة ، وقد حرص السيد محب الدين الخطيب ايراد معظـــم الكتابات التى قدمها الغربيون عن عظمـــة الحضارة الاسلامية فالدكتور بيارو دورج رئيــس الجامعـــة الأمريكية يقول : (م ١٢) ليبست عظمة العرب عن طريق ترائهم المادى ولئن كانت لهم تجارة فهى غير كافية لتكوين تلك العظمة ولا ترتكز عظمتهم على معدات حربية جبارة او جيوش جرارة ، ولكنها عظمـــة ترتكز على الروحانيات فالدين مبعثها ، فالروحانيات سر عظمة العرب واذا أرادوا النهوض لاعادة مجدهم فليمسكوا بالعروة الوثقى .

وقد عقــد السيد محب الدين الخطيب فصـــلا مطولا تحت عنوان (أمجادنا) قال : ان من أعظم مصـــادر القوة فى الغرب ، حســـن بيانهم لمكنونات أمجادهم وبث الايمان فى قلوب أبنائهم بأنهم أمة محبـــة ، واهل بطولة واصحاب قوة ، وأيد فى المحافظـــة على الأمانات العـــامة التى يتوارثونها جيلا من جيل من أوطان وعقائد ومفاخر ورســالات ســامية ، ولو انك اطلعت على أساليبهم فى بيان انكسار جيوشـهم الصليبية فى موقعة حطين امام جيوش المسلمين الظافرة لرايتهم فى التعبير عن انكســـارهم أقوى منا فى التعبير عن انتصارنا ومن هنا كان التاريخ ادخـــل فى باب الفنون من فى باب العلوم .

ويقول : ان لتاريخ الأمجاد ثلاث عناصر (أولها) وقوع الأحـــداث المجيدة (والثانى) حفظ أخبارها و (الثالث) حســـــن التعبير عن هذه الأحكام .

وكل من عنى بتاريخ العرب والاســـــلام عناية صحيحة ووفق الى مقارنته بتاريخ الأمم الأخرى ووقف على دخيلة أبطال الاســـــلام وابطال

سائر الأمم يؤمن حقا بأن البطولة التى صدرت عن قادة الاسلام وحماية ما اتصف به هؤلاء من نظافة السريرة ونقاء النفس وسلامة الضمير لا يكاد يعدلهم فى ذلك رجال أمة أخرى ومن حسن الحظ أن أخبار الأمجاد الاسلامية دون أكثرها ، وقد يكون بعض دواوينها لم يطبع بعد . ولكن يمكن الوقوف عليه اما من مظانة فى دواوين التاريخ او عن مظانة من الكتب التى تعرضت لكثير من الحوادث على سبيل الاستطراد . فالذى ينقصنا هو العنصر الثالث من عناصر تاريخ الأمجاد الاسلامية وهو حسن التعبير عنها ، ان الذين كتبوا تاريخ الاسلام أو نقلت عنهم أخباره واحد من اثنين اما أحدهما فمن أهل التقوى والعناية فى الرواية ، ولكنه اعتبر المثل الأعلى لامامة المسلمين وولاة أمورهم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فهو لا يكتب تاريخ الخلفاء والقادة والفاتحين الا على ضوء هاتين السمتين ، ولذلك كان يرى النجوم من اصحاب رسول الله كما نرى نحن نجوم السماء والشمس طالعة . فاذا استعرض حوادث خلافة معاوية رضى الله عنه استعرضها تحت أشعة تينك الشمسين عبد الملك ، هشام ، سليمان ، هارون ، المأمون ، كانت أنوار نجومهم كاشفة عنده مع أن حياة أصغر واحد منهم اذا نظرنا اليها كما ينظر الافرنج الى حياة عظمائهم ، ولو استقرأنا الظروف التى احاطت بأكثر ما صدر عنه من المآل ينتهى بنا الى تاريخ جديد لأسلافنا تظهر فيه للوجود دقائق وأسرار لا تزال مجهولة من أكبر قراء التاريخ الاسلامى .

أما الرجل الثانى فهو الذى تقرب الى دولة جديدة بتشويه سمعة دولة سابقة ، أو الذى يتقرب الى مذهبه أو الى عصبته بذم دولة قام مذهبه أو عصبيته على التعبير منها وتشويه سيرة رجالها بالحق أو الباطل ».

ولكن مادة تاريخنا محفوظة على أى حال فهى أشبه بالحجارة لمن يريد أن يبنى بها صرح للتاريخ اذا قيض الله لتاريخ الاسلام رجلا قويا يستطيع أن يتجرد من الجرثومات التى انقضت وماتت وتنظر الى البشر بعين تعرف مواطن الضعف والقوة فى البشر ».

٢ ـ أشارت الفتح م ١٤ الى ما كتبه حافظ عوض فى كتابه فتح مصر الحديث حيث قرر ان نابليون بونابرت لم يعتنق الاسلام مطلقا وان نابليون هو ابن الثورة الفرنسية ولم يكن له اعتقاد صحيح فى دين من الأديان وأنه كان ينوى التظاهر باعتناق الدين الاسلامى اذا استحالت عليه العودة الى فرنسا وأنه كان يرى فى سهولة الدين الاسلامى وموافقته للفطرة الانسانية ما حببه اليه وأمال قلبه اليه .

٣ ـ عقدت الفتح فصلا مطولا عن أثر الاسلام فى التاريخ الاوربى بمناسبة صدور كتاب بعنوان (محمد وشارلمان) لهنرى بيرين (م ١٤/ ٩٠٩) اشارت اليه الهلال فبراير ١٩٤٠ .

قال : لقد قصد مؤلفه الى تبيين أن الاسلام كان القوة الهائلة التى حولت مجرى التاريخ الأوربى حتى ليمكن أن يقال أن العصر الوسيط والنهضة الحديثة هما ثمرتان من ثمرات ظهور الاسلام . وقال ان نقطة التحول فى التاريخ الأوربى هى التى أسقطت عندها الامبراطورية الرومانية ، فما هى القوة التى أدت الى ذلك ، أما اغلب المؤرخين فقد أجمعوا على أن الشعوب الجرمانية التى كانت تعيش على تخوم الامبراطورية الشمالية حتى حدود الرومان هى التى أحدثت هذا التحول وقضت على دولتهم ، أما هنرى بيرين فيرى أن هذه الشعوب كانت من هوان الشأن وضيق الحياة الى درجة يجعلها تنظر الى الرومان نظرة العبد الى السادة فما كان يخطر لها بل وما كانت ترغب أبدا فى ان تناوئ روما وتقضى عليها ، أما المسلمون فكانوا يعتقدون أنهم أرقى وأسمى من الرومان فى جميع أسباب الحياة ولا سيما من الناحية الدينية التى كانت مبعث قوتهم ومصدر تشريعهم فلم يحجموا عن منازلة الرومان ليقضوا على سلطتهم وسيادتهم .

وأشار الى خطأ المؤرخين الأوربيين فى اعتبار حادثة اجتياح الشعوب الجرمانية لدولة روما الغربية حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور الوسطية عن تقسيم تاريخ الانسانية الى قديم ومتوسط وحديث ، وانسياق مدارسنا الاسلامية وراءهم فى هذا الخطأ التاريخى

وان تعصب الأوربيين القومي هو الذى منعهم من ان يعترفوا بأن ظهـور الاسلام هو الحادث الانساني العظيم الذى غير قوى التاريخ وكان حتماً ان يعتبر الحد الفاصل بين القرون الاولى والقرون المتوسطة .

(٣) التـــراث

واشارت الفتح (م ١٧) الى اهتمام السـيد محب الدين الخطيب بالبناء التربوى ولذلك فقد كان يورد كثيرا من النصوص الاسـلامية التى تمثل عصر الرسول بما يمكن أن يوصف بأنه تراث ضخم حافل يمتلىء به (الفتح) فلم يكن يقف عند مفهوم الاسلام السـياسى وحده ولكن كان حريصا على تربية هذا الشباب الجديد الذى دخل فى الاسلام عن طريق الجمعيات الاسلامية وخاصة جمعية الشبان المسلمين التى كان يمثلها .

ومن ذلك دعوته الشباب الى أن ينحرف سـاعة من كل يوم عن مجتمعنا ويتصور انه معاصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أكرمه بأن جعله احد أصحابه وليتذكر فى هذه الساعة حديثا واحدا من الأحاديث النبوية فيمضى بقية الساعة فى معاهدة الله (تبارك وتعالى) على العمـل بما ورد فيه من المعانى وليجعل هذه الساعة المباركة فى كل يوم للمجلس النبوى الشريف على أن يعمل بسنة الاسلام باعداد ما فى طاقته من قـوه للامة الاسلامية والدولة الاسلامية فينصرف بعد سـاعاته الى الاستفادة من علوم كلية .

٢ — وقد عقد السـيد محب الدين الخطيب حديثا ضافيا عن تراث العروبة والاسـلام (م ١٧ سنة ١٣٦٣) قال انه تراث ضخم فخم اذا شرعت من اليوم جميع الأمم العربية الاسـلامية بتوزيع أعماله فيما بين علمائها وجامعاتها ومحافلها ولجانها فانها لا تنتهى من الاحاطة وأحيـاء مواته واعادة الخضرة والنضرة الى ما أقفر من فردوس جماله الا بمئات السنين لأنه تراث أجيال لا يأتى عليها الحصر كان ذوو المذاهب العالية من بلغائها وعلمائها وحكمائها وفقهائها وسادتها وقادتها تواصلون الليـل والنهار فى تشييد صروح مفاخره واقامة معالم معارفه ، الى أن اسـتعجم الاسلام ، ولما نمنا عن تركة السـلف انبرى لها أهل الجلد والصبر من

الأخيار أمثال دى ساسى وفولدكه وبروكلمان وجولد زيهر وتلينو من الغربيات ومن يهمهم أن يقفوا على دخائله ليعرفوا طرق الاحاطة به وبأهله أكثر مما يهمهم بمشسه فى نفوس بنيه وأحفادهم بعد اصابتهم به .
أيها الشباب المسلم لأجل أن تكون مسلما لا يكفى أن يكون ذلك مكتوبا فى شهادة ميلادك ولا أن يكون لك مظاهر المسلمين ، بل يجب أن تعرف (السنة) التى اختطها محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه ولصحبه ولأمته وأن تدرك هدفها وأن تؤمن بأنها هى سبيل ربك ، لا يكفى أن تكون ولدت متكلما بلسان القرآن ولا أن تنتسب الى وطن من اوطان العرب او الى سلالة من سلالاتهم بل يجب أن تعرف الأخلاق التى امتازت بها العروبة وأن تستمد منها الرى والحياة لعقلك ولغتك ونفسك وبذلك توطأ سنة الاسلام لسالكها .

وتحدث عن استكشافات العرب وما نشره جوستاف لوبون فى (كتابه حضارة العرب) وما فيها من بدائع العمران فى اسبانيا تحت حكم المسلمين سيدير فى كتابه (خلاصة تاريخ العرب) وما نشره بروكلان فى كتابه تحت عنوان (مآثر العرب فى العلوم المدنية) وأشار الى فصول من كتاب مسلمى العرب الى استيلاء المرابطين للدكتور رينهارت دوزى الهولندي عن حرية العرب ونظام حكومتهم وما نشرته روزينا موريس الرحالة الانجليزية التى تحدثت عن شهامة الرجل العربى ، وما نشره قدرى حافظ طوقان عن أبى على بن سينا مكتشف طفيلة الانكلستوما ، وبيت الابرة اختراع عربى .

٣ — وأشارت الفتح الى ما ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة (جـ ١٩٧٣/٢) :

فى سنة ٥٦٥ حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما بحيث ضيقوا على أهلها وقتلوا منهم فارسل نور الدين الشهير محمود حسنا عليهم صلاح الدين يوسف بن أيوب فاجلوهم عنها وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك حتى أنه قرأ عليه بعض طلاب الحديث جزءا من حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه أن يتبسم ليتصل التسلسل ، فامتنع من ذلك

وقال : انى لأستحى من الله أن يرانى مبتسما والمسلمون يحاصرهم الافرنج بثغر دمياط .

٤ — وكشف الباحثون مؤامرة الاستشراق على التراث الاسلامى ، فقد تقدم أحد الجامعيين برسالة واعتمد فى رسالته على مصادر مرجليوث والأب لامنسى الشيوعى وقال له الدكتور حسن ابراهيم حسن : ان لهما رأيا فى البحث ولكن روح التعصب ضد الاسلام ونبيه أعمتهما عن الحق والانصاف . ووصف السيد محب الدين الخطيب هذه المصادر بأنها (الموارد الآسنة) .

٥ — وأشارت الفتح الى أن محمد محمود الحضرى اشار الى ان ابن رشد سبق باكون فى التوسع فى منهج الاستقراء ، وأن الغزالى سبق باسكال فى تحديد اختصاص العقل الانسانى ، وأن المسلمين سبقوا ديكارت فى تشككه الذى يبدأ به للوصول الى اليقين .

٦ — واشارت الفتح الى ان (يوسف العش) عنى بدراسة الخطيب البغدادى ومؤلفاته (٧٩ مؤلفا) وحدد أجزاءها فبلغت ٤٣٦ ، منها تاريخ بغداد الذى طبع بمصر فى (١٤ جزءا) ترجم منه لسبعة آلاف وثمانمائة من عظماء عصر العباسيين وعلمائها رجالا ونساء من أهل القرن الخامس الهجرى ، وكتاب يوسف العش يقع فى ٢٧٦ صفحة .

٧ — وحقق السيد محب الدين الخطيب الكلمة المتداولة عن الامام أبى حنيفة من أنه لم يطمئن الى ثلاثة عشر حديثا من صحيح البخارى فقال : ان الامام الأعظم أبا حنيفة ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٥٠ هـ ، أما الامام محمد بن اسماعيل البخارى فقد ولد سنة ١٩٤ (أى بعد وفاة أبى حنيفة بنحو نصف قرن) ووفاته سنة ٢٥٦ فكيف لنا ان نطلب أن أبا حنيفة لم يطمئن الا الى ثلاثة عشر حديثا من صحيح البخارى ، أن الامام أبا حنيفة كان على علم بصحيح البخارى من قبل ان يولد البخارى بخمسين سنة .

٨ — واشارت الفتح فى باب تحقيق التراث الى عـــدد من الكتب الهـــامة :

خزانة الأدب (مراجعة الشـــنقيطى وتيمور وعبد الغنى الميمنى) (م ٤) .

كتاب الخراج للقاضى ابو يوسف (م ٣)

من هارون الرشيد الى قسطنطين ملك الروم (م ٣) .

العرب وعلم الأمة عند ابن خلدون (م ٣) .

عمرو بن العاص لصاحب الفتـــح (م ٣) .

كتاب الجماهر فى الجواهر للبيرونى (م ١٤) .

٩ — وتحدث السيد محب الدين الخطيب فى المجلد ١٤ ص ٧٩٨ عن التراث الاسلامى فى الأندلس قال : لما دخل الأسبانيون قرطبة بعـــد تغلبهم على العرب احرقوا ما وجدوه فى عواصم الحضارة الأندلسية من كتب فى شتى أنواع العلوم والأدب والتاريخ ، يقول قويدى فى تاريخه : انهم اتلفوا سبعين الف مكتبة كانت تزين قصور أعيان الأندلس العـــرب ومنازل علمائهم وأدبائهم وشعرائهم وكبار رجال دولتهم فى جميع انحـــاء الأندلس ويقـــدر) ربلس (عدد الكتب العربية التى احرقها الأسبانيون بألف الف مجلد ، وخمسمائة الف مجلد ، ولو بقيت هذه التركة العلميـــة الى الآن لاستفادت منها الانسانيـــة علما جما وحقائق تاريخيـــة ضاعت وتراجم لعظماء سلف هذه الأمة التى لم يبق منها فى ايدى الناس الا القليل وان ما وصل الينا من أسماء الكتب الضائعة على قلته يملأ القلب حسرة على ما فعلته يد الجهل والتعصب بتلك الكنوز الأدبية والذخائر الفكرية التى كانت من نفـــائس تراث الفكر الانسانى وحلقة ذهبيـــة فى تاريخ الحضارة والعـــلوم ، وفى الواقع أن العقـــل العربى لم يترك مجالا من مجالات الفكر الا كان له فيه القـــدح المعلى . قال الدكتور رضا توفيق لتلاميذه فى جامعة القسطنطينية يوم انتقـــدوا اعتماده على الاصطلاحات العربيـــة فى كتابه (قاموس الفلســفة) ليس فينـــا اقدر منك على وضع

اصطلاحات تركية للفلسفة والعلوم وانت تجيد الكتابة والتاليف فى نحو سبع لغات فباهمالك ذلك لحق لغتنا خسران عظيم . فأجابهم : ان الاصطلاحات العلمية لا ترتجل كلها فى جيل واحد كما يرتجل الشاعر ديوانا من الشعر ولكنها ثمرة جهاد علمى فى اجيال متعاقبة . لما كان سلفنا من الأتراك والتتار لا يفكرون الا فى تجارة على بلاد المعمورة : كان عشرات الألف من علماء العرب يسهرون الليالى لتنقيح العلوم وتصنيف المعارف وتوسيع دائرتها ووضع مصطلحاتها والتعريف بحدودها ولا تبلغ لغتنا مبلغ لغتهم فى استيفاء الاصطلاحات العلمية ما لم ينقطع عشرات الألوف منا للعلم يخدمونه للعلم لا للتجارة ، فاذا انقضى علينا بضعة اجيال على هذه الحال امكن أن يكون لنا قاموس للفلسفة والعلوم تهضمه العقول وتأنس به النفوس .

وفى (م ٨١٤/١٤) تحدث كيف عاش النصارى تحت حكم المسلمين فى اسبانيا (حسين لبيب) نقلا عن كتاب أسبانيا العربية للعلامتين برنارد واليه هوانشو .

— ٣ —

اللغة العربيـة والأدب العربى

وأولت الفتح اهتماما خاصا باللغة العربية وهاجمت مؤامرة الحروف اللاتينية التى تقدم بها عبد العزيز فهمى مجلد ١٩٤٤ (ربيع الآخر ١٩٦٣) وقدمت فى ذلك عددا من الأبحاث (١) القرآن معجـزة بين معجزتين ، (٢) تفوق اللغة العربية على جميع لغـات الدين للمطران يوسف داود (٣) بدعة كتابة العربية بحروف منفصلة ، كما نشر احمد محمد شاكر مقالين حول (عبد العزيز فهمى واللغة العربية) .

وقالت الفتح تحت عنوان : اللغة العربية وما ينتظر ان يكون لهـا من تاثير فى نهضتنا الفكرية والعمرانية وحياتنا القومية ، قال : كان من سياسة المسلمين الأول الذين حملوا رسالة الاسلام أن ينقلوا الأمم الى الاسـلام ولم يكن من سياستهم أن ينقلوا الاسـلام الى الأمم ، وكان من نتائج ذلك ن انصرفوا عن ترجمة الاسلام بلغات الأمم التى اتصلوا بهـا

وحببوا الى هذه الأمم التحول من لغاتها الى لغة الاسلام . أن الاسلام قام على أساس سجايا العرب وأحلامهم .

وقال : اللغة العربية ، التى هى اللغة القومية لمائة مليون من العرب ، وهى اللغة الدينية والشرعية والعلمية لأكثر من ثلثمائة مليون آخرين من المسلمين غير العرب أراد الله لها أن تكون لسان آخر الديانات وكملها ، وحكمة اختيار الله لغة العرب لتكون لغة الاسلام كونها بجوهرها الأول ومعدنها الأصيل ، أكمل اللغات وأكثرها استعدادا للمحافظة على هذه المنزلة من التفوق والكمال .

وقالت الفتح : أن اللغات الراقية التى تقع أبصارنا على قدراتها الآن فى معاجم الفرنسيين والانجليز والألمان والروس والهولنديين والايطاليين والأسبانيين اذا وضعناها فى غربال وأخرجت منها الألفاظ الدخيلة من اليونانية واللاتينية وغيرها وجردناها بعد ذلك من مصطلحات العلم والصناعة والاقتصاد والفلسفة وغيرها من المواد التى لم يكن لها بها عهد قبل حضارة هذه الأمم واشتغالها بالعلوم يوشك أن لا يبقى منها فى كل صفحة من صفحات معاجمها الا بضعة أسطر لا تدل على سمو فكرى ولا على ثروة خلقية ولا أهداف انسانية كريمة .

٢ — وأشارت الفتح الى قول الاب أنستاس الكرملى ان تبسيط النحو دسيسة أجنبية لمنع العرب من تفهم آدابهم التقليدية فهى أيضا تمنعنا من أن نفهم القرآن والأحاديث النبوية والشعر الجاهلى وكلام الأقدمين .

٣ — واشارت الفتح الى الدور التى قامت به دار العلوم فى تعزيز اللغة العربية (م ١٤) فقالت : لقد كانت دار العلوم خيرا على العربية فقد تأسست الى يوم الناس هذا ، فأبناؤها هم حاملوا لواء الفصحى فى وادى النيل ولكن اثرها يبدو دائما فى أسلات أقلامهم نثرا ونظما فيما له عبرة عاجلة فى الحياة كالتدريس ، أما التحقيق العلمى والانقطاع لاحياء تركة السلف على نحو ما يقوم به المستشرقون مما يحتاج الى تضحية فى الوقت والجهد ، وقال : أعرف من أشد هؤلاء صديقى الفاضل المغفور

على حب التحدى والتحقيق عبد السلام محمد هارون ، فقد كانت عنايته بتحقيق خزانة الأدب للبغدادى (اربعة اجزاء) ، كتاب الحيوان الجاحظ .

٤ — واشارت الفتح الى المستشرق الفرنسى ماسنيون فى خطبة القاها فى افتتاح المجمع اللغوى فقال : ان المادة اللغوية العربية لكتابة الكلمات منتظمة كل الانتظام ومطابقة للفظ وان ترتيب المعاجم مطابق للاشتقاق وراجع بكل كلمة الى أصلها الثلاثى . وقال : ان عدد الأصول الثلاثية (٣٢٧٦) ويجىء هذا بضرب ٣ × ٣ ثمانيا وعشرين مرة ، وهذا العدد هو عدد النجوم الثوابت فى السماء اللغوية الخالدة . كما قال أحد زملائنا وهو الشيخ السكندرى فكيف تموت كلمة عربية ما دامت الأصول الثلاثية باقية والصيغ العربية للألفاظ محكمة الوضع .

٤ — الأدب

واهتمت الفتح بالأدب الاسلامى والشعر الاسلامى وفتحت الباب واسعا امام شعراء الاسلام أمثال محمد صادق عانوس ، ومحمود رمزى رمزى نظيم ، واحمد محرم ، ومحمد حسن النجمى . ودارت محاورات بين الأمير شكيب ارسلان وبين عانوس ورد عليه النجمى م ٤ (٥٦١/٦٠١)

وتحدث السيد محب الدين الخطيب عن الشعر الاسلامى (م ٩) فاشار الى الخطوة الهامة التى قام بها أحمد محرم بانشاء الياذة اسلامية وذلك بتدوين أمجاد الاسلام ومفاخر رجاله فى ديوان شعرى عظيم ، وقد عكف على السيرة النبوية الشريفة يتبعها ويقف وقفة الخشوع والاجلال امام حوادثها مستلهما بدائع القول يصور بها معجزات البطولة وعظائم العزائم ، وقال : ان الشاهنامة التى نظمها الفردوسى للسلطان محمود الغزنوى قبل الف سنة ليس فيها من مظاهر المجد الصادق عشر معشار ما أخذ أحمد محرم على نفسه يدونه من امجاد الاسلام التى قام عليها التاريخ وما زال يواريها عن عيون البشر فى زوايا قليلة النور ضنا بها على غير أهلها ان يتمتعوا بحملها تحت أشعة النور الساطع وهم من عالم غير العالم الذى كان فيه أصحاب تلك المحاق ولكن الشرق الاسلامى وهو على نيسة أن ينهض صار فى حاجة الى أن يتعلم من تاريخه كيف يكون النهوض .

٢ — وعقد الأستاذ حسن البنا فصلا عن شاعرى الاسلام (عرنوس والنجمى) فقال : شعر صادق عرنوس الذى يجود به على الفتح ويجيد دائما فانه متين رقيق ، لا يعرف التكلف وما قرأته مرة الا شعرت أن هناك شاعرا مطبوعا ، ومن محاسنه انه يطرق المواضيع الاجتماعية التى نحن فى أشد الحاجة الى تفهمها ويضعها فى هذه القوالب الأنيقة فيشف صفاء الاناء عن الشراب حتى تخالهما واحدا .

ولقد ظفرنا أخيرا بدرة مدفونة لم أكن أظن فى زواياالانقباض وتحت أستار التواضع درة مثلها (قصيدة للأستاذ محمد حسن النجمى) قرأت شعرا جمع بين الجزالة والانسجام ، وبين اللفظ والمعنى ساده علو نفس جدير بالبارودى ومن فى حزبه ، قرأت شعرا يعتنقه الطبع ويشربه الخاطر ويعرف القارىء اعجازه من صدوره ويمثل قافية فى أول كلمة من بيته يدل على ملكة غير معتادة وطبع متناه فى الصفاء ومكانه فى اللغة رقيقة وتصرف فى القول سلس القياد يجول صاحبه به كما أراد فقلت والله انه لعبقرى ومن يفرى هذا الفرى ، واقسمت لو وضعنا من هذه القصيدة أبياتا يذكر فيها عهود المعالى على المعانى لما أمكن للناقد أن يميز شعر الطائى عليها والقصيدة التى قرأتها فى صدر الفتح هى من هذا النسيج الفريد الذى أبو تمام صاحب أسلوبه البديع ومنواله الرفيع وقرأت التوقيع الذى تحت القصيدة فاذا بى لم اسمع به فى حياتى فقلت يا رب فى أى عكم اختبا هذا الرمح وتحت أى غمام اختفى هذا النجم وقال صاحب الفتح انه عندما قرأ القصيدة وكان عدد الفتح فى المطبعة رفع افتتاحيته وقدم هذه القصيدة عليها .

الفصل الثالث

الاســــلام فى الغــرب

اهتمت الفتح اهتماما كبيرا بانتشار الاسلام فى الغرب واشارت الى الذين ناقشوا الاسلام من كتاب الغرب ومن دخلوا فيه وعرض للمستشرقين وكتاباتهم فأشارت الى الشيخ محمد أسد النمســـاوى (ليوبولد فايس) م ١٢ الفتح ٩٧٦ وناصر الدين دينيه (م ٤) وتحدث عن دخول الدكتور عبد الكريم جرمانوس فى الاسلام (م ١٤٩/٧) ونشرت له فصلا فى المجلد (١٤ ص ٢٤٧) لماذا أسلمت ونشرت له خطابه فى دهلى (م ٥٨٤/٦) كما أشارت الى اسلام اللورد هدلى فى بريطانيا وتصريحات برنارد شـــو وتحدثت عن اسلام خالد شلدريك .

٢ — كتب أحمد عبد السلام بلافريح (باريس) ترجمة لناصر الدين دبينه بمناسبة وفاته (يناير ١٩٣٠ م ١٣٤٨ هـ) فى مجلة الزهراء (ج ٤ سنة ٥) نقله الفتح قال :

درس الاسلام مع اصدقائه المسلمين فبهره وملأ نفسه فقام ينادى أيها الغربيون انكم تجهلون الاسلام ومحاسنه على اثر ذلك وضع كتابه (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) .

قال : عرفت الاسلام من زمان بعيد فأحسست بانجذاب نحوه وميل اليه فدرسته فى كتاب الله فوجدته هداية لعموم البشر ، ووجدت فيـــه ما يكفل خير الانسان روحيا وماديا فاعتقدت انه أقوم الأديان لعبادة الله واتخذته دينا وأعلنت ذلك رسميا على رءوس الملأ ، وقال : لا خوف على الاسلام من المبشرين وانما الخوف كل الخوف من شباب المسلمين فانهم جاهلون بأمر دينهم ، جاهلون بتاريخهم وتاريخ انتشاره وتاريخ المدنيـــة الزاهرة التى أنبتتها فى صحراء قاحلة ، وأقصى ما يعلمو به ما يقرأونه فى كتب أعدائه فلو تم اصلاح التعليم الاسلامى على حقيقته وانتشرت الكتب الاسلامية القيمة لما خفنا على الاسلام .

كما نشرت الفتح ترجمة فصل من كتاب السيرة النبوية لايتان دينيه وسليمان ابراهيم الجزائرى .

٣ ـ كما عقدت الفتح فصلا عن (الاسلام بعد مائة عام) بناء على تصريح جورج برنارد شو (م ٦٧١/٦) الذى قال ان فى المستقبل العاجل عندما يريد الرجال المفكرون أن يلجأوا الى دين يحمى الفضيلة ويقى المجتمع ويكون سببا للحياة السعيدة فى البشر سيجدون الاسلام هو الدين الوحيد الذى يضمن لهم ذلك التقدم والنجاح وأول براهين برنارد شو على ذلك ان الاسلام لا يمنع اى تقدم سواء كان فى النهضة الفلسفية أو الكيماوية بخلاف غيره من الأديان كدين الهنادك مثلا فانك تجد مجموعة خرافات .

ان الاسلام هو الدين الذى تجد فيه حسنات الأديان كلها ولا تجد فى الأديان حسناته فمن الممكن ان الرجل يصل الى آخر درجة فى الفلسفة والعلوم ويكون مع ذلك مسلما تقيا والاسلام دين حرية لا دين استعباد وقد قرر أخوة الاسلام منذ الف وثلاثمائة وخمسين سنة ، وهو المبدأ الذى لم يعرف عند الروم السابقين ولا عند الأوربيين والأمريكيين المعاصرين .

والاسلام لا فرق عنده بين العبد الحبشى والسيد العربى والرجـــل الرومى كلهم فى عين الاسلام أبناء آدم وانما يتعاونون بما يصدر منهم من خير . اذا سألت العربى أو الهندى أو الفارسى أو الأفغانى من انت : يجيبك أنا مسلم اما الغربى فاذا سألته من انت قال : أنا انكليزى أو طليانى أو فرنساوى .. الغربى ترك الدين وتمسك بالجنسية أو الوطنية ، يقول المسلم أنا مسلم بصرف النظر عن جنسه أو وطنه ، هو أكبر دليل على أن الاسلام يوحد بين أهل العقيدة المشـــتركة دون أن يجعل أى فرق بينهم بسبب أوطانهم أو الوانهم أو جنسياتهم .

وقد نصب النبى شابا أسود البشرة اميرا على جيوش المســلمين وفيها كبراؤهم فالحكومة الديمقراطية الصحيحة لم تعرف الا فى الاســلام فكان فى زمن الصحابة من الممكن أن الرجل الفقير يطالب الخليفة بحقه ، وينتصف منه أن كان له حق . وتقسيم الميراث الذى فرضه الاسلام من ١٣٥٠ عاما ، كان أكبر فائدة للاجتماع ، ولكن الغرب بقى بجهله الى هذه

الساعة ، والأسلام حرم الربا وجعل من المستحيل انحصار الثروة عند نفر قليل أكبر قضية يعانيها عالم اليوم ، هذه الحقائق تجبرنا على الاعتقاد بأن الدنيا بأكملها وانجلترا على الأخص ستقبل الاسلام وان هم لم يقبلوه باسمه الصريح لسيقبلوه باسم مستعار .

٤ — وأوسعت الفتح صفحاتها لتجربة اسلام الدكتور خالد شلدريك : الذى القى محاضرة تحدث فيها عن (كيف هدانى الله للاسلام) قال :

ان تكن انجلترا مسيحية فى الظاهر فان تسعين فى المائة من سكانها لا يعرفون حقيقة الديانة المسيحية وأنا نفسى لا اعرف من نفسى أنى اعتقدت يوما فى العقائد المسيحية التى يقررونها وان تعلمون أن الديانة المسيحية مؤسسة على اعتقاد أن الله مكون من ثلاث شخصيات وهى عقيدة لا يسيغها عقل ، اذ كيف يمكن أن يكون الأب والابن موجودين دائما فى وقت واحد ، وكيف يمكن أن يكون الابن موجودا فى جميع الأوقات التى كان الأب موجودا فيها ؟ هذا غير معقول ولا يستطيع مفكر أن يعتقده ، ومع ذلك فان عقيدة التثليث لا تزال موجودة عند المسيحيين وهم مصرون عليها وان كانوا لا يفقهونها .

تاريخ المسيح ليس له سند معاصر وانما صوره احد الباباوات من غير اعتماد على أصل تاريخى وانما هو يوم مقدس من أيام الوثنيين الأقدمين عندما كانوا يؤلهون الشمس ، ثم حول المسيحيون عقيدة ميلاد الشمس الى ميلاد المسيح واتخذوا لها يوم ٢٥ ديسمبر جريا على آثار الوثنيين دون أى أصل تاريخى أو سند علمى . وعقيدة الأب والابن نفسها من عقائد الوثنيين القدماء فان البوذيين يتصورون بوذا فى طفولته مع أمه فى نفس الصورة التى نراها منقوشة فى كل كنيسة للمسيح فى طفولته مع أمه مريم .

وفى الحقيقة ان الشخصية التى يدعيها المسيحيون للمسيح عليه السلام ليست تاريخية قطعا والباحث عن ذلك بالأساليب العلمية ليرى مبلغ ذلك من الواقع يخرج من بحثه صفر اليدين ».

والاختلاف بين المسيحية شديد جدا فى أصول المسيحية فى تكوين العقيدة عند المسيح ، وقد حملنى هذا البحث والتأمل على درس الديانات الأخرى فعكفت على مطالعـــة ما ألف عنها . وجـــدت كتبا عن البوذية والبرهمية وسائر الأديان فيما عدا الاسلام فان الكتب التى ألفت عنـــه مملوءة بالتحامل والمطاعن والغرض الظاهر وزعموا أن الاسلام ليس دينا مستقلا ولكنه أقوال محرفة عن كتب المسيحيين .

وقال : ان عبد الله كوليام أهدى الى الاســـلام على يديه أكثر من خمسمائة شـــخص فى انجلترا ، وقال : ليس عنـــدى ريب فى ان الدين الاسلامى سيكون يوما ما الدين الذى يسود العالم أجمع ، وهذا يتوقف على سبب جوهرى هو ان يكون المسلمون مثلا حسنا يعلن عن الاسلام ويعرف الأمم به عمليا .

والاسلام هو الذى انفرد بتحريم الخمور ، وهى مزية لا تجدها فى كتب الديانات الأخرى بل ربما يجد من بعضها تشـــجيعا على الخمر كما يقول القديس بولس لتلميذ له .

ولا شك ان معرفة الكثيرين من المسحيين بأن الانجيل الذى فى ايديهم أحدث عهدا من المسيح ووقوفهم على الاختلاف الواقع بين كتبهم الدينية ، له تأثير كبير فى اعراضهم من بعض ما فيها من نصوص بينما المســـلمون لا يرتابون قط بأن القرآن الذى فى أيديهم هو الكتاب المنزل على نبيهـــم صلى الله عليه وسلم لا ريب فيـــه ولا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفـــــــه .

وقال : ولو انتشر الاســـلام بالسيف لمـــا بقيت هـــذه الكنائس والبطـــركيات .

٥ — المؤتمر الاسلامى الأوربى

وتحدثت الفتـــح عن هذا المؤتمر الذى عقـــد فى جنيف بدعوة من محمود سالم وقد شكلت اللجنة التحضـيرية (٢١ غسطس ١٩٣٣) من حقى وزكى اكرام وعلى الغاياتى والدكتور زكى على ، وقد قصد المؤتمر

الى : (١) اجراء تعارف واسع بين رجالات المسلمين في أوربا لتثبيت دعائم المحبة وتوطيد روابط الاخاء فيما بينهم (٢) والبحث فيما يتعلق بالأمور الاسلامية العامة واتخاذ ما يجب من التدابير الفعالة لاتحادهم ورقيهم ، من حيث الامور العلمية والاجتماعية والتجارية والاقتصادية (٣) والسعي لترقية مستوى المسلم الأوربي ترقيا مضطردا بادخال ما يجب من الاصلاحات على برامج تعليمه من العلوم الحديثة والتوفيق بينها وبين الأصول الاسلامية .

وتحدثت الفتح (م ٨٧٠/٧) عن أن المؤتمر الاسلامي الأوربي سيبحث موضوع يقظة المسلمين ، الذى سيكون موضوعا هاما لابحاث الفلاسفه في المستقبل ليتبلوا أسبابها ودواعيها .

والسبب واضح هو أن الحرب العالمية وتدفق ملايين المسلمين الى أوربا واطلاعهم على مدهشاتها ومخترعاتها العجيبة ، قد سيقوا الى معترك لا ناقة لهم فيه ولا جمل انتهوا الى تبين ما هم فيه من ذلة وعبوديه لسلامة الرومان الذين تسلحوا بألوان من السلاح يعجز الفكر .

وقالت : ان من اثار الحرب العالمية سقوط عائلتين حاكمتين لهما خطر الأثر على حياة المسلمين هم عائلة القياصرةالتى أوقفت حياتها على حروب دينية ضد المسلمين وعائلة العثمانيين .

وهناك فكرة يؤمن بها كل مثقف هو أن الحرب العالمية قد أنشأت حركة تعمل للاسلام العام ، وقد عزم مسلمو أوربا أن يرتبطوا فيما بينهم كي يزيدوا التعارف الموجود ويوثقوا أمانهم من العلاقات التى تجمعهم بفضل دينهم فضلا عن الاقتصاديات وهى فكرة جليلة .

— ٦ —

ونشرت الفتح بحثا من كتاب الشباب الاسلامى للمستر باسيل الأمريكى جاء فيه :

اولئك جميعا — يعنى المسلمون — يقصدون مكة يقفون خشعا عند الكعبة تلك المكان الذى يتجه اليه المسلمون جميعا فى كل يوم خمس

مرات ، هــذه كلها بلاد ينتشر فيها الاسلام وهى مترامية الأطراف كلهم يدينون بالاسلام ويعبدون الها واحدا ويعتزون بالنبى محمد الذى حمــل رسالة ربهم اليهم ، ترى ما هذا الذى تسيطر عليه هذه الجموع الحاشدة ويخضعها لعبادة الله وحده ويجعلهم يقصدون ذلك المكان لتأدية واجب مقدس ، ما هذه الرابطة القومية التى تربط هذه الجموع جميعا وتجعلها اخوانا سواء ، وأى شيء جمع بين الأسود والأبيض والسيد والمسود ، بكل حرية واخاء ومساواة وصداقة ، وليس هناك من سلطان عليهــم الا الاسلام الذى جمعهم كلهم اخوانا وربط علي قلوبهم .

قال جيبون المؤرخ البريطانى : ان الاسلام لمدة مائة عام بعد وفاة النبى ملك اكثر من ست وثلاثين الف مدينــة وقرية وقلعــة ، وأقام الفا وأربعمائة مسجد ، وبعد قرون امتدت يد الاسلام الى جبــال طوروس والقسطنطينية ، وامتد بقوة الى الشمال والى أواسط آسيا ، ووصــل الى سور الصين العظيم ، وبعث بروحه الى الهند وشيد عرشا عظيما فى دهلى فساد الاسلام فى جميع هذه البلاد ، فقرىء فيها القرآن وكان قانونا لها ، وهو القرآن — القانون الجنائى والمدنى ، وحكم خلفاء بغداد امبراطورية واسعة جدا لم ير مثلها العالم ، وبنوا القصور ، وامتلكوا الأوطان ، ونشروا العلوم التى كانت معروفة فى ذلك الوقت ، ومنها ترجمت الى اللغة اللاتينية ، وانما وصل علم أرسطو الى أوربا فى القرون الوسطى ، وقصارى القول ان الاسلام أخضع العالم جميعه ثم دخلت المطامع فى قلوب المسلمين ولم يزل الاسلام يهبط حتى وصل الى الحضيض أو كاد ، وطمعت فيه الدول الاستعمارية فامتدت يد بريطانيا فى القــرن التاسع عشر الى امبراطور المغول فى الهند ووقع شمال افريقية فى المحيط الاطلنطى الى البحر الاحمر فى قبضة الأوربيين وتحررت ممالك البلقــان ونشبت الحرب الكبرى فانسلخ العراق وسوريا وفلسطين وبلاد العرب من تركيا ، ونرى اليوم أن ثمانين فى المائة من مسلمى العــالم ويبلغون تقريبا (٢٣٥ مليونا) فى حماية جامعة الامم ونرى أن كل ثمانية من المسلمين واحدا محــكوم بحاكم مســلم والسبعة الآخرون محكومون بحكومات اجنبيا (كتب هذا عام ١٩٣٥) .

٧ — ويتحدث الفتح (م ١٩٣٥/٩) عن هندوكى أسـلم هو خالد لطيف جابا الذى قال :

نحن لا نجد فى الاسلام نظام الطبقات ولا تلك الحواجز التى يتحتم على بعض الناس عدم تخطيها ونحن لا نجد فى الاسلام معابد خاصـــة بالأغنياء وأخرى خاصة بالفقراء كما هو الحال فى انجلترا ولا معابد لذوى اللون الأسود وأخرى لذوى اللون الابيض كما هو الحال فى أمريكا وانما يقرر الاسـلام المساواة بين جميع الخلق ، ويجعل ثواب الله غير متوقف على لون أو مولد او جنس معين ورحمة الله لا نهاية لها ولا يخص بهـا مخلوق دون مخلوق .

ولن نجد فى الاسلام مبادىء تقلل من شـأن الذكاء فالموهبة من الله للانسان وللمرأة حقوق وكذلك فرض الله حقوقا للأطفـال والوالدين اما الزواج والطلاق والوراثة (وهما ثلاثة من أهم اسباب اضمحلال بعض الأديان القائمة اليوم) فانهـا مبنية فى الاســلام على عدالة الحقـوق والالتزامات . لقد دهش الهندوكيون وصمتهم دهشة عظيمة عندما علموا أن السنة الكريمة التى جرى عليها نبينا محمد صلوات الله عليه وتسليمه من أكثر من ثلاثة عشر قرنا ما تزال نافذة بين اتباعه فى كل مكان وقـد تمثلت فى شخصى هذه السنة الحميدة بأن عهد الى مسلمو الهند وانا حديث العهد بالاسلام بمسئوليات سياسية واجتماعية خطيرة .

لو رجعت الى التاريخ لوجدت أن كثيرا من العبيــد الأفريقيين (السـود الوجوه) قد حكموا ممالك الاســلام ولم يحل دون حكمهم اياهم لون بشرتهم ولا اختلاف طبعهم عن طبيعة العرب الاقحاح .

٨ — واولت الفتح اهتمامها الى المستشرقين الذين يعملون فى البلاد الاسلامية كخبراء سياسيين لخدمة الاستعمار ومن هؤلاء الدكتور سنوك هرتجرونجه المستشرق الهولندى الذى أعلن اسلامه ليتمكن من تعميـق خدماته للاستعمار الهولندى (م ١) .

فاشارت الى انه درس الاسلام فى الســنوات التى اقامها بالحرم

المكى منتحلا اسم (عبد الغفار) وقائلا لكل مسلم يتصل به (أنا أخوك فى الاسلام) وعرف جوهر الاسلام وعرف أنه دين العظمة والقوة والنشاط التى تمتع بها المسلمون فيما مضى انما تمتعوا بها بفضل تمسكهم بدينهم وأن دور الضعف موافق لزمن جهل المسلمين دينهم وتمسكوا بخرافات وزيادات ليست منه .

وقالت الفتح : للرجل صفتين : صفة العالم والثانية صفة السياسى ، بل ان اكثر المستشرقين لم يشتغلوا بالعلم الاسلامى الا لأجل السياسة ولمساعدة استعمارهم القومى على تثبيت نفوذه فى أعماق الأمم الاسلامية من اجل اخضاع الشعوب الكثيرة العدد لرفاهية شعب قليل .

اما بالنسبة للحركة القومية التى يقول الدكتور هرنجرونجه انها حلت محل الجامعة الاسلامية فانه :

الأول : ان الجامعة الاسلامية التى يعنيها هو ويتكلم عنها لم تكن موجودة قط وانما هى وليدة أوهام الأوربيين وخبالاتهم فلما ازدادوا علما بأحوال العالم الاسلامى وتبين لهم الآن عدم وجودها ظنوا أنها كانت ثم زالت ، فمن الخفة تسرع الدكتور هرنجرونج بالشماتة ، ولعل فى ضمير المستقبل من الحقائق عن الاسلام ما لا تكفى أدوات الاستعمار الحاضرة لاكتشاف اسراره ، اذن فالجامعة الاسلامية التى يقول مستشار الحكومة الهولندية فى الشئون الاسلامية أنها اضمحلت وحلت الحركة القومية محلها، انما هى جامعة وهمية لا كانت ولا زالت ، أما الجامعة الحقيقية فانها ازدادت وستزداد قوة مع الزمان .

الثانى : ان هذه الحركة القوميــــة التى يذكرها الدكتور موهما ان المسلمين هم الذين ضموا اليها من عند أنفسهم استغناء بها عن الجامعة الاسلامية انما وجدت فى الحقيقة واتسمت بسعى عظيم وتمهيد جسيم تتهر الأوربيون عليه دعموا له فى وزارات المعارف وفى الوسائل العلمية والأدبية المختلفة ، وقد أخطأوا فى تفصيل الثوب الذى ارادوا المسلمين أن يلبسوه بدلا من جامعتهم ، ونحن الذين لم يكن لنا راى فى وضع البرامج التى تولد منها القوميات صرنا الآن نعتقد أن الحركة القومية ستعين أهلها على انقاذ حقوقهم من أيدى غاصبيها .

الوجه الثالث : ان هذه الحركة القومية اذا كان فى برنامجها تنظيم روابط أدبية بين الشعوب الاسلامية فاننا نتوقع منها نتائج عملية لا بأس بها ، أما تداعى البنيان الاسلامى فلا يقول به الا احد رجلين : داعية يرى من وظيفته التخذيل والتثبيط وأماتة الهمم وقطع نياط الرجاء او رجــل لم يعود نفسه بعد النظر ولم يشتغل بدرس تطور الأمم .

ان التيار الموجود الى جفاء الاسلام لابد ان يكون له مدى يقطعه ثم يكون له بعد ذلك رد فعل يفتتح به عهد جديد للاسلام لم يسبق له مثيل :

ان لهذا التيار سببين رئيسيين :

الأول تشويه عقول ناشئينا ببرامج التدريس التى احكم وضعها او اغرى بها أو ساعد عليها أناس لا يهمهم بقاء الاسلام كالمستر دنلوب وغيره من أهل الأقطار الاسلامية الأخرى .

الثانى : تقصير علمائنا فى افراغ المعارف الاسلامية فى أســاليب تلذ القراء المصريين فتجعل ناشئينا عارفة بمحاسن الاسلام ومحامده كمعرفة محببة .

فاذا نبن عقلاء المسلمين : اصلاح المعاهد الدينية واصلاح التدريس وتكوين علماء يحسنون مخاطبة أبناء العصر محاسن الاسلام اليهم ومحاولة تدريس التاريخ الاسلامى فى مدارسنا المدنية فان لهذه المساعى نتائج محققة. ان تحويل المعارف الاسلامية الى الشكل الذى سيكون سببا فى تكثر سواد العارفين بمحاسن الاسلام من شبابنا المتعلمين .

هناك أمر آخر هو أن فى أوربا فريقا كبيرا من أهل التفكير يشعرون بكثير من مساوىء الحضارة الأوربية الحاضرة ويفكرون فى حاجــــة ذلك المجتمع الى مخرج من مساوئه وأرى أنا ان ذلك المخرج موجود فى الاسلام والأوربيون أهل بحث ودرس ولابد أن تتبين لهم محاسن الاسلام فى يوم من الأيام .

وأشارت الفتح الى أن الدكتور هيجو ماركاس الفيلســوف الألمانى قرر أن الاسلام هو الدين القديم الجامع لكل الفضائل ومن أجل ذلك فقــد اعتنقه .

ـ ٧ ـ

ترجمة معاني القرآن الكريم

واولت (الفتح) اهتمامها بقضية ترجمة معانى القرآن الكريم التى اثيرت عام ١٩٣٢ تقريبا ففى مجلد الفتح (٦٣٩/٦) ناقشت هذه القضية على اثر كتابات التفتازاني وفريد وجدى فقالت : ان العلوم تترجم اما الآداب البليغة سواء كانت نثرا أو شعرا فان الترجمة تشوه جمالها وتسقط مرتبتها وتضلل قارئها ، والذين يدعون الى ترجمة القرآن يريدون الاساءة الى القرآن وابراز صورة له كاذبة بشعة تبعد الناس عن الدين الاسلامى .

وكتب مصطفى الرفاعى اللبان فقال :

يتفق الباحثون جميعا على عدم استطاعة نقل القران الكريم الى لغة اخرى بلغت ما بلغت من العظمة والجلال والاتساع فان اللغة العربية امتازت ببسطة الالفاظ وكثرة المجازات والكنايات وقد يحمل اللفظ فيهما معنى عبارات كاملة برمتها وقد اكتسبت بنزول القرآن صبغة القداسة وارتدت لباس الخلود وصارت آيات القرآن الهية لا يستطيع بشر مهما أوتى من العلم والبيان أن يعبر عنها بلغة انجليزية او فرنسية . وفى هذا لا يجوز قياس القرآن على الانجيل فان الانجيل كتبه بشر بلغة ساذجة قريبة من العامية كما عرفت من نجوى مع رجال الدين المسيحى وترجماته من يكون خيرا من الأصل مرات عدة ، والعارف بتطور اللغات الأجنبية على اختلاف العصور يحكم مثلا بأن الانجيل الانجليزى منذ قرن بينه وبين انجيل القرن العشرين تفاوتا كبيرا فى الألفاظ والأسلوب ، ولكنا لن نرى ترجمة للقرآن تساوى قيد عشر من أسلوبه المعجز البليغ الذى حوى أوسع المعانى مدى وأغلى الجواهر قيمة .

وكتب السيد محب الدين الخطيب فقال :

تحت عنوان (شماتة الداعين الى ترجمة القران) : ان نقل معانى القرآن بتوسع تفسيرى وبدون تقيد بالترجمة الحرفية مفيد فى مساعدة الدعاة الى الاسلام على أداء مهمتهم ويكون ذلك فى آيات مخصوصة عند الكلام على أمور مخصوصة من حقائق الكون ودخائل الحياة وأسرار النفس

وهذا لم يمنعه الذين يمنعون الترجمة الحرفية للقرآن لأنهم مخلصون فيما يمنعون وما يبيحون ، أما الداعون الى الترجمة فلا يزالون مصرين على تجاهل هذه الحقيقة لأنهم اما سيئوا النية واما ضعيفوا المدارك .

ان الترجمة الحرفية من طبيعتها أن تظهر فى اللغة المترجم اليها تعبير الأساليب المحمودة فيها ، هذا اذا كان ما يترجم حرفيا ليس له صفة الاعجاز فى لغته الأصلية كما هى الحال فى القرآن الذى تحدى الله به اهل الأرض جميعا ورماهم بالعجز أن ياتوا بمثله باللغة التى نزل بها فكيف ننقله الى لغات طبيعتها غير طبيعة اللغة العربية .

٢ — وفى المجلد ٧ (١٩٣٣) من الفتح واصل السيد محب الدين الخطيب الحديث عن ترجمة القرآن الذى يتصدى لتأييده فريد وجدى وما زعم المراغى من أن ترجمة القرآن جائزة ويمكن أن يعتمد عليها من يدخل الاسلام من الأوربيين لاستنباط الأحكام والاجتهاد فيها وقد انبرى لتزييف ذلك كله ونقضه الشيخ مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية فألف كتابا عنوانه (مسألة ترجمة القرآن) عرض فيها لشبهات المراغى واتبعه بنظرة خصصها للكلام على أقوال صاحب البدائع فى موضوع الترجمة ، وناقش فريد وجدى فى كل ذلاته العلمية والدينية والاجتماعية التى تدور حول ترجمة القرآن .

٣ — وواصلت الفتح مراجعة قضية ترجمة القرآن ففى (المجلد ١٠ ص ١٠٣١ (أشار الى أن الشيخ المراغى شيخ الأزهر رد على مقال مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية وأن هذا المقال تضمن أمورا جوهرية وحقائق عظيمة .

كما كتب الشيخ محمد سليمان كتابه (حدث الأحداث فى الاسلام) وتوقفت هيئة كبار العلماء عن الفتوى فى الموضوع وتحدثوا عن مواقع الترجمة من جهات احتمالات الاعراب التى تمنع الاقدام على ترجمة قطعه ومن جهة الوقف والابتداء ومن جهة الألفاظ المشتركة التى تدل على معانى ذات طرق متعددة لا يقابلها لفظ ولا الفاظ فى اللغة التى يراد الترجمة اليها ومن المعلوم أن القرآن منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه والمتشابه لا يستطيع أحد على وجه الأرض كائنا من كان أن يدعى العلم المطلق به

او المراد منه فالصورة التى تعطيها الترجمة لا تمثل لأذهان الأجانب ما يجب ان يمثل القرآن لهم لأن مجموع القرآن لا يمكن ترجمة معانيه لا ترجمة حسنة ولاترجمة غير حسنة، ولما كان الغرض من الترجمة اعطاء معانى قطعية للشيء الذى يراد ترجمته فان القطع والجزم فى كل معانى القرآن لم يدع معرفته مسلم فى عصر الصحابة الى الآن) وقد فتحت الفتح صدرها لمقالات عديدة من العلماء فى هذا الاتجاه .

وكتب الأستاذ حسن البنا مقالا فى هذا الصدد (م ١٠/١٠٨٠) .

٤ — وأشار الفتح م ١٦ الى أن ترجمة القرآن باءت بالفشل بعد أن بين عقلاء المسلمين فسادها منذ عشرات السنين وقد أشـــار الى مقال للدكتور يعقوب صروف فى مجلة المقتطف (سبتمبر ١٩٠٠) وعندنا انه لو همت الجمعيات الدينية المسيحية نشر الانجيل باللغــة الانجليزية وعلمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غـــير أن أن يترجموه ، لكان نجاحهم أتم (أيد هذا الراى فى عدد نوفمبر ١٩٠٠) .

(٨)

المؤلفـــات

وقد اهتمت الفتح بمراجعة عدد من المؤلفات التى صـــدرت فى هذه الفترة وأشارت الى وجوه القصور والنقص فيها أو اشادت بما فيهـــا من جيد البيان :

١ — ومن ذلك ما أشار اليه عمر الدسوقى فى كتابه عن اخوان الصفا وهو اعتراف الاسماعيلية المعاصرين بهذه الرسائل ومن ذلك قول أغاخان فى كتابه (نور مبين حبل متين) ان مؤلف اخوان الصفا من ائمة الاسماعيلية وهو (أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) وقول الدكتور حسين الهمزانى أحد دعاة الاسماعيلية البهرة ان الاسماعيلية يرون القرآن كتاب العامة ورسائل اخوان الصفا كتاب الائمة .

٢ — واشارت م (١٧) الى ان الاب انستاس الكرملى قال فى معنى تنشيط دراسة النحو الذى يقال أن المجمع اللغوى معنى به فقال ان تيسير النحو يمنعنا من أن نفهم القرآن والاحاديث النبوية والشعر الجاهلى وكلام

الأقدمين وعندى أن هذا المشروع دسيسة أجنبية لمنع العرب من تفهم آدابهم التقليدية (ربيع الأول ١٣٦٥) .

٣ — واشارت الى ما ذكره الدكتور زكى مبارك (م ١٧) تحت عنوان عندما يواتينى الموت :

قال ستبقى أفكارى لتعين الشيطان على اضلال الناس فابث فيهم معنى الشرور والاثم والطغيان ففى رسائلى وأشعارى ومؤلفاتى اقباس من الضلال وهى وحدها خليقة بأن تغمس هذا العالم فى أوحال الرجس وتلفه فوق أشواك الارتياب .

٤ — وفى عرض كتاب (عائشة والسياسة) لسعيد الأفغانى ذكر أنه قال لهيكل والمؤلفين العصريين من الاعتماد على كتاب (الامامة والسياسة) وهو لقيط تبرأ منه علم ابن قتيبة ولا يعرف له أب ؛ وقال : لا يكفى للثقة بكل ما فى تاريخ الطبرى اجماعنا كلنا على الثقة بالطبرى نفسه فان الطبرى أورد أخبارا متفاوتة الدرجة فى الثقة ولعله أوردها ليستفاد من بعض نواحيها وقد خرج الطبرى من عهده هذه الأخبار بتسمية رواتها لتكون على بينة منها .

٥ — واشارت الفتح الى ما أورده الياس الايوبى فى كتابه (فى تاريخ مصر) فقد قدر الجيوش بعددها واستعدادها ولم يحسب للايمان حساب ، مع أن القوة المعنوية لها الشأن الأول فى الدفاع عن الزمار والشرف وتخليد الصحائف الذهبية فى تاريخ الأمم .

وقال ان المؤلف يستبعد صدوق ما ذكرته كتبنا العربية فى التاريخ من عدد المجاهدين الذين فتح بهم عمرو بن العاص رضى الله عنه وادى النيل واخذ ينتحل أسبابا أخرى للفتح يبدى فيها ويعلن (م ١٤) .

٥ — واشار الى أن طه حسين القى محاضرة فى مؤتمر المستشرقين وما حاوله فيها من العدوان على القرآن وعلماء المسلمين فى أربعة عشر قرنا ولذلك حاول طه حسين منع المحاضرة من الترجمة حتى لا يطلع عليها المسلمون .

٦ — واشار الى النقد العلمى الذى كتبه محمد الطاهر بن عاشور لكتاب الاسلام واصول الحكم فقال السيد محب الدين الخطيب : ان الاسلام لا يحتضر واذا كان من يقتضى سيرتنا فى ديننا أن يحتضر بين أيدينا فان الله سينصره برجال غيرنا بعد أن يذهب بنا لأن فى الاسلام من القوة الذاتية والمناعة الخالدة ما لو تخلى عنه الناس جميعا لكفى لاعادة مجده ونشر لوائه عشرة رجال فقط .

انا لا أنكر ان تيار الاباحة والالحاد تيار شديد ولكن شدته هذه لن يكون خطرا على الاسلام الا اذا امتلأت نفوسنا يأسا واستقبلنا هجومات خصومنا بسلاح الجهل والعجز وبالنفوس الصغيرة ، أما اذا كان فى الاسلام رجال يتخذون من ماضيه سراجا لمستقبله ومن ابطاله ائمة يقتدى بسيرتهم فان التيار الحاضر يكون احقر من أن نرى معه الاسلام محتضرا ، ألا يستطيع ان يقنع الفتى المسلم الذى يتعلم فى المدرسة الثانوية او العالية بأن ما خلفه لنا التاريخ الاسلامى فى أربعة عشر قرنا هو اثمن تركة حصل عليها وارثها وأن الذى يتخلى عن هذه التركة جاهل او مجنون .

واشار الى اليقظة ازاء كل حادث فما ان ظهر كتاب (فى الشعر الجاهلى) حتى مزقته الأقلام تمزيقا وكشفت عن مقدرة صاحبه فاذا هو جاهل ومدلس وسارق وسفيه وملحد ، مخاز لو نسبت الى أرسطو أو الصقت بأفلاطون لكانت كافية فى اسقاطهما ومحو اسم كل منهما من تاريخ العلم والفلسفة . وهكذا ما تكاد تظهر حركة من جانب المهاجمين على الاسلام حتى تقابل بأشد منها .

وقال الشيخ عبد الباقى سرور نعيم : ان السر فى خيبة الطاعنين فى الاسلام مركوز فى طبيعة العقل البشرى لأن محاربة الاسلام محاربة للعقل البشرى .

الفصل الرابع

مقـــــارنات الاديان

أولت الفتح اهتماما كبيرا الى ما يسمى الآن (مقارنات الاديان) ، فعرض لما أشارت اليه الكتب المقدسة من بشائر بمجيء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو بحث لمولانا عبد الحق نشره فى مجلة مسلم رفايقل يونيه ١٩٣٢ وترجمه محمد تقى الهلالى ونقلته الفتـــح (م ٤٥٣/٨) قال الـــكاتب :

البشـارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المقدس عند الفرس فى دساتير ساسان الأول اخبارا بمجىء النبى محمد صلى الله عليه وسلم فقد شاعت هذه البشـارة وتداولت كثيرا واهتم بها الناس ايما الاهتمام آلافا من السنين حتى ان فارس لم تزل من عهد ساسان تنظر بشـوق عظيم حادثة وفاء ذلك العهـد ، وقد اغتنم هـذه الفرصة (متى) كاتب الانجيل لما علم أن الفرس ينتظرون انجاز هذه البشـارة العالمية فاجتهـد ان يرى الناس أن الموعود به فى كتاب الفرس هو عيسى بن مريم المسيح وقد حرف (متى) رواية ساسان .

٢ ـــ كذلك فقد كتب الشـيخ الرفاعى اللبان عن بشـــائر محمد فى الكتب اليهودية والمسيحية فقال :

البشـارة الأولى فى سفر التكوين (ظهـــر الرب لابرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض)

البشـارة الثانية فى سفر التكوين (لهاجر تلدين اسماعيل) .

البشـارة الثالثة : سفر التكوين (أعطى لك ولنسلك من بعدك كل أرض كنعان) .

البشـارة الرابعة : سفر التكوين (من ذرية اسماعيل اثنى عشر رئيس بلد واجعله امة وحده) .

البشارة الخامسة : سفر التثنيــة (اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) .

٣ ــ كذلك اشارت الفتــح الى كتاب (ينابيع المســيحية)لخوجه كمال الدين ، قال :

هناك ثلاثة آراء فى المسيح والمسيحية : رأى قائم على التفريط فى حق المسيح عليه السلام ، ذهب أصحابه الى أنه شخص غير تاريخى ، وان صورة المسيح التى تريد الكنيسة أن تنقلها فى عقول الناس وقلوبهم انما هى صورة مزورة ورثها الناس عن الوثنيات القديمة ، وان كل ما فى المسيحية له أصــل فى ديانات الوثنيين التى جاءت قبــل المسيح بألوف السنين ، القائلين بهذا (روبر لستون ، جان هايكتون ، فريزر ، بارسو أدورد كاربنتر) .

الراى الثانى : قائم على الافراط فى حق المســيح عليه الســلام ورفعه الى منزلة الالوهية .

والراى الثالث قائم على أساس الاعتدال فيعترف المسيح بالوجود التاريخى وتنزيهه وامه عليهما السلام من الصفات المريبة وتحفظ له المنازل التى وضعه فيهـا الله عز وجل مع اخوانه من الأنبيــاء والمرسلين فهو عبد الله ورسوله جاء الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وهذا هو الحق الذى قرره الاسلام وكان به ادنى للحقيقة ، ويسدد المسيح من كلا جانبى الافراط والتفريط .

هذا الكتاب ألفه بالأوردية (خوجه كمال الدين) ترجمة اسماعيل حلمى البارودى الذى ترجم كتاب (ايقاظ الغرب للاسلام) للورد هدلى . وجمع فيه الحقائق عن الأراء والنزعات الوثنية الطارئة على المســيحية بقصد تمحيصها وردها الى ما كانت عليه مثل هذه الزيادات وكان عبد الكريم التيز قد وضع كتابا ترجم الى العربية أسمه (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانيــة).

٤ ــ تسويب نشيد الرعاه (وعلى الأرض الاسلام وللناس أحمد).

وفى اغسطس ١٩٣٣ كشف عبد الأحد داود فى كتاب ألفه بالتركية عنوانه (الانجيل والصليب عن أغلاط الترجمة فى التوراة والانجيل) تلك الأغلاط التى حرف بها المترجمون الكلم عن مواضعه ، وفى مقــدمة ذلك النشيد الذى ذكر لوقا (٢ : ١٤) أن جنــود السماء ظبــروا ليلة ولادة المسيح للرعاة الذين كانوا فى البرية يترنمون بهذا النشيد :

(الحمد لله فى الاعالى وعلى الأرض اسلام وللناس احمد)

فحرفه المترجمون وقالوا : (وعلى الأرض السلام وللناس المسرة) .

والمؤلف يبرهن على أن هذه الترجمة خطأ ، وأن صواب نشيد الرعاة (وعلى الأرض الاسلام وللناس أحمد) وقد عثر عليه أفاضل مسـلمى العراق وترجمه بالعربية وطبعه المنار .

٥ ــ واشارت الفتح الى المؤتمر الذى عقد فى كلية جيرتون بكامبرج تحت رئاسة الأستاذ جاردز التى فيه هذا السؤال

هل المسيح هو المؤســس للدين المسيحى

وشرح ملقيه (الدن انج) بأن يسوع ظهر لمعاصريه بصفة نبى تابع لكنيس اليهود لا مضاد لها وأيده بعض القسوس وخالفه رئيس الشمامسة وقد رد عليه مستر رنجل بخطاب طويل عزا فيــه هذا الدين الى بولس الرسول وقال ان مسيح الانجيــل ومسيح بولس الرســول شخصـــان لا يتفقان .

ثم اجمع هؤلاء الأساقفة مع غيرهم فى مؤتمر نبالى بأكسفورد ١٩٢١ ليقرروا هل كان المسيح الها أم نبيا ، وقال فى هذا المؤتمر الدكتور راشد الشماس كارليل الذى وفى الموضوع حقه بشرح دهش له العالم المسيحى كله ، اذ صرح بأن قراءته للكتاب المقدس أثبتت له أن المسيح ليس الها ولم يدع الألوهية وفصل ذلك فى خمس قضايا أو مسائل ثم اجمع رؤساء كنيسة انجلترا فى اكسفورد ١٩٢٢ فقرروا أنه اذا نقى الدين الذى جاء به يسوع من الحشو والاضافات البشرية أصبح دين محبة وأن دين بوذا كذلك .

وفى مؤتمر كانتربرى (مقام الرئاسة العليا للكنيسة الانجليزية) ١٩٢٣ الذى عقد لمعالجتها طرأ على الدين من الهزال وبوادر الانحلال فكل ذلك دليل على ان التعليم العصرى الأوربى خطر على الدين .

٦ — ونشرت الفتح فصلا مطولا تحت عنوان اخطاء فى الكتاب المقدس (م ٣٧٣/١٤) كما نشرت ابحاثا متصلة تحت عنوان ضياع التوراة والانجيل (م ٣ صفحات ٢٧٧/٢٣٣) لطه صديق العبادى .

وكتبت الفتح (م ١٠) تحت عنوان (وقالت اليهود عزير ابن الله) وهذه الآية معجزة قرآنية ترد على حقائق علمية ووقائع تاريخية لم يكن على وجه الأرض فى عصر النبوة أحد من البشر يعلمها فهى يومئذ لم تكن وانما كانت من العلم الالهى بأن عزرا هو أوزيرس قالت اسم عزير لم يكن معروفا عند بنى اسرائيل الا بعد دخولهم مصر واختلاطهم بأهلها واتصالهم بعقائدها واسم عزير هو (أوزيرس) كما ينطق به الافرنج، أو (عوزر) كما ينطق به قدماء المصريين ، وقدماء المصريين منذ تركوا عقيدة التوحيد وانتحلوا عبادة الشمس كانوا يعتقدون بعوزر أو أوزيرس أنه ابن الله ، وبنو اسرائيل فى دور من أدوار حلولهم فى مصر القديمة استحسنوا هذه العقيدة (عقيدة أوزيرس ابن الله) وصار اسم أوزيرس أو عوزر (عزير) من الأسماء المقدسة التى طرأت عليهم من ديانة قدماء المصريين وصاروا يسمون أولادهم بهذا الاسم الذى قدسوه كفرا وضلالا . ان اليهود لا يستطيعون أن يدعوا فى وقت من الأوقات ان عزير كان معروفا عندهم قبل اختلاطهم بقدماء المصريين وهو فى لغتهم (عوزرا) وهى تدل على الألوهية ومعناها الاله المعين وكانت بالمعنى نفسه عند قدماء المصريين فهذا سر من أسرار القرآن ما كان على قدماء المصريين وما كان شىء من ذلك معروفا فى الدنيا قبل نزول القرآن .

وأشارت الفتح فى (م ٨) الى ان الانجيل اليونانى وردت فيه كلمة (بارقليط) معناها بالعربية أحمد أو محمد ، فاليهود كانوا يعلمون بظهور ثلاثة رجال أيليا ومهيمنا والنبى . أما ايليا فهو يوحنا المعمدان كما ذكر

المسيح فى الانجيل ، ومسيا هو المسيح كما هو ظاهر الانجيل ايضا ، اما النبى فمن هو ؟ هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ان التاريخ والحس والواقع يحدثنا ان هذا النبى هو سيدنامحمد وهو الذى ظهر بعد المسيح وانتشر دينه فى مشارق الأرض ومغاربها .

وأشارت الفتح فى مجلد ٩ ان بعض المغالطين نقل بيت شوقى محرفا

عيسى سبيلك رحمة ومحبة فى العالمين وعصمة وسلام .

فنقلها (عيسى صليبك) !

٧ — وأشارت الفتح الى أنه فى الانجيل اليونانى وردت كلمة (بارقليط) ومعناها بالعربية احمد أو محمد وهو بشارة تنطبق على ما جاء فى انجيل يوحنا من ورود ذكر النبى بالتعريف اذ (ال) فى النبى للعهد .

وما ورد فى انجيل يوحنا عن النبى الذى كان ينتظره اليهود مع ايليا ومسيا قال البعض ان النبى هو المسيح نفسه وقال آخرون ان نبيا من الذين ماتوا كان مزمعا ان يقوم من قبره والمعروف أن اليهود قالوا ليحيى (يوحنا المعمدان) أايليا انت ؟ قال : لا . النبى انت ؟ قال : لا . أمسيا انت ؟ قال : لا . فالسؤال عن ثلاثة اشخاص مستقل وكل واحد منهم غير الآخر ولا علاقة لأحد منهم بالآخر . فالقول أن النبى هو المسيح لا يستريح اليه العقل ، أما أن هذا النبى من الأنبياء السابقين وسيقوم من نومه فقول مردود ، لأنه غير معقول .

(انتهى البحث)

رقم الإيداع ٤٠٣٠/٨٦

دار عطــــــوه للطبـــاعة



(٢)

موسوعة
تاريخ الصحافة الاسلامية

مجلة الفتح

السيد محب الدين الخطيب .

هذا هو المجلد الثانى من موسوعة تاريخ الصحافة الاسلامية صدر المجلد الاول عن مجلة المنار ــ السيد رشيد رضا وهذا المجلد عن مجلة الفتح التى استمرت اكثر من عشرين عاما حاملة لواء الدعوة الاسلامية بجوار اخواتها ــ المنار والنذير والشبان المسلمين ومجلة الازهر.

وقد حفلت مجلة الفتح بدراسات واسعة فى مختلف ميادين الدعوة الاسلامية فتناولت :

(١) قضايا الدعوة والشريعة وبناء المجتمع الاسلامى .
(٢) قضايا المسلمين فى صراعهم مع الاستعمار فى مختلف اجزاء العالم الاسلامى وخاصة = ليبيا وتونس والجزائر والمغرب .
(٣) قضايا الغزو الفكرى حيث تناولت بالكشف شبهات الاستشراق والتبشير.
(٤) كشف زيف دعاوى القاديانية والماسونية والبهائية ومختلف هذه النحل فى توسع وافاضة على النحو الذى يراه القارىء الكريم فى هذه الدراسة المستوعبة التى قدمها انور الجندى فى سلسلة عن تاريخ الصحافة .

الحلقة الثالثة القادمة عن صحافة الاخوان المسلمين

دار الأنصار